ابن عابدين

و

أثره في الفقه الإسلامي



العنوان: ابن عابدين وأثره في الفقه الإسلامي

«دراسة مقارنة بالقانون»

تأليف: الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

عدد المجلدات: ٢

عدد الصفحات: ١٣٠٠ صفحة

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٥ سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

دار البشائر

للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حداد

هاتف ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص ب ١٩٢٩ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

ابن عابدين

و

أثره في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة بالقانون

تأليف

الدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور

راجعه وقدم له

صاحب السماحة العلامة الفقيه الكبير الطبيب الحكيم السيد الشريف

الشيخ الدكتور محمد أبو اليسر عابدين

رحمه الله وطيب ثراه

قدم له مقرظا

صاحب الفضيلة العلامة الفقيه الجليل الأستاذ

الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء

رحمه الله وطيب ثراه



هذا البحث العلمي نال بالإجماع

درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات الأخرى في الفقه المقارن وأصوله من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٩٨ هجرية الموافق ٢٦ تموز ١٩٧٨ م

الإهداء

إلى روح من ربّاني صغيراً، وعلمني كبيراً، وأدبني بأدب العلم وعاش حياته يرعاني أباً رحيماً، وأستاذاً عظيماً، وشيخاً مرشداً على طريق العلم والعمل الصالح، وأفنى شبوبته بالجهاد لإعلاء دين الله حتى أكرمه الله تعالى برؤية ثمرات غرسه في أولاده وتلاميذه في حياته المباركة.

إلى روح المجاهد الكبير والعلامة الجليل والفقيه الحنفي المحقق والشاعر الفذ، والأديب الموهوب،

إلى روح والدي.. في جنة الخلد، في الفردوس الأعلى... رحمك الله ورضي عنك وأرضاك.

إلى روحك الطاهرة في عليين يا أبتاه أقدم هذا الكتاب لتقرّبه عيناك. بعد طول انتظار فلقد كنت له مقدراً، وكنت به حفياً.

ولدك

محمد عبد اللطيف الفرفور

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من

شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا محمّداً عبده ورسوله، اللهمّ إنّي أعوذ بك من فتنة القول، كما أعوذ بك من فتنة العمل، وأسألك السداد والإخلاص والقبول. وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تقريظ العلامة السيد الشريف
الشيخ الدكتور محمد أبو اليسر عابدين
رحمه الله وطيب ثراه لرسالة ابن عابدين وأثره في الفقه
بخط نجله المرحوم الأستاذ محمد عزيز عابدين وتوقيعهما
معاً وذلك بعد قراءة الشيخ محمد أبو اليسر الرسالة
كلها والاطلاع على مضمنها رحمهما الله تعالى عام ١٩٧٧م

فضيلة الأستاذ محمد عبد اللطيف الفرفور المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

فإنه لمما يُثلج الصدر أن أطلع على بحثكم القيم والفريد في بابه حول إعدادكم لأطروحة الدكتوراه في الشريعة في عَلَم من أعلام المسلمين شامي دمشقي، ذاع صيته وانتشرت مؤلفاته ولاتزال تَنفدُ طَبْعاتُها، ويستمر الطلب عليها حثيثاً.

أما نسبه فيرتقي إلى نور النبوة الساطع، فهو نفحةُ إيمان، وزهرة من ربيع الإسلام النضِر الفواح، وإني لأرى أن العلم يعجز عن التعبير عن أداء حقه، وتَقْصُر الكلمات في وصفه، وقيامكم ببحث عن هذا الرجل الجليل مسؤولية كبرى وعمل جسيم، وفي تقصّي آثاره خدمة للشريعة وللمسلمين.

وإني لا أجد غَرابةً بذلك، فأنتم فرعُ الأصل الطيب والدكم الجليل أمد الله بحياته، ونفع به المسلمين، فإن أقل مايُقال عنه إنه مدرسةُ مسلمي العصر، وثمراتُ غرسه أكبر شاهد على ماأقول.

والمسؤولية التي أتحدث عنها في بحثكم عن ابن عابدين تنبع من أننا لم نستطع حتى الآن أن نُحصيَ جميع آثاره التي أنتجها في أربعة وخمسين عاماً طواها في خدمة الإسلام واللغة العربية، وإني لأتساءَلُ؛ لوقدَّر الله وبلغ الثمانين أو أكثر فماذا كان يُنتج؟! أمَا كان يحكي السَّرْخِسيَّ في فقهه، والجاحظَ في أدبه؟.

ثروةٌ فقهية علمية لا تُقَدَّر بثمن، تركها تراثاً للمسلمين خالداً لا تزال مرجعاً للعلماء ورجال القانون في عصرنا، وقد استطاب أحدُ كبار فقهاء الشافعية بدمشق القول عن تلك الثروة: «إنه لوقُيِّض للمذهب الشافعي رجلٌ كابن عابدين لأغنى المذهب بروائع الأحكام الفقهية، ولَبَذَّ المذهبُ الشافعيُّ غيره من المذاهب الأخرى».

ابنُ عابدين عمدةُ المذهب الحنفي، شافعي الأصل، ألزمه شيخه الشيخ شاكر العقاد -كما هو معلوم- بالتحول إلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، فدل بذلك على وحدة المذاهب في نقاوة منبعها، وأصالة الإسلام في النفوس المؤمنة.

حياته ووصفه وكتبه استعرضها ولده المرحوم الشيخ محمد علاء الدين بمقدِّمة التكملة، ولخَّصها سيدي الوالد في مقولة بدائرة معارف البستاني، وقدَّمت لكم نسخةً مُنَقَّحةً عنها.

وبعد؛ فما قَدَّمت لكم عن تراث ابن عابدين وأسرته في مكتبتي جُهْد المُقلِّ، وزاد المسافر، فذلك وُسعي الآن، على أني أعِدكم أن أُوافيكم بما يَجِدُّ لديَّ.

هذا؛ ورغبةً مني في المساهمة بجزءٍ يسير مما حَملتم نفسكم مَشَاقَّ استقصائه أُقدِّم لكم صفحاتٍ مصورةً من بعض مخطوطاته في مكتبتنا.

ولقد أَطْلَعتُ سيدي الوالد على جميع ما كتبتُه لكم وأُقرِّئه مع إهداء عاطر سلامه إليكم ودعواته بالتوفيق.

رحم الله ابن عابدين، وطيَّب ثراه، وأسكنه فَسيح جناته.

أما أنتم؛ فمن قلب مخلص أُعبِّر لكم عن أسمى تقديري لهذا العمل الرائع الذي تقومون به متمنياً لكم دوام التوفيق في الحِلِّ والتَّرْحال.

وأدعو الله عز وجل أن يَجْزيَكم أحسنَ الثواب.

والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته

دمشق في ٢٠ ربيع الأول ١٣٩٧هـ الموافق لـ ١٩٧٧/٣/١٠م.

محمد عزيز محمد أبو اليسر عابدين

مدير إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني

عضو مجلس الإفتاء الأعلى

التوقيع

الطبيب الدكتور محمد أبو اليسر عابدين

التوقيع

تقديم وتقريظ أستاذنا العلامة
مصطفى أحمد الزرقاء
رحمه الله وطيب ثراه

بسم الله الرحمن الرحيم

- إن كتاب رد المحتار للعلامة محمد أمين عابدين الشامي الدمشقي، وهو حاشية على كتاب الدر المختار للعلامة علاء الدين الحصكفي شرح متن تنوير الأبصار للعلامة التمرتاشي؛ قد جاء فتحاً جديداً في المذهب الحنفي بعد كتاب (بدائع الصنائع) للعلامة المبدع الشيخ علاء الدين الكاساني رحمهم الله جميعاً.

فكتاب البدائع نثر الفقه الحنفي وأعاد صياغته بتبويب وتفصيل وتأصيل جديد، وكتاب رد المحتار غربل المذهب ونخل كتبه على كثرتها، وأخذ حصيلتها في التنقيح والترجيح والتصحيح، فحرَّر المذهب تحريراً جامعاً يغني المُراجِع والباحث عن كل كتاب آخر سوى من يريد مزيداً مما حول الموضوع الذي يريده.

- كان جدي رحمه الله الشيخ محمد الزرقاء مولعاً بتدريس حاشية ابن عابدين (رد المحتار) لمَّا ظهرت طبعتها الأولى البولاقية ذات القطع الكبير، وقد استمر دائباً على تدريسها قراءة كلمة كلمة: يقرأ المتن والشرح، ثم ينزل إلى الحاشية قولة فقولة، في حوالي أربعين عاماً.

وقد قرأ والدي رحمه الله عليه الحاشية قرابة ثلاث مرات كلمة فكلمة كل مرة في اثني عشر عاماً درسا يومياً سوى يومي الثلاثاء والجمعة والأعياد، وذلك في المدرسة الشعبانية في حلب، ويحضر الدرس ثلة من فقهاء البلد وبعض القضاة والمفتين والمدرسين.

ولما تولى والدي تدريسها بعد جدي في المدرسة نفسها، وكنت قد انتظمت في سلك المدرسة الخسروية للدراسة الشرعية، كنت أحضر على والدي قراءة حاشية رد المحتار في المدرسة الشعبانية نفسها. وأكتب عليها تعليقات مستمدة من تقرير والدي وشرحه ومناقشته.

- إن ما توافر لابن عابدين من وسائل الإحاطة بكتب المذهب إلى جانب ذكائه وذاكرته وخبرته العميقة في المراجعة عن المسائل لم يتوافر مثله فيما يبدو لأحد قبله، فقد كان والده غنياً موسراً فكان يأتيه بالكتب المرجعية (وكلها مخطوطة بخطوط مختلفة) من مختلف البلاد الإسلامية مهما كان ثمن الكتاب (على صعوبة هذه المواصلات والبحث في ذلك العهد).

قيل لي إنه كان قد اتخذ في غرفة عمله في بيته دائرة من الخشب واسعة تدور على محور كان يضع عليها في سائر أطرافها الكتب التي يحتاج إلى مراجعتها خلال كتابة حاشيته رد المحتار، وكلما احتاج إلى كتاب منها لمراجعته يدير الدائرة حتى يأتي الكتاب المطلوب أمامه فيأخذه وهو جالس لايقوم إلا إذا احتاج إلى القيام لشأن آخر، أو إلى جلب كتاب غير موجود على الدائرة التي يجلس إليها.

- إن المجموعة التي توافرت لديه من كتب المذهب بخاصة، وسائر المراجع الأخرى على اختلافها بعامة؛ لايتوافر مثلها في المكتبات العامة والخاصة، فنجده أحياناً ينقل نصاً بالواسطة موجوداً في كتاب، ويشعر أن فيه تحريفاً، فإذا به يقول: أقول وقد راجعت نسختي فوجدت فيها كذا وكذا وهو الصواب فالذي في

الكتاب الذي نقلت عنه محرف !! وقد يكون التحريف بين نفي وإثبات جاء من حذف حرف النفي في النّسخ، وهكذا كثيراً مايصحح النصوص المحرّفة لدى من ينقل عنهم.

بهذه الخصائص وسواها في الحاشية؛ إلى جانب ما قام به رحمه الله مؤلفها من نخل كتب المذهب الحنفي في كل موضوع ومسألة حتى يستوعب ماجاء عنها في كتب المذهب؛ أصبح الدارس والباحث عن حكم مسألة في المذهب الحنفي لايستطيع أن يكتفي بمراجعة أي كتاب من فقه المذهب عنها ويطمئن إلى الحكم الذي يراه لها مالم يرجع إلى حاشية ابن عابدين ويرى مافيه عنها، فقد يراه ينقل عن أهل الترجيح والتصحيح تصحيح خلاف الحكم الذي وجده في الكتاب الذي راجعها فيه.

وهكذا ترى أن الإنسان بعد وجود حاشية ابن عابدين لم يعد يستطيع الاعتماد على حكم مسألة في كتاب آخر من كتب المذهب مالم يرجع إلى ابن عابدين ليرى ماحرره عنها، وهكذا أصبحت الحاشية عمدة الفتوى والقضاء والدراسة.

- تقريرات الرافعي كان جدي ووالدي رحمهما الله لايريانها كلها جديرة بالاعتبار، ولكنهما كانا يشهدان للرافعي بحسن التعبير ودقّته في صوغ عبارته.

وكان جدي يتعقب الحاشية بتعليقات تميل إلى الإيجاز الشديد ولايكتب تعليقاً إلا إذا وجد أن الرافعي لم يتناوله في تقريراته، أو أن تعقيبه على الحاشية غير سليم. فحينئذ يكتب جدي تعقيباً في ورقة يضعها في الصفحة ذات العلاقة ويستهلها بذكر رقم الصفحة والمقولة والجملة التي يكتب تعقيبه عندها، وقلما أقلب ورقتين أو ثلاثاً في نسخة جدي (المحفوظة عندي) دون أن أجد ورقة له فيها

تعقيب، ولو أنها جمعت لكان منها تعقيبات إلى جانب تقريرات الرافعي مهمة لمن يهمه التحقيق والتمحيص، وهي في بيتي بدمشق لا تصل إليها يدي.

- قد كان اختيار ابن عابدين لكتاب الدر المختار لكي يكتب حاشيته عليه لأن هذا الشرح كثير الفروع وموجز العبارة، وأن حاشيتي الحلبي والطحطاوي عليه لا تفيان بالواجب، وهو يريد أن يتعقبهما بحاشية تحرر المذهب تحريراً وتغني الباحث مع تقديره الكبير لهما في سبقهما، وفي كل قولة من الحاشية تنتهي بكلمة (فافهم) فمعناها أنه يرد على أحدهما بدون تصريح احتراماً له!!

ويُلحظ أيضاً أنه حين يتعرض لبعض المذاهب الأخرى بالمناقشة يذكرها وأئمتها بمزيد من الاحترام والأدب والتقدير والترضي عن أئمتها، وقد يصرح في بعض المواطن بتفضيل الفتوى بمذهب الغير دون المذهب الحنفي، مما يوحي بأن الله تعالى قد برأه من العصبية المذهبية.

- إن النواة الأولى للحاشية كانت تعليقات متفرقة كتبها على نسخته من الدر المختار خلال تدريسه إياه، ثم لما اعتزم كتابة الحاشية الكاملة بصورة وافية بدأ بتجريد تلك التعليقات والكتابة النهائية المتسلسلة، حتى إذا انتهى في الجزء الرابع إلى باب الحبس من كتاب القضاء حبسه القضاء عن المتابعة فتوفاه الله سبحانه، رحمه الله.

وقد قام بعده ابنه الشيخ علاء الدين بتجميع بقية تعليقات والده إلى آخر الكتاب، فتمم بها الجزء الرابع ثم الخامس الأخير بتعليقات والده. ثم كتب هو تتمة مستقلة بقلمه للحاشية من حيث وقف والده رحمهما الله، وجاءت تكملته هذه في جزءين، فأصبحت الحاشية مع تكملتها سبعة أجزاء.

رحم الله ابن عابدين رحمة واسعة، وجزاه خير مايجزي به عباده الصالحين، وبقدر ما نفع هذه الأمة وأغناها بكتابه الثمين.

وأحسن الله إلى أخينا الدكتور محمد عبد اللطيف الفرفور الذي كتب هذه الرسالة القيمة الكافية الوافية عنه، فأدى واجباً نحوه نيابة عن الأمة، إشادة بعمله العظيم، وتخليداً لذكراه رحمه الله.

مصطفى أحمد الزرقاء

الرياض في: ٢٠ من صفر ١٤١٧ هـ

الموافق ٦/٧/١٩٩٦م

خطبة الكتاب

١ - كنتُ مع ابن عابدين على قَدَر، فلقد عشتُ معه وعشت له عمري في محراب الفقه، وكان زبدة ذلك كلّه هذه الدراسة التي أقدّمها إلى أحبار الفقه ورجال القانون.

فدراسة ابن عابدين، بما فيها من وعورة الشّعاب وصعوبة المسالك وانبهام المعالم، وبكلّ مالهذا العلم الشامخ من هيبة وجلال كانت أمنيةً ظلّت تداعب أحلامي منذ أن أدركت العلم والتحصيل في درس يومي في المسجد بعد الفجر على فضيلة والدي - طيّب الله ثراه - زمناً من العمر مديداً، مع حاشية ابن عابدين[1]

و لم أزل أذكر طيب نكهة درس الحاشية وحلاوته، فلقد كانت تَمُرُّ الساعات الطّوال لا نشعر بها ونحن نعيش مع ابن عابدين في كلّ سطر، بل في كلّ كلمة من كلماته العذبة المترقرقة فيما بين الشغاف والقلب، وما كنّا يومئذ نقدّر تلك الساعات حقّ قدرها، لكنّ ذكراها ظلّت مُنْيَة النفس وطيفاً يخالط ذلك الشغاف مني ما حييتُ.

أَجَلْ، لقد عشتُ مع ابن عابدين ربيع عمري ونضرة شبابي كنتُ به حفياً شغوفاً، وله محباً مشوقاً، فلطالما رتعتُ في جنة علمه الوارفة، ورحلت معه رحلة

---

(١) ذكرت الحاشية هنا لأنها أعظم كتب ابن عابدين وأشهرها، وعليها كان الدرس اليومي المذكور منعقداً، لكن دراستي على والدي رحمه الله وشيوخي الأجلاء كانت في آثار ابن عابدين: الحاشية وغيرها.

العمر هذه، ووقفت معه على الأطلال أناجيها وتناجيني، وطال بنا الأمر، ومابي من شجن، ولا فيَّ صبوة لكن أخا المكارم والمحامد تَعِبٌ.

ويوم أنجزت الدِّبلومات الدراسية في قسم الدراسات العليا بجامعة الأزهر حائزاً على درجة التخصص في الفقه المقارن، ووجدت نفسي على عتبة دراسة أختارها أنال بها درجة الأستاذية «الدكتوراه» في الفقه وأصوله، لم يطل بي البحث، بل وجدتُني أسارع فأختار من طال احتفائي به يافعاً، وحبّي له شاباً طالباً، وتقديري له مدرِّساً، وهو العلاّمة ابن عابدين بعلمه الزاخر وبفقهه النادر وبآثاره القيّمة الخالدة، وبتأثيره البالغ في الفقه الإسلامي، وبما تَرك للأجيال من بعده من أعلاق وذخائر، وبكلّ ما يحمل هذا الاسم العظيم من عظمات.

٢ ـ على أن ابن عابدين ـ على ما كُتب فيه من جهد مشكور ـ لم يدرس الدراسة الكافية بما يليق بجلالة قدره، وذلك لأسباب يعود أكثرها فيما أحسب إلى سَعة مادة الرجل، وتعدّد جوانب شخصيته وغزارة نتاجه العلمي، وقلّة مصادر الكتابة عنه، ثم إلى عدم العثور على بعض آثاره، وتخبُّط الكثيرين ممن كَتب عنه في أوهام ونقول متضاربة، مما جعل دراسة هذا الرجل ليست بالأمر السهل الهيِّن، فهي تقتضي مناخاً ملائماً وشروطاً خاصة في الكاتب والكتابة، منها أن يكون صاحبها حنفياً أولاً، والأولى لديّ أن يكون دمشقياً، لتكون له علاقة وثيقة بوطن ابن عابدين وبيئته، وأن تكون له ثانياً صلة طويلة وقديمة، وممارسة عميقة الجذور بالفقه الإسلامي، وبالمذهب الحنفي وبابن عابدين على وجه الخصوص.

لهذا ومثله، وجدتُ من الواجب عليّ - وقد اختارني الله عزّ شأنه لهذا العمل الجليل - أن أفيَ هذا الرجل بعض حقه، فأدرسَ ما أستطيع دراسته مما يتعلق به، ويوصل إلى حقيقة فقهه، دراسةً مستفيضة أكشف فيها عن جوانب علمه الغزير وشخصيته الفذّة، تكون فيما بعدُ وثيقةً تاريخية لها خطرها في عالم الفقه والحقوق.

ولقد شاء الله عزّ وجلّ أن تكون ثمرةَ جهودي العلمية العَوْدُ إلى دراسة ابن عابدين الذي بدأت به حياتي العلمية، بما اشتملت عليه هذه الدراسة من نظر طويل وعمل دائب طوال سنوات أربع خلت كانت أعظم وأروع.

ولئن كنتُ قد شرَّفني الله عز شأنه بخدمة هذا الصَّرْح الشامخ من الفقه الإسلامي من قبلُ، لقد كرَّمني أيضاً اليوم بخدمة المذهب الحنفي الذي يُعَدُّ وجهاً مشرقاً من وجوه الفقه، وذلك بدراسة ابن عابدين مرآةِ ذلك المذهب ﴿وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾(١).

وابنُ عابدين فيما أحسب من أكبر الشخصيات العلمية في عصره وأعظمها تأثيراً وأبعدِها غَوْراً، بل ربما يُعَدُّ من أعظم الشخصيات العلمية في الاجتهاد المذهبي ذات الأثر العميق الجديرة بالدراسة المستوعبة، وحَسْبُك على ذلك دليلاً أنه عُرِفَ بين معاصريه ومن بَعْدِهِم من الفقهاء إلى يومنا هذا بـ ((فقيه النَّفْس)) وهو لقب علمي كبير قلّ بَعْدَ عصر الأئمة من وصل إليه.

٣- وبعدُ، فليس ثَمةَ من يأخذ علينا في عقيدتنا لأنها مشرقة كالشمس، واضحة كالنور، بَدَهيَّةٌ كالمسلَّمات، ولكن وقوف فقهنا العظيم عن التطّور في الصياغة الفنية الحديثة، شأنَ أكثر النظريات الحقوقية الكبرى في العالم المتمدِّن على الرغم من أنه ـ وهو الكامل بجوهره ـ قابل في صياغته لكلّ تطوّر، وقد مَرنَ في ذلك إلى أبعد غاية ـ هو في اعتقادي قصور بالصياغة ينبغي أن نتلافاه.

على أن التَطَوُّر في صياغة الفقه الإسلامي على الوجه الأكمل لا يتم في نظري إلا بالتمهيد بدراسة أعلام الفقه دراسة علمية وافية، والوقوف على آثارهم العلمية، والتنقيب عمّا قدّموه لهذا الفقه العظيم من خدماتٍ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣.

وإذا كانت حضارات الأمم تقاس بمعيار سَعة الفقه المدني فيها وعظيم استيعابه لحاجاتها، وكبير مقدار إحاطته بالقواعد وبالأحكام الناظمة لعلاقاتها، فإن الأمة الإسلامية تُعدُّ أعظمَ الأمم تراثاً حقوقياً بما حوى فقهها العظيم من ذلك كلّه، وإذا كان الفقه المدني في كلّ نظام اجتماعي إصلاحي هو وجهه البارز ومعيار قيمته الإنسانية، فإن أعظم ما أهداه الإسلام للعالم وتَرَكَه فيه من أسس راسخة، هو ذلك النظام - القانوني وفقهُه الشامل الناظم لشؤون الفرد والجماعة وعلاقاتهم العامة.

فالمذاهب الفقهية على اختلافها في مناهج الاستنباط، والمجموعةُ الاجتهادية الكبرى التي استنبطها الفقهاء، والحلولُ التي وضعوها لم تَحْظَ بها أُمة، ولم يصل إليها فقه قانوني، وأعظمُ مثال على ذلك، المذهبُ الحنفي أحدُ هذه المذاهب الاجتهادية الذي تَفوَّق في التَّوَسُّع بنظريات الاستحسان والعُرف وعموم البلوى وسدّ الذرائع والتعسُّف في استعمال الحق وأضرابها تفوقاً أكسبه مرونة في التطبيق، إلى ما لم تصل إلى بعضه كبرى نظريات الفقه الوضعي في عصرنا الحديث.

ولكنَّ عظمة هذا الفقه التي لم يملك كبار فقهاء القانون في الغرب إلا أن يقفوا أمامها بكل إجلال وإكبار، لم تستطع أن تكشف عن كلِّ كنوز هذا الفقه لأولئك الذين صَدتهم الشواطئ العاتية للفقه الإسلامي لفرط وعورة الطريق إليه فظلت هذه الثروة الواسعة في الحقوق والفلسفة الفقهية الفائقة بعيدةً في الغالب عن متناول الكثيرين من رجال الحقوق في العالم.

ولقد حان في رأيي موعدُ التجديد في صياغة هذا الفقه وتعبيد طريقه بدراسة أعلامه، ليصل علماء القانون إلى الإفادة من فقهنا الزاخر الفياض وما فيه من كنوز التشريع، وذخائر الفكر الحقوقي، ونظريات الفقه الدقيق مما لا يلحق به

لا حق، ولكنه مُحْتَاج أن نَسيرفي دراسة أعلام الفقهاء وما قدَّموه من أثر علمي من حيث وقف مَنْ قبلنا من الدارسين في الفقه الإسلامي ورجاله.

ولئن كان الإسلام في مذاهبه، والمذهب الحنفي من أوسعها، فإنّ ابن عابدين هو مُحَرِّر هذا المذهب الفقهي العظيم.

٤ ـ وبعدُ، فإنَّ اختياري للكتابة عن ابن عابدين لم يكن مصادفة قط، ولا كان الكلام فيه جُزافاً، فالأمر أبعد من ذلك، إن ابن عابدين ـ كما سنرى بعدُ ـ مَهَّدَ في حاشيته «رَدّ المُحْتَار» للموسوعة الفقهية أو ما يسمَّى اليوم بـ «دائرة معارف الفقه الإسلامي» وكانت حاشيته تلك أشبهَ بدائرة معارف للمذهب الحنفي وخطوة رائدة نحو هذا المشروع العظيم المنوه به والذي طالما تَنَادَى إليه المستشرقون وفقهاء القانون في الشرق والغرب، وقد لَمَسْتُ ذلك بوضوح يومَ كنتُ زائراً بعض المعاهد العلمية الغربية في دمشق[1] فكان مما قاله مدير ذلك المعهد آنذاك: «أليس من العجيب في الفقه الإسلامي عندكم ألاّ تكون فيه دراسة مستفيضة عن ابن عابدين وحاشيته التي تُرْجِمَتْ نصوص منها إلى بعض لغات الغرب وتُعَدُّ عند فقهائنا أَشْبَهَ بدائرةِ معارف للمذهب الحنفي وللفقه الإسلامي ومن أهم مصادر الفقه الحقوقي الحديث، وأعظمَ عمل تمهيدي نحو دائرة معارف للفقه الإسلامي ؟!!» ا.هـ.

هذا، ولقد خَدَمَ ابنُ عابدين الفقه الإسلامي خدمات جُلَّى كان من أعظمها أنه لم يكد يترك مشكلة من مشكلات عصره أو ما بعد عصره مما افترضه آتياً وقوعُه، دون حَلّ فقهي يدل على الحكم الشرعي فيه، يَتَجلّى ذلك في رسائله الفقهية وفي كتبه الكبيرة كردّ المحتار، وتنقيح الفتاوى الحامدية، وحاشية البحر. كلُّ ذلك في نَفَسٍ عَالٍ ولغة متينة وأسلوب بديع، ساعَدَه على ماذكرت كونُه

---

(١) كان ذلك منذ ست سنوات تقريباً بقصد البحث العلمي.

مَرْجِعَ الحنفية في عصره، وعقليةٌ فَذّةٌ نادرة، ومكتبةٌ قيمــة جامعةٌ، ودراسةٌ علميةٌ واسعةٌ، وهو مع ذلك ينـثر في ثنايا كلامـه النظريـات والضوابـط والقواعـد التشريعية ويؤصل الأصول ويخرِّج عليهـا الفـروع ويتكلـم في فلسـفة الفقـه،حتـى أضحـى تراثـه الفقهي يكاد يكون مكتبةً حقوقيةً قائمةً برأسها.

هذا هو ابن عابدين الفقيهُ الأصوليُّ نَسيجُ وَحْدِهِ، أمَّا ابـنُ عـابدين الشـاعر الكاتب المؤرخ المحدِّث المشارك في أغلـب منـاحي ثقافـة عصـره، فهـو مـالا يكـاد يَعرفه عن الرجل من علماء التراجم وفنِّ الرجال نَفَرٌ قليلٌ، ولعلّ مـن يُمْـنِ طَـالعي أنْ شرَّفني الله جلّ شأنه بدراسة هذه الجوانب كلّها في الرجل دراسـة مستفيضةً، وكان اهتمامي في بحثي هذا كبيراً بحاشيته رد المحتار وكنتُ بها حفياً، فلقـد كـان نَفَسُه فيها عالياً وصياغته لها مُحْكَمَةً، فما شئتَ من حُسْنِ التقسيم وجمالِ الأداء، وعذوبـة اللفـظ، وحـلاوة الجَرْسِ، وتوليـد المعـاني، وطرافـة الأسـاليب، وابتكـارِ الأفكار، وحَسْبُك منها أنها شرّقتْ وغرّبت حتى عُرِف بها وعُرِفتْ به.

ورجلٌ مثل ابن عابدين في تراثه الضخم هـذا، خليـقٌ بـأنْ يُـدْرَس الدراسـة الموضوعية اللائقة بِمِثله من رجال الفقه وفقهاء القانون.

ولو قُدِّر من قَبْلُ لابن عابدين مَنْ يَجْمع فرائدَ عِلْمِـه، وينْظِـم قلائـدَ أدبـه، وقُيِّض له من يُحْيي ما دَرَسَ من تراثه، لوجدناه أمةً في رجـل،وَلَعَـرف النـاسُ أيَّ عالِمٍ ابنُ عابدين الذي يَنْدُرُ أن يأتي الدهر بمثلـه والدهـر كـأمِّ الصقـر مقـلات[1] نَزُورٌ.

٥ - ومع يقيني الراسخ هذا، وهو ما يَجْزم به كل بـاحث منصـف في عـالم الفقه والقانون، وباستثنائي لترجمة السيد علاء الدين لوالده في أول تكملته لم أظفر

---

(١) مقلات؛ في الأساس: امرأة مقلات لا يَحْيَى لها ولد. اهـ. أساس البلاغة مادة ق ل ت.

بِمَنْ أفرد هذا الرجل ببحث علمي ولا بأية دراسة موضوعية إلاّ جُـذاذاتٍ انتشرتْ في كتب التراجم والفهارس تحمل في ثناياها ـ على مالها من قيمة علمية ـ كثيراً من الوهم والتناقض إلى جانب الحقائق العلمية وسيتضح ذلك بأدلته فيما بَعْدُ.

٦ ـ ولقد كنتُ منذ زمن بعيد أَظَلُّ أُفكّر بدراسةِ ابنِ عابدين بكتاب يجمع من ترجمته ما تفرق، ويُحيي من آثاره ما دَرَسَ، وَيَضَعُ لذلك خطة مستوعبة تقوم بفقاهة الرجل وغزارة مادته، وشاء الله جل وعلا أن تكون الدراسة هي هذا الكتاب، لكن الدربَ أمامي كان وَعْراً، والطريقُ شائكةٌ، ومصادرُ البحث قليلةٌ وغير وافية، إلاّ ما انتثر في طيات ما عثرتُ عليه من آثاره العلمية[1] على أنَ كثيراً من المادة كان مبتوراً ومنتثراً على غير نظام، وهنالك من آثار الرجل ما لم أَعْثر عليه، والموجود بحاجة إلى عناية وضبط، والمطبوع منها بحاجة إلى تحقيق جديد، وطباعةٍ مصححة على الأصول والأمَّهات.

وجدتُ أمامي تلك العَقَباتِ فلم تُعِقني بتوفيق الله أَبَداً عن التَقَدُّم في البحث المُضْني، والمُضيِّ في الاستقراء الشاق،ولم آل جهداً في السير الحثيث وراء الحقائق العلمية، وتشعبت فروع هذا البحث ومذاهبه، وطالت بيَ الرحلة مع ابن عابدين صاحب المادة الواسعة، وامتدَّ بيَ النَّفَسُ، حتى تكاملتْ لديَّ المادة الكافية في نظري لدراسة علمية موضوعية، فَسَبَكْتُ ذلك في قالَب علمي موضوعي ممزوج في بعض المواطن بشيء من الأسلوب الأدبي مع التزامِ الحقيقة العلمية في كل مراحل البحث.

٧ ـ ولكنَّ ذلك لا يمنعني من القول: إن ما وصلت إليه هو بداية الطريق نحو دراسة أوسع، فهنالك ما لم يَتَبَيَّنْ لي فِيه وجهُ الصواب، وهنالك ما لم أعثر عليه

---

(١) ناقش ابن عابدين في آثاره العلمية كما سيأتي كثيراً ممن سبقه من العلماء أدرك بها من قبله وكان إماماً لمن بعده.

بعد طول التتبّع - وهو قليل - وأوقفني حيناً عقباتٌ ومصاعبُ لَقيتُها في طريقي نَجَمَتْ عن قلّة الاهتمام بفهرسة المخطوطات وتصويرها في كثيرٍ من المكتبات والمعاهد العلمية.

ولعلَّ الزمن يَتّسِع فيما بعدُ للتنقيح والتهذيب، واكتشاف المزيد من المجهولات، والإفادة من آراء ذوي النقد البنّاء من الإخوة القرّاء، فَمِنْ ذلك كله تتكون عناصر التقدُّم والازدهار في البحوث العلمية، وما أَجْمَل مقولةَ الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه في أدب العلم: «قولُنا هذا رأيٌ وهو أَحْسَنُ ما قَدِرْنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أَوْلى بالصواب منّا»[1]

٨ - وسأضع بين يديْ الأخ القارئ خلاصة عن المُخَطَّطِ العامِّ الذي وَضَعْتُه لبحثي هذا، حتى يكونَ على بصيرة من أمره، يقف عَلى الصورة الكلية للبحث قبل أن يخوضَ في غَمَراتِه.

فلقد رَتَّبْتُ البحث بعد هذه الخُطْبَةِ على مقدِّمة وأربعة أبواب وخاتمة وملاحق.

أما المقدِّمة:

فقد خَصصتها للفقه الإسلامي من انبثاق التشريع إلى استقرار المذاهب صَدَّرْتُها بمدخل مُهِمّ لا أرى بدّاً منه في دراسة أي موضوع فقهي، يشتمل على تعريف الفقه واستمداده وأهميته وخصائصه وتقسيمه حَسْب ما ذكره الفقهاء، مع تقسيم مبتكر في مَجْمُوعِهِ فيما أحسب، إلى مقارنة وجيزة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، وتبويبٍ مبتكر في مَجْمُوعِهِ لأدوار الفقه الإسلامي، وذلك عملاً بالقاعدة المُجْمَع عليها من أولي العلم «التصديق على الشيء فرع عن

---

(١) (أبو حنيفة) لأستاذنا المرحوم العلامة الشيخ محمد أبو زهرة ص/٦٠، ور: تاريخ بغداد ج١٣/٣٥٢.

تصوره)). فما لم يُتَصَوَّر الفقه تمام التَّصَوُّر لا يمكننا الحكم على فقيه ولا على أثر فقهي، ثم خَصصت بحثاً مستقلاً للكلام على المذهب الحنفي في أئمته وقواعده وأصوله وكتبه وَبيَّنْتُ مَدَى سَعَةِ أخذه بالآثار، وُبطلان افتراء من زعم أن هذا المذهب مذهب رأي في مقابلة النصوص، ثم أوضحت أثر تكوين المذاهب الفقهية في عموم الشريعة، وذيَّلْتُ البحث بالكلام على فائدة دراسة مؤلَّفات السلف في حَلِّ مشكلات العصر.

أما الباب الأول:

فقد خَصصته لابن عابدين في عصره، فَدَرَسْتُ عصَر الرجل، وموطنه من النواحي العلمية والسياسية والاجتماعية والروحية، وتأثر ابن عابدين بذلك كله، وأفردتُ بحثا للسُّلوك في شخصية ابن عابدين.

ثم عقدت الباب الثاني:

على شخصية ابن عابدين، فَدَرَسْتُ حياته وبيئته وتحصيله العلميَّ وشيوخه ومدى تأثره بهم، وتلاميذه وأساتيذه وإجازاته، ثم تكلمت على الشخصية العلمية للرجل، فتحدثت عن جوانبها الفقهية والأصولية والمشارِكة، وَعَرَضْتُ آراء الكاتبين فيه، ثم ضَبَطْتُ كافة ما وصل إليَّ من آثاره العلمية ودرستُها دراسة وافية، وختمتُ الباب بنظريةٍ لطبقات فقهاء الحنفية حَسْبَ مكانتهم العلمية مبتكرة التأليف فيما أعلم.

أما الباب الثالث:

فخَصصته لأبرز ما تَرَكَه ابنُ عابدين من أثر علمي وهو حاشيته (رَدُّ المحتار) فقمتُ أولاً بالتعريف الوافي بكتاب ((الدر المختار)) وشروحه بعد أن مَهَّدْتُ لذلك بالتعريف بـ ((التنوير)) وشروحه، ثم قمت بدراسة تأليف الحاشية بتاريخه وكيفيته ومراحله، وانجرَّ البحث إلى الحديث عن ذيولها من تكملات

وفهارس وتقريرات، وإلى بيان منهج المؤلف واصطلاحاته فيها، ثم أطلت القول في مصادر الحاشية بقدر ماااتسع له البحث، وتحدثت كذلك في التقارير العلمية عنها، ثم تحدَّثْتُ عن خصائصها وميزاتها، وحاكمتها إلى أبرز شروح (الدُّرّ) مما يُعَدُّ من أعظم مصادرها، وخَتَمْتُ البابَ بدراسةٍ لآراء ابن عابدين في حاشيته وترجيحاته وتقييمها تحت عنوان ((فِقْه الحاشية)).

أما الباب الرابع والأخير:

فجعلته كاشفاً لاتجاه ابن عابدين الفقهي وأثره، فتحدَّثْتُ عن هذا الاتجاه الذي استقرتْ عليه الفتوى في المذهب الحنفي، وعن أثره في حياة العصر، وعن علاقةِ ذلك بالموسوعات الفقهية.

ثم تأتي في نهاية المطاف خاتمة وجيزة جعلتها للموازنة بين ابن عابدين وبين فقهاء المذاهب الأخرى في حياته، وللحديث عن التقريب بين الأئمة، ثم عن استخلاص بعض الآراء لِحَل واقعات العصر ومشكلاته، وجعلتُ ختامَ ذلك كلِّه سَنَدي إلى ابن عابدين، ولم يَفُتْنِي أن أُخَصِّص كلمةً جامعةً في آخر البحث لَخَّصْتُ بها كلّ ما تقدَّم من الحقائق العلمية التي تَوَصَّلْتُ إليها.

وألْحَقْتُ بالرسالة ملاحقَ مُهِمَّةً، هي بمجموعها تُتَمِّمُ مقاصدَ الكتاب، لعلَّ مِن ألصقها به ديوانَ ابن عابدين[1] الذي جمعتُ شَواردَه، واقتنصتُ أوابدَه، مِنْ مصادر شتى توفرت لديَّ، وأشْهَدُ أنَّ فيه روائع من عيون الشعر في عصر نَضَب فيه مَعينُ الشعر، وكَسَدتْ به سوقُ الأدب والأدباء، فما بالك بأدب الفقهاء؟!

أما مصادر هذا البحث:

فكثيرةٌ فاقتْ ماكنتُ أتوقَّعُ، منها مصادرُ عربيةٌ لَعَلَّ من أعظمها خطراً وأبرزها فائدةً: ((التكملةَ، والثَبَتَ، وردَّ المحتار، ومجموعة الرسائل وملحقي النصوصِ والوثائق)) ومنها مصادرُ أخرى أجنبية قمت بترجمتها للعربية على يد إخوانِ أَحِبَّة لي لا يسعني في هذا المجال إلا تقديمُ الشكر الخالص إليهم.

---

(١) وقد فُصِل عن الرسالة لِيُنشر مُستقلاً.

ولقد عزوتُ في الهوامش ما ينبغي عَزْوُه مما نقلته حرفياً إلى قائله، وما تَصرَّفْتُ فيه رمزتُ إليه بما يَدُلُّ عليه، وجعلتُ في آخر الكتاب مَسْرَداً ألفبائياً للمصادر والمراجع حَسْبَ ألقاب مؤلفيها.

وأعتذر عَمَّا بَدَا مني في هذا البحث من نَقْدٍ علمي مهذَّب لبعض ماذهب إليه ابن عابدين وغيره من أساطين العلم مِمن نُكِنُّ لهم كلَّ تعظيم وتكريم، ولا نملك إلا أن نعترف بفضلهم الكبير رضْوان الله عليهم، فذلك على ما به هو مما تقتضيه ضرورة البحث العلمي، وما أروع ما قاله سيِّدنا مالك بن أنس إمامُ دار الهجرة رضي الله عنه:

((ما مِنْ أحد إلاّ ردَّ ورُدَّ عليه إلاّ صاحب هذا القبر صلوات الله عليه)).

٩ - وبعد، فلما كان الله جلّ شأنه قد قال في كتابه المعجز: ﴿ولاتَنسَوُا الفضلَ بينكم﴾[(١)] فإني لأجِدُ لِزاماً عليَّ، وأنا أتقَدمَّ ببحثي هذا إلى الجامعة الأزهرية العريقة أنْ أُبادرَ فَأُسَجِّل عظيمَ شكري وإكباري لشيوخي وأساتيذي الأجلاء الذين كان لهم الفضلُ الكبير عليَّ والتَّقَدُّمَ بالشكر للجنة التحكيم المُوَقَّرة التي تفضلتْ وناقشتْ هذه الرسالة ومنحتْها بالإجماع الدرجة العلمية المشرِّفة المُنَوَّه بها في أول الكتاب.

وأخص بالذكر منها رئيسَها أستاذنا الكبير العلامة الجليل فقيه العصر وبقية السلف الصالح فضيلة الشيخ الدكتور عبد الغني محمد عبد الخالق أبا الكمال رحمه الله وطيب ثراه. كما أذكر بالإكبار والإجلال مقرونيْن بالاعتراف بالفضل كلاًّ من أستاذيَّ: العلامة الجليل الشيخ الدكتور محمد أبو اليسر عابدين المفتي الأسبق للجمهورية العربية السورية، ونجله المرحوم الأستاذ عزيز عابدين رحمهما الله تعالى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٧

ورضي عن شيخنا الدكتور أبو اليسر كِفاءَ ما تفضَّل به كلٌّ منهما من تضحية وإيثار.

هذا وأتقدم بمثل ذلك لأستاذي العلامة الأستاذ الدكتور محمد أنيس عبادة كِفاءَ ما تفضل به من رعايةٍ وتوجيهٍ.

وأما سماحة الوالد رحمه الله ورضي عنه فذلك الرجل المجاهد الذي أعُدُّ له بعد الله ورسوله صلوات الله عليه من الفضل ما أذكره له حتى أوسَّد، ولا أجدُ في نفسي ما أعبِّر عن شكره سوى أن يكون إليه وحده إهداء هذا الكتاب طيب الله ثراه.

وأمَّا ما كُتب فيَّ بما لا يَدَ لي فيه مما قد تجدُه في بعض ملاحق هذا الكتاب من ثناء عليَّ، فإني لست عند نفسي ولا عِنْدَ الناس بهذه المثابة إلا أنَّ حُسْنَ نية الكاتب المحب جعله ينظر إليَّ هذه النظرة... فلعلَّ في حسن تلك النية منه ما يَشْفع لي.

١٠ ـ وبعد، فهل يَسْتطيعُ اليراعُ مهما أُوتي من بليغ القول وفصل الخطاب أن يَحُدَّ العبقرية أو يحيط بها؟ اللهمّ لا.

فهذه فصولٌ في ابن عابدين نبوغاً وعبقرية وأخلاقاً، أُقَدِّمها اليوم لأعلام الفقه والقانون في الشرق والغرب، عسى أن تنال من اهتمامهم ما يليق بمقام من وُضِعَتْ له.

فهل وَفَّيْتُ ابن عابدين حقَّه؟!

ما أُرَاني فَعَلْتُ...

وهل لِمثلي من طَلَبَةِ العِلْمِ أنْ يَفيَ مثلَ ابنِ عابدين؟!...

اللهمَّ لا.

ولكنْ حَسْبي من عملي هذا أنّه فَتَح للباحثين باباً كاد أن يكون من قَبلُ مُغْلَقاً.

١١ - تلك وجوهٌ وَمَعَالِمُ... رُبَّما أَطَلْتُ الوقوفَ عندها لمزيدٍ من البيان وجدتُ حاجةً إليه، ولعلّي بعد ذلك غنيٌّ عن القول إن هذا البحث العلمي هو أقصى ما استطعت أن أصل إليه.

فإن يكن فيه صوابٌ فمن توفيق الله عزّ وجلّ، وإنْ يكن غيرُ ذلك فمني وأستغفر الله تعالى وأستقيله.

وأعوذ بالله أن يكون حظّي من عملي هذا سُمْعَةً أنالها، أوْ دُنيا تافهة أسعى لها، أو حَظاً من حظوظ النفس أَشْتَدُّ إليه.

بل أسأله تبارك وتعالى أنْ يتقبل هذا العمل بفضله وكرمه، وألا يَكِلَني فيه إلى نفسي وألا يجعل حظي منه إلا مرضاة وجهه الكريم، والدفاع عن دينه القويم، وصراطه المستقيم، والذَّوْدَ عن الفقه الإسلامي العظيم، وأن يَكتب هذا العمل المتواضع في صحائف أعمالي وأن يرفع ثوابه إليه.

﴿إليه يصعد الكَلِمُ الطيِّبُ والعملُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه﴾(١)

اللهم صَلِّ على سيدنا محمد النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلّم...

دمشق الشام

خادم العلم الشريف

محمد عبد اللطيف الفرفور

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠

ملحوظة: اعتمدتُ في ترقيم الآيات القرآنية والسُّوَر وضبطها على مُصْحَف الأزهر الشريف طبعة /١٩٧٦/م - فليتنبه/ المؤلف.

اصطلاحات الرسالة ورموزها

الأصل	المختصر	الأصل	المختصر
١ - المصدر نفسه	م.ن	١٩ - تحقيق	تحق
٢ - العنوان السابق	ع. س	٢٠ - مخطوط	مخ
٣ - الصفحة نفسها	ص.ن	٢١ - مطبوع	مطب
٤ - الصفحة	ص	٢٢ - مطبعة	مط
٥ - الجزء	جـ	٢٣ - طبعة	طب
٦ - المجلد	المج	٢٤ - تاريخ	تا
٧ - مجموعة	مج	٢٥ - حاشية الصفحة	حص
٨ - السنة الهجرية	هـ	٢٦ - انظر (فعل من نظر)	ر
٩ - السنة الميلادية	م	٢٧ - مادة	ما
١٠ - تحرير	تح	٢٨ - فصل	فل
١١ - ترجمة	تر	٢٩ - مبحث	مب
١٢ - فهرس	فهـ	٣٠ - /خط مائل لوضع الجزء قبلها وترقيم الصفحة بعدها.	
١٣ - تاريخ الوفاة	ت	٣١ - ﴿ ﴾ مابين القوسين آية قرآنية.	
١٤ - تاريخ الولادة	و	٣٢ - (( )) مابين القوسين حديث نبوي أو قدسي.	
١٥ - ملحق	مل	٣٣ - ( ) مابين القوسين مقول قول أو نحوه للمؤلف أوغيره.	
١٦- فقرة	ف	٣٤ - [ ] مابين القوسين اقتباس من كتاب بالنص الحرفي.	
١٧- مصدر	مص	٣٥ - / / اسم كتاب.	
١٨- مرجع	مر		

موضوعات الكتاب

- المقدمة العلمية:

وتشتمل على سِفْرين اثنين:

السِّفْر الأول: نشأةُ الفقه الإسلامي وتَطَوُّرُه:

ويشتمل على مبحثين اثنين:

المبحث الأول: مدخل في الدِّين والشريعة والفقه.

المبحث الثاني: فائدة دراسة مؤلَّفات السلف في حلِّ مشكلات العصر.

السِّفْر الثاني: الفقه الإسلامي من انبثاق التشريع إلى استقرار المذاهب:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أدوار نشوءِ الفقه الإسلامي وتَكَوُّن مذاهب الأئمة.

المبحث الثاني: التعريف بالمذهب الحنفي وأصوله ورجاله.

المبحث الثالث: أثر تَكَوُّن المذاهب الفقهية في عموم الشريعة.

- البابُ الأول: ابنُ عابدين في عصره

ويشتمل على لوحة وفصول ثلاثة وخاتمة:

الفصل الأول: عصرُ ابن عابدين وموطنُهُ؛

ويشتمل على مبحثين اثنين:

المبحث الأول: الوصف العام للحالة السياسية في عصر ابن عابدين وأثرها وموقفه من حُكّام عصره.

المبحث الثاني: عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي الاجتماعية،وشرح الحالة الاقتصادية والظروف المادية في عصره ووطنه.

الفصل الثاني: عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي العلمية؛

وفيه مدخل وثلاثة مباحث:

مدخل إلى البحث

المبحث الأول: تَبتٌ بأعلام العلوم الدينية في دمشق في القرن الثالث عشر الهجري.

المبحث الثاني: الآداب في عصر ابن عابدين ووطنه.

المبحث الثالث: العلوم الكونية في عصر ابن عابدين ووطنه.

الفصل الثالث: عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي الروحية (علم السلوك إلى الله عزَّ وجل)؛

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التصوف في هذا العصر وحظ ابن عابدين منه وتأثره به (ابن عابدين الزاهد السالك ومكانته بين السالكين)

المبحث الثاني: مدى التزام الناس بأحكام دينهم.

خاتمة الباب الأول.

- الباب الثاني: شخصية ابن عابدين

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: حياة ابن عابدين؛

وفيه مباحث أربعة:

المبحث الأول: بيئة ابن عابدين العلمية (دمشق وآثارها العلمية والفقهية) في حياته.

المبحث الثاني: الترجمة الذاتية لابن عابدين.

المبحث الثالث: دراسة ابن عابدين؛ تحصيله، شيوخه، إجازاته، وأسانيده.

المبحث الرابع: تلاميذ ابن عابدين.

الفصل الثاني: شخصية ابن عابدين العلمية؛

وفيه مباحث أربعة:

المبحث الأول: ابن عابدين الفقيه.

المبحث الثاني: ابن عابدين الأُصوليُّ.

المبحث الثالث: ابن عابدين المُشارِك.

المبحث الرابع: آراء الكاتبين في ابن عابدين.

الفصل الثالث: الآثار العلمية لابن عابدين ودراستها؛

وفيه تمهيد ومباحث ثلاثة:

تمهيد

المبحث الأول: ضَبط الآثار العلمية لابن عابدين بوجهٍ عام.

المبحث الثاني: الدراسة الميدانية لآثار ابن عابدين.

المبحث الثالث: التقارير العلمية حول آثار ابن عابدين.

الفصل الرابع: طبقات فقهاء الحنفية إلى ابن عابدين؛

وفيه مبحثان اثنان:

المبحث الأول: نظريتنا في طبقات الفقهاء.

المبحث الثاني: تَصْنيف أبرز طبقات الحنفية حسب التسلسل الزمني.

- الباب الثالث: دراسة الحاشية (رد المحتار)

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: التعريف بكتاب (الدر المختار)؛

ويشتمل على تمهيد ومبحثين اثنين:

تمهيد

المبحث الأول: التعريف بـ (متن التنوير) ((تنوير الأبصار وجامع البحار)).

المبحث الثاني: التعريف بكتاب (الدّر المختار شرح تنوير الأبصار).

الفصل الثاني: هُويَّةُ الحاشية؛

وفيه تمهيد ومباحث ثلاثة:

تمهيد في (ابن عابدين والدر المختار)

المبحث الأول: تأليف الحاشية؛ تأريخه وكيفيته.

المبحث الثاني: مخطوطات الحاشية وطَبْعاتُها.

المبحث الثالث: ذيول الحاشية.

الفصل الثالث: منهج تأليف الحاشية؛

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: طريقة ابن عابدين في حاشيته (رد المحتار).

المبحث الثاني: الاصطلاحات العلمية الخاصة برد المحتار.

المبحث الثالث: النسخة الصحيحة للحاشية.

الفصل الرابع: مصادر حاشية ابن عابدين ومراجعها:

وفيه تمهيد ومباحث ثلاثة:

تمهيد: وهو مدخل إلى البحث.

المبحث الأول: مصادر الحاشية من شروح التنوير وشروح الدُّرِّ.

المبحث الثاني: مصادر الحاشية من كتب المذهب، ومراجعُها العامة.

المبحث الثالث: مصادر الحاشية ومراجعها الخاصة.

الفصل الخامس: التقارير العلمية عن الحاشية:

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: تقاريظ حاشية رد المحتار.

المبحث الثاني: الردود على رد المحتار.

المبحث الثالث: الموازنة بين رد المحتار وبين أهم حواشي الدر.

الفصل السادس: خصائص الحاشية وميِّزاتها:

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: الخصائص الشكلية لرد المحتار.

المبحث الثاني: الخصائص الموضوعية لرد المحتار.

المبحث الثالث: ميِّزات الحاشية على كتب المذهب.

الفصل السابع: فقْهُ الحاشية؛

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: آراء ابن عابدين وترجيحاته في الحاشية.

المبحث الثاني: تقييم آراء ابن عابدين وترجيحاته في حاشيته.

- الباب الرابع: اتجاه ابن عابدين الفقهي وأثره

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: ضوابط الاتجاه الفقهي لابن عابدين.

الفصل الثاني: استقرار الفتوى على ابن عابدين في المذهب الحنفي.

الفصل الثالث: أثر ابن عابدين الفقهي في حياة العصر.

الفصل الرابع: علاقات كتابات ابن عابدين في حاشيته بالموسوعات الفقهية.

- خاتمة الكتاب: موازنات ونتائج وخلاصة لكل ماتقدم

وفيها فصول ثلاثة وخلاصة لما تقدَّم:

الفصل الأول: الموازَنة بين ابن عابدين وبين كبار فقهاء المذاهب في عصره.

الفصل الثاني: التقريب بين الأئمة.

الفصل الثالث: استخلاص بعض الآراء لحل مشكلات العصر.

خلاصة لما تقدَّم.

  

- ملاحق الكتاب: النصوص والتراجم

الملحق الأول: ملحق النصوص.

الملحق الثاني: ملحق أبرز التراجم؛

وفيه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ملحق التراجم العامة لأبرز أعلام الكتاب.

القسم الثاني: تراجم موسَّعة لأعلامٍ تتعلق بها مباحث الكتاب.

القسم الثالث: أسرة ابن عابدين.

الملحق الثالث: ملحق الوثائق.

- خاتمة: سندنا إلى ابن عابدين

- اعتراف وتقدير

المقدِّمة العلميَّة

- نشأة الفقه الإسلامي وتطوره.
- الفقــه الإســلامي مــن انبثــاق التشريع إلى استقرار المذاهب.

السِّفْرُ الأَوَّلُ

نشأة الفقه الإسلاميّ وتطوّره

- مدخل مُهِمٌّ في الدِّين والشريعة والفقه.
- فائدة دراسة مؤلفات السلف في حل مشكلات العصر.

مدخل
في الدين والشريعة والفقه

- ⊙ الدين.
- ⊙ الشريعة والفقه.
- ⊙ تعريف الفقه الإسلامي.
- ⊙ مصادره.
- ⊙ خصائصه.
- ⊙ تقسيمه.
- ⊙ تاريخه.
- ⊙ فائدة دراسة مؤلفات السلف في حل مشكلات العصر.

تمهيد:

في الرسالات والشرائع السماوية وحاجة الناس إليها:

الرسالات السماوية وشرائعها[1] أجابت عن الأسئلة وحلّت مشاكل الإنسان في مقررات خمسة:

١ ـ أن الكون كله مخلوق لله الذي حفظه ودبر أمره.

٢ ـ أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له في تصريف شؤون هذا الكون وفي تشريع الأحكام التي تنظم حياته.

٣ ـ أن الإنسان مخلوق في هذا الكون لعبادة الله وللخلافة عنه في عمارة هذه الأرض وسياسة هذه الحياة، يتصرف فيها بشرع الله تعالى وأوامره ونواهيه، فليس له أن يقعد عمّا كلّف به من هذه العبادة وهذه العمارة، وليس له أن يخرج في تصرفه عن شريعة الله وأحكامه، وكذلك من الغايات التي خلق لها

---

(١) ر: إعلام الموقّعين ج/٣/٣ وحجة الله البالغة للدّهلوي ص٨٧ وما بعدها ج ١. أقول: ((والشريعة: لغةً: الطريق المستقيمة، واصطلاحاً هي: ((الأحكام التي تنظم بها حياة الناس من جوانبها المختلفة: الاعتقادية والعبادية والخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية)) وهي إما شريعة إلهية ويقال لها السماوية، وإما إنسانية ويقال لها: الوضعية، فالأولى ما كانت من عند الله وبلغها رسله إلى الناس، والثانية ما كانت من وضع الناس بمحض آرائهم من غير أن يأخذوها من شريعة سماوية ولو على سبيل الاستنباط. اهـ. النظرية العامة للمعاملات؛ لأستاذنا الدكتور أحمد فهمي أبو سنة:٤.

اختباره في مواهبه التي أعطيها وفي نعمه التي رزقها وفي دينه الذي كلّف به، هل سلك في كل هذا سبيل الإصلاح وجلب الخير لبني الإنسان؟ أم أفسد في الأرض وحبس الخير عن الناس وعصى أوامر الله؟

٤ ـ وأن وراء هذه الحياة حياةً ثانية، يعرض فيها الناس على ربهم ويجازون عن أعمالهم في الحياة الدنيا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

٥ ـ أن للحياة:

أ ـ نظاماً خلقياً يقوم على اعتناق الخير والفضيلة وإشاعتهما واجتناب الشر والرذيلة والتنفير منهما.

ب ـ ونظاماً سياسياً يقوم على الشورى والعدل والقوة.

جـ ـ ونظاماً اجتماعياً يقوم على الأسرة الصالحة، وعلى تماسك المجتمع والتراحم والتكافل بين أفراده، وتطهيره من الجرائم.

د ـ ونظاماً اقتصادياً يقوم على العمل والإنتاج والعدل في تبادل المنافع والمنع من أكل أموال الناس بالباطل[١].

وبعد..

فالإنسان لو وُكِل إليه الإجابة عن حقائق الحياة والكون والمبدإ والمصير ووضْع الأنظمة الضابطة للحياة الإنسانية المقيمة لها على أحسن المناهج لتفرقت به السبل وتنازعته الأهواء وضلّ الطريق، والجاهليات القديمة والحديثة أكبر دليل على ذلك، ذلك بأن الناس مهما سمت عقولهم إلى الحكمة والكمال لا يستطيعون ـ بحكم النقص المتمكن من نفوسهم البشرية والضعف المتأصل في فطرتهم الإنسانية، والقصور الواضح في مدى إحاطتهم بالأشياء، ومعرفتهم بها على

---

(١) ر: النظرية العامة للمعاملات /٦/ والتي بعدها.

حقائقها بما يقرّبه كل ذي إنصاف - بذلك كله لا يستطيعون الاهتداء إلى الحق الذي أراده الله في هذا الكون، ومعرفة الأنظمة والأحكام التي بها سعادة الدنيا وحل مشكلاتها وإقامة العدل بين الناس، لأن قدرة العقول كما نوّهت محدودة، والنفوس تُغالِبُها أهواؤها وشهواتها فتحيد عن الطريق السوي[١].

لهذا كله، كان لابد للناس من شريعة ترسم لهم نظام حياتهم العقدي - التعاملي - والخلقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولهذا لم تمض أمة من لدن آدم إلاّ وفيها رسول ومبعوث يرشدهم إلى الحق في مناهج الحياة المختلفة، ويدل على مايكفل لهم سعادتهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وإنْ مِنْ أمة إلا خَلاَ فِيهَا نَذِير﴾[٢] وقال: ﴿وَلَو اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾[٣].

فكانت هذه الرسالات والشرائع عبر الأزمنة المتتابعة هداية للناس ونوراً لهم، يخرجهم من ظلمات الحياة وضلالاتها، وينقذهم من ويلات ومهالك طالما تعرضوا لها.

ثم كانت شريعة الإسلام خاتمة الشرائع، فهي التي بعث بها محمد ﷺ ختام الأنبياء والرسل، فأقرت العقائد والأخلاق وبعض الأحكام التي دعت إليها الشرائع السابقة، لما رأت فيها من صلاحية للبقاء، ووضعت لحياة الإنسان أقوم المناهج للأفراد والجماعات، ودعت الناس إلى الاستجابة لها والنزول عند أحكامها[٤] قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[٥].

---

(١) م.ن: /٥/

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٧١.

(٤) النظرية العامة للمعاملات: /٥ و ٧.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

آ ـ تعريفات:

الدّين لغة يطلق على عدة معان منها: ((الطاعة والعبادة والجزاء والحساب))

وفي الاصطلاح: الدين: ((هو وضع إلهي سائق لذوي العقول السَّليمةِ باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات))[1]

---

(١) الباجوري على الجوهرة: ١٢قال في شرح قيود التعريف: ((فقولهم ـ وضع ـ أي موضوع، فهو مصدر بمعنى اسم المفعول أي شيء موضوع بقطع النظر عن أن يكون حكماً أو غيره لأجل الإخراجات الآتية، ودخل المجاز التعريف لشهرته، وقولهم (إلهي) أي منسوب للإله وهو الله تعالى. وخرج به الوضع البشري ظاهراً وإلاّ فالواضع لجميع الأشياء هو الله في الحقيقة.

فإنه وإن كان الخالق لكل الأشياء هو الله تعالى، إلاّ أن البشر لهم في هذه كسب، أما الأحكام الاجتهادية فهي وضع إلهي خفي علينا فأظهره المجتهد وقولهم (سائق) أي باعث وحامل فخرج به الوضع الإلهي غير السائق الذي لااطلاع لنا عليه لعدم معرفته وقولهم (لذوي العقول السليمة) أي السليمة من الفكر. والمراد سائق لهم فقط فخرج مايسوقهم وغيرهم كالأوضاع الطبيعية التي تسوق الحيوانات وقولهم (باختيارهم المحمود) خرج به الأوضاع السائقة لهم لا باختيارهم أو باختيارهم المذموم فالأولى كالآلام السائقة للأنين رغماً، وكالوجدانيات كالجوع والعطش فإنهما يسوقان إلى الأكل والشرب قهراً، والثانية كحب الدنيا فإنه وضع إلهي يبعث ذوي العقول إلى ترك الزكاة باختيارهم المذموم، ومتى كان الاختيار محموداً لايسوق إلاّ إلى خير، فقولهم (إلى ماهو خير لهم) إنما ذكروه توصلاً لقوله (بالذات) فهو متعلق بخير، وذلك الخير الذاتي عبارة عن السعادة الأبدية والقرب من رب البرية، وخرج بذلك صنعتا الطب والفلاحة فإنهما تعلقتا بوضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود لكن لا إلى الخير الذاتي، بل إلى صنف من الخير وهو حفظ صحة أبدانهم بالحكمة والعقاقير أي إجزاء الأدوية وبنحو الأغذية).

وقال بعد ذلك مباشرة ملخصاً كل ماتقدم: ((وحاصل هذا التعريف مع طوله أن الدين هو الأحكام التي وضعها الله الباعثة للعباد إلى الخير الذاتي))اهـ. ملخصاً. ر: /الباجوري على الجوهرة: ١٢ وما بعدها وانظر: /شرح العقائد للتفتازاني/.

والإسلام: ((هو الدِّين الـذي أرسـل الله بـه محمداً ﷺ إلى الناس كافة))، فليس ثمة إلاّ دين واحـد هـو الإسـلام. قـال تعـالى: ﴿إنّ الدّين عند الله الإسلام﴾(1)، فتحصّل أن المراد بالوضع في التعريف الأول الأحكام التي جاء بها الإسلام.

وعلى هذا فالدين شامل لأربعة أمور:

- **لقسم العقائد:** وهي الأمور التي يجب على الناس الإيمان بها إيماناً لا يرقى إليه الشك وهي الإلهيات والنبويات والسمعيات.

- **وقسم الأخلاق:** أي الملكات النفسية التي تصدر عنها الفضائل والرذائل لتمييز الفضائل من الرذائل وطرق الإقبال على الأولى والنفرة من الثانية

- **وقسم الإحسان:** وهو تجريد القلب لمعرفة الله تعالى، وصدق التوجه إليه بما يرضاه ومن حيث يرضاه، والتدرج بمنازل السير إلى الله تعالى بصحبة وارث من ورثة الأنبياء.

- **وقسم الفقه:** وهو مجموعة الأحكام الشرعية المتعلقة بأعمال المكلفين، والتي تنظم علاقة الناس بربهم وتنظم علاقاتهم فيما بينهم في شؤون الحياة المختلفة.

فهذه الأربعة هي علوم الدين، وإذا كان الأمر كذلك كان الدين نظاماً كاملاً يرشد إلى الحق في الاعتقادات والعبادات وإلى الخير في السلوك المعاملات(2)

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(2) يشهد لهذا حديث جبريل عليه السلام المشهور الذي أخرجه مسلم بسنده إلى عمر بن الخطاب، فالإيمان يدل إلى علم العقائد، والإسلام يشير إلى علمي الفقه والأخلاق، والإحسان يشير إلى التصوف، والدين في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أتاكم يتبع ⇐

والشريعة هي جُمَّاع أحكام الدين السابقة، وهي بعد ((أحكام الإسلام التي ذكرت في علوم العقائد والأخلاق والإحسان والفقه))[1]

هذا ولم يثبت حق الشرع إلاّ لله، والرسول ﷺ مبلّغ عن الله ومبيّن لشرعه، ولهذا لم تنته حياته عليه السلام إلاّ بعد كمال هذه الشريعة. قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] فالشريعة لا تستمد إلا من مصدرين أصليين: الكتاب والسنة، أما الاجتهاد فلا يسمى شرعاً ولا تشريعاً، إنما هو ردٌّ إلى الكتاب والسنّة واستنباط منهما، ولم يوجد إلاّ بعد وفاة النبي ﷺ.

⇐

يعلمكم دينكم)) جامع للعلوم الأربعة وهذه الأقسام الأربعة كلها دين الله، لأن الناس مأمورون أن يطيعوها ويخضعوا لها وينزلوا عند أوامر الله ونواهيه فيها، فإن من معاني الدين الطاعة والخضوع، أو لأن امتثال هذه الأحكام سبب لمجازاة الله تعالى عليها، فإن من معاني الدين الجزاء، والشريعة في لغة العرب جاءت بمعنى الطريق المستقيمة وجاءت بمعنى مورد الماء، فسميت أحكام الدين بها إما لاستقامتها وسلامتها عن الخروج عن الجادة والتناقض، وإما لأن بها حياة النفوس والعقول، كما أن بالماء حياة الحيوان والزرع، والله تعالى جعل في أحكام الدين حياة الناس الكريمة، ومن الشريعة اشتق شرع شرعاً بمعنى أنشأ الأحكام وسن الأنظمة وبين الدين، وقد يضعّف الفعل للمبالغة فيقال: ((شرَّع الأحكام تشريعاً)) بمعنى: أنشأ الأحكام وبينها، فالشريعة مجموع الأحكام الإسلامية الشاملة للعلوم الأربعة سالفة الذكر، والشرع والتشريع بمعنى إنشاء الأحكام وتبيينها، وقد يطلقان بمعنى الشريعة إطلاقاً مجازياً، وتطلق الشريعة في العرف الحديث بمعنى الفقه اهـ. انظر النظرية العامة للمعاملات في الفقه الإسلامي لأستاذنا العلاّمة الشيخ أحمد فهمي أبو سنة: ١٠.

(١) م. ن: ١٠

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

وهكذا أطلق العلماء الشريعة على الأحكام التي سنّها الله لعباده، ليكونوا مؤمنين عاملين على ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، فتشمل الشريعة بهذا المعنى أنواعاً ثلاثة:

١ ـ ما يتعلق بالعقائد: ويتمثل في الأحكام المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته والإيمان به وبرسله وباليوم الآخر، وما إليه مما تكفل به علم الكلام.

٢ ـ ما يتعلق بتهذيب النفوس وإصلاحها وما إليه مما اختص ببيانه علما الأخلاق والتصوّف.

٣ ـ الأحكام التي تتعلق بتصرفات المكلفين مما اختص به علم الفقه.

فيتضح لنا أمور:

آ – أن الشريعة أعم من الفقه وأن الفقه جزء منها، كما أنه قسم من الدين.

ب– أن التشريع الإسلامي بمعنى سن الأحكام وإنشائها لم يكن إلا في حياة الرسول ﷺ ومنه فقط تبليغاً عن الله وتبييناً له[١].

جـ– أن ما حدث من علماء الإسلام بعد وفاته صلوات الله عليه إنما هو الاجتهاد في أدلة الشريعة بفهمها وبيان مقاصد الأحكام الجزئية، لتعميم هذه الأحكام واستنباط ما سكتت عنه نصوص الشرع ظاهراً بطريق من طرق الاجتهاد وهو ليس شرعاً ولا تشريعاً[٢].

---

(١) ر: نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره للسايس: ٨ وما بعدها.

(٢) ر: النظرية العامة للمعاملات: ١١

ب ـ الفقه:

أولاً ـ تطور إطلاق مدلوله:

الفقه عند علماء السلف مرادف للدين وللشريعة، وإن اختلفت أسباب الإطلاق، فهو شامل للعلوم الأربعة السابق ذكرها في اصطلاح المتأخرين، من ذلك تعريف الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه الفقه بأنه ((معرفة النفس مالها وما عليها)) وقال بعض السلف إن العمل بماعلمه المكلف من الأحكام أحد ركني الفقه.

لكن الفقه من الأسماء التي تغير مدلولها، فبعد أن كان يطلق على علم الآخرة، أي العلم بالأحكام والعمل بها، اصطلح المتأخرون على أن المراد به (العلم بالأحكام المتعلقة بأعمال الإنسان الظاهرة) فخرج عنه علم العقائد والأخلاق والتصوّف[1].

الشريعة والفقه:

الشريعة والشرعة معناها في اللغة: مورد الناس للاستقاء، سمي بذلك لوضوحه وظهوره، وتجمع الشريعة على شرائع، والشرع مصدر شرّع بمعنى وضّح وأظهر. وقد غلب استعمال هذه الألفاظ في الدين وجميع أحكامه ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحاً وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[2]. ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[3]. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾[4].

---

(١) المصدر السابق: ١١ و١٢ و١٣ وموسوعة الفقه الإسلامي المصرية / موسوعة جمال عبد الناصر/ج١/٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٣

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

فالشرع أو الشريعة أو الشرعة، هو (ما نزل به الوحي على رسول الله ﷺ من الأحكام في الكتاب والسنّة، مما يتعلق بالعقائد والوجدانيات وأفعال المكلفين قطعياً كان أو ظنياً) ومعناه يساوي معنى الفقه في الصدر الأول.

ولانعرف أنه قد طرأ عليه تخصيص اللّهمّ إلاّ ما قد يشعر به استعمال بعض الفقهاء أحياناً لكلمة ((شرائع الأحكام)) ولا يريدون منها إلاّ الأحكام التكليفية والوضعية، ولكن هذا لا يرقى إلى مرتبة التخصيص والاصطلاح.

أما الأحكام التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة لفظاً ولا عملاً، وكانت مما استنبطه المجتهدون من معاني تلك الأحكام، ولم يجمع عليها من أهل الإجماع، فليست إلاّ أفهاماً وآراء لأربابها، وليست في الحقيقة شرعاً ولا شريعة. وما نسبت إلى الشرع وسميت أحكاماً شرعية في تعريف الفقه وفي غيره من المواطن إلاّ لأنها مستنبطة من الشرع، لا لأنها منه.

فإذا وازنّا بين مفهوم الشرع أو الشريعة، ومفهوم الفقه بالمعنى الاسمي في اصطلاح الفقهاء، وجدنا أن بينهما العموم والخصوص الوجهي يجتمعان في الأحكام التي وردت بالكتاب والسنة، وينفرد الشرع أو الشريعة في أحكام العقائد وما إليها مما ليس فقهاً، وينفرد الفقه في الأحكام الاجتهادية وما يلتحق بها[1].

---

(١) ر: موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ج١/١٢ وما بعدها. وهذه مقولة مهمّة في الفرق بين الفقه والشريعة:

يجب التمييز في هذا المقام بين مفهومين اثنين متداخلين يقع الاشتباه كثيراً بينهما، وهما: الفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية، فالشريعة الإسلامية هي الأحكام الآمرة الناهية التي تضمنتها نصوصها الأصلية في القرآن والحديث النبوي الثابت.

أما الفقه الإسلامي فهو مجموع الآراء والنظريات والقواعد والتطبيقات والأقيسة التي بناها ويبنيها وسيبنيها الفقهاء من حول تلك النصوص الأصلية لإيضاح معانيها وتركيز مبانيها وكشف دلائلها، وتحديد شمولها وأهدافها، ورسم طرق تطبيقها وبيان

يتبع ⇐

. . . .

⇐ النتائج العملية التي تنتج من كل ذلك، فالفقه الإسلامي هو ذلك العمل العقلي الفني الذي يقوم به الفقهاء تأصيلاً وتفصيلاً وتخريجاً وتعليلاً، وتعريفاً وتكييفاً وإلحاقاً وتمييزاً، وتفريعاً وتنويعاً، كل ذلك لتفسير الشريعة وفهم مرامي نصوصها وحسن تطبيقها.

مثال ذلك أن من المبادىء والأصول الفقهية العامة التي يقررها فقهاؤنا في موضوع التعبير الضمني عن الإرادة: (أن من كان له الخيار بين أمرين ففعل فعلاً يدل على اختياره أحدهما ورفضه الآخر يُجعل ذلك اختياراً منه دلالة ويقوم فعله مقام نصه كأنه قال (اخترت) /البدائع/ ١٠٣/٤، وقد بيّن الكاساني صاحب البدائع مستند هذا الأصل من السنة النبوية بما نقل عن النبي صلوات الله عليه في حادثة بريرة وهي أمة أعتقت وهي ذات زوج.. والشريعة الإسلامية تمنح الأمة المتزوجة في حال إعتاقها خياراً في البقاء مع زوجها على الزوجية أو فسخ النكاح بعد العتق فإن بريرة لما أرادت فسخ الزواج بينها وبين زوجها بعد عتقها، وجاءت النبي صلوات الله عليه تستفتيه، أفادها أنه إذا كان قد تم بينها وبين زوجها معاشرة زوجية بعد عتقها لم يبق لها خيار. قال صاحب البدائع في تفسير ذلك: ((لما أن تمكينها زوجها من الوطء دليل اختيارها زوجها لانفسها فصار هذا أصلاً في الباب)) أي أنه اعتبر في قبول /التعبير الضمني/ عن الإرادة كالتعبير الصريح، وهكذا صاغ الفقهاء هذا الأصل الفقهي العام مستنبطاً من حكم الرسول عليه السلام في حادثة بريرة، فإذا زال بحث خيار العتق من الوقائع الشرعية ووقف العمل بحكمه لزوال الرق كله من الوجود باتفاق دولي كما في عصرنا هذا، فإن ذلك المبدأ العام الذي قرره الفقه الإسلامي في التعبير الضمني عن الإرادة وصاغه فقهاؤه صياغة فنية قانونية يبقى حياً مطفاً معقولاً مقبولاً في جميع الوقائع الأخرى المشابهة).

ر : شرح القانون المدني السوري ـ نظرية الالتزامات العامة لأستاذنا العلاّمة الزرقا من ص: ٣٥ إلى ٣٨.

ثانياً - تعاريف الفقه عند الأصوليين والفقهاء:

معنى الفقه لغة:

قال في الصحاح: الفقه الفهم، وفي لسان العرب قال أعرابي لعيسى بن عمر: (شهدت عليك بالفقه)[1]. أي الفطنة، تقول منه: فَقِهَ الرجل؛ بالكسر، وفلان مايفقه وما ينقه (أي لا يعلم ولا يفهم).

وفي القاموس المحيط: الفقه بالكسر العلم بالشيء والفهم له، وفي المصباح المنير: الفقه فهم الشيء، قال ابن فارس: وكل علم لشيء فهو فقه.

فالفقه هو الفهم لما ظهر أو خفي، قولاً كان أو غير قول، ومن ذلك قول الكتاب الكريم: ﴿مَانَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ﴾[2]، ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3] ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾[4].

غير أن القرافي قال في شرح تنقيح الفصول: «وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: الفقه في اللغة إدراك الأشياء الخفية. فلذلك تقول: فقهت كلامك ولا تقول فقهت السماء والأرض، وعلى هذا النقل لا يكون لفظ الفقه مرادفاً لهذه الألفاظ»، والألفاظ التي يشير إليها القرافي هي: الفهم والعلم والشعر والطب.

ولفظ الفقه من المصادر التي تؤدي معناها، وكثيراً ما يراد منها متعلّق معناها؛ كالعلم بمعنى المعلوم، والعدل بمعنى العادل[5]

---

(١) لسان العرب ج١٣/ ٥٢٢ و ٥٢٣. .

(٢) سورة هود، الآية: ٩١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٦٥.

(٥) ر: موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ج٩/١.

• **الفقه عند الأصوليين:**

أحسن تعريف فيما أرى للفقه عند الأصوليين جمعاً ومنعاً الحدّ التالي: (الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها)(١).

فالعلم هنا: هو الإدراك الصادق على اليقين والظن، والمراد باليقين هنا هو اليقين الفقهي بمعنى مالا يحتمل غيره احتمالاً ناشئاً عن الدليل لا الاعتقادي وهو مالا يحتمل غيره أصلاً. والأحكام: جمع حكم وهو (ما ثبت بخطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين) وهو ينقسم إلى: تكليفي ووضعي، وبيان ذلك في الأصول(٢).

---

(١) ر: حاشية رد المحتار ١:٢٦ مع تعديل طفيف في هذا التعريف، وذلك بحذف كلمة (المكتسب) لعدم فائدتها كما صرح به ابن عابدين في منحة الخالق ج١/٣. وانظر البحر بحاشية منحة الخالق ج١/٦.

(٢) أفاض متأخرو الأصوليين في بيان الفقه بمعناه الوصفي في مصطلحهم (أي الحال التي إذا وجد عليها المرء سمي فقيهاً) دون المعنى الاسمي ولهم في المعنى الوصفي ذلك ثلاث طرائق:

آ ـ طريقة الجمهور: وهي (أن الفقه معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد) أو (العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال) أو (من طريق أدلتها التفصيلية) وهو ما عليه الشيرازي في اللمع وغيره.

ب ـ الطريقة الثانية: وهي ما أثر عن صدر الشريعة مما جاء بأصول البزدوي مع شيء من التصرف، فقد اختار في التنقيح تعريف الفقه (بأنه العلم بكل الأحكام الشرعية العملية ((قطعية أو ظنية)) التي قد ظهر بنزول الوحي بها والتي انعقد الإجماع عليها من أدلتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها) فالفقيه على هذا من كان أهلاً للاجتهاد وإن لم يقع منه اجتهاد.

ج ـ والطريقة الثالثة: وهي التي جرى عليها الكمال بن الهمام في التحرير ولا تعرف لغيره وهو ذهب إلى أن الأحكام الشرعية هنا هي القطعية لا الظنية، فالفرق بين الطرائق الثلاث يرجع إلى المراد من الأحكام، فمنهم من أراد منها الظنية، ومنهم

يتبع ⇐

و(بالشرعية) خرجت الأحكام العقلية والحسبة والاعتقادية والوضعية والاصطلاحية، والمراد بالشرعية (مالا يدرك لولا خطاب الشارع سواء كان الخطاب بنفس الحكم أو بنظيره المقيس هو عليه)[1].

و (بالفرعية) خرجت الأصلية، وأريد بالفرعية هنا المتعلقة بمسائل الفروع فصارت بذلك مرادفة (للعملية) لأن المراد بالعملية ما تعلّق بأعمال الجوارح الظاهرة أو بأعمال القلب، كالسجود للأولى ووجوب النية في العبادة للثانية، ذلك لأن الأحكام الفرعية لا تكون إلا في العمل.

هذا، والمراد بالأحكام الشرعية الفرعية: الثابتة بالكتاب والسنّة والإجماع[2].

وقوله (عن أدلتها) أي ناشئاً عن أدلتها، حال من العلم. والمراد بالأدلة هنا: التفصيلية، أي آيات الكتاب وأحاديث السنّة وإجماعات المجتهدين. وإنما لم تذكر

⇐

من أراد القطعية وحدها، ومنهم من جعلها شاملة للقطعية والظنية ورجح ابن عابدين التعميم في رد المحتار.

ر: موسوعة الفقه الإسلامي ج١/١٠ وما بعدها.

(١) رد المحتار: ١/٢٦.

(٢) الراجح أنه لا تدخل الأحكام القياسية لأنها ثمرة الفقه، فلا تدخل في مفهوم الفقه أدنى ما تكون حقيقة الفقه والذي يؤهل العالم لأن يكون فقيهاً. هذا فيما لم يجمعوا عليه، أما ما أجمعوا عليه فيجب أن يعلم اهـ.

ر: النظرية العامة للمعاملات: ١٤ و١٥. خلافاً لما ذهب إليه أغلب الشرّاح والمحشين.

ر: ابن عابدين في رد المحتار ج١/٢٦.

كلمة (التفصيلية) لأنّها محصلة في الحدّ ضمناً، بقيد (الفرعية)، إذ الفروع[1] لا تكتسب إلا من أدلة تفصيلية[2].

---

(١) ر: رد المحتار ج١/١٦ نقلاً عن ابن الهمام في التحرير.

(٢) أقول: عرّف ابن الهمام وملا خسرو صاحب المرآة وغيرهم، وبعض المعاصرين الفقه بالتصديق، وإليك بعض هذه التعريفات ومناقشتها:

١ - (والفقه التصديق لأعمال المكلفين التي لا تقصد الاعتقاد بالأحكام الشرعية القطعية مع ملكة الاستنباط) اهـ. التحرير لابن الهمام ص٤. قال: (والمراد بالملكة أدنى ما تتحقق به الأهلية وهو مضبوط) ص.ن.

٢ - (فكأنه قال: الفقه ملكة تصدِّق بها النفس الإنسانية بحكم كل ما تنتفع به أو تتضرر تصديقاً ناشئاً عن الدليل عملاً) اهـ. مرآة الأصول بحاشية الإزميري ج١/٤٨.

٣ - (الفقه التصديق لأعمال الإنسان بالأحكام الشرعية العملية الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع مع ملكة الاستنباط الصحيح منها تصديقاً مستمداً من أدلتها التفصيلية) اهـ. النظرية العامة للمعاملات للدكتور أبو سنة ص١٣.

وفي مناقشتي لهذه التعريفات أود أن أحرر محل الخلاف بين جمهور الفقهاء والأصوليين الذين عرفوا الفقه بما ذكرناه في صلب الكتاب وبين ابن الهمام وملا خسرو ومن تبعهم من الفقهاء المعاصرين، فأقول: إن الخلاف ينحصر في نقطتين: الأولى: في تعريف الفقه بالتصديق، والثانية: في اشتراط ملكة الاستنباط لإثبات الفقاهة.

آ - أما الأولى فإليك ما قاله الطحطاوي في حاشيته على الدر، أورده بنصه: (قوله العلم: هو مقابل للظن عند الأصوليين، وهو الذي جزم به السعد في شرح العقائد آخراً، وإذا علمت ذلك فقوله ((العلم)) منظور فيه، ووجهه أن الفقه ظني لأن أدلته ظنية فلا يصح الحكم عليه لأنه علم، وأجيب بأنه لما كان ظن المجتهد موجباً عليه وعلى مقلديه العمل بمقتضاه كان لفوته بهذا الاعتبار قريباً من العلم فعبّر بالعلم عن الظن تجوزاً، وتعقّب هذا الجواب بأن فيه ارتكاب مجاز دون قرينة. فالأولى ما ذكره في التحرير من ذكر التصديق الشامل للعلم والظن بدل العلم ذكره في البحر، ويؤخذ من كلام المحشي الجواب وهو أن إطلاق العلم على الظن شاع حتى صار حقيقة عرفية، يتبع ⇐

⇐

فالتعريف مبني عليه، وأطلق العلم على الظن لأنه قريب منه، ومجاور له مجاورة معنوية فالعلاقة المجاورة المعنوية). اهـ. الطحطاوي على الدر ج١/٢٤.

وقال ابن عابدين في /رد المحتار/: (اعلم أن المحقق ابن الهمام أبدل العلم بالتصديق، وهو الإدراك القطعي سواء كان ضرورياً أو نظرياً صواباً أو خطأً، بناء على أن الفقه كله قطعي، فالظن بالأحكام الشرعية وكذا الأحكام المظنونة ليسا من الفقه، وبعضهم خصه بالظنية فيخرج عنه ما علم ثبوته قطعاً، وبعضهم جعله شاملاً للقطعي والظني، وقد نص غير واحد من المتأخرين على أنه الحق وعليه عمل السلف والخلف وتمامه في شرح التحرير فالمراد بالعلم هنا والادراك الصادق على اليقين والظن، كما هو اصطلاح المنطقي وعلى الأول فالمراد به /المقابل للظن/ كما هو اصطلاح الأصولي، قال صدر الشريعة في التوضيح: ((وما قيل إن الفقه ظني فلِمَ أطلق العلم عليه؟ فجوابه أولاً أنه مقطوع به فإن الجملة التي ذكرنا أنها فقه وهي ماقد ظهر نزول الوحي به وماانعقد الإجماع عليه قطعية، وثانياً أن العلم يطلق على الظنيات، وتمامه فيه فافهم.. ثم قال: وفي هذا المقام تحقيقات ذكرتها في منحة الخالق فيما علقته على البحر الرائق) اهـ. /رد المحتار/ ج١/٢٦.

وقال ابن عابدين في /منحة الخالق على البحر الرائق/: (ولكن ليس هذا مراد صاحب التحرير بل مراده به الإدراك القطعي سواء كان ضرورياً أو نظرياً أو خطأً، فالتصديق كما قال شارحه ابن أمير حاج جنس لسائر الإدراكات القطعية بناء على اشتهار اختصاص التصديق بالحكم القطعي كما في تفسير الإيمان بالتصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) اهـ. فهو غير ما اصطلح عليه المناطقة ويدل على أن مراده ما ذكرنا أنه صرح بعده بأن الأحكام المظنونة ليست من الفقه إلا على الاصطلاح بأنه كله ظني أو الاصطلاح بأن منه ما هو قطعي ومنه ما هو ظني فهي ثلاثة، هذان وما اختاره صاحب التحرير) ويشير بـ (هذا) إلى كلام قاله أولاً وهو (قوله ((فالأولى ما في التحرير من ذكر التصديق الشامل للعلم والظن)) أي بناء على استعمال المنطقيين إياه مراداً به ما ذكر لأنهم قسموا العلم بالمعنى الأعم إلى التصور والتصديق تقسيماً حاصراً) ثم قال في نهاية المقولة: (وبه ظهر مافي كلام الشارع من

يتبع ⇐

⇐
عزوه ماذكر للتحرير كما لا يخفي على تحرير) اهـ. منحة الخالق على البحر الرائق ج١/٤.

أقول: وقد اختلف الشرّاح في المراد بالتصديق كما ترى حتى قال بعضهم إنها (القضية) البحر ج١/٤ نقلاً عن السعد في حاشية العضد، ولكن ابن نجيم في البحر رجح تعريف الفقه بالعلم بعد مناقشة التعريفات التي أوردها فقال: (وبما قررناه ظهر أن الأولى الاقتصار على قولنا ((الفقه العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها))) البحر ج١/٦ بحاشية منحة الخالق عليه، فظهر بذلك رجحان تعريفات الجمهور من الشراح والمحشّين على تعريف ابن الهمام ومن جرى خلفه في تعريفه، ولاسيما إذا عرفنا أن التعريف بالعلم هنا أليق لأن العلم يعم القطعي والظني، والفقه كما هو معلوم يشملهما، وكذلك فالعلم يطلق ويراد به معرفة الأشياء على ماهي عليه في الواقع سواء كانت هذه المعرفة قد جاءت عن طريق دليل قطعي فتعتبر بالنظر لصاحبها قطعية، أو جاءت عن دليل ظني فتعتبر بالنظر لصاحبها ظنية. وكذلك الفقه فهو معرفة الأحكام المذكورة على ماهي عليه في الواقع وهو العلم، وهذا الأمر لا يتوفر في التصديق الذي يمكن إرادة القضية به ويمكن إرادة مايقابل التصور ويمكن أن يراد به الإذعان ويمكن أن يراد به العلم، فإذا أريد به ما يقابل التصور أو الإذعان انتقض ذلك بما ذكرنا من رد الطحطاوي وابن عابدين وابن نجيم، وإن أريد به (القضية) كما ذكر السعد في حاشية العضد ونقله ابن نجيم في البحر، كان التعريف قاصراً و لم يصلح أن يكون حداً جامعاً مانعاً، لأن الوهم والجهل والكذب كل ذلك قضايا، وإن أريد به العلم كان إطلاقه هنا مجازاً مع إمكان الحقيقة وهو ممتنع، إذ لا يصار إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة أو اطراحها بسبب وجيه وهذا غير متوفر هنا، فترجح ماقاله ابن نجيم في /البحر/ من أنه (العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها) وهو ما اختاره أكثر الشراح والمصنفين، والله تعالى أعلم. هذه النقطة الأولى.

ب ـ أما النقطة الثانية فهي اشتراط بعض هؤلاء كابن الهمام ومن مشى معه لإثبات الفقاهة شرط وجود ملكة الاستنباط وهذا لا يتوفر إلا للمجتهد، نعم معرفة الأدلة وكيفية استنباط الأحكام منها وتخريج الفروع على الأصول من الفقاهة عند الأصوليين لاشك فيه، أما ملكة الاستنباط فوجودها هو الأصل ولكنها ليست من
يتبع ⇐

. . . .

⇐
شروط الفقاهة، يدل على ذلك قول ابن نجيم في /البحر/: (فالحاصل أن الفقه في الأصول علم الأحكام من دلائلها كما تقدم فليس الفقيه إلا المجتهد عندهم وإطلاقه على المقلد الحافظ للمسائل مجاز. وهو حقيقة في عرف الفقهاء بدليل انصراف الوقف والوصية للفقهاء إليه).. ر: البحر الرائق بحاشية منحة الخالق عليه ج١/٧.

فالذين اشترطوا وجود ملكة الاستنباط لإثبات الفقاهة حملوا ذلك على الحقيقة فقط وتركوا المجاز، علماً بأنه هو الشائع الذي تترك به الحقيقة كما قال صاحب البحر (وذكر في التحرير أن الشائع إطلاقه على من يحفظ الفرع مطلقاً يعني سواء كانت بدلائلها أوْ لا) اهـ. /البحر الرائق/ ج١/٧. فتحصل أن وجود ملكة الاستنباط ومعرفة الأدلة أعلى درجات الفقاهة ليس في ذلك شك وهو الأصل، ولكن ذلك ليس بشرط لأدنى ما تتحقق به الفقاهة أدنى ما تكون، فقد توجد الفقاهة في أعلى درجاتها، في المجتهد، وقد توجد بأوسط درجاتها في الفقيه المتمذهب بالدليل، وقد توجد في أدنى درجاتها في الفقيه المقلد، وكل هؤلاء يقال لهم فقهاء، فالأول على الحقيقة، والثاني والثالث على المجاز الشائع الذي هجرت به الحقيقة كما يعلم من أصول الفقه، ويدل لما ذهبتُ إليه من أن اشتراط وجود ملكة الاستنباط غير ظاهر أن جمهور المصنفين والشراح من الفقهاء المتأخرين لم يشترطوا هذا الشرط صعب الوجود، ولو فعلوا لما توفرت الفقاهة إلا للأئمة الأربعة أصحاب المذاهب، ومن كان في درجتهم قبل منتصف القرن الرابع الذي أغلق فيه باب الاجتهاد حسماً للفوضى الدينية وسداً للذرائع وانتفاء الفقاهة عن سوى هؤلاء وإثباتها لهم فقط، لم يقل به أحد والله تعالى أعلم.

وإليك هذا النص لتعرف حقيقة ما ذكرنا. قال ابن عابدين في /رد المحتار/ بعد ذكر الأقاويل المذكورة آنفاً: (لكن الظاهر أن هذا حيث لا عرف وإلا فالعرف الآن هو ما ذكر في التحرير أنه الشائع. وقد صرح الأصوليون بأن الحقيقة تترك بدلالة العادة) اهـ. رد المحتار ج١/٢٦.

- **الفقه عند الفقهاء:**

وأحسن تعريف فيما ظهر لي للفقه هو التعريف الآتي بالحدّ ((الفقه علم بالمسائل الشرعية العملية))[1].

فالعلم مطلقاً (صفة يحصل لنفس المتصف بها التمييز بين حقائق المعاني الكلية حصولاً يتطرق إليه احتمال نقيضه).

وأما تعريفه باعتبار إضافته إلى الفقه عَلَماً عليه فهو كما قال: ((علم بالمسائل...))[2]... إلخ.

وقوله (علم بالمسائل) العلم هنا باعتبار إضافته إلى المسائل كالجنس يشمل سائر العلوم، والمسائل جمع مسألة، (هي القضايا التي موضوعاتها موضوع العلم)[3].

وقوله (الشرعية) أي الموقوفة على خطاب الشارع، خرجت الأحكام العقلية، كالحكم بحرارة النار، والاصطلاحية كالحكم برفع الفاعل[4].

---

(١) حاشية رد المحتار ٢٦/١ وما بعدها، والمجلة ١١ وشرح الأتاسي ٨/١.

(٢) أراد /صاحب المرآة بالعلم هنا/ ((التصديق)) بمعنى الاعتقاد الراجح الشامل للظن والتقليد، لكن مسائله الظنية حيث كان العمل بها واجباً تعبداً، فما المانع من أن يكون المراد من العلم المتعلق بها هو الإدراك القطعي وإن كانت ظنية في نفسها)) اهـ. تأمل شرح الأتاسي ٨/١.

(٣) إما مطلقاً: نحو فعل المكلف فرضاً أو واجباً أو مندوباً أو مباحاً أو محظوراً أو مقيّداً بعَرَض ذات نحو: الفعل المفروض يوجب الثواب وينجي من العقاب أو على نوع الموضوع إما مطلقاً، نحو الصلاة عماد الدين، أو مقيداً نحو: الصلاة الفرضية يجب أداؤها، أو على عرض ذاتي له إما مطلقاً: نحو الفاسد صحيح بأصله، أو مقيداً: نحو الفاسد لمعنى في نفسه باطل، وعلى هذا قيد الشرعية الوارد في التعريف اهـ. شرح الأتاسي ٩/١.

(٤) شرح الأتاسي على المجلة ٩/١ نقلاً عن مرآة الأصول.

وقوله (العملية) أي المتعلقة بكيفية العمل، وهي الصفة القائمة بالعمل من الأوصاف الخمسة من الوجوب والحرمة وغيرهما[1].

هذا، وإطلاق الفقه على النحو المذكور إطلاق متأخر، لما اشتغل الناس بعلوم الفتاوى والوقوف على دلائلها خَصُّوا الفقه بهذا النظر والفهم في هذه الناحية العملية الفرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية وقصدوا إطلاقه على ذلك.

وهل يشترط تدقيق النظر في المسائل؟

الأصل أنه يشترط، فمجرد الحفظ للمسائل ليست بفقه، لكن العرف الشائع بعد الألف استقر على عدم اشتراط هذا الشرط[2]، حتى قال بعضهم:

«من حفظ ثلاث مسائل فهو فقيه» وهذا قول جزاف، لكن العدد في الحقيقة لاقيمة له، بل العبرة فيما ظَهَر لي: (بفهم الفروع والمسائل وضبطها وحفظ أهمها ومعرفة ترجيح الأقوال والروايات والكتب، وما عليه العمل، وما يؤخذ، وما يترك، ومعرفة أصول الفتوى ومظانّ أجوبة الواقعات والنوازل)[3].

فهذه هي الفقاهة فيما ذهبتُ إليه عند الفقهاء[4] والله أعلم.

---

(١) م.ن ـ ص. ن: نقلاً عن المرآة والإزميري باختصار.

(٢) /رد المحتار/ ١/٢٦، قال ابن عابدين في ص.ن.

(٣) قال فخر الإسلام البزدوي: (إن علم النصوص بمعانيها وعلل أحكامها جزء من حقيقة الفقه).

(٤) معنى الفقه في اصطلاح الفقهاء:
اسم الفقه قد استعمل في اصطلاح الفقهاء للدلالة على أحد معنيين أحدهما: حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية الواردة بالكتاب والسنة وما استنبط منها، سواء أحفظت مع أدلتها أم حفظت مجردة عن هذه الدلائل. فاسم الفقيه عندهم
يتبع ⇐

. . . . .

⇐ ليس خاصاً بالمجتهد كما هو اصطلاح الأصوليين، بل يتناول المجتهد المطلق، والمجتهد المنتسب ومجتهد المذهب، ومن هو من أهل التخريج وأصحاب الوجوه ومن كان من أهل الترجيح، ومن كان من عامة المشتغلين بهذه المسائل.

وتكلموا في المقدار الأدنى من هذه المسائل الذي يسمى حفظه فقهاً وانتهى تحقيقهم إلى أن هذا متروك للعرف، غير أنهم لايصفون بفقه النفس إلا من كان واسع الاطلاع، قوي الفهم والإدراك، متين الحجة، بعيد الغور في التحقيق والغوص على المعاني، ذا ذوق فقهي سليم نقي وإن كان مقلداً، كما اعتادوا أن يصفوا بذلك الكمال ابن الهمام وأضرابه من الفقهاء المقلدين.

والمعنى الثاني الذي يطلق عليه اسم الفقه: مجموعة هذه الأحكام والمسائل. فإذا ذكرت دراسة الفقه أو فهم الفقه، أو ماورد في الفقه أو التأليف في الفقه، أو كتب الفقه أو ما هو من هذا القبيل، فإنهم لا يعنون إلا هذه المجموعة التي تحتوي على الأحكام الشرعية العملية التي نزل بها الوحي، قطعية كانت أو ظنية، وعلى ما استنبطه المجتهدون على اختلاف طبقاتهم، وعلى ما اهتدى إليه أهل التخريج والوجوه، وعلى ما ظهرت روايته واشتهرت ومالم يكن كذلك، وعلى الأقوال الصحيحة والأقوال الراجحة والأقوال غير الصحيحة والمرجوحة والضعيفة والشاذة، وعلى ما أفتى به أهل الفتوى في الواقعات والنوازل، وإن لم يقم على استنباط ولم يكن إلا تطبيقاً للأحكام المقررة، وعلى بعض ما احتيج إليه من مسائل العلوم الأخرى كبعض أبواب الحساب التي ألحقت بالوصايا والمواريث، وعلى ما رآه متأخرو الفقهاء الذين ليسوا من أهل الاجتهاد ولا التخريج من طريق ما سموه تفقهاً أو استظهاراً أو أخذاً، أو ما أشبه ذلك، فكل هذا الذي ذكرنا قد اندمج بعضه ببعض وصار فقهاً.

ولكل مذهب من المذاهب الفقهية مجموعته الخاصة التي تنسب إليه، فيقال فقه مذهب أبي حنيفة، وفقه مذهب مالك، وفقه مذهب الإمامية، وفقه الزيدية، وفقه الإباضية وهكذا... ومنذ الأزمنة البعيدة وجدت مجموعة عامة شاملة لفقه المذاهب الفقهية كلها أو أشهرها، وهي التي اختصت باسم (اختلاف الفقهاء) والمجموعات الخاصة والمجموعات العامة كلاهما يتناوله اسم الفقه.

يتبع ⇐

وعلى هذا فالأفهام والآراء المتوصل إليها من طريق النظر في الأحكام الشرعية، لا تسمى فقهاً إلا إذا وقعت موقعها وصدرت عمن هو أهل لها[1].

ثالثاً - أقسام الفقه:

آ - التقسيم القديم للفقه الإسلامي:

يفهم من كلام الفقهاء المتقدمين أن أقسام علم الفقه أربعة: عبادات ومعاملات، وعقوبات، والحلال والحرام. وإليك البيان:

١ - فالعبادات: ويقصدون بالعبادة فعل المكلّف تعظيماً لله تعالى وطلباً لثوابه إذا شرطت في صحته النية، ويقسمونها بعدة اعتبارات:

آ - إلى بدنية ومالية ومركبة منهما، فالأولى كالصلاة والصوم والثانية كالزكاة، والثالثة كالحج.

ب - وإلى مقصودة وغير مقصودة، فالأولى كالعبادات الأربعة والنذر وتلاوة القرآن والجهاد، والثانية كالوضوء والأضحية.

ج - وإلى خالصة وغير خالصة إذا كان معها معنى آخر، فالأولى كالصلاة، والثانية كصدقة الفطر، فإنها عبادة فيها معنى المؤنة فيها وكالعُشْر فإنه مؤنة

⇐

والفقه بهذين المعنيين يطلق عليه أيضاً علم الفروع، أو الفروع، إما في مقابلة العقائد وأصول الدين، لأن التصديق بالأحكام العملية فرع للتصديق بالعقائد، وإما في مقابلة أصول الفقه لتفرع تلك الأحكام عن أصولها وأدلتها التي هي موضوع أصول الفقه.

وقد يطلق الفقهاء اسم الفروع أيضاً على بعض المسائل المتفرعة على أصول المسائل الفقهية الكلية اهـ.

ر: موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ج١/١٠ و١١ وما بعدها.

(١) ر: موسوعة الفقه الإسلامي المصرية /ج١/١٣ وما بعدها.

فيها معنى العبادة، وكالكفارات فإنها عبادة فيها معنى العقوبة[1]. وأعم من الكل القربة والطاعة لشمولها نحو الوصية والوقف والإعتاق.

٢ً ـ والمعاملات: ويقصد بها:

آ ـ التصرفات التي محلها المال، وهي المعاوضات والتبرعات والشركات والأمانات والعقود التوثيقية والضمانات، وهذه الشعبة تُسمَّى بـ (المعاملات المالية).

ب ـ والمناكحات: وهي مسائل الزواج وأحكامه، ويدخل فيها فُرَّق الزواج وثبوت النسب مما يعرف بـ (الأحوال الشخصية).

ج ـ والأقضية: وهي مسائل الفصل في الخصومات، ويدخل فيها القضاء وطرقه والتحكيم والصلح.

د ـ والمواريث وهي مسائل التركات.

٣ً ـ العقوبات: ويقصد بها الحدود والقصاص والتعزير ويلحق بها السياسة الشرعية[2]، وقد يعبّر عنها بـ (الجنايات) وهو أليق، لأن التقسيم للفقه باعتبار موضوعه أي فعل الإنسان.

---

(١) ر: هذا الموضوع في تقسيم الحقوق بحثاً قيماً ماتعاً في كتاب الموافقات للشاطبي الغرناطي ت ٧٩٠ ج٢/٢٤٧ وما بعدها، والتوضيح شرح التنقيح لصدر الشريعة ج٢/٧٠٥ وما بعدها، ففي باب المحكوم به من التوضيح من ص/٧٠٥ إلى ٧١٢ تجد بحثاً مستفيضاً حول حقوق الله عزوجل وأقسامها وأمثلة عليها، وانظر كتابنا (الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية) ج٢ مباحث المحكوم به.

(٢) الحَدُّ: (عقوبة مقدرة شرعاً)، والقصاص: (معاقبة الجاني على جريمة القتل والقطع والجرح عمداً بمثلها)، والتعزير: (عقوبة المجرم بعقاب مفوض شرعاً إلى رأي ولي الأمر نوعاً ومقداراً) اهـ. المدخل الفقهي العام /ج١/٦١٥ ـ ٦٣٦. والسياسة: (تغليظ جناية لها حكم شرعي حسماً لمادة الفساد) أي حكم جناية اهـ. رد المحتار ٣/٢٢٧.

٤ - **والقسم الرابع الحلال والحرام**: من الأفعال كالمآكل والمشارب والنظر والمس والطاهر والنجس وما إليه، وهو ما وضعه الحنفية في كتاب (الحظر والإباحة)[(١)].

هذا ويسمى الحنفية مجموع العبادات والمحرمات (الديانات)[(٢)] وهكذا انتظمت أحكام الفقه علاقات الناس في كل جوانب الحياة وتصرفاتهم.

ب - التقسيم الحديث للفقه الإسلامي:

تنقسم الأحكام الفقهية إلى تسع زمر حسب ما ارتآه جمهور الفقهاء المعاصرين:

١ - الأحكام المتعلقة بعلاقة الإنسان بربه عز وجل وتسمى (العبادات).

٢ - الأحكام المتعلقة بالأسرة وتسمى (الأحوال الشخصية).

---

(١) هذا، وقد قسم بعض المعاصرين الفقه إلى ثمانية أقسام: (عبادات وأحكام المعاملات المالية، وأحكام الأسرة، وأحكام العقوبات، والقضاء وسياسة الحكم الداخلية الشرعية، والعلاقات الدولية، والحظر والإباحة) اهـ. /النظرية العامة للمعاملات/ ٣١ وما بعدها.
أقول: ((لكن هذا التقسيم فيه نظر من وجوه، فهو:
أولاً: لم يأت بجديد في بناء الفقه الإسلامي ولا في صياغته.
ثانياً: لم يتركز على أساس صحيح من مصدر أو التزام أو حق أو غير ذلك.
ثالثاً: لم يجمع المتفرق حيث كان ينبغي أن توضع للعقوبات وغيرها من الأجزية نظرية خاصة عرفت بالمؤيدات الشرعية. وكذلك لم يجمع سياسة الحكم الداخلية مع الحقوق الدولية في نظرية جامعة.
رابعاً: لم يتعرض للآداب وهي حق المروءة وكذلك لم يغير هذا التقسيم من التقسيم القديم، إلا تغييراً طفيفاً والله أعلم اهـ.

(٢) ومنه قولهم (لايقبل قول الفاسق في الديانات) وانظر في أقسام الفقه شرح المجلة للأتاسي ج١/٩ وما بعدها، والنظرية العامة للمعاملات ص٢٩ وما بعدها.

٣ ـ الأحكام المتعلقة بأفعال الناس وتعاملهم بعضهم مع بعض في الأموال والحقوق وتسمى (المعاملات).

٤ ـ الأحكام المتعلقة بسلطان الحاكم على الرعية وبالحقوق والواجبات المتقابلة بينهم وبينه ويسميها بعض الفقهاء: (الأحكام السلطانية) ويسميها البعض (السياسة الشرعية).

٥ ـ الأحكام المتعلقة بعقاب المجرمين وضبط النظام بين الناس، وتسمى (العقوبات).

٦ـ الأحكام التي تنظم علاقة الدولة الإسلامية بالدول الأخرى وتؤلف نظام السّلم والحرب وتسمى (السِّير) وتسمى (الحقوق الدولية).

٧ ـ الأحكام المتعلقة بالحلال والحرام من أفعال العادات، وتسّمى (الحظر والإباحة).

٨ ـ الأحكام المتعلقة بالمروءة والمحاسن والمساوئ وتسمى (الآداب).

٩ ـ الأحكام المتعلقة بحماية الحقوق وفصل المنازعات، وتسمَّى (القضاء)[1].

جـ ـ تقسيمنا للفقه الإسلامي:

والذي يظهر لي أن هذه التقسيمات كلّها فيها نظر، لما يبدو فيها من تفريق المجتمع وعدم جمع المفترق، وأرى أن أختطّ تقسيماً جديداً مبتكراً لم أسبق إليه

---

(١) هذا التقسيم جامع لتقسيميْ: الدكتور أبو سنة والأستاذ الزرقا، حيث أسقط الأول الآداب وأسقط الثاني الأقضية في التقسيم ، حيث ضمها إلى المعاملات فكان تقسيم كل منهما ثمانية زمر، فجمعتهما في هذا التقسيم. ر: النظرية العامة للمعاملات ص/٣١ وما بعدها، والمدخل الفقهي ج١/٢٥ وما بعدها.

بشكله المتكامل فيما أعلم، وإن كان بعض فقهاء العصر كتبوا في جزء أو أجزاء منه.

ويقوم هذا التقسيم على أساس جديد للفقه الإسلامي أرجو الله تعالى القدير أن يصبح سائداً في كتابة هذا الفقه العظيم، يجمع المتفرقات ولا يفرق المجتمعات، ويقرّب ما بعد، ويضع أساساً صالحاً للتقنين على أساس الفقه الإسلامي ألا وهو (أساس القضايا والنظريات)[1].

وقد جعلت الفقه الإسلامي حسب هذا التقسيم يقوم على قضايا سبع كبرى، تسبقها دراسة مستفيضة للقواعد الفقهية الكلية، تلك التي تُعَدّ حجر الأساس لهذه القضايا لا تجوز دراستها دون تلك القواعد الفقهية الكلية الباذخة،

---

(١) النظرية هي: (المسألة التي تحتاج في إدراكها إلى كسب بالدليل) ضد الضرورية، وهي (المسألة التي تعلم من غير دليل إما بمحض العقل مثل الكل أعظم من الجزء، وإما بمساعدة الشعور الاعتقادي العام مثل الصيام والحج من دين الإسلام) والنظرية في العرف الحديث هي: (القاعدة الكبرى التي موضوعها كلي تحته موضوعات متشابهة في الأركان والشروط والأحكام العامة، وإن كان لكل موضوع أركان وشروط وأحكام خاصة به) وتنقسم النظريات إلى عامة وخاصة. فالعامة: هي النظريات الأساسية للفقه أو لقسم منه كنظرية الحق ونظرية العقد، والخاصة هي المندرجة تحت نظرية من النظريات العامة كنظرية الفسخ ونظرية البطلان ونظرية الظروف الطارئة، كما تنقسم إلى كلية وفرعية. فالكلية ماشملت عدة نظريات تتفرع منها، والفرعية مااندرجت تحت كلية من النظريات الكلية، فالأولى كالنظرية العامة للمعاملات، والثانية كنظرية الأموال أو الأشخاص أو المِلْكية، هذا وتمتاز النظرية عن القاعدة باتساعها وبأنها تحتاج في تكوينها إلى أركان وشروط وأحكام بحيث تشمل جانباً كبيراً من الفقه وتصلح أساساً له، وقد استمدت أحكام النظريات العامة من أدلة الشرع وقواعد الأصول وفقه المذاهب اهـ. ر: النظرية العامة للمعاملات ص/٤٤.

عِلْماً بأن كل قضية كبرى تشتمل على نظريات وقضايا فرعية تجتمع لتؤلف بيان القضية الأساسية الكبرى، من هذه القضايا السبع وهي:

١ ـ قضية المقاصد.

٢ ـ قضية المعاملات.

٣ ـ قضية أحكام الأسرة.

٤ ـ قضية العَقْد الاجتماعي.

٥ ـ قضية حماية الحقوق.

٦ ـ قضية الديانات والآداب.

٧ ـ قضية ينابيع الاجتهاد الفروعي.

ودونك التفصيل في هذه القضايا السبع الكبرى في الفقه الإسلامي التي تنتظمه كلّه:

١ً ـ قضية المقاصد: وتشتمل على قضيتين فرعيتين:

١- القضية الفرعية الأولى: المقاصد العامة للتشريع الإسلامي.

٢- القضية الفرعية الثانية: المقاصد الخاصة لأحكام الشريعة الإسلامية أو (حكمة التشريع).

٢ً ـ قضية المعاملات: وتشتمل على نظريات تسع فرعية تالية:

١ ـ نظرية الحق (أو الالتزامات العامة في الفقه الإسلامي)

٢ ـ نظرية العقد والعقود المسمّاة، ويدخل فيه المسؤولية العقدية.

٣ ـ نظرية المِلْكية.

٤ ـ نظرية الضمان (أو المسؤولية التقصيرية).

٥ ـ نظرية الأهلية والولاية (وتسمّى الولاية أيضاً النيابة الشرعية)

٦ ـ نظرية الذمة.

٧ ـ نظرية الإرادة المنفردة في المعاملات (كالوقف والوصية وما إليه).

٨ ـ النظرية العامة للأموال في المعاملات.

٩ ـ النظرية العامة للأشخاص في المعاملات.

٣ً ـ قضية أحكام الأسرة: وتشتمل على القضيتين الفرعيتين التاليتين:

١ ـ القضية الفرعية الأولى: أحكام الأسرة (الزواج، الطلاق، الرضاع، الحضانة، والمواريث).

٢ ـ القضية الفرعية الثانية: النفقات.

٤ً ـ قضية العقد الاجتماعي: وتشتمل على قضيتين فرعيتين اثنتين:

١ ـ القضية الفرعية الأولى: الأحكام السلطانية[١] ويدخل فيها السياسة الشرعية.

٢ ـ القضية الفرعية الثانية: الشرع[٢] الدولي في الإسلام.

٥ً ـ قضية حماية الحقوق: وتشتمل على قضيتين ثنتين:

١ ـ القضية الفرعية الأولى: حماية الشرع، المؤيِّدات الشرعية، وهو ما يسمى بالفقه الإسلامي بـ (الجنايات).

٢ ـ القضية الفرعية الثانية: حماية الأمة، وفيها ثلاث نظريات:

آ ـ نظرية القضاء وأصول الترافع.

ب ـ نظرية الحِسبة.

جـ ـ نظرية ولاية المظالم.

٦ً ـ قضية الديانات والآداب: وتشتمل على قضيتين ثنتين:

١ ـ الديانات، وتشتمل على:

آ ـ العبادات

---

(١) ويدخل فيها الأحكام التي تنظم إدارة الدولة داخلياً، مما يسمى اليوم بالحقوق الإدارية والحقوق الدستورية.

(٢) ويدخل فيها أحكام الجهاد والسِّيَر وما إليه، مما يسمى اليوم بالحقوق الدَّولية.

ب ـ العادات (أو الحظر والإباحة).

٢ ـ الآداب: وهي ما يسمّى عند الفقهاء بـ (حق المروءة) المكمّل لحق الشرع.

٧ ـ قضية: ينابيع الاجتهاد الفروعي: وفيها أربع نظريات:

١ ـ نظرية الاستحسان.

٢ ـ نظرية المصلحة.

٣ ـ نظرية الضرورة.

٤ ـ نظرية العُرف.

وبعد، فهذه القضايا السبع الكبرى وما تشتمل عليه من نظريات وقضايا فرعية هي التي تكوّن صرح الفقه الإسلامي الشامخ، بها وجوده، وعليها مَدَاره[1].

---

(١) أقول: لقد انتهى الزمن الذي تدرس فيه كنوز الفقه الإسلامي حسب الطريقة القديمة التي كُتِبَتْ لغير عصرنا هذا من الأعصر الأُوَل.
أما اليوم وفي عصر الصراع الفكري والحقوقي في العالم الحديث، فيجب على فقهاء الشريعة الإسلامية عرض الفقه الإسلامي عرضاً حديثاً يتلاءم مع روح العصر مع المحافظة على الجوهر، فالتجديد إنما هو في أسلوب العرض فقط، وفي دائرة الاجتهاد المذهبي لإيجاد الحلول الناجعة لمشكلات العصر، وهذا ما يرفع من منار الفقه الإسلامي ويكسبه قيمة رفيعة تؤهله لأن يوضع في مكانته في أعلى مرتبة من مراتب التقنين في العالم ويجعل دراسته سهلة على فقهاء القانون ليقارنوا بينه وبين مالديهم فيعرفوا له قدره وهذا مع الاحتفاظ لسلف هذه الأمة بالفضل فيما كتبوا من الفقه الإسلامي من الكنوز العلمية حسب طريقتهم والاعتراف لهم بالتقدم.

رابعاً ـ مصادر الفقه:

المصدر الأول للفقه الإسلامي: النصوص، من الكتاب والسنة، فالقرآن العظيم هو كليٌّ هذه الشريعة الذي يتضمن كل قواعدها وأصولها، وإن كان لايشتمل على أكثر فروعها، والسّنة المطهّرة هي التي فصّلت هذه الفروع وأتمت بيان الكثير منها، ووضعت الأعلام ليبنى على هذه النصوص ما يجد من أحداث، ولم يكن لأحد أن يفصل الشريعة ــ أصل الفقه ــ عن هذين الأصلين، لأنهما عمودها والمرجع الذي يرجع إليه، ذلك لأن الشريعة دين يجب اتباعه، وليست قائمة على العقل المجرد أو التجربة الإنسانية وحدها، وإنما هي شريعة الله الخالدة إلى أهل الأرض ما بقيت السموات والأرض، والدين دائماً مرجعه الأول إلى النقل، وإن كان الإسلام موافقاً في كل قضاياه للعقل، حتى قال أعرابي: «إني ما رأيت محمداً يقول في أمر /افعَل/ والعقل يقول/لاتفعلْ/، ومارأيت محمداً يقول في أمر /لاتفعلْ/ والعقل يقول/افعلْ//» صلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، فإذا كان الأصل في كل دين هو النقل والشريعة الإسلامية دين، فلا بد أن يكون أساسها النقل[1].

على أنه لا شك أن للعقل عملاً في استنباط الأحكام النقلية، لكنه يقوم في ميدانين من ميادين الفكر:

١ ـ تعرّف المرامي والمقاصد من جملة النصوص الشرعية، بأن تتعرف الحكمة في كل نص شرعي جاء بحكم، ويستخرج الضابط الذي يصحّ أن يطبّق بمقتضاه الحكم في كل موضع يشبهه، ثم تتعرف مقاصد الشريعة جملة من مجموع ما استنبط من ضوابط الأحكام المختلفة، كل هذا للفكر الإنساني مجال للعمل فيه.

---

(١) ر: تاريخ المذاهب الإسلامية ج/٢ منه تاريخ المذاهب الفقهية ص/٩/ وما بعدها لأستاذنا العلامة المرحوم محمد أبو زهرة.

٢ ـ في الاستنباط مما وراء النصوص فيما لم يوجد فيه نص، لأن الحوادث لاتتناهى، والنصوص تتناهى، فكان لابد من استخراج أحكام ما لا نص فيه في ضوء ما ورد النص فيه وبذلك يتلاقى المجالان.

هذا، وإن المناهج الفقهية قد تختلف والكل مستظل براية النصوص لا يخرج عن سلطانها ولا يتجاوز نطاقها.

فمن الفقهاء من اقتصر على المقايسة بين أحكام النصوص والحوادث التي حدّت ولا يشملها النص، والضوابط التي يستنبطها الفقيه من النصوص - وتسمى العلل - ينظر في تطبيقها على الحوادث التي لم ينص على حكمها فتعرف علة النص، وينظر في صلوحيّة الحادثة التي لا نص على حكمها لأن تنطبق عليها هذه العلة، وهذه الطريقة تسمى القياس.

من الفقهاء من أخذ بهذا القياس وأخذ معه بالمقاصد العامة للشريعة وهي مصلحة الإنسان، فأخذ بالمصلحة المناسبة لمقاصد الشرع وغير المنافية لأحكامه وفيها دفع حرج خاص.

ومنهم من حكّم العقل حيث لا نص، والعقل ينتهي في ذاته إلى المصلحة.

أقول: كان لابد إذاً من الاجتهاد لتعرّف أحكام الشريعة ومكان الاجتهاد، هذان الميدانان اللذان أشرنا إليهما.

وكان للاجتهاد ميدان ثالث موق هذين وهو تعرُّف معاني النصوص من ألفاظها، واستخراج الأحكام منها، لأنه ليس كل مسلم قادراً على استخراج الأحكام من النصوص، فإنّ لذلك قواعد ثابتة يدركها أولئك الذين تلقوا عن رسول الله ﷺ بفِطَرهم، إذ كانوا قد لازموا الرسول صلوات الله عليه، ولهم مدارك عالية في العلم كعمر وعلي وأبي بكر وزيد وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم من علماء الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم.

وبعد: فليس كل مسلم على علم بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية حتى يمكنه أن يفتي على علم، ولذلك كان في عهد الصحابة ـ وهو العصر الذي كان الاجتهاد فيه غضاً والحاجة إليه شديدة لكثرة الحوادث ولا تساع الرقعة الإسلامية ـ كان آنئذٍ مجتهدون ومتبعون ـ كان فيهم من يفتي ومن يستفتي ـ وفيهم من يسأل وفيهم من يجيب، ثم كان من بعدهم تابعوهم ثم كل المجتهدين[1].

وبالجملة، فالاجتهاد كمصدر من مصادر الفقه حيث لا نص ـ بمعنى ((بذل الفقيه الوسع واستفراغه الجهد في استنباط الحكم الشرعي)) وهو من الأدلة الشرعية مما اعتبره الشارع دليلاً شرعياً ـ يقع على وجوه:

أولاً ـ أخذ الحكم من ظواهر النصوص إذا كان محل الحكم مما تتناوله تلك النصوص، وذلك بعد النظر فيما يتوقف عليه الاستنتاج من الألفاظ.

ثانياً ـ أخذ الحكم من معقول النص بأن كان للحكم علة مصرّح بها أو مستنبطة ومحل الحادثة مشتمل على تلك العلة والنص لا يشمله، وذلك طريق القياس.

ثالثاً ـ أن تنزل الوقائع على القواعد العامة المأخوذة من الأدلة المتفرقة في النصوص التشريعية وهذا هو الاجتهاد بالرأي هذا ولقد خلف لنا فقهاء الإسلام تراثاً فقهياً عظيماً من الأحكام الشرعية التي كانت أثراً لاجتهادهم على نوعين:

---

(١) ر: تاريخ المذاهب الإسلامية الجزء الثاني منه تاريخ المذاهب الفقهية ص٩ وما بعدها. ور: موسوعة الفقه الإسلامي المصرية ج١/١٦ و ١٧و ١٨ و١٩، وقد ذهبت الموسوعة إلى أن مصادر الفقه الأصلية أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والمصادر المختلف بها ليست خارجة عن هذه الأربعة وأن مرجع الكل إلى الوحي الإلهي الذي مرد الإجماع والقياس إليه. ر: ج١/١٩.

آ ـ أحكام ثابتة لاتتغيّر ولا تتبدل ولا تختلف المصلحة فيها باختلاف الأحوال والأزمان.

ب ـ وأحكام جزئية روعيت فيها مصالح الناس وعرفهم في الوقت الذي استنبطت فيه[1].

خامساً ـ موضوع علم الفقه:

موضوع الفقه الذي يبحث فيه عن عوارضه الذاتية هو: (فعل الإنسان من حيث تثبت له الأحكام الشرعية العملية بالدليل) مثال ذلك العبادات والمعاملات والجنايات. وعوارضه الذاتية التي يبحث عنها هي الحكم عليه بالأحكام الشرعية التكليفية والوضعية[2]، والمراد بالفعل ما يشمل الكف المطلق كالصوم، وكذلك تدخل المنهيات فإن موضوعات قضاياها هي الكف، وتشمل كذلك الأقوال كصيغ العقود.

وقلنا (فعل الإنسان) و لم نقل (فعل المكلّف) لأن من مسائل الفقه وجوبَ زكاة الصبي والمجنون وصحة صلاة الصبي واشتراط الطهارة لها وضمان الصغير والمجنون وليسا بمكلفين.

---

(١) ر: نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره للسايس ص/١٠ وما بعدها.
أقول: وهذه الأحكام الجزئية الأخيرة يقول فيها فقهاء الحنفية دون غيرها (لا ينكر تغير الأحكام بتبدل الأزمان) وتحت هذه القاعدة الكلية فروع عظيمة فانظر شرحها إن شئت في شرح المجلة للأتاسي ج١/٩١ في القاعدة ذات الرقم /٣٩/.

(٢) الحكم التكليفي هو (خطاب الله تعالى المكلفين طلباً أو كفاً أو إباحة) وينقسم إلى فرض وسنة مندوب ومباح وحرام ومكروه تحريماً ومكروه تنزيهاً، هذا عند الحنفية، والحكم الوضعي هو (كون الشيء بجعل الله تعالى ركناً لشيء آخر أو علةً له أو سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو علامةً وكونه صحيحاً أو فاسداً) اهـ. وبيان ذلك مبسوط في أصول الفقه، انظر كتابنا (الوجيز) وكتابنا (مصادر الفقه الإسلامي) في مباحث الحكم.

ومعنى (البحث) في التعريف بموضوع الفقه: (حمل الأحكام على أفراد الأفعال أو أوصافها بالدليل التفصيلي) فالأفراد هنا كالصلاة، والبيع، والأوصاف هنا كالفائدة والرّبا، فتقع الأحكام محمولات في مسائل الفقه بالدليل[1].

وبالجملة فموضوعه يتناول الحياة الإنسانية بمعناها الواسع دينية وسياسية وقانونية واجتماعية، حياة المسلم عامة وحياة غير المسلم من أهل العهد والذمة في حدود خاصة بحيث لا تتعارض حياتهم في ظاهرها مع الإسلام.

سادساً ـ مقاصد الفقه:

أجمع[2] علماء الشريعة على أن المقصود العام منها (جلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم) لم يخالف عن ذلك أحد. وقد أطال الكلام في ذلك الشاطبي

---

(١) هنا ثلاث مسائل هنَّ: (الأولى) أن من مسائل الفقه ماليس بفعل كالوقت سبب للصلاة، والجواب أن الكلام على التقدير أي على تقدير قولهم الصلاة سببها الوقت، (الثانية) يشتمل الفقه على مباحث لآثار الإنسان كالمِلك وحبس العين المرهونة والاختصاص، فالأحكام الثابتة بفعل الإنسان شاملة للأحكام التكليفية والوضعية وغيرها كالملك، لأن لفظ الحكم يطلق بالاشتراك اللفظي على الحكم التكليفي والحكم الوضعي وعلى آثار الإنسان. و(الثالثة) عن دخول الميراث في الفقه وليس من فعل الإنسان ولا من آثاره، والجواب إن جعلتموه من الفقه كان قسماً للتركة وهو مندرج في موضوع الفقه وإن لم تجعلوه من الفقه كان علماً قائماً برأسه تحت اسم (علم الفرائض) اهـ. ر: النظرية العامة للمعاملات ص/١٨ والتي بعدها.

(٢) هذا الإجماع لا يتعارض مع ما نقل الأصوليون عن أكثر المتكلمين أن الأحكام غير معللة بالمصالح وإلا لكان سبحانه محتاجاً إلى أحكامه وأفعاله بنوع حاجة، ذلك لأن التحقيق كما قال التفتازاني وابن الهمام أن الخلاف في التعليل بالمصالح لفظي، والمانعون يريدون أن الأحكام لا تعلل بمصالح تعود إليه تعالى، أما إلى العبادة تفضلاً ورحمة فلا خلاف فيه للأدلة التي سقناها.

الغرناطي في الموافقات، وجملة القول أن المقصود من الشريعة التي جماعها أحكام الفقه هو:

آ ـ خير الناس في الدنيا والآخرة.

ب ـ وتحقيق مصالح الجماعات والأفراد.

ج ـ وتنظيم العلاقات فيما بينهم في نواحي الحياة المختلفة، أو بينهم وبين خالقهم سبحانه.

يرشد إلى ذلك مجموعة من الآيات القرآنية أسوقها نصوصاً، أنتقل بعدها إلى الاستدلال على المطلوب:

آ ـ قال تعالى: ﴿كِتابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[1]. فالنور هو مصالح الناس كما ذكر كثير من المفسرين، والله أعلم، ومصالح الناس هنا هي المعتبرة شرعاً فقط.

ب ـ وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2].

جـ ـ وقال تعالى لنبيِّه: ﴿وَمَا أَرسَلْنَاك إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالمينَ﴾[3] صلوات الله عليه.

د ـ وقال: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[4] في الصلاة.

هـ ـ وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5] في الصوم.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

و - وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(١) وهي الزكاة.

ز - وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾(٢) في الزواج.

ح - وقال: ﴿إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ﴾(٣) في تحريم الخمر والميسر.

ط - وقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾(٤) في تحريم الزنى.

ي - وقال: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٥) في القصاص.

ك - وقال بعد أن أمر بالوضوء والغسل وبالتيمم عند فقد الماء: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾(٦).

فهذه الآيات بما اشتملت عليه من التعليل وغيرها كثير من القرآن قاطعة في الدلالة على أن قصد الشارع من الأحكام تحقيق مصالح الناس ودفع المفاسد عنهم، وعلى أن أحكام الشريعة كلها شرعت لحِكَم بالغة ومقاصد سامية، وإن لم ينص الشارع على بعضها فلوضوحها لرجال الاجتهاد وعلماء الفقه، ذلك لأن

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٣٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦.

الله سبحانه وحده العليم بطباع الناس ومشاكلهم في كل زمان وبيئة وبما يصلحهم، وهو وحده الحكيم في تدبير أمورهم ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خلق؟﴾[١].

هذا ولا يلزم من بناء الشارع مقاصد الأحكام على المصالح والحكم: معرفتها، فقد تخفى علينا كما في الأحكام التعبدية، لكنّا نقطع بحكمته في كل حكم لأنا نقطع بأنه العليم بمصالح عباده الحكيم في تدبير أمورهم[٢] ﴿إنّ الله عليمٌ حكيم﴾[٣].

سابعاً ـ تقعيد الفقه:

تقعيد الفقه: ضبطه بقواعد، والقاعدة (قضية كلية يتعرف منها أحكام جزئيات موضوعها)[٤] وهي ليست مطردة بل هي أغلبية إذ كثيراً ما يشذ عنها بعض الجزئيات، وهي إما كلية أو مندرجة، فالكلية التي تندرج تحتها قواعد أخرى، مثل (الضرر يزال) والمندرجة هي التي تدخل تحت قاعدة أخرى مثل (الضرر الأشد يدفع بالأخف) اندرجت تحت الأولى، ومصادرها:

أ ـ النص مثل (لا ضَرَرَ ولا ضِرَار).

ب ـ أو القياس: مثل (اليقين لا يزول بالشك)، فإنّ أصلها حديث الصحيحين من قول النبي صلوات الله عليه في المصلي الشاك في الحديث (لا ينصرف حتى يتيقّن)، وقيس عليه غيره.

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) ر: النظرية العامة في المعاملات ١٩و٢٠و٢١.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٤) ر: النظرية العامة للمعاملات ص/٤٣، والضابط بمعنى القاعدة، غير أن الفرق بينهما أن القاعدة تجمع أحكاماً من موضوعات مختلفة، بينما الضابط يجمع أحكاماً من موضوع واحد، فمثال الضابط الفقهي: (كل عقد جاز أن يعقده الإنسان بنفسه جاز أن يوكل به) ومثال القاعدة الفقهية (الأمور بمقاصدها)اهـ. ر: م.ن. ص.ن.

جـ - أو المصلحة المرسلة مثل (المشقة تجلب التيسير)[1]

ثامناً - ميزات الفقه الإسلامي وخصائصه:

أ - شمول الفقه الإسلامي:

يتناول الفقه الإسلامي حياة المسلم كلها دينية كانت أم دنيوية، حيث ألبس الإسلام كل شيء من أمور المسلمين ثوب التشريع، وأخذت الأجيال المتعاقبة من الفقهاء في تنمية هذا التشريع عن طريق الاجتهاد الفقهي، وتطور في الأزمنة المتوالية حتى وصل إلى بناء هائل منظم لكل أنواع المعاملات والعلاقات الإنسانية للمسلمين تنظيماً دقيقاً، وأصبحت الأحكام الفقهية كلّها تبعاً لهذا المبدء الذي لا يفرق بين أمور الدين وأمور الدنيا، فقهاً دينياً إلهياً.

ب - تمثيله للفكر الإسلامي:

وهذا الفقه بهذا المعنى الشامل هو في الحقيقة الناحية التي تمثل لنا الروح الإسلامية على أصلها، وتصوّرها في جوهرها الأساسي كما يمثل لنا الطابع الحقيقي للتفكير الإسلامي، فالذين يعنون بمعرفة الروح الإسلامية والتفكير الإسلامي في مهدهما وعلى حقيقتهما، عليهم أن يدرسوا ذلك في الفقه الإسلامي الذي لم يتأثر بمؤثرات أجنبية، ولم يدخله دخيل في جوهر الفكر أو الطريقة، فهو يقوم على الكتاب والسنّة ويدور حولهما، ولقد كانت معرفة الشريعة في الأصل قائمة عليهما مستقاة منهما مباشرة، ولكن ذلك أصبح آخر الأمر غير مستطاع لكل أحد عند أهل السنّة على الأقل، فأخذ المتأخرون يتعرفون الشريعة من الفقه المشتمل على كل المسائل، ومن هذا جاءت أهمية الكتب الفقهية وعلى الأخص الكتب التي ترجع إلى العصور المتأخرة والتي أصبحت معترفاً بها عند الجمهور،

---

(١) المصدر السابق/٤٤.

ففيها يجد كل مسلم شريعة الله بشكل إلزامي حسب المذاهب المختلفة، وعندما اقتنع المسلمون بأنه ليس لكل أحد أن يستنبط من مصادر التشريع أمور الحلال والحرام، بل ذلك لأئمة المذاهب من المجتهدين، أصبح التشريع المحدد لكل حياة المسلمين فقهاً إلهيّاً معبّراً عن إرادة الله التي لاتبدُّل فيها[1].

جـ ـ حكم القضاء وحكم الديانة:

أحكام المعاملات في الفقه الإسلامي ذات اعتبارين: اعتبار قضائي، واعتبار دياني، فالقضاء يحاكم العمل أو الحق بسبب الظاهر، أما الديانة فإنما تحكم بحسب الحقيقة والواقع، فالأمر الواحد أو العمل الواحد قد يختلف حكمه في القضاء عنه في الديانة[2]، وبناء على ذلك اختلفت مهمة القضاء عن مهمة الإفتاء، ووظيفة القاضي كذلك تختلف عن وظيفة المفتي، فالقاضي يجري على الاعتبار القضائي للأعمال والأحكام، ولا ينظر إلى الاعتبار الدياني إلا إن وافق الأول، أما المفتي فيبحث عن الواقع وينظر إلى الاعتبارين، فإن اختلف اتجاههما أفتى الإنسان بالاعتبار الدياني، وعلى هذا يذكر الفقهاء في كثير من المسائل التي يصوّرونها أن الحكم فيها قضاء كذا وديانة بعكسه[3].

---

(1) ر: نظرة عامة في تاريخ الفقه للدكتور علي حسن عبد القادر ص١و٢و ٣و٤ و٥.

(2) فمن طلق زوجته مخطئاً بأن جرى على لسانه لفظ الطلاق غير قاصد إليه بل إلى لفظ آخر يعتبر الطلاق منه واقعاً قضاء، أي يقضي القاضي بوقوعه عملاً بالظاهر، ولكنه لايقع ديانة فيفتيه المفتي بجواز بقائه مع امرأته فتوى معلقة على ذمته في زعم الخاطئ وكذا لو أبرأ أحد مدينه ولم يخبره، ثم ادعى عليه بالدين وكتم إبراءه وقضي له فإن له التنفيذ والاستيفاء قضاء لا ديانة ر: المدخل الفقهي ج١/٢٩.

(3) كمن كان له دين جحده المدين وعجز الدائن عن إثباته أمام القضاء ثم ظفر بمال للمدين، فإن الديانة تقر للدائن أن يأخذ منه قدر حقه دون إذن المدين أو علمه، ولكن لو وصل الأمر إلى القضاء لا يقر له هذا الأخذ لعدم إثبات حقه.

يتبع ⇐

د ـ النزعة الجماعية في الفقه الإسلامي:

الفقه الإسلامي يُعنى بكل من الفرد والمجتمع، ولكنه آثر صالح المجتمع على صالح الفرد، وبهذا حقّ أن يوصف بأن نزعته جماعية، فهو يعمل على الحد من سلطان الفرد إذا أساء استعمال حقه فاضر بغيره أو تعارض سلطانه مع الصالح العام. فليست حقوق الأفراد في الإسلام طبيعية ولكنها مِنَح إلهية قيدت بمراعاة الصالح العام وعدم الإضرار بالآخرين، من ذلك ما فرضه الله في مال الأغنياء حقاً للفقراء، وما أورده الفقهاء من أصول الضمان الاجتماعي في الفقه الإسلامي، يدل على ذلك الوقائع الكثيرة التي قيّدت حق الفرد لصالح الجماعة، كما حدث في أرض العراق والشام المفتوحة على عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ رأى رأياً مخالفاً لجمهور الصحابة ـ ورأيه الحق ـ أن تترك الأرض بيد ملاكها على أن يدفعوا الجزية والخراج للمصلحة العامة للمسلمين جميعاً[1].

هـ ـ ميزات أخرى:

ومن ميزات الفقه الإسلامي أنه جامعة للأمة الإسلامية ورابطة مقدّسة لها بعد جامعة العقيدة ورابطتها، فهو حياتها تدوم مادام وتنعدم ما انعدم، وهو جزء مهم من تاريخ الأمة الإسلامية في أقطار المعمورة.

وكذلك فهو مفخرة عظيمة من مفاخر الأمة الإسلامية، ومكرمة لها.

⇐ ر: /رد المحتار في كتاب القضاء ج٤/٣١٥ وفي كتاب الحجر ٥/٩٥ وفي الحظر والإباحة ٥/٢٧١ والمدخل الفقهي ج١/٢٩.

(١) ر: الإسلام والأسرة والمجتمع، المقدمة ص/٢١ وما بعدها للدكتور محمد سلام مدكور.

وهو أيضاً خصيصة من خصائصها التي امتازت بها، إذ هو فقه عام مبيّن لحقوق المجتمع الإنساني، وبه كمال نظام العالم، فهو جامع للمصالح الاجتماعية والفردية والدولية.

و ـ وبعد:

فالأمة الإسلامية لا حياة لها في الحقيقة بدون هذا الفقه الذي هو أصل التمدّن والحضارة، كيف لا وهو مؤسس على روح العدل والمساواة واحترام الحقوق الخاصة والعامة والنظام الأتم وتقرير النواميس الطبيعية واحترامها، وهو بعد ذلك كله استجابة صادقة لنداء الفطرة الإنسانية الصافية[1].

تاسعاً ـ بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي:

قلنا إن الفقه هو (مجموعة الأحكام الشرعية التي تتعلق بعلاقة الناس بربهم وبعلاقة الناس فيما بينهم في شؤون الحياة المختلفة على وجه الضبط).

وقلنا إنه ضرورة لبني الإنسان لأن الناس مطبوعون على الظلم والأَثَرَة والجهل بالأحكام العملية العادلة التي يجب تطبيقها في كل باب من أبواب الحياة، لأن عقولهم لا تستقل بإدراكها.

وعرّف القانون بأنه (مجموعة القواعد التي تنظم علاقات الناس فيما بينهم) ويقصد بالقواعد الأحكام الكلية العامة.

---

(١) ر: المفصَّل في الفقه الإسلامي ـ المقدمة للدكتور الخضراوي، والمدخل لدراسة الفقه للدكتور محمد مصطفى شلبي ـ ص/٢٠ وما بعدها.

وموطن الاتفاق بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي أن كلاً منهما (قواعد)[1] ويختلف الفقه عن القانون في ستة أمور:

آ ـ **موطن الاتفاق**: الأحكام قواعد عامة:

فأحكام الشريعة عامة وأبدية للناس وكليّة، وهذه القواعد الكلية قد يكون لها استثناءات لأسباب وهذه الاستثناءات تؤلف قواعد أخرى، لكن مهما تداخلت القواعد لا يتأتى التناقض بينها، والمقاصد من تشريع الأحكام إنما ينظر فيها إلى أغلب الناس وأكثرهم فلا يضر تخلفها في النادر والقليل، فأحكام الفقه قواعد كلية، وما يبدو جزئياً في أول عصور التأليف هو في الواقع كلي، وكذلك القانون في كل ما تقدّم.

ب ـ مواطن الاختلاف:

١ ـ الفقه وضع الله، بينما القانون وضع الناس.

٢ ـ الفقه ينظم العلاقة بالله وبالناس، والقانون ينظم العلاقة بالناس فقط.

٣ ـ الحق في القانون ما يحكم به القاضي وفي الفقه مايثبت بالأسباب الشرعية الصحيحة فقط، حكم به القاضي أم لا، ومن هنا نشأ حكم القضاء وحكم الديانة.

٤ ـ القانون ملزم دائماً، والفقه منه ملزم ومنه غير ملزم.

٥ ـ أحكام القانون جزائية دائماً يترتب عليها جزاء مادي أو معنوي يقال له في عرف فقهاء القانون (المؤيِّدات) المادية والمعنوية. والفقه منه جزائي ومنه غير جزائي، وفي الفقه مؤيّد أخروي يمتاز به فضلاً عن المؤيدات المادية والمعنوية الدنيوية.

---

(١) القواعد ج قاعدة وهي (حكم كلي يُعرِّف أحكام الجزئيات المندرجة تحته) اهـ. ور: المدخل لدراسة الفقه للدكتور شلبي ص/١٢ وما بعدها، و١٢٥ وما بعدها.

٦ ـ الحامل على امتثال القانون السلطان، والحامل على امتثال الفقه الوازع الديني أولاً، ثم الرغبة الملحّة في تحقيق المصالح المترتبة على هذا الامتثال، فإن لم ينفع ذلك فلا بد من قوة السلطان في الأحكام الملزمة التي هي عماد الشريعة.

٧ ـ الفقه الإسلامي نظام روحي ومدني معاً، فيه فكرة الحلال والحرام مما لا يوجد في القانون الوضعي.

وبعد..

فرقابة الدين أقوى العوامل في إصلاح المجتمع في السر والعلانية، أما رقابة القانون، فهي قاصرة إذا قيست برقابة الدين(١).

عاشراً – تاريخ الفقه الإسلامي والأدوار التي مرَّ بها:

اختلف المؤرخون للفقه الإسلامي في تقسيم الأدوار التي مرّ بها هذا الفقه، فمنهم من جعلها ستة ومنهم من جعلها سبعة، ومنهم من دمج بعضها ببعض، وكل ذلك اصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح كما قال العلماء. ولكني على ضوء ما تكلمت في هذا المدخل في الفقه الإسلامي اتخذت لنفسي فيما أراه الصواب تقسيماً جامعاً فيما يبدو لكل التقسيمات التي سبقني إليها مؤرخو الفقه الإسلامي والكاتبون فيه، و لم أطلع على من سبقني إليه، استطعت بحسبه أن أقسّم الأدوار التي مر بها الفقه الإسلامي منذ ولادته إلى هذا العصر تقسيماً أولياً حسب الترتيب الزمني إلى الأدوار التالية(٢):

---

(١) ر: النظرية العامة للمعاملات في الشريعة الإسلامية من ص/٣٣ إلى ٤٠.

(٢) أقول: ((هذا التقسيم وأشباهه كلها اصطلاح وتقريب للدراسة، لكن الحقيقة أن هناك تداخلاً في هذه الأدوار والمراحل يشعر به الدارس المتفحص المتتبع، ومع ذلك فلابد لتبسيط الدراسة من التقسيم لتاريخ الفقه الإسلامي إلى أدوار وهذا هو تقسيمنا أحسبه أجمع التقاسيم وأقربها للوفاء بالغرض. وهذا التقسيم أيضاً أقرب إلى تقسيم الدكتور

يتبع ⇐

أدوار الفقه الإسلامي:

١ ـ **الدور الأول: الدور التمهيدي للفقه:** ويتناول التشريع في عهد الرسول صلوات الله عليه وفي عهد الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة، وينتهي بانتهاء الخلفاء الراشدين.

٢ ـ **الدور الثاني: الدور التأسيسي للفقه:** ويتناول العمل الفقهي في العصر الأموي وتَكَوُّن مدارس الفقه، وهو عهد صغار الصحابة[١] ومن ساماهم، وينتهي بانتهاء القرن الأول الهجري أو بعد ذلك بقليل.

٣ ـ **الدور الثالث: دور النهضة الفقهية:** وهو دور تأسيس المذاهب وتدوين الفقه وظهور الأئمة المجتهدين، وينتهي بانتهاء القرن الثالث.

٤ ـ **الدور الرابع: دور استقرار المذاهب والتدوين الفقهي المتكامل والجدل المذهبي:** وينتهي بانتهاء الخلافة العباسية في بغداد، وبعد ذلك بقليل في مصر.

٥ ـ **الدور الخامس: دور التقليد المحض:** وهو مابعد ذلك بقليل، أي منذ دخول الأتراك الإسلام إلى أول عصر ابن عابدين المجدِّد المذهبي.

٦ ـ **الدور السادس: دور اليقظة الفقهية والتجديد المذهبي:** ويبدأ من عصر ابن عابدين فاتح باب التخريج والترجيح والاجتهاد المذهبي إلى يومنا هذا...

⇐

علي حسن عبد القادر، فلقد أعجبني جداً ـ والحق يقال ـ تقسيم الدكتور عبد القادر لأنه ينم عن حصافة متناهية وعمق في البحث نادر المثال، لكني وجدته مع ذلك يحتاج إلى نوع تعديل وتذليل ففعلت، فكان تقسيمي هذا أعرضه على الباحثين.

(١) أقول: تقسيم الصحابة إلى صغار وكبار بحسب الأعمار لا بحسب المكانة والمنزلة، وإلاّ فالكل رضي الله عنهم وأرضاهم أجلاء.

وكلامنا في هذه النبذة سيتناول الكلام على الأدوار الثلاثة الأولى فقط بالتوسع المطلوب، وسيتناول دور استقرار المذاهب وما بعده بشكل مختصر، وسيكون الكلام حول الدور الأخير بشكل موسّع أيضاً. وقد توسّعت في الأدوار الثلاثة الأولى، لأنها ستكون مدخلاً لبحثي في ابن عابدين، أما الدور الأخير فهو الذي قام فيه بدور المجدّد العلاّمة ابن عابدين رحمه الله حيث ابتدأ من جاء بعده من النقطة التي انتهى إليها ابن عابدين من التجديد الفقهي[1].

---

(١) أقول ((إن مؤرخي الفقه الإسلامي أغفلوا أثر ابن عابدين في التجديد الفقهي إغفالاً مهيناً لا يقوم على دراسة موضوعية صحيحة، وغرتهم الطريقة التقليدية التي عرض بها ابن عابدين فقهه من شرح وحاشيه وما إلى ذلك، فلم يتعبوا أنفسهم في التمحيص عن حقيقة دور هذا الرجل المظلوم عند الفقهاء والمؤرخين الذي لم يعط حقه إلى اليوم و لم يعرف قدره، ولذلك ترى أكثر هؤلاء المؤرخين بل كلهم يجعلون دور الانحطاط الفقهي يبدأ من منتصف القرن السابع إلى عصر المجلة /١٢٨٦/هـ أو ما بعده بقليل، ويجعلون كتابة المجلة عهداً جديداً في النهضة الفقهية واليقظة للتجديد في الفقه الإسلامي، على أن الحق في ذلك أن عصر الانحطاط الفقهي ينتهي بابن عابدين الذي يبتدىء به دور التجديد الفقهي، فابن عابدين هو المفجر لهذا التجديد وصانعه، وهو الممهد لكتابة المجلة بعد أن حرر المذهب الحنفي، فمن الظلم فيما أعتقد أن نغمط الرجل حقه ونعده من المقلدين ونعد كتابته تقليدية بسبب أسلوبه فقط، فهو كما سيأتي في أثره في الفقه من أصحاب التخريج والترجيح في المذهب والاجتهاد في المسائل، وهي مرتبة لم يرق إليها فيما أحسب فقيه من فقهاء مذهبه منذ أغلق باب الاجتهاد المذهبي إلى عصره، واقرأ إن شئت في هذا التصنيف المغلوط: المدخل الفقهي لأستاذنا العلامة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا ج١/١٦٢ وما بعدها، وتاريخ التشريع الإسلامي ص/٤.

فائدة دراسة مؤلفات السلف
فـي حل مشكلات العصر

- تمهيد
- فوائد دراسة مؤلفات السلف في حل مشكلات العصر
- خاتمة

تمهيد

يقول الأستاذ العلامة عبد الرزاق السنهوري رحمه الله في معرِضِ حديثه عن صلاح الشريعة الإسلامية للخلود في ميدان التطبيق المدني: ((...ففي هذه الشريعة عناصر لو تولّتها يد الصياغة فأحسنت صياغتها، لصنعت منها نظريات ومبادىء لا تقل في الرقي والشمول وفي مسايرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي نتلقاها اليوم عن الفقه الغربي الحديث، وإني آتي بأمثلة أربعة اضطررت إلى الاقتصار عليها لضيق المقام. يدرك كل مطلع على فقه الغرب أن من أحدث نظرياته في القرن العشرين نظرية (التعسف في استعمال الحق) ونظرية (الظروف الطارئة) ونظرية (تحمل التّبعة) و(مسؤولية عدم التمييز)، ولكل نظرية من هذه النظريات الأربع أساس في الشريعة الإسلامية لا يحتاج إلا إلى الصياغة والبناء))(١).

تَوَّجتُ هذا الفصل بهذه الكلمات من أعظم الحقوقيين في الشرق العربي وأحد كبار أساتذة الحقوق في العالم، ومن يُعدُّ كلامه الفصل في هذا الأمر.

---

(١) المدخل الفقهي العام ج١/٢١١، ور؛ مجلة نقابة المحامين بدمشق العددين ٦-٧/ للسنة الأولى.

فوائد دراسة مؤلفات السلف
في حل مشكلات العصر

من أهم الفوائد التي نجنيها من دراسة مؤلفات السلف في حل مشكلات عصرنا الحاضر ما يلي:

١ ـ للفقه في عصرنا الحاضر كما هو في العصور السابقة أهميته الخاصة وتقديره البالغ، من حيث إنه العامل الأساسي في الكفاح الفكري للإسلام، وخط الدفاع الأول ضد ما يوجّه إلينا من نقدٍ لاذعٍ في حياتنا العملية، فالغربيون لايقفون منّا ذلك الموقف العدائي من ناحية العقيدة، فعقيدة الإسلام أوضح وأبسط وأقرب للعقل من أي عقيدة في الدنيا، وإنما يقفون منّا ذلك الموقف من ناحية حياتنا العملية وسلوكنا الاجتماعي وعدم مسايرتنا للمدنية من جهة النظم التي نتخذها، ويرون في ذلك جموداً ورجعية وبعداً عن التمدن والتطور، من أجل ذلك كانت حركات الإصلاح تتمثل في تجديد الفقه وتخليصه مما لحق به من العصور المختلفة... بهذا وبدراسة كتب الفقهاء المجتهدين كالموطّأ للإمام مالك والأم للشافعي، وبدراسة كتب الأحكام القرآنية والحديثية، يمكن الوصول إلى نظام تشريعي إسلامي صحيح[1].

٢ ـ نحن اليوم بحاجة إلى تجديد في البناء الحقوقي لدينا، وذلك بأن نحصل على قانون مدني إسلامي يصاغ من الفقه الإسلامي بمجموع اجتهاداته، يفوق أحسن القوانين المدنية المدوّنة إلى اليوم، لما في تلك الاجتهادات المختلفة من مبادىء ومبان وأحكام تتسع لجميع الحاجات التشريعية الواقعة والمتوقعة، وإن

---

(١) المفصّل للدكتور الخضراوي، ص/١٢.

مصادرها قريبة النسب منّا، وسهلة التناول علينا، فإذا استمد هذا القانون من التشريع الإسلامي مع إضافة الأوضاع الحقوقية الزمنية الجديدة وتخريجها على أسسه ومبانيه، فإن هذا الاستمداد، علاوة على مافيه من إحياء تراث لنا جليل، يحول دون تخبّط في مشكلات لاحدود لها، فالحوادث التي لا تتناولها صراحة النصوص وهي كثيرة الوقوع، يُرجع عندئذ في تخريج أحكامها إلى مصادر إسلامية معروفة في المذاهب الاجتهادية المستمد منها(١).

٣ ـ ومن أهم وجوه الحاجة إلى دراسة كتب السلف من الفقه الإسلامي، أن ذلك هو التمهيد الضروري لمرحلة إعادة فتح باب التخريج والترجيح في المذاهب، وفي ذلك يقول العلاّمة المرحوم محمد أبو زهرة في معرض حديثه عن ضرورة فتح باب التخريج:

((وإنّا لنعتقد أنه لو كان باب التخريج في ذلك المذهب ـ الحنفي ـ مطلقاً ذلك الإطلاق، والمخرِّجون يرتفعون إلى تلك الآفاق الفقهية التي ارتفع إليها السابقون لأمكن علاج مشاكل الزمان، واستنباط أحكام تتفق مع مقتضياته وملابساته مع عدم الخروج عن قواعده وأصوله، ومع عدم الخروج على نص في الكتاب والسنّة الثابتة، وتعد الآراء التي تكون ذلك من المذهب الحنفي... إلى أن قال... وهذا يقتضي أن يكون في كل زمن مخرّجون لأن الحوادث لا تتناهى ويجب أن يكون مع كل حادثة حكمها، ولا يتم ذلك إلا بأن يوجد المخرّجون المجتهدون في المذاهب على الأقل في كل عصر))(٢).

إلى أن قال: ((وإن نمو المذهب كان يقتضي ألا ينقطع باب التخريج والترجيح في أي عصر كما فعل المخرّجون السابقون))، ثم أردَف قائلاً: ((... وفي

---

(١) ر: المدخل الفقهي العام ج١/٢٠٤ و٢٠٥.

(٢) أبو حنيفة ص/٤٥٦ و٤٥٩.

الحق إنه من الضروري لنمو ذلك المذهب، ولكي يسير إلى آخر مـداه مـن الرقـي، لابد أن يفتح باب التخريج)). ثم قال: ((والإخلاص لذلك المذهب الجليل يوجـب على معتنقيه أن يسيروا في خطا السابقين فيه، فإنه لا يصلح آخره إلا بما صلـح بـه أوله وهو فتح باب التخريج فيه على مصراعيه، ويُجتهد فيما لم يُنصّ عليه ويُنقّـح ما نصّ عليه))[1].

٤ ـ ثم إن دراسة كتب السلف الفقهية ضرورية لفهم بعض أحكام القانون الوضعي الحالية في بعض البلدان العربية وتفسيرها وتطبيقها حيث لا نصّ فيه.

٥ ـ ثم إنّ ذلك أيضاً ـ دراسة كتب السلف الفقهية ـ ضـروري للمسـاهمة في حركات توحيد القانون في العالم[2].

٦ ـ وأخيراً فإن دراسة كتب السـلف الفقهيـة وغيرهـا مـن كتـب الشـريعة بعامة ضرورية لمعرفة قيمة هذه الشريعة ومرونتها بمقارنتها مـع القوانـين الوضعيـة، لتكون فيما بعد أسس حياتنا الحقوقية بعد كتابتها وتدوينها بلغـة العصـر، فمؤتمـر لاهاي الأول سنة ١٩٣٨ اتخذ قراره التاريخي وقد جاء فيه:

((١ ـ اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام.

---

(١) أبو حنيفة ص/٤٥٩ وما بعدها، هذا ولقد اشتط بعض المعاصرين مـن غـير أهـل العلـم فزعموا أن دراسة الفقـه الإسـلامي ضروريـة لفتـح بـاب الاجتهـاد على مصراعيه في التشريع الإسلامي المعاصر مطلقاً لمن هو أهل له ولمن ليس أهـلاً. ر: ص/١٢ ومـا بعدها من/ تراث الفقه الإسلامي ومنهج الاستفادة منه علـى الصعيديـن الإسـلامي والعالمي/ للدكتور جمال الدين عطية طب، دار الفتـح ١٩٦٧، وكلامـه في ص١٢ من كتابه يوحي بأن الاجتهاد الذي يقصده هو الاجتهاد المطلق لمن لم يملك أدوات الاجتهاد وشروطه وهذا فتح باب المفسدة، ونشر الفوضـى الدينيـة، إلا أن يكـون قصد الاجتهاد في المذهب فهو المطلوب في عصرنا هـذا وهـو المقصـود مـن عبـارة التخريج والترجيح المتقدم ذكرها.

(٢) ر: تراث الفقه الإسلامي ص/١٨.

من
المق

٢ - وأنها حيّة قابلة للتطور.

٣ - وأنها شرع قائم بذاته ليس مأخوذاً من غيره))[١].

ومؤتمر لاهاي الثاني عام /١٩٤٨/ قرر: ((نظـراً لما في التشـريع الإسـلامي من مرونة وماله من شأن هام، يجب على جمعية المحامين الدولية أن تتبنى الدراسة المقارنة لهذا التشريع وتشجع عليها))[٢].

---

(١) ر: تاريخ التشريع الإسلامي للأسـاتذة: السـايس والسـبكي والبربري. ص/٣٥٣ وما بعدها، والمدخل لدراسة الفقه الإسلامي ص٣ وما بعدها.

(٢) ر: المدخل الفقهي العام ص/٢١٠.

خاتمة

ولا أدلَّ على مرونة هذا التشريع من قول ابن القيّم: ((إن الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلته، بأي طريق كان فذلك من شرع الله ودينه ورضاه وأمره))[1].



---

(١) ر: م.ن. ص/٢١٣، وإعلام الموقعين مفرَّقاً في مواطن عديدة.

السِّفْرُ الثَّانِي

الفقه الإسلامي من انبثاق التشريع إلى استقرار المذاهب

- أدوار نشوء الفقه الإسلامي وتكوّن مذاهب الأئمة، والتعريف بالمذاهب الفقهية وأئمتها، ولمحة عن القواعد الفقهية الكلية.
- التعريف بالمذهب الحنفي وأصوله ورجاله.
- أثر تكوّن المذاهب في عموم الشريعة.

المبحث الأول

أدوار نشوء الفقه الإسلامي وتَكَوُّن مذاهب الأئمة

المطلب الأول: أدوار نشوء الفقه الإسلامي:

الدور التمهيدي للفقه:

الفرع الأول: الفقه في العهد النبوي

بدأت نواة الفقه الإسلامي تشريعاً للبشرية في عهد الرسول ﷺ منذ أول يوم نزل الوحي في ليلة الفرقان يوم الجمعة السابع عشر من رمضان على رأس أربعين سنة من حياة صاحب الرسالة ﷺ، على ما هو المشهور عند كتّاب السيرة وعلماء تاريخ التشريع[(١)].

واستمر التنزيل يهبط على قلب رسول الله ﷺ منذ تلك الليلة المباركة إلى وفاته صلوات الله عليه مدة ثلاث وعشرين سنة تقريباً[(٢)]. وكانت السنّة رديفاً للقرآن في إرساء قواعد الشريعة وشارحة له ومكمّلة لما لم يرد فيه من أحكام. وهكذا تكوّن الفقه الإسلامي جنيناً فكان تشريعاً، نصوصه الرئيسية: الكتاب

---

(١) انظر تاريخ التشريع ص/٦.

(٢) عهد نزول القرآن ينقسم إلى مدتين متمايزتين: الأولى مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة وهي اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً من /١٧/ رمضان سنة /٤١/ إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ من ميلاده، وما نزل فيها يقال له المكي، والثانية: مابعد الهجرة وهي تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة ٥٤ إلى تاسع ذي الحجة سنة ٦٣ من ميلاده وسنة عشر من الهجرة، ومانزل من القرآن فيها يقال له المدني اهـ. تاريخ التشريع ص/٨.

والسنّة. وأساس التشريع في القرآن ثلاثة آساس: عدم الحرج، وتقليل التكاليف، والتدريج في التشريع[1].

هذا، وإن حجيّة القرآن إعجازه الناسَ عن أن يأتوا بمثله مع امتناع العوارض قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[2].

وحدّ الإعجاز أركانه وهي ثلاثة: (وجود المقتضي وانتفاء المانع والتّحدي)

وجملة مافي القرآن من الأحكام التي كلّف الله بها عباده نوعان:

أ ـ الأول: معاملة بين الله والعبد، وهي العبادات التي لا تصح إلا بالنيّة ومنها عبادات محضة وهي الصلاة والصوم، وعبادات مالية اجتماعية وهي: الزكاة، وعبادات بدنية اجتماعية وهي: الحج، وقد اعتبرت هذه العبادات الأربع بعد الإيمان أساس الإسلام.

ب ـ والثاني: معاملة بين العباد بعضهم مع بعض وهي أقسام:

١ ـ مشروعات لتأمين الدعوة، وهي الجهاد.

٢ ـ ومشروعات لتكوين البيوت، وهي ما يتعلق بالزواج والطلاق والأنساب والمواريث، وهي المعروفة بالأحوال الشخصية والفرائض.

---

(١) تاريخ التشريع ص/١١.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣ و٢٤.

٣ - ومشروعات لطريق المعاملة بين الناس من بيع وإجارة وغير ذلك، وهي المعروفة بالمعاملات.

٤ - ومشروعات لبيان العقوبات على الجرائم، وهي القصاص والحدود[١].

وأمّا السنة فهي أنواع أربعة:

أ - سنّة مقرّرة ماجاء في القرآن ومؤكدة له.

ب - وسنّة شارحة حكماً أجمله القرآن ومفسرة له.

جـ - وسنّة شارعة حكماً سكت عنه القرآن.

د - وسنّة ناسخة حكماً شرعه القرآن.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢].

فأساس التشريع في هذا الدور التأسيسي:

١ - القرآن الكريم الذي بلّغه رسول الله ﷺ للناس فحفظوه عنه وكتبوه وآيات الأحكام فيه لا تكاد تزيد على (٢٠٠) آية.

٢ - والبيان الذي قام به رسول الله ﷺ، وهو المعروف بالسنّة، وكان أصحابه يتلقونها عنه شفاهاً ولم تنتشر كتابتها في ذلك الدور كحالة القرآن[٣].

وقد اتحد الفقه والتشريع في هذا الدور تبليغاً من الرسول وتعلماً وعملاً من الأصحاب.

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/٣٣ و٣٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٣) ر: تاريخ التشريع ص/٤٠.

نعم، كان يجتهد بعض الصحابة في حالات اضطرارية استثنائية كحالة بعدهم عن الرسول ﷺ في غزوة أو سفر بعيد، وعرضت لهم قضية فيجتهدون، لكنهم يسألون النبي ﷺ حين يلقونه عن حكم الله عزوجل فيفتيهم به، فيقرهم على الصواب ويردهم عن الخطأ، ولا يبقيهم على حالة تخالف الحق بل يَأطِرُهم عليه أطْراً.

اجتهاد الرسول ﷺ:

إن الخطأ لا يتطرق إلى احتهاده فيما يقرر من أحكام ولم ينبه الله سبحانه وتعالى بموضع الخطأ فيما ذهب إليه، أما شؤون الدنيا فليس الخطأ ببعيد عليه فيها. وفرض أنه قد يخطىء في القضاء، وهو فرض ليس بين أيدينا ما يدلّ على أنه وقع منه، وإن كان غير مستحيل(١).

على أن المحققين صرّحوا بأن هذا كله في حق نبينا ﷺ من جهة ربّه عزوجل لا من جهة أمته، إذ يجب على الأمة ألاّ يُخطّئوا نبيهم في أمر ديني ولا دنيوي، لأنه إساءة أدب من الأمة في حق نبيها لا داعي له.

وبعد، ففي حياته ﷺ وُضعت القواعد الكلية وأُنشئت الأحكام وبُيّن مجملها، وقُيّد مطلقها، وخصص عامها، ونُسخ ماشاء الله أن يُنسخ منها، ونُص على عِلّية شرع جُزئياتٍ من الأحكام معقولة المعنى ليأخذ حكم الكلي، وليمكن تطبيق ذلك الحكم على ما يحدث من قبيل ذلك الجزئي في كل زمن وفي جميع الأحوال، فلم يفارق النبي ﷺ إلاّ بعد أن تكامل بناء الشريعة وأحكمت قواعدها وأقيمت أسسها وكمّلت أصولها في زمن الرسالة.

---

(١) ر: تاريخ المذاهب الفقهية ج٢ ص/١١ وما قبلها.

فما كان بعد وفاته ﷺ مما ثبت باجتهاد الصحابة والتابعين، فليس تشريعاً على الحقيقة، وإنما هو توسيع، وتوسع في تبسيط القواعد الكلية وتطبيقها على الحوادث الجزئية المتحددة واستنباط للأحكام بفهمها والقياس عليها فيما لم يرد فيه نص، فليس للتشريع مصدر إلا الكتاب والسنّة، أما الاجتهاد في عصر التنزيل فلا يصح أن يكون مصدراً مستقلاً من مصادر التشريع، لأنه إن كان من الرسول فمردّه الوحي إقراراً أو تصويباً، وإن كان مصدره الصحابة فمردّه السنّة إقراراً أو تصويباً أيضاً(1).



(1) ر: نشأة الفقه الاجتهادي ص/١٢ و١٣.

الفرع الثاني: الفقه في عصر كبار الصحابة: من (١١هـ إلى ٤٠هـ)

- تمهيد:

توفي رسول الله ﷺ سنة /١١/هـ واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وتوفي. وجاء عمر من بعده رضي الله عنهما فتّم على يده الفتح ودخل في الإسلام كثير من الموالي، وفي عهد عثمان رضي الله عنه امتدت الفتوحات، لكنّه قتل، وكان ذلك سبباً لافتراق كلمة المسلمين إلى فريقين: فريق الناقمين على عثمان؛ وهم الذين بايعوا عليّاً رضي الله عنهما ومقرهم الكوفة، وفريق الناقمين على قتله وهم الذين بايعوا معاوية رضي الله عنه ومقرهم في الشام، فاقتتلوا في صِفّين حتى طلب أهل الشام التحكيم، وضعف فريق علي لانشقاق الخوارج عنه، ثم قتل علي رضي الله عنه على يد واحد من الخوارج، وبقتله اجتمع الجمهور الأعظم على معاوية بن أبي سفيان، وانتهى ذلك العصر والمسلمون قد افترقوا سياسياً ودينياً ثلاث فرق:

١ - الأولى: جمهور المسلمون وهم الراضون عن معاوية وإمرته.

٢ - الثانية: الشيعة وهم الذين بقوا على الالتزام بالخلافة لكل من علي وآل بيته.

٣ - والثالثة: الخوارج وهم الناقمون على عليٍّ وعثمان ومعاوية جميعاً.

ولكلٍّ من هذه الفرق الثلاثة تأثير خاص في التشريع الإسلامي سيظهر أثره فيما بعد[1].

نصوص التشريع في هذا الدور:

نزل القرآن مُنجَّماً، وكان كلّما نزل منه شيء بلّغه الرسول صلوات الله عليه إلى جمهور المسلمين وأمر كتّاب وحيه بكتابته، ومن الجمهور من كان

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/١٠٣ وما بعدها.

يكتفي بحفظ ما يتلقى، ومنهم من كان يكتب، وكان الرسول صلوات الله عليه يوقفهم على ترتيب آياته وسوره، وتوفي ﷺ والقرآن لم يجمع في مصحف واحد، بل كان محفوظاً في صدور الحفّاظ وصحف كتّاب الوحي والصحف الأخرى، التي كانت بيد الكتّاب، وكان عدد الحفاظ في العهد النبوي كثيراً، ومنهم من كان يحفظه كلّه(١).

حصل في أول عهد أبي بكر رضي الله عنه ما نبّهه إلى وجوب جمع القرآن كلّه في مصحف، ذلك أنه كان في جيش اليمامة عدد كبير من حفّاظ القرآن كتبت لهم الشهادة، فخشي أبو بكر على القرآن من ذلك، فأمر زيد بن ثابت بجمعه في مجموع واحد من صحف مربوطة ففعل، وظلّت هذه الصحف محفوظة عند أبي بكر، ثم عند عمر، ثم حفصة بنت عمر أم المؤمنين، وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، تنبّه إلى وجوب إذاعة هذا المصحف في أمصار الإسلام الكبرى، والذي نبهه إلى ذلك أن حفّاظ القرآن انتشروا في هذه الأمصار يقرئون الناس القرآن، وكان بينهم شيء من الاختلاف في بعض أحرف من القرآن تبعاً لاختلاف لغاتهم، فدعا ذلك إلى أن بعض القارئين كان يفضّل قراءته على الآخر، وبلغ ذلك عثمان فرآه مصدراً لخطر شديد لابد من علاجه، فكلّف لجنة من فقهاء الصحابة هم زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ــ أي صحف حفصة ــ ورد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق، وكان ذلك سنة خمس وعشرين، والمصاحف التي كتبت منه أرسلت إلى الكوفة والبصرة

(١) ر: تاريخ التشريع ص/١٠٥ وما بعدها إلى ص/١١٣.

ودمشق ومكة والمدينة، وأبقى عثمـان لنفسـه مصحفاً عـرف بـالمصحف الإمام، ووضعت هذه المصاحف في جوامع الأمصار يقرأ منها القرّاء ويرجع إليها الحفّاظ.

أمّا السنّة القولية فلم تنل هذا النصيب من العناية بجمعها، بل ربما كان هناك عمل سلبي للتقليل من روايتها من قبل رؤوس الصحابة، وحقيقة ما يرمون إليه من تقليل الرواية هو الخـوف مـن أن ينتشـر الكـذب والخطـأ علـى رسـول الله ﷺ، ولذلك كانوا يتثبتون فيما يروى لهم، وإذا تثبتوا عملوا بمقتضى ما يروى لهـم عـن رسـول الله ﷺ ولم يخالفوا عنه، وخوفهم أيضـاً مـن اختلاط نصـوص الكتـاب بنصوص السنّة.

الاجتهاد[1] في هذا الدور:

كان الاستنباط في ذلك العصر مقصوراً على فتـاوى يفتيهـا مـن سئل عـن حادثة، ولم يكونوا يتوسّعون في تقرير المسائل والإجابة عنها، بل كـانوا يكرهـون ذلك ولا يبـدون رأيـاً في شـيء حتـى يحـدث، فـإن حـدث اجتهـدوا في استنباط حكمه، ولذلـك كـان مـا ينقـل عـن كبـار الصحابـة مـن الفتـوى قليـلاً، وكـانوا يعتمدون في فتواهم:

١ ـ القرآن: لأنه أساس الدين وعمدة الملّـة، وكـانوا يفهمونـه واضحـاً جليـاً لأنـه بلسانهم نزل، مع ما امتازوا به من معرفة أسباب نزوله، ولم يكن دخـل فيهـم إذ ذاك أحد من غير العرب.

---

(١) الاجتهاد: (بذل الجهد في استنباط الحكم الشرعي مما اعتبره الشارع دليلاً وهو الكتاب والسنة) وهو نوعان: الأول: أخذ الحكم من ظاهر النصوص إذا كـان محـل الحكـم مما تتناوله النصوص. والثاني: أخذ الحكم من معقول النص بأن كـان للنـص علـة مصـرح بها أو مستنبطة ومحل الحادثة ممـا يوجـد فيـه تلـك العلـة والنـص لا يشـمله وهـذا هـو المعروف بالقياس اهـ. ر: تـاريخ التشـريع ص/١١٤ ومابعدهـا. وكتابنـا/ مصـادر الفقه الإسلامي/مفرقاً.

٢ ـ السنّة: وقد اتفقوا على اتباعها متى ظفروا بها ووثقوا من صدق روايتها، مشى على ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم، مع الاحتياط في القبول للسُّنن.

هذا وكانت تَرِدُ على الصحابة أقضية لا يرون فيها نصاً من كتاب أو سنة فيلجؤون إلى القياس، وكانوا يعبرون عنه بالرأي[١]، كذلك كان يفعل أبو بكر رضي الله عنه[٢] إذا لم يجد في الكتاب نصاً ولا عند الناس سنّة، فإنه كان يجمع الناس ويستشيرهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به وكذلك كان عمر يفعل[٣].

ومع قولهم بالرأي فإنهم كانوا يكرهون الاعتماد عليه، لئلا يجترىء الناس على القول في الدين بلا علم، وأن يدخلوا فيه ماليس منه، ولذلك ذم كثير منهم الرأي، ومن الواضح أن الرأي الذي ذموه ليس الذي عملوا به، فالمذموم إنما هو اتباع الهوى في الفتوى مع عدم الاستناد إلى أصل من أصول الدين يرجع إليه، والمحمود منه ما بيّنه عمر رضي الله عنه لقاضيه: «اعرف الأشباه والأمثال ثم قس الأمور عند ذلك» فإن العمل بالرأي حيث كان كذلك عمل بمعقول النص، وعلى كل حال فإن فتاويهم التي استندوا فيها إلى الرأي قليلة جداً.

ولقد كان الشيخان إذا استشارا جماعة في حكم فأشاروا فيه برأي تبعه الناس ولا يسوغ لأحد أن يخالفه، وسمي إبداء الرأي بهذا الشكل إجماعاً، وكان عدد المجتهدين من الصحابة آنذاك محصوراً يمكن استشارتهم والاطلاع على نتيجة آرائهم، فكان الإجماع ميسوراً.

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/١١٥، ونظرة عامة في تاريخ الفقه /مفرقاً.

(٢) م.ن ـ ص/١١٦.

(٣) م.ن ـ ص/١١٦.

فبذلك كانت مصادر الأحكام في ذلك العصر أربعة: الأول الكتاب: وهو العمدة، والثاني: السنة، والثالث: القياس أو الرأي وهو فرعهما، والرابع: الإجماع[1].

وكانت نتيجة سياسة الشيخين قلّة الخلاف في الأحكام، فإنها إما أن تصدر بعد استشارة - وعدم الخلاف واضح في ذلك - وإما أن تصدر عن كتاب محكم أو سنّة متبّعة معروفة، فلم يبق من سبب للخلاف، إلاّ صدور الفتوى عن رأي، وقد علمنا أن اعتمادهم على الرأي كان قليلاً. وكانت هَيبةُ عمر فوق رؤوسهم جميعاً، فلم تكن الفتوى عندهم مما يستهان به، بل كان يحيل بعضهم على بعض.

وهم إلى ذلك كانوا يرون ما يبدو لهم من الرأي منسوباً إليهم لا إلى الشريعة فلا يُحتّمون العمل به[2].

ومن استعراض كثير من مسائل اختلافهم في هذا العصر، يتضح لنا أن أسباب ذلك الاختلاف ثلاثة:[3]

الأول: اختلاف الفتوى بسبب الاختلاف في فهم القرآن، وذلك من وجوه:

أ - من ورود لفظ يحتمل معنيين كاختلافهم في فهم القرء من قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾[4]، ففهم عمر وابن مسعود أنه الحيضة، وفهم منه زيد بن ثابت أنه الطهر ولكلّ ما يؤيده.

---

(١) قلت لابد أن يكونوا في إجماعهم مستندين إلى نص من كتاب أو سنة أو إلى مصلحة معتبرة شرعاً اهـ.

(٢) م.ن - ص/١١٦.

(٣) م.ن - ص/١٢٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

ب ـ من ورود حكمين مختلفين لموضوعين يظن أن يشمل أحدهما بعض ما يشمله الآخر فيتعارضان في ذلك الجزء، مثال ذلك آية معتدة الوفاة، فقد أوجبت أن تتربّص أربعة أشهر وعشراً، ويظن شمولها للحامل، وآية الطلاق جعلت عدة الحامل وضع الحمل، فمعتدة الوفاة الحامل مترددة بين أن تشملها الآية الأولى فيجب عليها أن تتربص أربعة أشهر وعشراً، ولو وضعت حملها قبل ذلك، وبين أن تكون عدّتها وضع الحمل، ولو لم تتربص تلك المدة، عملاً بآية معتدة الطلاق، قال بكلّ من الرأيين بعض كبار الصحابة.

والثاني: اختلاف الفتوى بسبب السنّة:

من سنّة رسول الله ﷺ ما كان ظاهراً مكشوفاً فعل أو قيل بحضور الجمّ الغفير من الصحابة كالصلاة والحج وأعداد الركعات وما إلى ذلك، ومنها ماكان يفعل أو يقال في حضور واحد أو اثنين، فيكون تحمله مقصوراً على من حضره، وهذا أكثر السنّة القولية، وهو منشأ اختلاف، فلم يكن التحدث عن رسول الله ﷺ شائعاً في هذا الدور، و لم تكن السنّة مجموعة في كتاب يرجع إليه، فكان المفتون إذا عرضت لهم الحادثة و لم يجدوا نصاً في كتاب الله، سألوا من معهم هل عندهم شيء من قضاء رسول الله ﷺ فيها؟ فربما وجد بحضرتهم من يروي لهم حديثاً فيفتون به إذا تثبتوا من روايته بشاهد أو يمين(1).

فربما روي لهم الحديث فلا يعملون به إذا لم يقتنعوا بصدق روايته(2). فعدم شيوع الرواية والتدقيق في قبول ما يروى من السنّة، جعلتهم أحياناً يفتون بما يفهم

---

(1) فكان عمر يطلب إلى الراوي من شَرَكَهُ في سماع الحديث، وكان عليّ يستحلف الراوي رضي الله عنهما اهـ. ر: تاريخ التشريع ص/١٢٨.

(2) ر: م.ن ـ ص/١٢٢.

من عموم النصوص القرآنية، وربما كانت هناك سنّة تخصّص هذه العموم، وأحياناً يفتون بالرأي والاجتهاد إذا لم يكن هناك نص[1].

الثالث: اختلاف الفتوى بسبب الرأي:

كان كبار الصحابة يعمدون إلى الفتوى بالرأي، إن لم يكن هناك عندهم في الحادثة نص، والرأي عندهم إنما كان العمل بما يرونه مصلحة وأقرب إلى روح التشريع الإسلامي، من غير نظر إلى أن يكون هناك أصل معيّن للحادثة أو لايكون، والنظر في المصالح يختلف باختلاف المناظرين.

فالخلاف لم يكن في هذا العصر بالشيء الكثير، لأن أقضيتهم كانت بقدر ماكان ينزل من الحوادث، و لم تدوّن الأقضية في عصرهم، فقد انتهى ذلك الدور والفقه هو نصوص القرآن والسنّة، وما ارتضاه كبار الصحابة مما رواه لهم غيرهم من الصحابة أو ما سمعوه هم، وقليل من الفتاوى صادر عن آرائهم بعد الاجتهاد والبحث[2].

هذا، وأشهر المفتين في هذا العصر الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وأُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، والمكثرون منهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت[3] رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) ر: م.ن ـ ص/١٢٨.

(٢) ر: م.ن ـ ص/١٢٩ وما بعدها.

(٣) قال مسروق بن الأجدع التابعي الكبير رحمه الله تعالى: ((وجدت علم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ينتهي إلى ستة: إلى علي وعبد الله بن مسعود وعمر وزيد بن ثابت وأبي الدرداء وأُبيّ، ثم وجدت علم هؤلاء الستة ينتهي إلى علي وعبد الله رضي الله عنهم)) اهـ. فقه أهل العراق وحديثهم ص/٤٣.

الدور الثاني: الدور التأسيسي للفقه:

الفقه في عصر صغار الصحابة ومن تلقى عنهم من التابعين

تمهيد:

يبتدىء هذا الدور باجتماع كلمة الجمهور الإسلامي على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في عام الجماعة ٤١هـ، إلاّ أن جرثومة الخلاف السياسي لم تستأصل، فقد بقي في الناس من يضمر الخلاف والكيد للأمويين وهم فرقتان:

١ ـ الخوارج: فهم يبرؤون من عثمان وعلي ومعاوية جميعاً.

٢ ـ والفرقة الثانية: فرقة الشيعة التي ترى الأمر حقاً لعلي وآل بيته فقط رضي الله عنهم.

ثم شرعت الثورات تحارب وحدة الكلمة الإسلامية، واشتدت نيران الفتن بعد موت يزيد، حتى جاءها عبد الملك بن مروان فأطفأ جذوتها بالقضاء على ابن الزبير واسترجاع جميع مراكز الثورة، واختفت دعوة الشيعة وشدة الخوارج إلى حد وانتهت هذه الشدائد، باستثناء فتن الخوارج وفتنة ابن الأشعث اللتين دحرتا بالحجاج، بمجيء زمان الوليد، وسكنت فيه الفتن، وفتحت الفتوحات العظيمة، وكان ذلك كالسكون الذي تعقبه العواصف الشديدة، فسوء سياسة سليمان أفسدت القلوب عليه، ثم أدلى بالخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام الذي نمت في عصره الدعوة السرية العباسية، وانتهت الدولة الأموية بقتل آخر خليفة منهم مروان بن محمد على يد العباسيين عام/١٣٢هـ.

الفرع الأول: مميزات هذا الدور

أ ـ تفرق المسلمون سياسياً إلى شيعة علي رضي الله عنه والخوارج الموالين للشيخين المتبرّئين من عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم، وشيعة معاوية أو

الجمهور الإسلامي، وكانت كل فرقة لا تقيم وزناً لآراء الأخرى، وكان هذا التفرق تأثير كبير في الاستنباط كما سنرى فيما بعد.

ب ـ تفرّق علماء المسلمين في الأمصار من صحابة وتابعين تخرّجوا عليهم وخلفوهم في الفتيا.

جـ ـ شيوع رواية الحديث مع اختصاص كل قطر بمحدّثين من صحابة وتابعين من أهل الرواية والفتيا، بحيث كان في كل مصر من الحديث ما ليس بالآخر، وفي هذا الدور دوِّنت السنّة بأمر الإمام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، على رأس المئة الأولى للهجرة وبإشرافه[1].

كل ذلك أوجد في الفتوى خلافاً كبيراً بين الفرق الإسلامية.

د ـ ظهور الكذب في الحديث عن رسول الله صلوات الله عليه لأسباب سياسية أو عقدية في كل فرقة من الفرق على يد الوضاعين منهم.

هـ ـ ظهور عدد كبير من متعلمي الموالي في جميع الأمصار الإسلامية وشاركوا الصحابة وكبار التابعين في التعلم والتعليم، ونبغ هؤلاء حتى اعترف بهم الجمهور الإسلامي آنئذٍ.

و ـ بدء النزاع بين الرأي والحديث وظهور أنصار لكل من المبدأين[2].

---

(١) ممن اشتهر بالسنّة آنئذٍ ابن شهاب الزهري الذي نفذ أمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بذلك وتبعه من بعده، انظر تدوين السنة في الدور الآتي.

(٢) الراجح في المذهب الحنفي ترك القياس بخبر الواحد وبالحديث الحسن لغيره أو لنفسه، وهو ما يسميه المتقدمون ضعيفاً بشهادة ابن القيم من علماء الحنابلة. ر: إعلام الموقّعين ج١/٧٧ وما بعدها.

وهكذا انقسم المفتون من الجمهور في هذا الدور إلى أهل حديث وأهل رأي، فأهل الحديث هم المحدّثون ومن مشى على منهجهم من الإكثار من الرواية والوقوف عند النصوص، وأهل الرأي هم الذين يغوصون على معاني النصوص، ويشتغلون بالدراية مع الرواية وهم أغلب الفقهاء، لكن لم تكن هنالك قواعد معلومة واضحة للمجتهدين، لأن الفقه كان آنئذٍ لم يأخذ الدرجة اللائقة به من التدوين.

• أجلّ المفتين في هذا الدور:

أ ـ من أهل المدينة[1]: أم المؤمنين عائشة الصدّيقة وعبد الله بن عمر وأبو هريرة.

ب ـ ومن أهل مكّة: عبد الله بن عبّاس ومجاهد بن جبر وعكرمة مولى ابن عبّاس.

جـ ـ ومن أهل الكوفة: علقمة بن قيس النخعي ومسروق بن الأجدع الهمداني وعبيدة بن عمرو السَّلْماني المرادي.

د ـ ومن أهل البصرة: أنس بن مالك وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحي والحسن ابن أبي الحسن يسار البصري.

هـ ـ ومن أهل الشام: عبد الرحمن بن غنم الأشعري وأبو إدريس الخولاني.

و ـ ومن أهل مصر: عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني ويزيد بن أبي حبيب.

ز ـ ومن أهل اليمن: طاوس بن كيسان الجَنَدي ووهب بن منبه[2]، ويحيى بن أبي كثير.

---

(١) ر: تاريخ التشريع من ص/١٥٠ إلى ١٦٥.
(٢) ر: م.ن ـ ص/١٦٦.

الفرع الثاني: الحلقة المفقودة

المدارس الفقهية

كان لكبار الصحابة آثارهم الخاصة في البلاد التي استوطنوها أو نزلوا بها، بما كان لهم فيها من أصحاب التفّوا حولهم، وحفظوا أقوالهم وأخذوا عنهم الأحاديث، وذهبوا مذهبهم الذي ترسموه بعد صحبة الرسول ﷺ، ووصل إليه اجتهادهم في فهمهم ونظرهم، فأخذت تتكوّن في هذا الوقت، تبعاً لشخصيات الصحابة ومذاهبهم، مدارس في البلاد المختلفة من الفقهاء التابعين الذين جمعوا من أبواب الفقه وآراء الصحابة وأحاديث الرسول صلوات الله عليه ما سمعوه من سلفهم، وضموا إلى ذلك آراءهم الشخصية المستنتجة حسب ما ذهبوا إليه، وكان على كل بلد إمام منهم، ثم حصل الاختلاف بين هذه البلاد في المسائل والمبادىء، فابتدأت تتكوّن المدارس وتدور عجلة الفقه دورتها المذهبية الأولى، تبعاً للبلدان المختلفة ولآثار الصحابة ومذاهبهم.

وكانت أهم هذه المدارس مدرسة المدينة ثم مدرسة الكوفة، أو بعبارة أخرى مدرسة الحجاز ومدرسة العراق، فهاتان المدرستان جمعتا حلّ مسائل الفقه التي ظهرت في هذا الوقت، وبحثوا فيها، كما كانت لهم أصول متميّزة واضحة خرّجوا عليها المسائل للناشئة، وهكذا تبلورت تلك النزعات العلمية من رأي وحديث إلى مدارس فقهية.

أ ـ مدرسة المدينة[1]:

كان رأي مدرسة المدينة أن أهل المدينة أثبت الناس في الفقه لأنها البلد الذي عاش فيه أكثر الصحابة ووجدت فيها السنّة، وما وجدوه مجمعاً عليه بين علماء المدينة فإنهم يتمسكون به، وما كان فيه اختلاف عندهم فإنهم يأخذون بأقواه وأرجحه بوجه من وجوه الترجيح لديهم، وإذا لم يجدوا فيما حفظوا منهم جواب المسألة خرّجوا من كلامهم وتبعوا الإيماء والاقتضاء فحصل لهم من ذلك مسائل كثيرة في كل باب من أبواب الفقه.

وأصل مذهبهم يرجع إلى عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بالدرجة الكبرى، تليهم السيدة عائشة رضي الله عنهم، وهؤلاء جميعهم كانوا يمثلون طريقة واحدة تركز في زيد بن ثابت، الذي تأثّر بعمر وأثّر في ابن عمر رضي الله عنهم.

- **مدرسة الفقهاء السبعة وعملها الفقهي:**

وقد مثّل مدرسة المدينة الفقهية اثنا عشر فقيهاً هم:

١ ـ قبيصة بن ذؤيب	٢ ـ وخارجة بن زيد
٣ ـ وأبان بن عثمان بن عفان	٤ ـ وسليمان بن يسار
٥ ـ وسعيد بن المسيّب	٦ ـ وعروة بن الزبير
٧ ـ وعبد الملك بن مروان	٨ ـ وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
٩ ـ وأبو سلمة بن عبد الرحمن	١٠ ـ وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
١١ ـ وسالم بن عبد الله	١٢ ـ والقاسم بن محمد.

---

(١) ر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور علي حسن عبد القادر ص/١٣٧ وما بعدها.

فأمّا عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب فقد تركا المدينة وذهبا إلى الشام، حيث صار الأول خليفة والثاني من مساعديه، ولم يكن أبان بن عثمان فقيهاً معروفاً. ومن التسعة الباقين تكوّنت مدرسة الفقهاء السبعة بالمدينة على خلاف في تعيينهم، وهم على أشهر الروايات:

١ـ سعيد بن المسيِّب ٢ـ عروة بن الزبير القرشي

٣ـ القاسم بن محمد ٤ـ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام

٥ـ عبيد الله بن عبد الله بن مسعود

٦ ـ سليمان بن يسار ٧ـ خارجة بن زيد بن ثابت.

هؤلاء هم الفقهاء السبعة الذين كوّنوا المدرسة الفقهية الأولى في هذا العصر حتى سمي هذا العصر باسمهم فقيل عصر الفقهاء السبعة، وكان عمل هؤلاء الفقهاء الأولين تأسيس الفقه الإسلامي بوضعهم الخطوط الأولى للمنهج الفقهي، وبما رسموه من الرأي والنظر والأخذ بالسنّة فيما يطابق حاجات عصرهم المختلفة، حتى ليمكننا أن نقول إن الحياة التشريعية إذ ذاك ليست إلا استمراراً للسنّة القانونية السابقة في الشرع الإسلامي، فعملهم كما يرى لم يكن إنشاء شيء جديد ومبادىء مستحدثة، وإنما كل ما عملوه أنهم أدخلوا مبادىء الدين في العادات المعمول بها إذ ذاك، أو تحويرها تحويراً دينياً، فمن أجل ذلك جذبت الناس إليها، ورحل إليها العلماء من الأمصار كابن شهاب الزهري من الشام، وعطاء من مكة وأهل العراق وخرج إلى الشام عبد الملك وقبيصة من المدينة ونافع مولى ابن عمر إلى مصر.

ب ـ مدرسة الكوفة:

ولقد كانت تعاصر المدينة بالحجاز مدرسة الكوفة بالعراق، وكان لهذه المدرسة قيمة فقهية لا تقل عن تلك المدرسة، ولكنها لم تكن لها مثل شهرة مدرسة المدينة ومركزها الممتاز بين المسلمين، ولم تظهر آثارها الفقهية واضحة

وتشتهر آراؤها ووجهات نظرها إلا بعد ذلك عند تلامذتها الذين تلقوا عنها طريقتها كأبي حنيفة ومدرسته، وكان إمام هذه المدرسة من الصحابة الذين ظهر تأثيرهم فيها: عبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

وأظهرُ الصحابة تأثيراً في هذه المدرسة هو (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه الذي جمع حوله أصحاباً من الكوفيين أخذوا بأقواله وتثقفوا بآرائه، وأشهر أصحابه هم هؤلاء الفقهاء الستة: ١ - علقمة بن قيس النخعي ٢ - الأسود بن يزيد النخعي ٣ - مسروق بن الأجدع الهمداني ٤ - عبيدة بن عمرو السلماني ٥ - شريح بن الحارث القاضي ٦ - الحارث الأعور. وله جماعة غير هؤلاء من الأصحاب.

• قاعدة أهل الكوفة:

كان أهل الكوفة يرون أن عبد الله بن مسعود وأصحابه أثبت الناس في الفقه، وقد جمعوا من فتاوي ابن مسعود وقضايا علي وفتاواه وغيرها مما تيسر لهم جمعه، وصنعوا في آثارهم كما صنع أهل المدينة في آثار أصحابهم، وخرّجوا كما خرّج هؤلاء فتلخص لهم مسائل فقهية في كل باب، وكانت هذه المدرسة لا تكره المسائل ولا تهاب الفتيا، ولكنهم كانوا يهابون رواية الحديث والرفع إلى رسول الله ﷺ، وكان عندهم من الفطانة والحدس وسرعة انتقال الذهن من شيء ما يقدرون به على تخريج المسائل على أقوال أصحابهم، على هذه القاعدة من التخريج سار فقهاء الكوفة[1].

---

(١) بالمدارس الفقهية ر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص/١٣٧ وما بعدها إلى ص/١٥٨.

• **نتيجة الخلاف بين المدرستين:**

وهكذا اشتد في هذا الدور الخلاف بين مدرستي الرأي والحديث، ثم استقر فيه اعتبار الرأي طريقة فقهية صحيحة بحدودها وأصولها الشرعية التي أوضحها أصحابها، ودفعوا بها عن هذه الطريقة الشبهات بما يبعدها عن معنى القول بالتشهي والهوى المجرد عن الدليل الشرعي، وبذلك لم يبق الفارق طويلاً بين أهل الرأي والحديث، فإن الطبقة التي جاءت بعد الأئمة أصحاب المذاهب وتلاميذهم قد تلاقوا مهما يختلف أساتذتهم، ولذا نجد كتب الفقه المختلفة في المذاهب الأربعة مملوءة بالرأي والحديث معاً، مما يدل على تلاقيهما وإن اختلف الفقهاء كثرة وقلّة في الأخذ بأحدهما دون الآخر[1].

  

(١) ر: مقدمة كتاب الملكية ونظرية العقد لأستاذنا محمد أبو زهرة ف/١٦ ص/٣٧.

الدور الثالث: دور النهضة الفقهية

من أوائل القرن الثاني إلى منتصف القرن الرابع وهو دور تدوين السنّة ونشوء المذاهب الفقهية

تمهيد:

نجحت الجماعة السرية التي تألفت لتحويل الخلافة عن بني أمية إلى الرضا من آل محمد ﷺ، فتحولت إلى بني العباس بن عبد المطلب، وتولاها أبو العباس عبد الله الملقب بالسفاح ابن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما عام/١٣٢هـ، فاشتد العباسيون في معاملة الأمويين، ولم يرق تحول الخلافة للعباسيين بأعين الطالبيين الذين يرون أنفسهم أحق بها من الجميع، وكان الخلفاء العباسيون إذا رابهم أحد الفريقين: الفرس والعرب استعانوا بالآخر عليه، ولما ولي المعتصم استنجد لنفسه بالأتراك، ولما أراد المتوكل أن يتخلص منهم قتلوه، وقامت إمارات عديدة ثم استولى البويهيون على الخلافة؛ ولم تأت سنة/٣٣٠/ هـ حتى لم يبق من الخلافة إلاّ اسمها[1].

الفرع الأول: مميزات هذا الدور:

آ ـ اتساع الحضارة:

من أهم معالم ذلك بناء بغداد في الشرق، وقرطبة في الأندلس، والقيروان في إفريقية، والفسطاط في مصر، والبصرة والكوفة ودمشق ومرو ونيسابور من حواضر الأمصار.

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/١٧٠ ـ ١٧٣.

ب ـ الحركة العلمية بالأمصار الإسلامية:

نمت في هذا الدور الحركة العلمية الناشئة في أواخر الدور السابق نمواً عظيماً.

جـ ـ نمو علوم القرآن:

زاد في هذا الدور حفّاظ القرآن المجيد، وانتشروا في جميع الأقاليم الإسلامية كما انتشر كتّابه، إلا أن المسلمين اعترفوا في كل قطر بالتبريز لقراء اشتهرت اسماؤهم، عرفوا فيما بعد بالقراء السبعة[1]، الذين فاقوا غيرهم في الإتقان والضبط ويليهم في الشهرة ثلاثة آخرون تتمة القراء العشرة، ولا تختلف هذه القراءات إلا في الشيء اليسير[2]، ولم يكد هذا الدور ينتهي حتى صارت القراءة علماً من العلوم الدينية، وشرع علماؤه يؤلفون في الكتب المتعلقة بأدائه وبروايته.

د ـ تدوين السنّة:

كان هذا الدور عصراً مجيداً للسنّة، فقد تنبّه رواتُها إلى وجوب تدوينها، فبدأ التدوين بموطأ الإمام مالك ومن بعده ممزوجاً بأقوال الصحابة والتابعين، ثم رأى من بعدهم على رأس المئتين وجوب أن يفرد حديث رسول الله ﷺ وحده، فألّفوا المسانيد والسنن والصحاح، ووجد في رجال هذا الدور رجال الجرح والتعديل يبحثون في رواة الحديث، وانتهى أمر السنّة في أثناء هذا الدور إلى أن

---

(١) هم نافع في المدينة، وابن كثير في مكة، وأبو عمرو بن العلاء في البصرة، وعبد الله بن عامر بدمشق، وعاصم وحمزة والكسائي في الكوفة اهـ.

(٢) هم أبو جعفر يزيد ويعقوب وخلَف اهـ. انظر تاريخ التشريع ص١٧٧ و١٧٨ وما بعدها.

صارت علماً مستقلاً له رجال قصروا بحثهم عليه، ولو لم يكن لهم نفوذ في الفقه وقوة في الاستنباط[1].

هـ ـ تدوين أصول الفقه:

سبّبت هذه المنازعات في مادة الأحكام اشتغال العلماء بوضع أصول الفقه. على أنه القواعد التي يلزم كل مجتهد أن يتّبعها في استنباطه، ويروى أن الإمامين أبا يوسف ومحمداً رحمهما الله كتبا في تلك الأصول عند الحنفية ما لم يصل إلينا، أما ما وصل إلينا ويعدّ أساساً صريحاً لهذا العلم عند الجمهور، فهو الرسالة الأصولية للإمام الشافعي[2] رضي الله عنه.

و ـ البدء بتقعيد القواعد الكلية والضوابط الفقهية:

وفي الحدود الواسعة لهذا الدور كان تقعيد كثير من القواعد الكلية والضوابط الفقهية مُسْتمدٌّ من دلائل النصوص الدئرة في أصول المذاهب، فأخذت معانيها صيغاً لفظية ثابتة ذات شمول واسع[3] وظهرت الاصطلاحات الفقهية القيّمة الكثيرة، واختلفت باختلاف المذاهب وأمكانها[4].

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/ ١٨٠ ومابعدها.

(٢) ر: تاريخ التشريع ص/٢٢٠ وما بعدها.

(٣) ر: المدخل الفقهي ج١/١٥١.

(٤) المصدر السابق ـ ص.ن.

الفرع الثاني: النزاع في مادة الفقه جسر بين المدارس الفقهية ومذاهب الأئمة[1].

وجد في هذا الدور نزاع شديد من المتشرعين في الأصول التي منها تستنبط الأحكام، وتفصيل ذلك مرجعه أمات كتب الفقه، وسأكتفي من ذلك بالاختصار، ومواطن هذا النزاع تنحصر فيما يلي: في مصادر التشريع، وفي مسألة الأمر والنهي، وتفصيل ذلك في المطوّلات[2].

وبعد، فإن كلاً من أهل الرأي والحديث يتفقون في أن الأخذ يجب أن يكون بالكتاب والسنّة الصحيحة، ثم يفترقون بعد ذلك في أن أهل الحديث يتهيبون الرأي ولا يتهيبون الرواية، ولا يأخذون بالرأي إلا مضطرين إذا لم يعرفوا حديثاً، وأما أهل الرأي فيتهيَّبون التحديث ولا يتهيبون الإفتاء متحملين تبعاته، ويرجعون عنه إن صح عندهم بعد الإفتاء حديث، وقد ترتب على ذلك تشدد من أهل الرأي في قبول الحديث، وتساهل من الطرف الآخر، مع أخذهم بالرأي أيضاً[3]. وكانت الهوّة بينهما واسعة قبل عصر أبي حنيفة.

أما في آخر عصر أبي حنيفة فقد أخذ الفريقان يتقاربان، وذلك لالتقاء الفريقين واجتماعهما للمدارسة والمذاكرة أو المناظرة، ولأنه لما وجد التدوين في عصرهم أخذ كل فريق يقرأ علم الآخر، ولأن كثرة الحوادث وعدم تناهيها اضطر

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/١٨٢ وما بعدها إلى ص/٢٢٠ باختصار وتصرّف.

(٢) انظر كتابنا (تاريخ الفقه الإسلامي) مُفرَّقاً.

(٣) حتى لقد وجدت طائفتان كانتا أشد من أهل الرأي في قبول السنة، فقد رفض قوم الاستدلال بها لشك في نسبتها إلى النبي صلوات الله عليه، وقوم استعانوا بها في فهم القرآن فقط لا في زيادة أحكام على ماجاء به، وقد طوت لجَّة التاريخ هاتين الطائفتين وبقيت الأخريان أهل الرأي وأهل الحديث.

أهل الحديث أن يخوضوا في الرأي، ولأن تدوين الصحاح وتمييزها وتعرفها واطلاع أهل الرأي على أكثر الآثار وتلقيهم لما رواه أهل الأمصار منها، جعل بين أيديهم طائفة كبيرة من الأحاديث فتقاربوا بها من أهل الحديث.

فأبو يوسف يقبل على دراسة الآثار وحفظها والاستشهاد بها على ما انتهى إليه من آراء، فإن وجد رأياً ارتآه من قبل يخالف السنّة، عدل عنه إلى الرأي الذي يتفق مع الحديث، كما روى عنه ابن جرير الطبري، ومحمد بن الحسن يطلب الحديث ويأخذه عن الثوري؛ ثم يلازم مالكاً ثلاث سنين ويأخذ عنه، وهكذا ترى الشقّة بين أهل الراي وأهل الحديث قد أخذت تضيق حتى تقاربا(١).

والحق أن الذي بدأ في هذا التقارب أبو حنيفة رضي الله عنه، فكان لإخلاصه في طلب الحق يرجع عن رأيه إن ذكر له مناظره حديثاً لم يصح عنده غيره ولا مطعن فيه، أو ذكرت له فتوى صحابي كذلك فيما لا مجال للرأي فيه.

---

(١) ر: أبو حنيفة لأستاذنا الجليل الشيخ محمد أبو زهرة من ص/٩٢ إلى ١٠٢.

المطلب الثاني: تكوّن مذاهب الأئمة

لم يبق لأحد من فقهاء الدورين الماضيين ذكر إلا بقدر ما ينقل عنهم من الأقوال في أثناء كتب الخلاف على كثرة عددهم وعظم شأنهم، فهناك فقهاء الصحابة وفقهاء التابعين لهم في التشريع الإسلامي أكبر الآثار، إذ هم السلف الصالح وهم النبراس لمن أتى بعدهم.

أما في هذا الدور، فقد ظهر مجتهدون اعتبرهم الجمهور أئمة يترسم خطاهم ويعمل بمقتضى آرائهم، حتى إنه ليجعلها بمثابة نصوص الكتاب والسنّة، لا يجوز أن يتعداها، والذي منحهم هذا الامتياز الأسباب الآتية:

١ ـ أن مجموع آرائهم دوّن و لم يكن ذلك لأحد من السلف.

٢ ـ أنه قام لهم تلاميذ قاموا بنشر أقوالهم والدفاع عنها والانتصار لها، وكان لهم من المقام في الهيئة الاجتماعية ما جعل لما يذهبون إليه من الرأي قيمة.

٣ ـ ميل الجمهور لأن يكون على علم بما ينتحله القضاة من المذاهب حتى لا تكون حريته في الرأي مظنّة لاتباع الهوى في القضاء، ولا يكون ذلك إلاّ إذا كان له مذهب مدوّن[1].

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/٢٢٨ وما بعدها.

عوامل تكوين المذاهب الفقهية

تمهيد:

كان الخلاف الفقهي المحدود في عصر الصحابة واتجاهاتهم الفقهية نحو الرأي والتعمق في البحث عن علل الأحكام ونحو الوقوف عند النصوص -بل وعند ظواهرها - أساساً ونواة لاختلاف الأئمة الفقهاء فيما بعد، حين قويت العناية بالفقه والحديث لقيام الدولة آنئذٍ في حكمها على أساس الدين، تلك الدولة الإسلامية التي بلغت مبلغاً عظيماً من اتساع الرقعة، وقوة النفوذ والنهضة العلمية التي شملت ثقافات متباينة وحضارات مختلفة، مما كوّن مجموعة من المعارف لا مثيل لها، وفتح مجالاً فسيحاً أمام الفقهاء للبحث والدرس والاستنباط، وتبع ذلك اتساع الاختلاف الفقهي بينهم وتباين وجهات النظر، لأن مرد هذه الدراسات في الغالب إلى الاجتهاد والرأي والاتجاهات متباينة، وكان هذا مبدأ لظهور المذاهب الفقهية المختلفة، لا سيما والمصادر الأصلية أصبحت في متناول الفقهاء، وما أجمع عليه فقهاء الصحابة والتابعين قد جمع ودوّن، وعلم أصول الفقه قد وضع واستطاع الفقهاء أن يُظهروا عن طريقه مصادر أخرى عقلية تساعدهم على استنباط الأحكام، وإن كان موقفهم منها من أسباب الاختلاف وتعدد المذاهب(١).

وبعد؛ فمن مذاهب الفقهاء من وجد له أتباعاً في الأمصار المختلفة ساروا عليه ودوّنوه واعتَنَوا به فبقي إلى يومنا هذا وهي المذاهب الأربعة، ومنها من وجد له أتباعاً ساروا عليه مدة ثم غلبه ماورد عليه من المذاهب الأخرى فانقرض أتباعه.

---

(١) الإسلام والأسرة والمجتمع ص/٢٧ وما بعدها.

أولاً ـ ظهور نوابغ الفقهاء الذين اعترف لهم الجمهور بالزعامة وبقيت مذاهبهم:

وهم الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين، وفي ملحق التراجم من هذا الكتاب نترجم لهؤلاء الفقهاء الذين دوّنت مذاهبهم، وكان لهم أتباع بالأمصار المختلفة، مع بيان ما امتاز به كل منهم باستثناء الإمام أبي حنيفة فقد أفردنا له ترجمة وافية في التعريف بالمذهب الحنفي.

ثانياً ـ تعريف عام بالمذاهب الفقهية الكبرى:

أتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ممن ذكرناهم ومن لم نذكرهم، فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيههم في الأكثر، ثم قضت أسباب انتشار بعض هذه المذاهب في غير أمصارها وبانقراض بعضها كما ذكرنا آنفاً، وهذه المذاهب في الحقيقة تبلور للمدارس الفقهية التي وجدت في الدور التأسيسي للفقه في عهد صغار الصحابة والتابعين. وهذه نبذة يسيرة في التعريف بهذه المذاهب الفقهية الكبرى.

تمهيد في تعريف المذهب لغة واصطلاحاً:

آ ـ المذهب لغة (موضع الذهاب) وهو المرور، وأصله (الطريق) ثم نقل منه إلى الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية التي هي طرائق المجتهدين، يمرون عليها بأقدام عقولهم الراسخة لتحصيل الظن بها.

ب ـ وأما ما معناه في العُرف فهو (ما اختص به المجتهد من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية المستفادة من الأدلة الظنية) وهذا يشمل جميع مذاهب المجتهدين.

جـ - والتعريف الخاص بمذهب إمامنا (أبي حنيفة رحمه الله): (ما اختص به من تلك الأحكام ((إمام مذهبنا)))[1].

آ - المذهب المالكي[2]:

هذا المذهب منسوب إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني، ويستقي هذا المذهب أصوله من شيوخ المدينة وكبار محدثيها أمثال ابن شهاب الزهري ونافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة بن الزبير. وكان المدنيون أعرف الناس بآثار رسول الله ﷺ وكبار الصحابة، فلا غرابة أن تكون المدينة مقر مدرسة الحديث، وأن يكون المذهب المالكي مثالاً صحيحاً لهذه المدرسة، كما هو مثال صحيح لما تركه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمثاله من كبار المفكرين من أثر في الاجتهاد وتوجيه نحو الأخذ بالرأي المبني على تحقيق المصالح ودفع المفاسد الذي هو غاية الشريعة، وهذا ما جعل المذهب المالكي يطبع منذ ظهوره بالطوابع التالية:

١ - كثرة الحديث لديه وقد وضع مالك في ذلك كتابه (الموطّأ).

٢ - قلّة الأخذ بالرأي لكثرة ما لديه من الحديث.

٣ - القول بالرأي بجميع أقسامه من قياس واستحسان واستصلاح، مع تقدير تطورات الأزمان والأعراف وما يكون لها من تأثير في الأحكام[3].

---

(١) حاشية الشيخ خليل الفتال على الدر مخطوطة في ظاهرية دمشق بخط المؤلف ج١/١٨ ينظر رقمها وبحث فيها بالباب الثالث من هذه الرسالة في حواشي الدر.

(٢) أما المذهب الحنفي فسيأتي الحديث عنه موسعاً إن شاء الله تعالى في مبحث قائم برأسه فيما بعد.

(٣) ر: تاريخ التشريع ص/٢٤٠ وما بعدها. قلت: وهو ثاني المذاهب الأربعة في القدم انتشر في الحجاز أولاً ثم غلب على المغرب. ر: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة لأحمد تيمور باشا ص/٦٤ وما بعدها.

أصول المذهب المالكي:

كان منهج مالك في الاستنباط، أنه يعتمد أولاً على كتاب الله ثم على سنة رسول الله ﷺ ما ثبت عنده منها، وعمدته في ذلك كبار المحدثين من علماء الحجاز، ويعطي لما جرى عليه العمل في المدينة أهمية كبرى، ثم على الإجماع، ثم يعتمد القياس إذا لم يكن نص، فهو ينزع بوجه عام إلى طريقة الحجازيين في الوقوف عند الآثار ما أمكن ويكره التوسع في تقدير المسائل وفرضها قبل وقوعها.

ومجمل ما امتازت به طريقته في الاستنباط خمسة أشياء:

١ ـ أنه اعتبر عمل أهل المدينة حجّة مقدّمة على القياس وعلى خبر الواحد، لأنه عنده أقوى منها، إذ عملهم بمنزلة روايتهم عن النبي ﷺ، ولا سيما عمل الأئمة وفي مقدمتهم العُمَران، فهم قد توارثوه عمّن سبقهم طبقة عن طبقة ورواية جماعة عن جماعة أولى بالتقديم والثقة والاطمئنان إليها من رواية فرد عن فرد، وقد يردّ الحديث لأنه لم يجر عليه عمل.

٢ ـ المصالح المرسلة - الاستصلاح - وهي تلك التي لم يشهد لها من الشرع بالاعتبار ولا بالإلغاء نص معيّن، وكانت ترجع على حفظ مقصود شرعي، ولا خلاف بين فقهاء الأمصار في اتباعها إلا عندما تعارضها مصلحة أخرى، فعند ذلك يقدّم العمل بها الإمام مالك، وقد توسع رحمه الله في العمل بالاستصلاح حتى نسب إليه وحده العمل به، على حين أن جميع الأئمة آخذون به لكن تحت اسم آخر.

٣ ـ قول الصحابي إذا صح سنده، وكان من أعلام الصحابة ولم يخالف الحديث المرفوع حجة عنده مقدَّمةٌ على القياس.

٤ ـ السنّة: لا يشترط في قبول الحديث الشهرة فيما تعم به البلوى كما اشترط الحنفية، ولا يرد خبر الواحد لمخالفته القياس أو لعمل الراوي بخلاف روايته، ولا يقدم القياس على خبر الواحد، ويعمل بالمراسيل ويشترط في خبر الواحد عدم مخالفته لعمل أهل المدينة، وعمدته في الحديث ما رواه أهل الحجاز.

٥ ـ قال بالاستحسان في مسائل كثيرة، إلا أنه لم يتوسع فيه توسع الحنفيّة(١).

ب ـ المذهب الشافعي:

المذهب الشافعي منسوب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ويستقي هذا المذهب أصوله من المذهبين المالكي والحنفي، فلقد اجتمع كما رأينا في الإمام الشافعي علم أهل الرأي من العراقيين وعلم أهل الحديث من الحجازيين، وتصرّف في ذلك بما أُوتي من مواهب، وخرج من المناقشة في المسائل إلى تأصيل الأصول وتقعيد القواعد، فوضع رسالته في علم الأصول حيث شرح طريقته وأقام قواعدها، وكان لها أثر عظيم في تاريخ الحقوق والاجتهاد، إذ أنها حملت العلماء بعد ذلك على أن ينصرفوا للاهتمام بتدوين قواعد طرائقهم والنقاش فيها إلى جانب اهتمامهم بإيجاد حلول للمسائل المناقش فيها، وأقاموا من ذلك علماً عظيماً مستقلاً عن العلم بالمسائل، والطابع الذي طبع به المذهب الشافعي عموماً هو:

١ ـ حصر المصادر الحقيقية للفقه في نصوص القرآن والسنّة.

٢ ـ الأخذ بالاجتهاد ضمن نطاق ضيّق وبقدر الضرورة.

٣ ـ اعتبار الاجتهاد بهذا المعنى حملاً على النص فقط(٢).

---

(١) ر: نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره للسايس ص/٩٦ وما بعدها إلى ص/٩٨.

(٢) ر: تاريخ التشريع ص/٢٥٤ وما بعدها.

أصول المذهب الشافعي:

وأساس مذهب الشافعي مدوّن في رسالته الأصولية فهو يحتج بظواهر القرآن حتى يقوم دليل على أن المراد بها غير ظاهرها، وبعد ذلك السنة وقد دافع دفاعاً شديداً عن العمل بخبر الواحد مادام صحيحاً وكان راويه ثقة ضابطاً، ومادام الحديث متصلاً برسول الله ﷺ لم يشترط غير ذلك من عمل يؤيد الحديث كما اشترط مالك ولا شهرة أو غيرها، كما اشترط الحنفية، وهو ينظر إلى السنة الصحيحة نظره إلى القرآن، يرى كلاً منهما واجب الاتباع، ثم يعمل بالإجماع، ومعناه عنده (عدم العلم بالخلاف) لأن العلم بالإجماع في نظره غير ممكن، فإذا لم يكن هناك شيء من ذلك عمد إلى القياس، فعمل به مشترطاً أن يكون له أصل معيّن وعمل بالاستدلال، وهو قريب من استحسان الحنفية واستصلاح المالكية، وهو العمل بأقوى الدليلين[1].

وقد دافع دفاعاً مجيداً عن العمل بخبر الواخد الصحيح، فقد أخذ بمرويات غير الحجازيين، إذ لم يشترط إلا الصحة أو الحسن كما قدمنا، وهو لا يحتج بالمرسل إلا مرسل ابن المسيب الذي وقع الاتفاق على صحته، ولم يحتج بأقوال الصحابة لأنها مجرد اجتهاد، ولم يعتبر ترك الحديث من صحابي أو من دونه أو أهل بلد أو قطر قادحاً فيه، إذ من الممكن كون ذلك من عدم الاطلاع[2].

---

(١) إنكار الشافعي الاستحسان ليس مُنْصبّاً على ما ذكرنا بل على التشهّي والهوى.
ر: تفصيل ذلك في كتابنا (نظرية الاستحسان في التشريع الإسلامي) ونشأة الفقه الاجتهادي ص/١٠١ وما قبلها.

(٢) هو ثالث الأربعة في القدم، وكان ظهوره بمصر أولاً ثم بالعراق والشام، والمغرب بعد سنة ٣٠٠ هـ. ر: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ص/٧٥ وما بعدها.

جـ ـ المذهب الحنبلي:

المذهب الحنبلي منسوب إلى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل السنّة، ويستقي هذا المذهب أصوله من الحديث مباشرة، لأن مؤسسه الإمام أحمد قد غلب عليه الاشتغال بالحديث، وقد عدّه بعضهم محدّثاً لا فقيهاً، لكن الإمام أحمد لم ينصف في هذا الاعتبار، فالفقه الحنبلي فقه خاص قوي حيّ واسع الرحاب في باب التعامل، يأخذ بالإباحة عند عدم وجود الأدلة المعتبرة، ويخضع الفتوى للعُرف في غير مواضع النصوص والآثار، ويقدّم الأثر عند وجوده، وعلى هذا يكون طابع هذا الفقه ما يلي:

١ ـ أنه فقه حديث وأثر في الدرجة الأولى، وقد وضع الإمام أحمد في ذلك المُسْنَد.

٢ ـ أنه عمل بالرأي على قلّة لكثرة الآثار.

٣ ـ أنه عمل بالرأي حين الاحتياج إليه بأوسع معانيه من قياسٍ واستصلاحٍ، مع تقدير تطورات الأزمان والأعراف وما يكون لها من تأثير في الأحكام[١].

أصول الحنابلة:

مسلك الإمام أحمد في الاجتهاد قريب من مسلك الإمام الشافعي لأنه تفقّه عليه ومنه أخذ وهو مبني على خمسة أصول:

١ ـ الأول: النصوص: القرآن والحديث المرفوع، فإذا وجده أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائناً من كان، ولم يقدّم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صحابي ولا عدم العلم بالمخالف المسمى (إجماعاً) فلم يسغ تقديمه على الحديث الصحيح.

---

(١) نشأة الفقه الاجتهادي وأطواره ص/١٠٢ ـ ١٠٣ وتاريخ التشريع ص/٢٦١ والأعلام ج١/١٩٢.

٢ ـ الثاني: فتاوى الصحابة: فإذا وجد لأحدهم فتوى لا يعرف منهم مخالفاً فيها لم يعدل عنها إلى غيرها و لم يقل أن ذلك إجماع، ولا يقدّم على هذا عملاً ولا رأياً ولا قياساً.

٣ ـ الثالث: إذا اختلف الصحابة تخيّر من أقوالهم أقربها إلى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم، فإن لم يتبيّن له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف و لم يجزم بقول.

٤ ـ الرابع: الأخذ بالمرسل والضعيف[1] إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه من أثر أو قول صحابي أو إجماع على خلافه، فإذا كان كذلك كان العمل به عنده أولى من القياس.

٥ ـ الخامس: القياس وهو عنده مستعمل للضرورة بحيث إذا لم يجد حديثاً ولا قول صحابي ولا مرسلاً ولا ضعيفاً قال به، ويتوقف إذا تعارضت الأدلة وكان شديد الكره والمنع للفتوى في مسألة ليس فيها أثر عن السلف ويسوّغ إفتاء فقهاء الحديث ويدلّ عليهم، ويمتنع عن إفتاء من يعرض عن الحديث[2].

---

(١) ليس المراد عنده بالضعيف الباطل ولا المنكر ولا ما في روايته متّهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه، بل هو عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن و لم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف بل صحيح وضعيف، والضعيف عنده مراتب اهـ. ر: نشأة الفقه الاجتهادي ص/١٠٢ وما بعدها.

(٢) م.ن ـ ص.ن قلت: ((وقد ظهر هذا المذهب ببغداد ثم انتشر بكثير من بلاد الشام ثم ظهر في بلاد نجد وانتشر بها وضعف في بقية البلدان ر: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة ص/٨٨ وما بعدها.

ثالثاً ـ أسباب اختلاف المجتهدين:

إنّ اختلاف المجتهدين في الفروع الفقهية بعد اتفاقهم في طريقة الاجتهاد ومصادره الأصلية كان نتيجة حتمية لفتح باب الاجتهاد وإباحته لهم وإثباتهم عليه، سواء أصابوا أم أخطؤوا، وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم في اجتهاداتهم مع قربهم من عصر النبوة وتلقيهم الهدى عن صاحب الرسالة، وإن كان خلافهم لم تبعد شقته ولا تثريب عليهم في هذا الاختلاف لأنه يرجع لأسباب[1] لا يد لهم فيها ولا قدرة لهم على تفاديها، ونجملها فيما يلي:

١ ـ اختلافهم في فهم معاني الألفاظ من الكتاب والسنّة لتردُّدِها بين الحقيقة والمجاز والاشتراك وما إليه.

٢ ـ السنّة: فقد يصل أحدهم الحديثُ ولا يعلم به الآخر، أو يصل إليه من طريق غير صحيح فيتركه، وقد يصل إليهما من طريق واحد، ولكن أحدهما يشترط في قبول الحديث شروطاً لم يشترطها الآخر فيعمل به أحدهما ويتركه الآخر.

٣ ـ اختلاف مسالكهم في ا لجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة ظواهرها.

٤ ـ اختلاف طرائقهم في الأخذ بالقياس.

٥ ـ اختلافهم في فهم الأدلة والاعتماد عليها كالاستحسان والاستصلاح والاستصحاب وقول الصحابي وما إليه.

٦ ـ اختلافهم في بعض القواعد التي يتوقف عليها استنباط الأحكام مثل:

- أن دلالة العام قطعية أو ظنية.
- وأن مفهوم المخالفة حجّة أو ليس بحجة.
- ومتى يحمل المطلق على المقيّد ومتى لا يحمّل.

---

(١) ر: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية لأحمد تيمور باشا في مواضع متفرقة، ونشأة الفقه الاجتهادي للسايس ص/٩٤ وما بعدها.

إلى غير ذلك من المبادىء المذكورة في أصول الفقه.

وأخيراً، فمن محاسن الشريعة المحمدية المطهّرة اختلاف المجتهدين فيما يصلون إليه من الأحكام، فإن الله أراد الرحمة لعباده، والتوسعة عليهم فيكون من لم يتأهل للاجتهاد في حلّ من أن يأخذ برأي من يشاء. قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ((ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق، وأنهم أئمة يقتدى بهم، فلو أخذ رجل بأحدهم لكان سنّة))(1).

* * *

ذيل البحث: مذاهب غير الجمهور والمذاهب المنقرضة:

أ ـ مذاهب الشيعة:

اشتهر في هذا الدور للشيعة مذهبان: الشيعة الزيدية والشيعة الإمامية.

١ ـ فأما الزيدية: فإنهم ينتسبون إلى سيدنا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ومن أصول هذا المذهب اشتراط الاجتهاد في أئمتهم، ولذلك كثر فيهم الأئمة المجتهدون أصحاب الآراء في الفقه.

٢ ـ أما الشيعة الإمامية الإثنا عشرية: فأكبر أئمتهم في هذا الدور الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق ولد سنة /٨٠/هـ وأبوه أبو جعفر محمد الباقر رضي الله عنهما، وهما اللذان يدور عليهما فقه الإمامية.

وهذا المذهب مؤسَّسٌ على القول بعصمة الأئمة، وأن علياً رضي الله عنه وصيّ رسول الله ﷺ، أفضى إليه بظاهر الشريعة وخافيها، وهو أفضى بها إلى من خَلَفَهُ في الإمامة، ولذلك كانت أقوال الأئمة عندهم كنصوص من قبل

---

(1) ر: نشأة الفقه الاجتهادي للسايس ص/١٠٤ وما بعدها.

الشرع، وأن الأحكام لا تنال بالاجتهاد والرأي، وإنما تنال من الإمام المعصوم، ولذلك ليس من الأصول عندهم الإجماع العام والقياس، أما الإجماع فلأنه لا أثر لقول من ليس من الأئمة، وأما القياس فلأنه رأي والدين لا ينال بالرأي[1].

ب ـ المذهب الإباضي:

وهو يتبع في الأصول الإمام جابر بن زيد التابعي، وفي الفروع الإمام الفقيه عبد الله بن إباض، وهو من تلامذة الإمام جابر بن زيد وجابر من تلامذة ابن عباس رضي الله عنهما، والمذهب الإباضي لازال باقياً له أتباع في بعض بلاد العالم الإسلامي ولاسيما ليبيا وعُمان.

جـ ـ المذاهب المنقرضة:

من مذاهب الفقهاء من وجد له أتباعاً ساروا عليه مدّة، ثم غلبه ماورد عليه من المذاهب الأخرى فانقرض أتباعه، وأشهر أئمة هذه المذاهب:

١ ـ الإمام الأوزاعي: أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعي، انتشر مذهبه في الشام والأندلس، ثم غلب عليه المذهب الشافعي في الشام، والمذهب المالكي في الأندلس، في منتصف القرن الثاني، توفي سنة /١٥٧/هـ.

٢ ـ الإمام داود الظاهري: أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري توفي سنة ٣٢٤هـ، وقد استمر مذهبه متّبعاً إلى منتصف القرن الخامس ثم اضمحل، وله آراء خالف فيها الجمهور نتجت من ترك القياس والرأي والعمل بظواهر النصوص.

٣ ـ الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، استمر مذهبه معروفاً معمولاً به إلى منتصف القرن الخامس ثم اندثر.

٤ ـ الإمام الليث بن سعد إمام أهل مصر وصديق مالك، وهنالك غيرهم[2].

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/٢٦١ وما بعدها. وتاريخ الفقه الإسلامي للمؤلف.

(٢) ر: تاريخ التشريع ص/٢٦٥ وما بعدها. وتاريخ الفقه الإسلامي/ مفرّقاً.

رابعاً ـ علاقة المذاهب الفقهية بالمدارس:

خَلَفَ الرسولَ صلوات الله عليه في تولي الإفتاء من بعده أصحابُه المقربون من فقهاء الصحابة، وفي أواخر القرن الأول الهجري لازم هؤلاء الصحابة الفقهاء في مختلف الأمصار جماعة من التابعين أخذوا عنهم، وهؤلاء التابعون منهم من كان يستفتي ويفتي في حياة الصحابة أنفسهم كسعيد بن المسيِّب بالمدينة وعلقمة وابن جبير بالكوفة، وقد لازم هؤلاء التابعين في حياتهم من تابعي التابعين من تلقوا عنهم ما تلقوه عن الصحابة من الفقه وأسرار التشريع ولازم تابعي التابعين جماعة من طبقة الأئمة المجتهدين ومعاصريهم من رجال الفقه، فلمّا انقرض رجال التشريع من الصحابة، خلفهم تلاميذهم من الأئمة الأربعة المجتهدين وأقرانهم، وبهذا اتصلت حركة الفقه والاجتهاد في الأمصار(١).

وبعد؛ فلقد تكوّنت مذاهب الأمصار وقد ابتدأ الاختلاف في المدائن يتكوّن بالمدارس الفقهية، فكان بالعراق مدرسة فقهية لها منهاج، ثم بالحجاز ثم بالشام، ثم كان للشيعة مدرستهم، ثم صار من بعد ذلك في كل مدرسة رجل بارز التفَّ حوله تلاميذ يمدهم بالرواية والدراية الفقهية، ويخرِّج المرويات ويبني عليها ويدرس الواقعات ويعطيها أحكامها، فكان بالكوفة شيخ القياس أبو حنيفة، وكان بالمدينة شيخها مالك، وكان بالشام شيخه الأوزاعي، وكان بمصر الليث بن سعد، ثم جاءت الطبقة الثانية فكان الشافعي وأحمد وداود، وتتابع من بعدهم الاجتهاد ثم الانحياز المذهبي، فأصبح المجتهد لا يجتهد اجتهاداً مطلقاً، بل يجتهد في دائرة مذهبه(٢).

---

(١) ر: المفصل في الفقه الإسلامي للخضراوي ص/٦٠ وما بعدها.

(٢) ر: تاريخ المذاهب الفقهية ج٢/٥٦.

خامساً - نتائج تكوّن المذاهب:

نتج عن تكوّن المذاهب نتائج ثلاثة:

١ - ظهور الاصطلاحات الفقهية

٢- تفريع المسائل

٣ - تدوين الكتب الفقهية.

١ - ظهور الاصطلاحات الفقهية:

كان القرآن الكريم يطلب ما يريد طلبه بالأساليب العربية لدى الصحابة رضوان الله عليهم، وليس لأسلوب فضل على الآخر في قوة الطلب، بل كلها متساوية في ذلك، وكذلك كانت تطلب السنّة ما تريد طلبه، فلما تمايزت المطلوبات أمام أنظار الفقهاء، اضطروا إلى اختيار أسام تدل عليها، وهي الفرض والواجب والسنة والمندوب والمستحب، وهي أسماء لما طلب فعله حسب درجات الطلب.

٢ - تفريع المسائل:

كان الفقه قبل تكوّن المذاهب على درجة كبيرة من البساطة، لأنه كان قاصراً على إبداء الحكم فيما يقع من النوازل، و لم يكونوا يتوسعون فيبدون حكماً في مسألة يتصورونها، وبتعبير أخصر (كان فقهاً واقعياً).

أما في دور تكوّن المذاهب، فقد توسع الفقهاء في وضع المسائل واستنباط أحكامها وهو ما يسمونه بـ (الفقه الافتراضي) وكان القدح المعلّى في ذلك لأهل

العراق، اعتمدوا كثيراً من قوة التخيل فادى ذلك بهم إلى أن أخرجوا للناس أُلوفاً من المسائل المفترضة[١].

٣ ـ تدوين الكتب في الأحكام[٢]:

جميع من ترجمنا لهم من الأئمة الأربعة دوِّنت لهم كتب تبيِّن ما استنبطوه من الأحكام، وأكثرها دوَّنها تلاميذهم أو من تلقى عن تلاميذهم، وبعضها دوَّنها الأئمة أنفسهم وأملوها على تلاميذهم، وسنبيِّن هنا أهم تلك الكتب التي اعتبرت أساساً لهذه المذاهب[٣].

سادساً ـ تطور التدوين الفقهي:

المطَّلع على نصوص الفقهاء من أول عهود التأليف في الفقه إلى منتصف القرن الثاني الهجري، يجد أن أكثرها بدأ نصوصاً جزئية هي فتاوى لأسئلة توجهت إلى الفقهاء وأحكام في قضايا عرضت على القضاة، ولهذا كان أكثرها واقعياً، والقليل منها مفترضاً[٤]، وقد تذكر الأحكام أجوبة لأسئلة فيذكر السؤال والجواب معاً[٥]، وكانوا في الغالب يذكرون مع الأحكام أدلتها، وقد يذكرون عللها[٦].

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/٢٧٣.

(٢) ر: تاريخ التشريع من ص/٢٨١ إلى ٣١٩.

(٣) ر: كتاب (تاريخ الفقه الإسلامي) للمؤلف.

(٤) ر: الجامع الصغير لمحمد، والمختصر للقدوري.

(٥) ر: المدونة لسُحنون، وأحكام الوقف لهلال الرأي.

(٦) ر:الوجيز للغزالي، والبدائع للكاساني، وتاريخ التشريع ص/٢٣١ وما بعدها.

ثم بدأ التأليف من القرن الرابع يتحول إلى أحكام كلّية مستمدة من أدلتها الكلية ومن عللها[1]. ذلك لأن الأحكام التي يظهر في بادىء الرأي أنها جزئية، هي في الواقع كلية بعللها المقرونة بها، أو هي كلية للنصوص الكلية التي دلت عليها، وأخذ فقهاء هذا الطور يعنون بحدود الموضوعات وتمييز بعضها عن بعض بالأركان والشروط والأسباب والموانع، وتوسعوا في بيان أدلة الأحكام وعللها، مما أتاح لفقهاء المذاهب أن يوسّعوا هذه النصوص، وأن يفرّعوا عليها أحكاماً للحوادث التي لم تقع بعد، وهو المعروف باجتهاد «التخريج» فكان فقهاء كل مذهب يهتدون في ذلك بأصول مذهب إمامهم،، ثم حدث طور ثالث من أول القرن السابع تقدمت فيه الكتابة في الفقه، فرأينا كثيراً من الفقهاء يضعون القواعد (أي الأحكام الكلية التي تشمل الموضوعات المتشابهة). وهؤلاء الفقهاء أمثال القرافي والمالكي والزركشي والسيوطي الشافعيين، وابن نجيم الحنفي، وابن رجب الحنبلي. على أن لهذا التقعيد أصلاً في فقه الأوائل[2]، ورأيناهم كذلك يعنون بوضع الفروق بين الأفعال التي يتوهم التشابه بينها[3].

ثم اتسعت نظرة بعض من نضج فقهه من العلماء، فأخذ يضع القواعد الكبرى، فكان يأتي للموضوع الكلي الذي تندرج تحته موضوعات متشابهة، فيضع له قاعدة يذكر فيها أحكامه من تعريف وأركان وشروط وآثار، مثل الوقف للخصاف وغيره[4].

---

(١) ر: م.ن ـ ص.ن وما بعدها.

(٢) فقد وضع أبو زيد الدّبوسي الحنفي من علماء القرن الخامس كتاباً في القواعد الفقهية سماه تأسيس النظر، ووضع أبو الحسن الكرخي أصولاً مماثلة جمعها له أبو حفص عمر النسفي.

(٣) ر: الأشباه لابن نجيم، والفروق للقرافي.

(٤) والقرافي في الحقوق وفي الذرائع وأصول الأقضية والفتاوي.

ثم جاء على الفقه الإسلامي عصر ساد فيه الفكر التقليدي المغلق، وانصرفت الأفكار عن تلمس العلل والمقاصد الشرعية في فقه الأحكام إلى الحفظ الجاف، والاكتفاء بتقبل كل مافي الكتب المذهبية دون مناقشة، وطفق يتضاءل ويغيب ذلك النشاط الذي كان لحركة التخريج والترجيح والتنظيم في فقه المذاهب، وأصبحت المؤلفات الفقهية إلاّ القليل أواخر هذا العصر اختصاراً لما وجد من المؤلفات السابقة أو شرحاً له، فانحصر العمل الفقهي في ترديد ما سبق ودراسة ألفاظه وحفظها.



المبحث الثاني

التعريف بالمذهب الحنفي

المطلب الأول: مؤسسو الفقه العراقي:

سلسلة العراقيين من ابن مسعود لأبي حنيفة من جهة أبي حنيفة هي (أبو حنيفة عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود) رضي الله عنهم.

أما التراجم لهؤلاء الأئمة، ففي ملحق التراجم الموسّع، نحيلك إليه تيسيراً للبحث وجمعاً للتراجم بعضها إلى جانب بعض.

المطلب الثاني: الإمام أبو حنيفة مجتهداً

أولاً - الشخصية العلمية للإمام أبي حنيفة(1):

لعلّ أبلغ وصف لأبي حنيفة رحمه الله تعالى ما قاله فيه معاصره إمام الشرق والغرب وما بينهما عبد الله بن المبارك على حد قول سفيان بن عيينة: ((كان مخّ العلم)). فهو رضي الله عنه قد أصاب من العلم اللباب، ووصل فيه إلى أقصى مداه، وكان يستنبط المسائل ويستكنه كنهها، ويتعرف أصولها ويبني عليها، ولقد شغل عصره بفكره وعلمه ومناظراته، ولقد اتصف أبو حنيفه بصفات تحلّه في الذّروة العليا من العلماء، وقد اتصف بصفات العالم الحق، الثبت الثقة، البعيد المدى في تفكيره، المطلع على الحقائق، حاضر البديهة تسارع إليه الأفكار.

---

(1) ر: أبو حنيفة لأستاذنا المرحوم العلامة الشيخ محمد أبو زهرة ص/٥٦ وما بعدها.

ثانياً ـ شيوخه ومنهجه العلمي:

قال أبو حنيفة رحمه الله: ((كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولزمت فقيهاً من فقهائهم)) عاش أبو حنيفة في وسط علمي ونشأ فيه وجالس العلماء وأخذ منهم وعرف مناهج بحثهم، ثم اختار من بينهم فقيهاً وجد فيه ما يرضي نزوعه العلمي، فلزمه واختصه بهذه الملازمة مع مذاكرته لكثير من علماء عصره وأخذه عنهم، فيجمع الرواة على أنه كان تلميذاً لحمّاد بن أبي سليمان الذي انتهت إليه مشيخة الفقه العراقي في عصره وأنه تلقى عن غيره.

وشيوخ أبي حنيفة من نحل مختلفة وفرق متباينة، فلم يكونوا جميعاً من فقهاء الجماعة أو أهل الرأي وحدهم، وكان أبو حنيفة يأخذ من كل هذه العناصر ويكرع من كل هذه الينابيع، ثم يخرج منها بفكر جديد ورأي قويم لم يكن من نوعها وإن كان فيه خيرها، وقد انتهى من هذه الدراسات المختلفة التي تلقاها إلى أنه علم فتاوى الصحابة الذين اشتهروا بالاجتهاد وجودة الرأي والذكاء من أهل المنازع العقلية، وممن أوتوا حظاً كبيراً من التفكير العقلي المستقل في ظل الكتاب والسنة المعروفة، وبذلك تعرف أي أثر كان لهذه الفتاوى في نفسه، إذ وجهته ذلك التوجيه العقلي في فهم علل الأحكام وقياس الأشباه بأشباهها فوق ما فيه من نزع عقلي كبير.

أما لقاؤه مع الصحابة، فقد اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً، لكن الذي يميل إليه العلاّمة أبو زهرة ويقرره وهو الأشبه بالحق، أن أبا حنيفة رضي الله عنه التقى ببعض الصحابة الذين امتد بهم العمر إلى عصره، ولكنه لم يرو عنهم[1].

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥، قلت: ((ذهب الدكتور حسن علي الشاذلي إلى ما خلاصته (وقد لقي الإمام أربعة من الصحابة بالاتفاق هم أنس بن مالك الأنصاري وعبد الله بن أبي أوفى وسهل بن سعد الساعدي وأبو الطفيل عامر بن

يتبع ⇐

ومهما يكن الكلام في روايته عن الصحابة، فالعلماء مجمعون على أنه التقى ببعض التابعين، وجالسهم ودارسهم وروى عنهم وتلقّى فقههم، وكانت سنّه تسمح باللقاء والتلقي والرواية، وقد اختلفت مناهج من روى عنهم، فمنهم من اشتهر بالأثر كالشعبي، ومنهم من اشتهر بالرأي وهم كثيرون، وقد أخذ عن عكرمة حامل علم ابن عباس، ونافع حامل علم ابن عمر، وعطاء بن أبي رباح فقيه مكة، ويظهر أنه اتصل بالأخير أمداً غير قصير، أما أبرز شيوخه فهو من لزمه وهو حماد بن أبي سليمان الأشعري بالولاء حامل علم النخعي، والذي تلقى فقهه عن النخعي وعن الشعبي، وهذان الاثنان أخذا عن شريح وعلقمة بن قيس ومسروق بن الأجدع وأولئك تلقوا فقه ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما، وقد أورثا أهل الكوفة بإقامتهما فيها فقهاً كثيراً هو عماد الفقه الكوفي، فبفتاويهما وفتاوى تلاميذهما الذين نهجوا نهجهما، تكوّن ذلك التراث الفقهي العظيم، تلقى حماد فقه إبراهيم النخعي وفقه الشعبي، ولكن يظهر أن الغالب عليه فقه إبراهيم وهو فقه أهل الرأي، لأن الشعبي كان أقرب إلى فقهاء الأثر منه إلى فقهاء الرأي.

لزم أبو حنيفة حماداً ثماني عشرة سنة، وأخذ عنه فقه أهل العراق الذي كانت فيه خلاصة فقه علي وابن مسعود، وأخذ عنه بالذات فتاوى النخعي، حتى لقد قال الدهلوي: (إن المعين للفقه الحنفي هو أقوال إبراهيم النخعي).

⇐

واثلة. فحياة هؤلاء الأربعة في أول عهد أبي حنيفة ولقاؤه بهم متفق عليه بين المحدثين، واختلف في رؤيته لستة من الصحابة، أما الرواية عن الصحابة فمختلف فيها) ر: /الإمام أبو حنيفة/ للدكتور حسن علي الشاذلي - مذكرة في قسم الدراسات العليا من ص/٦ - ١٢.

ومع ملازمته لحماد وتلمذته له كان يأخذ عن غيره، ثم بعد وفاة حماد لم ينقطع عن الدرس والتحصيل يتعلّم ويعلّم، وفي موسم الحج وفي رحلاته إلى مكّة كان يأخذ عن علمائها، ويتخذ من الحج سبيلاً للتزود من العلم والحديث والإفتاء، كما اتخذ منه زاداً للتقوى.

وعن عطاء في مدرسة مكّة أخذ علم ابن عباس الذي ورثه عنه، كما أخذ عن عكرمة مولى ابن عبّاس الذي ورث علمه، وأخذ علم ابن عمر وعلم عمر عن نافع مولى ابن عمر، وهكذا اجتمع له علم ابن مسعود وعلم علي عن طريق مدرسة الكوفة، وعلم عمر وابن عبّاس بمن التقى بهم من تابعيهم رضي الله عنهم عن طريق مدرسة الحجاز، وهكذا تلقى فقه الجماعة الإسلامية بشتى منازعها، وإن كان قد غلب عليه تفكير أهل الرأي، بل عدّ شيخ أهل الرأي.

وهو بعد هذا كله أخذ عن أئمة وعلماء كثيرين من شتى الفرق أخذ لقاءات عابرة ومقابلات من غير ملازمة[1].

ولعل مما ساعد أبا حنيفة على إنتاج هذا التراث العظيم حياته ودراسته وتجاربه التي جعلت منه فقيه العراق الأول، فنشأته التجارية ومزاولته لها طوال حياته، جعلته عليماً بالصفق في الأسواق وأحوال البياعات وبالعرف التجاري، فكانت تجاربه في السوق هادية له مرشدة تجعله يتكلم في معاملات الناس وأحكامها كلام الخبير الفاهم، ولعله من أجل ذلك جعل للعرف مكاناً في تخريجه الفقه عند عدم توفر النصوص، ولعل تلك الخبرة هي التي جعلته يحسن التخريج بالاستحسان، وماذاك إلا لإدراكه لدقيق المسائل وصلتها بالناس ومعاملاتهم وأغراضهم، فإن استحسن فإنما يأخذ مادته من دراساته لأحوالهم مع دراسات أصول الشرع ومصادره، ولعل رحلاته أيضاً ـ فقد كان كثير الرِّحلة ـ في الحج

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٧٢ وما بعدها.

وغيره كانت علميةً يحيط بها خُبراً بمعاني الآثار ودقائق الأخبـار، ويعـرض فتاويـه ويستمع إلى نقدها فيُمحِّصها ويعرض مواضع ضعفها، إلى ما تفيده الرحلات مـن فتق للذهن ومعرفة بالبلاد المختلفة، فيحسن التخريـج في المسـائل الفقهيـة ويحكـم تصورها والإلمام بأحكامها.

هذا ولشخصيته الكلامية(١) أثر كبير، فلقد كان رجلاً نظّاراً أُغرم بالمناظرة منذ شب في طلب العلم، فأرهفت المناظرات العلمية تفكيره وعمّقت مداركه، ثـم كانت مناظراته في الفقه في رحلاته الـتي جعلتـه يطّلـع علـى آثـار لم يكـن يعرفهـا وأوجه للقياس لم يكن قد تنبّه إليها، وفتاوى للصحابـة لم يكـن اطلـع عليهـا، أمـا طريقته في درسه فتشبه المدارس لا الإلقاء، فيجعل من تلاميذه مناظرين لا متلقّـين، واستمرار أبي حنيفة على هذا النحو من المدارسة جعله طالبـاً للعلـم إلى أن مـات، فكان علمه في نموّ متواصل وفكره في تقدّم مستمر، فكـان إذا عـرض لـه الحديـث تعرّف أوجه العلة للأحكام التي يشتمل عليها وناقشهم، ثم يفرّع المسائل مـا يـراه متفقاً مع الأصل في العلة، ويعدّ ذلك هو الفقه، وكان يواسي أصحابه بماله وينظـر إلى نفوسهم فيربيّها، ويزيل عنها الغرور ويتعهدهم بالنصيحة الجامعة(٢).

والحق أن أبا حنيفة قد أتى فأنضج الفقه العراقي وأوفى فيه علـى الغايـة و لم يقتصر على ماوجد، بل سلك طريقاً ابتداه غيره وسار هـو إلى آخـر الـدرب، ولا شك أن آراء إبراهيم النخعي المنقولة إليه عن طريق حماد، كـان لهـا تأثـير كبـير في تكوين منطق أبي حنيفة الفقهي، وأنها هي التي فتحت له عـين الفقـه، لكـن ليـس فقهه كله مستمداً من فقه إبراهيم، نعم إن إبراهيم كان فقهه معيناً استقى منه، بل كان أعظم الينابيع أثراً في تكوينه، ولكنه لم يكن مقامه منه مقام المقلّد المتبّـع، بـل

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٧٥ و٧٦.

(٢) ر: م.ن ـ ص/٧٧.

مقام المجتهد المختار، على أنه مما لا مجال للريب فيه أنهما الشخصيتان البارزتان في تكوين الفقه العراقي، وأن منطقهما الفقهي متحد اتحاداً كبيراً، وهو من قبيل الاتحاد في التفكير أو هو من قبيل المشاكلة والاتفاق العقلي، وليس اتحاداً في الآراء لأنه من قبيل الاتباع والتقليد، وهو ما لم يرتضه أبو حنيفة لنفسه، ولكن مع هذه الموافقة في المنحى الفقهي للرجلين، نجدهما يفترقان في أمرين بارزين (أحدهما) أن أبا حنيفة أخذ كثيراً من فقه مكة والمدينة، ولم يمتنع عن التحديث عن رسول الله صلوات الله عليه. (وثانيهما) أن أبا حنيفة كان يكثر من التفريع، ويأخذ بالفقه التقديري، ولا يقتصر على ما يسأل عنه، وإبراهيم في كلتا النقطتين هاتين مفارق لأبي حنيفة[1].

أما فقه أبي حنيفة فلا يؤخذ إلاّ عن طريق أصحابه ودراسة كتبهم، إذ لم يترك لنا كتاباً في الفقه مدوّناً من كتابته وتدوينه كما فعل مالك والشافعي، بل ما نقل من ذلك المقصود منه أن تلاميذه دونوا أقواله بإشراف منه ومراجعته أحياناً[2].

ثالثاً ـ الأصول التي بنى عليها أبو حنيفة فقهه:

الأصول التي يذكرها الحنفية على أنها أصول المذهب الحنفي، أو الأصول التي بنى عليها أئمته استنباطهم ليست من وضع أئمته، بل هي من وضع العلماء في المذهب الذين جاؤوا بعد عصر الأئمة وتلاميذهم الذين اتجهوا إلى استنباط

---

(١) ر: م.ن ـ ص/٢٢٦ وما بعدها.

(٢) لم يترك الإمام أبو حنيفة كتاباً مدوناً في الفقه، كما يظهر، بل ترك كتباً وعظية وكلامية كالعالم والمتعلم والفقه الأكبر اللذين ينسبان إليه، أما المسند فهو على الأرجح جامع مسندي أبي يوسف ومحمد بروايتهما عن أبي حنيفة اهـ. ر: أبو حنيفة ص/١٩٠ وما بعدها.

القواعد التي يضبط بها استنباط فروع المذهب، فهي جاءت متأخرة عن الفروع، ومع ذلك فلا بد من ملاحظة أمور ثلاثة:

١ ـ أن أبا حنيفة وإن لم يؤثر عنه أصول مفصلة للأحكام التي استنبطها، لابد أن تكون له أصول لاحظها عند استنباطه وإن لم يدونها كما لم يدون فروعه، فإن التماسك الفكري بين هذه الفروع المأثورة الذي يستبين عند ترديد النظر، يكشف عن فقيه كان يقيد نفسه بقواعد لا يخرج عن حدودها ولا يتجاوزها، وكونه لم يدونها ليس دليلاً على عدم وجودها، فإنه لم يدون الفروع التي رواها أصحابه عنه، ثم كون أصحابه لم ينقلوها عنه ليس دليلاً على عدم قيامها، فإنهم لم ينقلوا كل أدلته، بل لم ينقلوا إلا القليل منها، وإن كان التفريع يعلن في كثير من الأحيان عن مناط الاستنباط.

٢ ـ أننا نستطيع تقسيم أصول الحنفية إلى قسمين: قسم ينسبونه إلى الأئمة على أنه القواعد التي لاحظوها عند الاستنباط، وهذا يذكرون فيه الفروع الدالة على صحة القاعدة أو على تحقيق صحة نسبتها، والقسم الثاني آراء فقهاء المذهب الحنفي، والقسم الأول تجب العناية به عند التصدي لدراسة الأصول التفصيلية لآراء أبي حنيفة.

٣ ـ أن أبا حنيفة قد أُثرت عنه قواعد عامة للاستدلال إجمالاً تفيد في معرفتنا الأدلة الفقهية عنده، وهي كما يبدو من هذه القواعد الاستدلالية سبعة:
١- الكتاب ٢- السنّة ٣- أقوال الصحابة ٤- الإجماع ٥- القياس ٦- الاستحسان ٧- العُرف(١). وإليك البيان:

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٦/، وقال سهل بن مزاحم عن أبي حنيفة: ((يمضي الأمور على القياس، فإذا قبح القياس يمضيه على الاستحسان مادام
يتبع ⇐

تفصيل اصول منهاج أبي حنيفة في استنباط الفقه:

١ ـ الكتاب:

وهو عمود الشريعة وحبل الله المتين، ونور الشرع الساطع إلى يوم القيامة. وهو كلي الشريعة إليه ترجع أحكامها وهو مصدر المصادر لها، وما من مصدر إلا يرجع إليه في أصل ثبوته.

٢ ـ السنّة:

وهي المبينة لكتاب الله المفصلة لمجمله، وهي تبليغ النبي صلوات الله عليه رسالة ربه ومن لم يأخذ بها فإنه لا يقر التبليغ لرسالة ربه.

٣ ـ أقوال الصحابة:

لأنهم هم الذين بلّغوا الرسالة وهم الذين عاينوا التنزيل، وهم الذين يعرفون المناسبات المختلفة للآيات والأحاديث المسماة فيما بعد (بأسباب النزول وأسباب الورود) وهم الذين حملوا علم الرسول صلوات الله عليه إلى الأخلاف من بعده، وليست أقوال التابعين لها هذه المنزلة، لأنه فرض في أقوال الصحابة أنها كانت بالتلقي عن الرسول صلوات الله عليه، و لم تكن بالاجتهاد المجرد، وأن بعض أقوالهم أو أكثرها مبنية على أقوال النبي صلوات الله عليه، وإن لم يرووا الأقوال ويرفعوها فإن فقهاء الصحابة لم يرووا أحاديث عن النبي ﷺ بمقادير تتناسب مع طول صحبتهم وملازمتهم له، فلا بد أنهم كانوا يفتون بأقوال النبي ﷺ من غير

⇐

يمضي له، فإذا لم يمض له رجع إلى مايتعامل المسلمون به)) اهـ. ر: تاريخ التشريع ص/٢٣٢.

أن ينسبوها إليه، خشية الكذب عليه ﷺ، ويظهر ذلك جلياً فيما لا يعرف بالرأي من الوقائع.

٤ ـ القياس:

فهو يأخذ بالقياس[١] إذا لم يكن نص أو قول لصحابي، والقياس في حقيقته حمل على النص بأن تتعرف الأسباب والأوصاف المناسبة للحكم الذي نص عليه، حتى إذا عرفت علته طبق الحكم في كل موضع تنطبق فيه العلة، ولقد سماه البعض تفسيراً للنصوص، وأبو حنيفة قد بلغ في الاستنباط بالقياس الذروة، وبه بلغ ما بلغ من المرتبة الفقهية، ولاسيما في الفقه التقديري[٢].

٥ ـ الاستحسان[٣]:

وقد كان أبو حنيفة فيه الإمام المجلّي، بل هو فيه نسيج وحده، حتى قال فيه محمد بن الحسن رحمه الله ((إن أصحابه كانوا ينازعونه المقاييس، فإذا قال

---

(١) هو (بيان حكم أمر غير منصوص على حكمه بأمر معلوم حكمه بالكتاب أو السنة أو الإجماع لاشتراكه معه في علة الحكم) اهـ. أبو حنيفة ص/٣٢٤.

(٢) وهو أن يبحث المجتهد عن العلة، فإذا وصل إليها أخذ يختبرها ويفرض الفروض ويقدر وقائع لم تقع ليطبق عليها العلة التي وصل إليها، فيقدر وقائع لم تقع ثم يذكر حكمها، وهذا لاختبار العلة التي وصل إليها اهـ. ر: تاريخ المذاهب الفقهية ج٢/١٦٢.

(٣) هو أن يخرج المجتهد عن مقتضى القياس الظاهر إلى حكم آخر يخالفه، إما لأن القياس الظاهر قد تبين من الاختبار عدم صلاحيته في بعض الجزئيات، فيبحث عن علة أخرى، ويسمى العمل بموجب هذه العلة (القياس الخفي)، وإما لأن القياس الظاهر قد عارضه نص، فإنه يترك لأجل النص، لأن العمل بموجب القياس يكون إذا لم يكن نص، وإما لأن القياس خالف الإجماع أو خالف العرف، فإنه يترك القياس ويؤخذ بما انعقد عليه الإجماع أو العرف. اهـ.
ر: تاريخ المذاهب الفقهية ج٢/ ١٦٣.

استحسن لم يلحق به أحد، ولقد كان يقيس ما استقام له القياس و لم يقبح، فإذا قبح القياس استحسن ولاحظ تعامل الناس)).

هذا وأحسن تعريف للاستحسان فيما يبدو لي هو تعريف الكرخي: ((أن يعدل المجتهد عن أن يحكم في المسألة بمثل ما حكم به في نظائرها لوجه أقوى يقتضي العدول عن الأول[1])).

٦ ـ الإجماع:

هو (اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر على الحكم في أمر من الأمور). وهو في ذاته حجة بفرعيه عند الحنفية الإجماع القولي والإجماع السكوتي، لكنه في الأول قطعي وفي الآخر ظني عندهم، وقد اختلف في وجوده بعد عصر الصحابة.

٧ ـ العُرف:

وهو (أن يكون عمل المسلمين على أمر لم يرد فيه نص من القرآن أو السنة أو عمل الصحابة) فإنه فيما وراء النص، والمقصود بالعرف هنا هو العرف العام الصحيح[2] الذي لا يخالف النصوص والأدلة السابقة.

الأصول العامة للمذهب الحنفي:

يستقي هذا المذهب أصوله من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقد سيّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيام خلافته إلى الكوفة في العراق، فأقام بها يأخذ عنه أهلها وهو معلمهم وقاضيهم، وكان ابن مسعود مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في قضائه وفتواه يعتمد الرأي المستند إلى روح

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٣٤٤.

(٢) تاريخ المذاهب ج٢/١٦٣ وأبو حنيفة ص/٣٥٠ و٣٥٢.

الشريعة، وقلما كان يروي الحديث، ولعل هذه النزعة عنده في الإقلال يفسرها نهي عمر رضي الله عنه الأصحاب الذين قصدوا العراق عن رواية الحديث، فقد روى قرظة بن كعب قال رضي الله عنه ((خرجنا نريد العراق فمشى عمر معنا إلى حرار، ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا، فقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دويٌّ بالقرآن كدويِّ النحل، فلا تصدعوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جوِّدوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا: حدِّثنا، قال: نهانا عمر بن الخطاب[1])). وثمة سبب وجيه آخر لم يفطن له كثير من الباحثين، وهو كثرة الفرق والأحزاب في العراق، والكذب من جراء ذلك على النبي ﷺ، ووضع الحديث بكثرة في العراق، وعدم ذلك في بقية الأمصار.

---

(١) هذا الحديث الذي رواه قرظة بن كعب لا يدل على قلة الحديث في الكوفة، بل عنى خشية عمر رضي الله عنه على القرآن أن يختلط بالسنة، لاسيما أنه لم يكن القرآن قد دُوِّن بشكل كلي، أما الكوفة فقد كثر فيها بعد ذلك الحديث والرواية، ومما يدل على اتساع الكوفة في الرواية والدراية في تلك الطبقة، خلافاً لما توهمه البعض من المتسرعين خبران:

الأول: قال أبو محمد الرامهرمزي في الفاصل: حدثنا الحسين بن نبهان ثنا حفص بن غياث عن أشعث عن أنس بن سيرين قال: (أتيت الكوفة فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث وأربع مائة قد فقهوا) اهـ. ففي أي مصر من أمصار المسلمين غير الكوفة تجد هذا العدد العظيم للمحدثين والفقهاء؟.

والثاني: وقال الرامهرمزي عن عفان: قال: ((قدمنا الكوفة فأقمنا أربعة أشهر، ولو أردنا أن نكتب مائة ألف حديث لكتبناها، فما كتبنا إلا قدر خمسين ألف حديث)) أفتعد الكوفة بعد ذلك قليلة الحديث؟ والبخاري يقول: (ولا أحصي مادخلت الكوفة في طلب الحديث) اهـ. ر: فقه أهل العراق ص/٥٠ وما بعدها.

فلهذه الأسباب متضافرة تشدد أهل العراق في قبول السنّة، وأكثروا من الأخذ بالرأي والاجتهاد، وجاء أبو حنيفة رحمه الله، وكان ممن تتلمذ على تلامذة تلاميذ ابن مسعود، فأقام مذهبه الذي عرف به، وهو في الحقيقة مذهب العراقيين الذي انتشر في العراق، وعرف من قبل بمذهب أهل الرأي، ويحمل في ثناياه طابع فقه ابن مسعود رضي الله عنه.

وكان للتشدد في رواية السنة في العراق، لذلك العهد، مدعاة لتبريز المذهب الحنفي في الرأي[1] وإبداعه في الاجتهاد، وما يتبع ذلك من طريقة التفريع وتوليد المسائل الكثيرة من أصولها، والاستدلال بالعدالة والمصلحة وإلحاق الشبيه بالشبيه، وبيان ما بين المسائل من فروق وموافقات، والمناظرات المذهبية وتأليف الحجج، وهذا ما جعل المذهب الحنفي يطبع منذ ظهوره بالطوابع التالية:

أ ـ التشدد في قبول الحديث والرواية لما ذكرنا.

ب ـ كثرة الأخذ بالرأي[2] عند عدم وجود النص، أو عند غموض معناه وكثرة احتمالاته.

جـ ـ القول بالرأي مع تقدير تطورات الأزمان والأعراف، وما يكون لها من تأثير في الأحكام.

وخلاصة أصول مذهبهم ما ذكره الإمام أبو حنيفة في طريقته في الاستنباط قال: «إني آخذ بكتاب الله إذا وجدته، فما لم أجده فيه أخذت بسنّة رسول

---

(١) ر: تاريخ التشريع ص/٢٣١ وما بعدها.

(٢) ر: فقه أهل العراق وحديثهم من ص/ ١٧ ـــ ٢٣ فانظر في ذلك رداً للمرحوم الكوثري على من ينعت الحنفية بأهل الرأي، والحقيقة أن كلام الكوثري صحيح بالنسبة لما بعد نشوء المذاهب كما ذكر الأستاذ أبو زهرة في أبي حنيفة ص/٩٣ وما بعدها، وبعد تدوين المذاهب لم يبق لكلمة أهل الرأي إلا العلَمية فقط. ر: فقه أهل العراق وحديثهم ص/٢٠ وما بعدها.

الله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت في أيدي الثقات، فإذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت، ثم لا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب... (وعدّد رجالاً قد اجتهدوا) فلي أن أجتهد كما اجتهدوا)).

غير أن هناك أشياء اختلفت فيها وجهة النظر بين أبي حنيفة وغيره من المجتهدين، ترجع إلى الاحتياط والتثبت فيما يروى من الأحاديث والآثار... فمن ذلك ما اشترطه من كون الحديث مشتهراً في أيدي الثقات، وألا يعمل الراوي بخلاف ما روى، وألا يكون فيما تعم به البلوى، وقد يترك القياس لضرورة أو أثر، أو يقوم عليه الأخذ بأصل عام أو قياس أرجح منه ويسمي ذلك استحساناً.

المطلب الثالث: أئمة المذهب الحنفي:

أولاً ـ أصحاب الإمام أبي حنيفة(١):

أما تلاميذه الذين انتسبوا إليه انتساب المتعلّم للمعلّم، وكانت لهم اليد الطولى في تفريع الفروع وإعداد الجواب عنها، فأشهرهم:

١ ـ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد سنة /١١٣/هـ ولمّا شبّ، اشتغل برواية الحديث، فروى عن هشام بن عروة وأبي إسحاق الشيباني وعطاء بن السائب وطبقتهم، ثم تفقه أولاً بابن أبي ليلى، ثم انتقل إلى أبي حنيفة رحمه الله، فكان أكبر تلاميذه وأفضل معين له، وهو أول من صنّف

---

(١) تاريخ التشريع من ص/٢٣٣ إلى ٢٣٥.

الكتب على مذهبه، وأملى المسائل ونشرها وبث علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، وأثنى عليه كثير من المحدثين كابن معين وغيره ت/١٨٣/هـ.

٢ - زُفر بن الهذيل بن قيس الكوفي، ولد سنة /١١٠/هـ، كان من أهل الحديث ثم غلب عليه الرأي، كان أقيس أصحاب أبي حنيفة، كانوا يقولون: ((إنّ أبا يوسف أتبعهم للحديث، ومحمداً أكثرهم تفريعاً، وزُفر أقيسهم)). ظل حياته مشتغلاً بالعلم والتعليم حتى مات سنة /١٥٨/هـ.

٣ - محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني مولاهم، ولد بواسط سنة /١٣٢/هـ، ونشأ بالكوفة ثم سكن بغداد وطلب العلم في صباه، فروى الحديث وأخذ عن أبي حنيفة طريقة أهل العراق، ولم يجالسه كثيراً، لأن أبا حنيفة توفي ومحمد حدث، فأتم تعلم المذهب على أبي يوسف، وكان في محمد عقل وفطنة فنبغ نبوغاً عظيماً، وصار المرجع لأهل الرأي، وعنه أخذ مذهب أبي حنيفة، فإن الحنفية ليس بأيديهم إلا كتبه، وقد قابله الشافعي رحمه الله ببغداد وقرأ كتبه ورواها عنه، وناظره في كثير من المسائل، توفي محمد بن الحسن سنة /١٨٩/هـ وهو مصاحب للرشيد.

٤ - الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي مولى الأنصار وهو من تلاميذ أبي حنيفة، ولكن كتبه وآراءه ليس لهما من الاعتبار ما لكتب محمد وآرائه، ودرجته عند أهل الحديث ليست كأصحابه الثلاثة، توفي سنة /٢٠٤/هـ.

ثانياً - تلاميذ الأصحاب:

ومن تلاميذ أصحاب أبي حنيفة الذين نقلوا كتبهم[١]:

---

(١) تاريخ التشريع من ص/٢٣٦ إلى ٢٣٩.

١ ـ إبراهيم بن رستم المروزي، تفقه بمحمد بن الحسن وسمع مالكاً وغيره، وله النوادر كتبها عن محمد توفي سنة /٢١١/هـ.

٢ ـ أحمد بن حفص المعروف بأبي حفص الكبير البخاري، تفقه بمحمد بن الحسن وروى عنه كتباً.

٣ ـ بشر بن غياث المريسي، تفقه بأبي يوسف وكان أخص أصحابه وكان ذا ورع وزهد، توفي سنة (٢٢٨) هـ وله تصانيف وروايات كثيرة عن أبي يوسف وأقواله غريبة ومردودة.

٤ ـ بشر بن الوليد الكندي، تفقه بأبي يوسف وروى عنه كتبه وأماليه، وولي القضاء ببغداد في زمن المعتصم، توفي سنة /٢٣٨/هـ وكان واسع الفقه متعبداً.

٥ ـ عيسى بن أبان بن صدقة القاضي، تفقه بمحمد بن الحسن وبالحسن بن زياد، وكان من رجال الحديث، توفي بالبصرة سنة /٢٢١/هـ.

٦ ـ محمد بن سماعة التميمي، حدّث عن الليث بن سعد وتفقه بأبي يوسف ومحمد و الحسن بن زياد، وكتب النوادر عن أبي يوسف، ولد سنة/١٣٠/هـ، وتوفي سنة /٢٢٣/هـ، وولي القضاء للمأمون بغداد سنة /١٩٢/هـ.

٧ ـ محمد بن شجاع الثلجي، تفقه بالحسن بن زياد وبرع في العلم وكان فقيه العراق في وقته والمقدّم في الفقه والحديث مع ورع وعبادة، توفي سنة /٢٦٧/هـ، وله كتاب تصحيح الآثار وكتاب النوادر وغيرهما، وهو ضعيف الرواية عند أهل الحديث.

٨ ـ أبو سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني، أخذ الفقه عن محمد وكتب مسائل الأصول والأمالي، توفي بعد المائتين.

٩ ـ هلال بن يحيى بن مسلم الرأي البصري، قيل له هلال الرأي لسعة علمه وكثرة فهمه، تفقه بأبي يوسف وزُفر وله مصنّف في الشروط وأحكام الوقف توفي سنة /٢٤٥/هـ.

١٠ ـ أبو جعفر أحمد بن أبي عمران قاضي مصر، تفقه بمحمد بن سماعة وهو أستاذ أبي جعفر الطحاوي، توفي سنة /٢٨٠/ هـ، صنف كتاباً يقال له (الحُجج).

١١ ـ أحمد بن عمر بن مهير الشهير بالخصاف، أخذ عن أبيه عن الحسن بن زياد، كان فرضياً حاسباً عارفاً بمذاهب أبي حنيفة، صنّف كتباً منها الخراج والوصايا والشروط والوقف، توفي سنة /٢٦١/ هـ.

١٢- بَكّار بن قُتيبَة بن أسد القاضي المصري، ولد بالبصرة عام /١٨٢/هـ، وتفقه بهلال الرأي، وكان أفقه أهل زمانه في المذهب، صنّف كتباً منها الشروط والمحاضر والسجلات والوثائق والعهد، وكتاباً جليلاً نقض فيه على الشافعي رده على أبي حنيفة، توفي سنة /٢٧٠/هـ[1].

١٣ ـ أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي، أخذ الفقه عن عيس بن أبان وهلال، وله كتاب المحاضر والسجلات وكتاب أدب القاضي وكتاب الفرائض، توفي سنة /٢٩٢/ هـ.

١٤ ـ أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي، أخذ الفقه عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه عن جده وعن أبي علي الدقاق عن موسى بن نصير عن محمد، قتل في وقعة القرامطة مع الحجيج سنة /٣١٧/هـ.

١٥ ـ إمام المتأخرين من أئمة المذهب أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ولد سنة /٢٣٠/هـ وقرأ أولاً على المزني تلميذ الشافعي رحمه الله، وهو خاله، ثم انتقل عنه إلى أحمد بن أبي عمران القاضي فتفقه به، ثم لقي

---

(١) انظر: الأعلام ٢/٦١.

بالشام أبا خازم قاضي القضاة بها، فأخذ عنه، وكان إماماً في الأحاديث والأخبار وتصانيفه فاق بها معاصريه[1].

المطلب الرابع: تدوين كتب أئمة المذهب:

• أول من دوَّن من تلاميذ أبي حنيفة تلميذه الأكبر أبو يوسف، فله كتب كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست، لم يصل إلينا من كتبه إلا رسالته التي كتبها إلى الرشيد في (الخراج) وكتاب /اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى/ وهما كتابان من أنفس وثائق هذا العهد.

• وأما الرجل الذي حفظت لنا كتبه المذهب، فهو محمد بن الحسن، الذي امتاز على من سواه برواية تلك الأقوال، وكتبه على نوعين:

- كتب رويت عنه واشتهرت حتى اطمأنت إليها النفس، وتعرف بكتب ظاهر الرواية.

- وله كتب أخرى لم تحز تلك الثقة يقال لها (غير ظاهر الرواية) لأنها لم ترو عن محمد بن الحسن بروايات ظاهرة ثابتة كالأولى.

آ - كتب ظاهر الرواية أو (الكتب الستة):

١ - كتاب الجامع الصغير[2]: وهو كتاب جمع فيه مسائل رواها عنه تلميذه عيسى بن أبان ومحمد بن سماعة، وهذه المسائل في أربعين باباً من أبواب

---

(١) ر: تاريخ التشريع من ص/٢٣٣ إلى ٢٣٩ وأبو حنيفة من ص/١٩٥ إلى ٢٢١.

(٢) ذكر ابن عابدين في رسالته رسم المفتي ما مفاده أن محمداً قرأ أكثر الكتب على أبي يوسف إلا ماكان فيه اسم الكبير، فإنه من تصنيف محمد اهـ. نقلاً عن ابن أمير حاج ص/١٩/ رسم المفتي.

الفقه، وأخذه القاضي أبو طاهر محمد بن محمد الدباس وبوّبه ورتبه، ويروي محمد مسائل هذا الكتاب عن أبي يوسف عن أبي حنيفة وليس فيه استدلال.

٢ ـ الجامع الكبير: وهو كسابقه إلا أنه أطول منه.

٣ ـ المبسوط: ويعرف بالأصل وهو أطول ماكتب محمد، جمع فيه ألوفاً من المسائل التي استنبط أبو حنيفة أجوبتها، ومنها ما خالفه فيها أبو يوسف ومحمد، والذي رواه عنه أحمد بن حفص أحد تلاميذه، وهو خلو من تعليل الأحكام.

٤ ـ السير الصغير: وهو مسائل كتاب الجهاد.

٥ ـ السير الكبير: وهو آخر تصنيف صنفه في الفقه، ولهذا لم يروه عنه أبو حفص أحمد بن حفص رواية كتبه، لأنه صنفه بعد انصراف أبي حفص من العراق، ولهذا لم يذكر اسم أبي يوسف رحمه الله في شيء منه لوحشة بينهما، وكلما احتاج إلى رواية حديث عنه قال: (حدثني الثقة) وهو مراده، والذي روى السير الكبير عن محمد أبو سليمان الجوزجاني وإسماعيل بن ثوابة.

٦ ـ وكتاب الزيادات: وهو الكتاب السادس من كتب ظاهر الرواية، وقد اشتمل على مسائل زائدة على الكتب السابقة.

وقد قام في أوائل المئة الرابعة أبو الفضل محمد بن أحمد المروزي، المعروف بالحاكم الشهيد وألف كتاباً سماه (الكافي) ذكر فيه معاني كتب محمد بن الحسن المبسوطة وحذف المكرر من مسائله، وشرحه شمس الأئمة السرخسي في كتاب سماه (المبسوط) وقد استفاض في شرح أصول المسائل وأدلتها وأوجه القياس فيها، ولمحمد كتابان آخران صحيحا الإسناد قطعاً أولهما (الرد على أهل المدينة) رواه الشافعي رحمه الله في الأم وعلّق عليه، والثاني كتاب (الآثار) جمع فيه الأحاديث، والآثار عن أهل العراق ورواه أبو حنيفة رضي الله عنه، وهو يتلاقى في كثير من

مروياته مع كتاب الآثار لأبي يوسف، وكلاهما يعد سنداً لأبي حنيفة رحمه الله[1] وناقش الحنفية فيه.

ب ـ كتب غير ظاهر الرواية، وهي كتب تعرف بـ (النوادر):

وهي الكتب التي لم ترو من طرق توجب الاطمئنان وهي:

١ ـ أمالي محمد في الفقه المعروفة بـ (الكيسانيات).

٢ ـ كتاب الزيادات.

٣ ـ كتاب زيادة الزيادات.

٤ ـ كتاب النوادر / رواية ابن رستم.

ثم إن محمداً رحمه الله هو أحد الذين رووا موطأ مالك بن أنس رحمهما الله، يعقب أحاديثه بما عليه العمل عند الحنفية موافقاً أو مخالفاً، ويبين السبب الذي من أجله كان الخلاف.

ومن الكتّاب تلاميذ أبي حنيفة رحمه الله الحسن بن زياد اللؤلؤي، صنف كتاب المجرد لأبي حنيفة روايته، كتاب أدب القاضي وكتاب الخصال وكتاب النفقات وكتاب الخراج وكتاب الفرائض وكتاب الوصايا.

وروايات الحسن متأخرة في الاعتماد عن روايات محمد لتمام الثقة بالثانية، ومنهم عيسى بن أبان تلميذ محمد بن الحسن، صنف كتاب الحجج وكتاب خبر الواحد، وكتاب الجامع، وكتاب إثبات القياس وكتاب اجتهاد الرأي.

ومنهم هلال بن يحيى المعروف بهلال الرأي، وأبو عبد الله محمد بن سماعة، وهو أحد الذين رووا عن محمد كتبه.

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٢١٠.

ومنهم أحمد بن عمر بن مهير المشهور بالخصاف، وقد صنف كثيراً، ومن أحسن كتبه كتابه في الأوقاف وهو مشهور متداول.

أما أبو جعفر الطحاوي، فله تصانيف عظيمة منها كتابه (اختلاف الفقهاء) لم يتمه، وكتاب (شرح مشكل الآثار) و(شرح معاني الآثار) وغير ذلك مما يشهد بارتفاع كعبه في الفقاهة.

هذه الكتب هي التي كتبها أصحاب أبي حنفة بالرواية عنه بسند متصل به، أو حكيت فيها أقواله من غير ذكر لسند، وهذه كتب من جاؤوا بعدهم ملخصين أو شارحين، أو ناقدين أو فاحصين، وتعتبر تلك الكتب ينابيع الفقه الحنفي، وما اشتملت عليه مادة الفقه الحنفي، تاركة لمن جاء بعدهم الشرح والاختصار والتخريج.

المطلب الخامس: خصائص المذهب الحنفي:

من خصائص هذا المذهب:

١ ـ كون تدوين المسائل فيه على الشورى والمناظرات المديدة.

٢ ـ وتلقي الأحكام فيه من جماعة عن جماعة إلى أول نبع غزير فيّاض في الفقه في عهد جمهرة فقهاء الصحابة.

٣ ـ واستمرار سعي الجماعة في تبيين أحكام النوازل جماعةٍ بعد جماعة إلى ماشاء الله سبحانه، كذلك بحيث يتمشى المذهب مع حاجات العصور ومقتضيات الرقي الحضاري في البشر[١].

---

(١) ر: فقه أهل العراق وحديثهم بتحقيق الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ص/٥٧.

وإني أضيف رابعة إلى هذه الخصائص هي امتزاج الحديث بالرأي في فقه الإمام وأصحابه رضي الله عنهم امتزاجاً كاملاً، فلقد كان هو وأصحابه على درجة عالية من معرفة السنّة وحفظها وروايتها والغوص على أحكامها، وهذا لم يتأتَّ لكثير من مذاهب الأئمة رضوان الله عليهم[1]، وبعد هذا كله هو منهب جماعة لا مذهب فرد.

المطلب السادس: أصول كتب المذهب

لم تكن الكتب التي روت الفقه الحنفي في درجة واحدة من حيث قوة الرواية، وإذا أضيف إلى الكتب المروية ما أضافه المتأخرون من فتاوى وتخريجات للمادة الفقهية التي انتقلت إليهم من الأئمة الذين أنشؤوا المذهب، صارت الكتب في الفقه الحنفي مراتب ثلاثاً:

أولاها: الأصول:

وتسمى ظاهر الرواية، وهي مشتملة على أقوال أبي حنيفة ومحمد وأبي يوسف التي دوَّنها الإمام محمد في كتبه الستة التي مر ذكرها آنفاً.

الثانية: النوادر:

وهي مروية عن أصحاب المذهب المذكورين، ولكن في غير الكتب الستة المذكورة، بل في كتب أخرى للإمام محمد، كالكيسانيات والهارونيات والجرجانيات والرقيات، أو في كتب غيره ككتب الحسن بن زياد وغيره، ومنها كتب الأمالي لأبي يوسف، ومن هذا القسم ما نقل بطريق الرواية المقررة

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٤٣٥.

كروايات محمد بن سماعة ومعلّى بن منصور. وهذا القسم من مرتبة دون مرتبة القسم السابق، ولذا لو تعارضت الأصول والنوادر في حكم مسألة يؤخذ برواية الأصول، لأنها المعتبرة أصلاً في المذهب وهي أقوى سنداً.

الثالثة: الفتاوى والواقعات:

وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون فيما سئلوا عنه من مسائل واقعة، لم يجدوا فيها رواية لأهل المذهب المتقدمين، وأولئك المتأخرون هم أصحاب أبي يوسف ومحمد وأصحاب من بعدهم وهم كثيرون[1] بيّنَتْ أخبارهم كتب الطبقات، ولاشك أن مسائل الواقعات والفتاوى أنزل مرتبة من الأصول والنوادر، لأن الأصول والنوادر أقوال أصحاب المذهب وإن تفاوتت الرواية فيهما، أما الفتاوى والواقعات، فهي تخريجات على أقوالهم، وقد تكون فيها مخالفة للمروي عنهم تتقبّل على أنها اجتهاد من أصحابها، لا على أنها أقوال للإمام أبي حنيفة وأصحابه، فهي تؤخذ على أنها آراء للمتأخرين، ولا يحمّل الأقدمون شيئاً من نسبتها إليهم.

ومن مجموع هذه الأقسام الثلاثة يتكوّن المذهب الحنفي، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وما يذكر من المسائل في هذه الكتب من غير خلاف يكون باتفاق أبي حنيفة وصاحبيه، وما يذكر فيه خلاف فهو على النحو المبيّن، وكتب ظاهر الرواية تذكر خلاف أبي حنيفة وصاحبيه وقد تذكر خلاف زفر، أما كتب النوادر والفتاوى، ففي الغالب تذكر خلاف زفر إن كان له خلاف.

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٢٢٢ وما بعدها، ور: رسم المفتي ص/١٧.

المطلب السابع: المذهب الحنفي ونموه:

أولاً ـ المذهب الحنفي مذهب جماعة لا مذهب فرد:

المذهب الحنفي الذي تلقته الأجيال وتدارسه العلماء وخرّجوا المسائل على ما استنبط من أصوله ليس هو أقوال أبي حنيفة وحده، ولكنه أقواله وأقوال أصحابه، وإن شئت فقل أقوال مدرسة أبي حنيفة التي كانت بالكوفة، ثم انتقلت بعده على يد تلميذيه أبي يوسف ومحمد إلى بغداد.

ولقد تضافرت عدت أسباب جعلت المذهب الحنفي هو ذلك المزيج من آراء أبي حنيفة وآراء أصحابه، وبعض المعاصرين من فقهاء العراق كعثمان البتي وابن شبرمة وابن أبي ليلى، فإنه يذكر في ضمن كتب المذهب أقوال لهؤلاء الفقهاء، وإن لم تكن من المذهب على التحقيق.

آ ـ وإن من هذه الأسباب أن أقوال الإمام عندما رويت لم ترو مفصولة متميّزة، بحيث يمكن استخلاص أقوال الإمام منفردة، وتكوين وحدة فكرية خالصة له من كل الوجه من غير اقتران أقوال الصحابة به، وهكذا نجد الرواية لآراء أبي حنيفة تذكر مخلوطة بالرواية عن غيره وممزوجة بها، وعلى هذا النهج أرسى العلماء تلك الآراء وسموها المذهب الحنفي، واختاروا للنسبة اسم كبير أولئك الأئمة وشيخهم.

ب ـ ومن الأسباب أيضاً ما كان يعمد إليه أبو حنيفة عند دراسته للمسائل العلمية المختلفة، واستخلاص حكم للوقائع أو الأمور الفرضية، إذ أنه كان يعرض المسائل ويسمع آراء تلاميذه، ينازعهم القياس وينازعونه ويفرضون الحلول، ويتفقون على واحد منها أحياناً ويتخالفون أحياناً، وكان يدعو تلاميذه أن يأخذوا بما يتجه إليه الدليل، فدوّن أبو يوسف آراء أبي حنيفة وآراءه، فانتقلت تلك الآراء وكانت هي مجموعة هذه الدراسة وثمرات تلك المدرسة الفقهية،

فالمذهب الحنفي هو مذهب هذه المدرسة التي تتدارس وتتذاكر وتستنبط الحلول، فيختلف العلماء فيها أو يتحدون، وهم بعدُ مدرسة واحدة صارت في الأجيال من بعدُ مذهباً واحداً.

جـ ـ ثم إن التلمذة ثم الصحبة ثم تدارس الأقوال من أولئك الأعلام من بعدُ، جعل تلك الأقوال مهما تختلف أو تتحد تنتهي إلى أصول واحدة، ولقد كان اتحاد الأصول هذا سبباً ثالثاً من أسباب المزج الذي جعل مجموعة تلك الآراء مذهباً واحداً.

د ـ وما كان خلط أقوال شيخهم في كتبهم إلا لحرصهم على إطلاع المتفقهين على وجوه النظر المختلفة في المسائل، ولاتحاد الأصول في الجملة، ولعناية فقهاء العراق منذ عهد أبي حنيفة أو قبله بدراسة الفقه المقارن، ليستطيع المتفقه معرفة آراء الفقهاء بمعرفة مقابلها، حتى قال أبو حنيفة: ((إن أعلم الناس هو أعلمهم باختلاف الناس)).

وبعد، فلم يكن أصحاب أبي حنيفة وحدهم هم الذين اختلطت أقوالهم بأقواله، بل جاء من بعدهم من أضاف أقوالاً أخرى جديدة، بعضها اعتبر من المذهب الحنفي وبعضها لم يعتبر منه، وبعضهم رجح الأقوال على بعض، وهكذا كثر الاختلاف وكثر الترجيح، وكان ذلك كله مبنياً على أصول دقيقة محكمة وضوابط بيِّنة، وبذلك نما واتسع رحابه لملابسات الزمان ومعالجة عامة الأحوال(١).

---

(١) ر: أبو حنيفة من ص/٤٣٥ إلى ٤٣٩.

ثانياً ـ عوامل نمو المذهب:

نستطيع تلخيص عوامل النمو في المذهب الحنفي في ثلاثة أمور تضافرت، فكانت العامل الرئيسي في زيادته ونمائه واتساع أفقه وهي:

آ ـ وفرة المجتهدين في المذهب والمخرجين فيه.

ب ـ وكثرة الأقوال فيه.

جـ ـ ومرونة التخريج والترجيح فيه.

وإليك التفصيل:

آ ـ وفرة المجتهدين في المذهب والمخرِّجين فيه:

أعظم الطبقات عملاً وتأثيراً في المذهب الحنفي طبقة الاجتهاد في المذهب والتخريج فيه، وهي أجلُّ تأثيراً وأكبر خطراً، والمراد بالتخريج هنا طبقة الاجتهاد بالمسائل عند أصحاب الطبقات، وهي طبقة الاجتهاد في المذهب ذاتها في اصطلاحنا، فلك أن تسميها بكلا الاسمين وتنعتها بكلا النعتين، فهي الطبقة الثرارة التي يقول عنها المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة «وهذه الطبقة هي التي خدمت الفقه الحنفي، إذ هي التي وضعت الأسس لنموه والتخريج فيه، والبناء على أقواله، وهي التي وضعت أسس الترجيح فيه والمقايسة بين الآراء وتصحيح بعضها وتضعيف الآخر، وهي التي ميزت الكيان الفقهي للمذهب الحنفي»[1]. والمخرجون هم الذين أفتوا بما لم يؤثر عن أئمة المذهب بمقتضى قواعدهم وأصولهم وبالقياس على فروعهم.

---

(١) ر: أبو حنيفة من ص/٤٣٥ إلى ٤٣٩.

ب ـ كثرة الأقوال في المذهب:

كثرت الأقوال في المذهب الحنفي واختلفت وتباينت الأحكام فيه بتباين الأقوال المختلفة، واختلف أئمة المذهب واختلف المجتهدون في المذهب كذلك فيما خرجوه من مسائل لم يؤثر حكمها عن أئمة المذهب، بل ربما خالفوا أئمة المذهب نفسه في المسائل التي كان الاستنباط فيها متأثراً بالعُرف(١).

وأسباب ذلك يمكن ضبطه في أربعة أمور:

- أولها: اختلاف الرواية.
- وثانيها: تعدد أقوال الإمام في المسألة.
- وثالثها: اختلاف الأئمة في المسألة الواحدة.
- ورابعها: اختلاف المخرجين ومخالفة بعضهم أحياناً للأئمة(٢).

جـ ـ مرونة التخريج والترجيح في المذهب:

الفرع الأول:

• تعريف بالتخريج والترجيح:

يقصد من التخريج (استنباط أحكام الواقعات التي لم يعرف لأئمة المذهب آراء فيها بالبناء على الأصول العامة التي بني عليها الاستنباط في المذهب).

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٤٤٣/، ولمعرفة اصطلاحنا في طبقات الفقهاء ر: كتابنا (الوجيز في أصول استنباط الأحكام في الشريعة الإسلامية) ج٢ في مباحث الاجتهاد، تجد اصطلاح ابن الكمال ومن تبعه ونظريته ونقدها وبعض النظريات الحديثة، ثم نظرية صاحب الرسالة في الطبقات بشكل مفصل.

(٢) إذا أردت التوسع فانظر أبو حنيفة ص/٤٤٦.

ويقصد بالترجيح (بيان الراجح من الأقوال المختلفة لأئمة المذهب أو الروايات المختلفة عنهم).

• رجالهما:

والأول عمل المخرجين وهم من المجتهدين المقيّدين، والثاني عمل فقهاء المذهب المرجّحين الذين أوتوا علماً بطرق الترجيح.

• مرونة التخريج:

وإن التخريج كان ينبني على الأصول العامة المستنبطة،وعلى إلحاق الأحكام التي يستخرجونها بفروع مشابهة لها عرف رأي السابقين فيها، وكثيراً ما كانوا يخضعون الأحكام للعرف، ولذا تجد كثيراً من الأحكام ناشئة عن العرف العام أو الخاص، مما يدل على أن الاجتهاد في المسألة كان للعرف سلطان فيه، وربما كان هو المؤثر الوحيد فيه، وإن لم يكن هو المؤثر فهو الموجه الذي رجح قياساً على قياس، ولم يقتصر عمل المخرجين على ذلك، بل تجاوزوا هذا الحد وأفتوا في مسائل أفتى فيها السابقون وخالفوهم، لأن ملابسات الزمان أوجبت ذلك التغيير، وذلك في المسائل التي لم يعتمد السابقون فيها على نص من كتاب أو سنة أو قياس واضح كالنص، وهذه الآراء سواء أكانت استنباطاً لأحكام واقعات لم تؤثر عن الأئمة في المذهب أحكامها، أم كانت استنباط أحكام خالفوا بها الأئمة بناء على الأصول المعتبرة عندهم، وتغير العرف الذي كان هو المؤدي لها، تعتبر آراء في المذهب وجزءاً من الفقه فيه، ولكن لا يصح أن يقال إنها قول أبي حنيفة، ولقد كان هذا التخريج في المذهب باباً لنموّه، وإن مرونة أصوله وخصوصاً أصل العرف، جعلت ذلك المذهب يتسع رحابه لكل ما يَجدُّ من أحداث، ويتفق مع ملابسات الناس ومقتضيات الزمان، وقد سدّ حاجتهم بذلك الأفق الفقهي الذي اتسعت به عقول العلماء السابقين، وبتلك الحرية في التفكير وعلاج الأدواء الاجتماعية التي اتصل بها المخرجون.

الفرع الثاني: مرونة الترجيح:

والترجيح في المذهب الحنفي كان عملاً شاقاً قام به فقهاء، وإن قيدوا أنفسهم بنطاقه لايعْدُونه، يدل ترجيحهم على عقل فقهي منظّم بعرف قوي الأدلة وضعيفها.

إن الترجيح يتناول في عمومه ترجيحاً بين الروايات المختلفة، وترجيحاً بين الأقوال، ولكل سبيل، وإليك التفصيل:

آ ـ **فالترجيح بين الروايات يكون:** أولاً بمرتبة الكتب التي اشتملت عليها، فإذا كانت إحدى الروايتين في ظاهر الرواية كانت أولى وأحرى، ولا تعتبر روايات غيرها إلا إذا لم تكن ثمة معارضة فيها، أما غير ظاهر الرواية فلا يقبل إلا إذا كان له شاهد من ظاهر الرواية، وذلك بشهادة الأصول له، والأصول معتمدة في تخريجها على ظاهر الرواية، وإذا كانت مخالفة للأصول فقد اعتراها الضعف من ناحيتين: ناحية سندها وروايتها، وناحية شذوذها بمخالفتها للأصول العامة للمذهب.

وإذا كانت الروايتان في قوة واحدة، كأن يكونا في ظاهر الرواية أو في غيرها، وكلاهما لا يعارض الأصول، ولا يمكن اعتباره شاذاً فإنه يتحرى عن أصحهما بقوة الرواية أو بملابسات تقترن بها ونحو ذلك من أسباب التحري، فإن لم يكن مرجّح وعلم أن واحدة تتصل بحادثة أسبق زمناً من الأخرى، دل على أن الثانية أقوى، لأنها قول ثانٍ رجع به عن الأولى، فإن لم يصل التحري إلى شيء اعتبر أنهما قولان ورجّح بينهما بقوة الدليل، وكان ذلك من الترجيح بين الأقوال المختلفة.

ب ـ أما الترجيح بين الأقوال:

فهو إما بترجيح لشخص القائل، وإما بترجيح الدليل، ويدخل في القسم الثاني ما يكون الترجيح فيه لما تشتد الضرورة فيه أو الحاجة أو العرف، فإن الترجيح لذلك يعتبر ترجيحاً للدليل.

وإن الترجيح لمنزلة القائل قد قالوا فيه إنه إذا كان أبو حنيفة وصاحباه على رأي واحد في مسألة، كان رأيهم هو المعتبر، إلا إذا وجدت ضرورة أو عرف اقتضى المخالفة بالبناء على أصولهم المعتبرة، وكان الرأي أساس القياس الظني.

وإذا كان أبو حنيفة ومعه واحد منهما على رأي رجح على الرأي الثاني في الحدود التي بيناها، وإذا انفرد كل واحد من الثلاثة بقول رجح قوله في الدائرة التي بيناها أيضاً.

وأما إذا كان أبو حنيفة في رأي وصاحباه في رأي، فإذا كان المفتي مجتهداً في المذهب ووجد ما اقتضى ترجيح قول أحد الفريقين أخذ، وإن كان غير مجتهد رجح قول أبي حنيفة عند جمهور الحنفية، إلا إذا اختار المجتهد في المذهب غيره لأسباب موجبة لذلك.

هذا كله إذا كان لأبي حنيفة في المسألة رأي مأثور، أما إذا لم يرو عنه رأي، و لم يكن ثمة دليل مرجح لدى المجتهد في المذهب، فيفتي بقول أبي يوسف، فإن لم يكن له قول مأثور، يفتي بقول محمد ثم بقول زفر ثم بقول الحسن.

وإذا لم يكن عن واحد من الأصحاب رواية في المسألة، فإنه يكون المعوَّل عليه تخريج من جاء بعدهم من المخرجين المجتهدين في المذهب فيما يرونه فيه من رأي يكون له من المذهب ما يؤيده، فإن اختلفت آراؤهم يؤخذ بقول الأكثرين من الكبار كالطحاوي ومن في طبقته، وإن لم يكن ثمة رأي في الموضوع لهؤلاء

المخرجين، وابتلي المفتي بمسألة من هذا القبيل، لا يمتنع عن الفتوى، ولكن ينظر نظرة تأمل وتدبر إلى أن يُخَرِّج على أصول المذهب وفروعه.

هذا كله الترجيح بغير الدليل.

أما الترجيح بالدليل وهو المعتبر أولاً، فهو يكون من المجتهد في المذهب الذي له قدرة على التخريج، وذلك يكون في كل مقام يكون له التخيُّر في أقوال المتقدمين، كتخيُّر رأي أبي حنيفة أو رأي صاحبيه، أو يقتضي العرف حكماً يختار من بين هذه الأقوال.

والترجيح بقوة الدليل يكون ببيان أقربها إلى القواعد المضبوطة المقررة الثابتة، وأقربها إلى روح العصر الذي كانت الفتوى فيه، إذا كان الحكم في الموضوع يختلف باختلاف الأزمان والعصور.

وبعد، فإذا أثر استحسان للإمام فالقياس متروك لايؤخذ به، بيد أن المذهب قد يكون فيه رأيان لإمامين من أئمة المذهب، أحدهما وجهه القياس والآخر وجهه الاستحسان، فقد قرروا أن العمل يكون بالاستحسان، إذ القول المستحسن يكون فيها راجحاً، ولكن استثنوا مسائل أوصلها متأخرو الحنفية إلى بضع وعشرين، يكون فيها القياس مقدماً، وفيما عدا ذلك فالاستحسان مقدم[1].

وبعد، ففي هذا بُلْغَةٌ لمن يريد أن يتعرف على المذهب الحنفي بقواعده وأسسه ورجاله وتاريخ نشوئه، ألقيت فيه الأضواء على كثير من الأمور تفيدنا في دراستنا لابن عابدين إن شاء الله.

---

(١) ر: في هذا البحث (نمو المذهب الحنفي) أبو حنيفة من ص/٤٤٠ إلى ٤٦٠ وفي بحث تقديم القياس أو الاستحسان، كتابنا ((نظرية الاستحسان في التشريع الإسلامي وصلتها بالمصالح المرسلة)).

المبحث الثالث

أثر تكوين المذاهب الفقهية في عموم الشريعة

اختلفت الآراء الفقهية، وتكونت من هذا الاختلاف مدارس فقهية، ثم تبلورت المدارس فصارت مذاهب فقهية، وهو اختلاف لايتناول الأصل، ولكنه اختلاف في الفروع حيث لا دليل قطعياً حاسماً للخلاف، ومثل أقوالهم بالنسبة للشريعة كمثل أغصان الشجرة تتشعب وتتفرع، والأصل الذي انبعثت عنه واحد يغذي جميع الأغصان المتفرعة، وقد كان تأثير تكون هذه المذاهب الفقهية كثيراً شمل ما يلي:

١ ـ التوسعة والرحمة على الأمة: فاختلاف المجتهدين فيما يصلون إليه من الأحكام من محاسن الشريعة، فإن الله أراد الرحمة لعباده والتوسعة عليهم، فيكون من لم يتأهل للاجتهاد في حل من أن يأخذ برأي من يشاء منهم، وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ((ما أحب أن أصحاب محمد لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق، وأنهم أئمة يقتدى بهم فلو أخذ رجل بأحدهم لكان سنة)). وقد روي أن المنصور لما حج قال لمالك: ((قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التي صنفتها فتنسخ، ثم أبعث في كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة، فآمرهم أن يعملوا بها ولا يتعدوه إلى غيره)) فقال مالك: ((يا أمير المؤمنين لاتفعل، فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل، وسمعوا الحديث ورووا روايات، فأخذ كل قوم بما سبق إليهم من اختلاف الناس، فدع الناس وما اختار كل بلد منهم لأنفسهم))(١).

---

(١) ر: نشأة الفقه الاجتهادي وتطوره للسايس ص/١٠٦، وهذا القول رواه الشاطبي في الاعتصام ٣ ص ١١ بلفظ (روى ابن وهب عن القاسم بن محمد قال أعجبني قول عمر بن

يتبع ⇐

٢ ـ فتح القرائح وتدوين العلوم الاسلامية: والاختلاف الفقهي في الأحكام العملية المدنية من المفاخر والذخائر، لأنه ثروة تشريعية كلما اتسعت كانت أروع وأنفع وأنجع، ومعناه: هو تعدد النظريات والمبادىء والطرائق الحقوقية في استمداد الأحكام وتقريرها، وهذا يجعل الأمة في غنى من تشريعها لا يضيق بها عن حاجتها[1]، زد على ذلك أن هذا الاختلاف قد فتح القرائح.، فاتجهت إلى تدوين علم الاسلام بجتهدة متبعة من غير جمود، وتركت من بعد ذلك تركة مثرية من الدراسات الفقهية، لا نكون مغالين ولا متجاوزين للمعقول، إذا قلنا إنها أعظم ثروة فقهية في العالم الإنساني، وإنها لتشمل من الحلول الجزئية والقواعد الكلية ما يغني الإنسانية إن بغت الخير لنفسها، واتجهت إلى ما ينفعها ويعلو بها[2].

٣ ـ وإن ذلك الاختلاف كان فيه شحذ للأذهان واستخراج للأحكام من القرآن واستنباط قانون شرعي عام، وإن لم يكن مسطوراً، وليس الخلاف في الفروع إلا ثمرات ناضجة لما تبثه القرآن والسنة في نفوس الناس، من البحث بعقولهم وتدبير شؤونهم بالشورى ومبادلة الرأي، مستضيئين بسنة النبي صلوات الله عليه ومستظلين بأحكام القرآن[3].

⇐

عبد العزيز... إلخ) ثم علق الشاطبي بقوله (ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه، لأنه لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعي فيهم، فكان فتح باب الدخول في هذه الرحمة) اهـ. كلام الشاطبي.

(١) ر: المدخل الفقهي العام للزرقا ج١/١٩١ ف ٨٥.

(٢) ر: تاريخ المذاهب الفقهية ج٢/٨٠.

(٣) ر: مقدمة كتاب الملكية ونظرية العقد لأستاذنا أبي زهرة ف١٣/١٩ ـ ٢٠.

وبعد، فلعل أعظم ثروة يدعيها الأوروبيون هو القانون الروماني، ولو وزن ماجاء عن الرومان ماعدل عشر معشار ما تركه القرآن من عيون الفقه ومسائله[1].

٤ ـ ثم إن هذا الاختلاف الفقهي ليدل على مرونة النص وسعة قابليته التطبيقية، ومما لا شك فيه أن المرونة في المصادر الأساسية الدستورية التي تستند إليها المواد القانونية الفرعية هو الأفضل، ليمكن أن تصاغ على أساسها القوانين والأحكام بحسب الحاجة.

٥ ـ وإن تعدد الاحتمالات في معاني النصوص التشريعية مع تشعب وجوه الاجتهاد بالرأي، يجعلان اختلاف الاجتهادات أمراً حتماً مبرماً مع كونه ثروة فقهية.

٦ ـ وإن ا ختلاف الآراء في الفروع الفقهية، لايدل على انحراف في الدين مادام في دائرة الفروع، بل إن الاختلاف مادام أساسه طلب الحق، يفتح للناس باب التوسعة على الناس فيما يختارون، ويفتح للعقول الطريق للاختيار الصحيح، فإنه من وسط اختلاف الآراء وتعرف أوجه النظر فيها ينبلج نور الحق ساطعاً بيناً واضحاً، فلقد كان كل إمام من أئمة الاجتهاد حريصاً على معرفة أقوال المختلفين، فإن العلم بأقوال العلماء في قضية تتنازعها الأنظار، يكشف الحق لمن يكون قادراً على النظر وفحص أساليب الاستدلال ومناحيه وتعرف ضعيف الدليل وقويّه، وهو نظر للأمر من كل وجوهه، ومن ينظر للأمر من كل وجوهه يكون أحدر على الحكم فيه بالصواب أو الخطأ[2].

---

(١) ر: تاريخ المذاهب ٢/٨٠.

(٢) ر: تاريخ المذاهب الفقهية ج٢/٥٧ ولقد كان أبو حنيفة رحمه الله يقول: ((أعلم الناس هو أعلمهم باختلاف الناس)) اهـ. م.ن.

وبعد؛ فلعلنا مددنا النَّفَس في هـذه المقدمـة العلميـة أكـثر ممـا كـان ينبغـي، وذلك لما وجدت لها من الأهمية البالغة في سبر أغوار ابن عابدين الذي كان الفقه ميدان عمله ومجال نبوغه، فمن الفقه انطلق وإليه عـاد، وفي الفقـه تفجـرت ينـابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فقد عاش له، يعطيه من عقله وقلبه ويمنحه من عطفـه وحنانه، ما هو قمين أن يجعل منه سيد فقهاء عصره، وهذا كله في نظري يقتضـي منا دراسة بعيدة الغور في هذا الفقه، نغوص فيهـا علـى لآلئـه وجواهـره وكنـوزه، وليس هنالك أقرب فائدة لدراسة أعلام الفقه الإسلامي دراسة علمية واعيـة، مـن إطالة النَّفَس في هذ الفقه ذاته تعريفاً وتاريخاً، وإدامة النظر فيه ضبطاً وتقعيداً، فـإن مد النفس في البحث العلمي، وإن عيب في غير هذا التقديم، فإنه هنا يحمد، وقديماً قالوا: ((ماعيب من الكلام في موطن ربما استمع في موطن آخر)).

وأجدني في غنى عن التنويه بقيمة هذه المقدمة وضرورة تفهمها، قبل البـدء بالقراءة لدراسة أي علَم من أعلام الفقه، ولاسيما ابن عابدين، الذي جاء في عصر مظلم فبذّ عصره وأهله، ولحق بالمتقدمين من الأعلام، فكان من الضروري التقديم له بما كتبت، ليكون ذلك بمنزلة الكشاف الذي يضيء الطريق فيحمد السُّرى.

الباب الأول

ابن عابدين في عصره

- عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي السياسية والاجتماعية.
- عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي العلمية.
- عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي الروحية.

لوحة

• هو السيد الشريف محمد أمين بن عمر... ابن عابدين، يتصل نسبه بالسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، من أسرة عريقة من كبار أسر دمشق معروفة بالصلاح والفضيلة.

• ولد بدمشق في حي القنوات عام /١١٩٨/ هـ الموافق ١٧٨٤م.

• عاش حياته في دمشق، ودرس على يد شيوخها الأجلاء في عصره، لاسيما الشيخين اللذين كان لهما أكبر الأثر في دراسته وهما: الشيخ محمد شاكر السالمي العقاد، والشيخ محمد سعيد الحلبي.

• اشتغل أول أمره بالتجارة، ثم طلب العلم وحفظ القرآن ودرس العلوم الآلية، وأخذ عنه كبار علماء عصره.

• ألف قرابة نيِّف وخمسين كتاباً، في شتى معارف عصره، أهمها ردّ المحتار على الدر المختار في الفقه الحنفي، ومجموع الرسائل وتنقيح الفتاوى الحامدية، وحاشية نسمات الأسحار على شرح الحصكفي على المنار.

• توفي بدمشق في عام /١٢٥٢/هـ الموافق /١٨٣٦/م رحمه الله تعالى، ودفن فيها بمقبرة الباب الصغير.

الفصل الأول

عصر ابن عابدين وموطنه

- عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي السياسية ووصف عام للحالة السياسية وأثر ذلك فيه، وموقفه من حكّام عصره.
- عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي الاجتماعية، ووصف عام للحالة الاقتصادية والظروف المادية في عصره ووطنه.

المبحث الأول

الوصف العام للحالة السياسية في عصر ابن عابدين
وأثرها وموقفه من حكام عصره

المطلب الأول: الحالة السياسية العامة في الدولة العثمانية في عصر ابن عابدين:

عصر ابن عابدين هو بداية القرن الثالث عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي ـ الثلث الأول منه والسدس الأخير من القرن السابق، أي من /١١٩٨/هـ إلى /١٢٥٢/هـ، ومن /١٧٨٤/م إلى /١٨٣٦/م. وهذا العصر منعطف كبير في حياة الشرق بعامة والدولة العثمانية بخاصة، وهو بداية تدهور هذه الدولة سياسياً، ولقد حكم هذا العصر أربعة سلاطين:

عبد الحميد الأول وسليم الثالث ومصطفى الرابع، وأخيراً محمود الثاني الذي توفي ابن عابدين في زمن سلطنته، حيث انتهت ولايته بوفاته/١٢٥٥/هـ، وإليك التفصيل:

١ ـ أولاً: السلطان عبد الحميد الأول:

جلس هذا السلطان على العرش سنة /١١٨٧هـ ـ ١٧٧٣/م. وفي عهده حاربت الدولة العثمانية روسية، وانتهت بالمعاهدة المعروفة بمعاهدة (قينارجة) وأهمها الاستقلال المدني لبعض أجزاء الدولة، وتسليم الروس بعض البلاد للدولة، بشرط حرية الملاحة للروس في البحرين الأسود والمتوسط، وحماية الرعايا وإلغاء المعاهدات السابقة، ثم شرعت الدولة في بعض الإصلاحات، واحتل الروس بلاد القرم بعد استقلالها، وأعلنت النمسا الحرب على الدولة مساعدة للروس، فانتصرت الدولة عليها.

٢- ثانياً: السلطان سليم الثالث:

تولّى السلطان سليم الملك عام /١٢٠٣هـ - ١٧٨٨م/ والحرب دائرة، فبذل جهده في تقوية الجيوش، لكن العثمانيين انهزموا أمام النمسا وروسيا، حتى عقدت الدولة معاهدة ردت إليها ماذهب، وفي عام/ ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م/ سار نابليون بونابرت بحراً إلى مصر لفتحها، فاحتل بجيشه الإسكندرية ثم القاهرة في تموز، ثم عزم على فتح الشام /١٢١٤هـ - ١٧٩٩م/ من طريق العريش، لكنه لم يستطع فتح عكا الجزار، فرجع للقاهرة ثم غادرها في ٢٢/ آب إلى فرنسة، وعاون العثمانيين الإنكليز والروس ضد فرنسة، فأخرجوا الفرنسيين من مصر /١٢١٦هـ - ١٨٠١م/ ثم تم الصلح سنة /١٢١٧هـ - ١٨٠٢م/ بإجماع مصر للدولة العثمانية مقابل تنازلات لفرنسة، وفي عهد سليم حصلت اضطرابات وفتن من الإنكشارية انتهت بعزل السلطان، لكونه أحب إنشاء عساكر نظامية أو فكر في ذلك، وذلك في غضون /١٢٢١/هـ ثم قتل.

٣- ثالثاً: مصطفى الرابع:

تولّى السلطنة عام /١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م/ وفي عهده أراد بونابرت تقسيم بلاد الدولة في معاهدة سرية، لكن ذلك لم يتم بسبب قبول الدولة توسط فرنسة بالصلح بينها وبين روسية، وألغى مصطفى الرابع جميع خطط الإصلاح. وفي عام /١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م/ ثار الثائرون وعزلوا مصطفى الرابع فعزل ثم قتل، و لم يطل عهده أكثر من أربعة عشر شهراً.

٤- رابعاً: محمود الثاني:

تقلّد الخلافة عام /١٢٢٣هـ - ١٨٠٨م/ متشبّعاً بروح إصلاح سليم الثالث يريد إخراج الدولة من سباتها، فاهتم بإصلاح الشؤون الداخلية، فعقد معاهدات . مع الدول المحاربة، وكلّف محمداً علياً باشا بحرب اليونان ليتفرغ للإصلاح

الداخلي، وفي سنة /١٢٤٨هـ - ١٨٣٠م/ احتلت فرنسة الجزائر بعد مقاومة شديدة من الأمير عبد القادر الجزائري، وفي عام /١٢٤١هـ - ١٨٢٦م/ أباد محمود الثاني الإنكشارية بالمدافع والقاهم نهائياً، واستبدل بهم العساكر النظامية، وذلك لما ظهر من إفساد الإنكشارية وعبثهم بالدولة منذ مئة سنة، ثم توفي السلطان محمود ١٢٥٥هـ وخلفه ابنه الذي سار على خطة والده في الإصلاحات الداخلية(١).

المطلب الثاني: الحالة السياسية بدمشق في عصر ابن عابدين:

يتميّز عصر ابن عابدين من الوجهة السياسية في بلاد الشام بعامة، وفي دمشق وطن ابن عابدين بخاصة، بانقسامه إلى عهدين مفترقين متمايزين اثنين: العهد العثماني والعهد المصري. وسنتحدث عن كل منهما بالتفصيل ضمن إطار ابن عابدين، وحاجتنا لفهم عصره وبيئته في موطنه ومسقط رأسه.

الفرع الأول: عهد الإدارة العثمانية في عصر ابن عابدين

تنحصر هذه الفترة ما بين سنتي / ١١٩٨هـ - ١٧٨٤م و/١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م/ وهي فترة طويلة سبقتها قرون عديدة، كانت الإدارة العثمانية تشرف على بلاد الشام فيها إشرافاً رسمياً فقط، ولكن الحكم الفعلي كان للمتغلبة والمتسلطين من الوزراء والباشاوات، فمنهم القوي الطامع ومنهم الضعيف القانع، وربما خلفت البلاد في بعض الفترات من أمثال هؤلاء، فعيَّنت الدولة ولاة من قبلها

---

(١) ر: العالم الإسلامي لعمر رضا كحالة ج٢/ ٢٢٩ وما بعدها إلى٢٣٧، وخطط الشام ج٣.

لا يفرقون عن أولئك المتغلبة إلاّ في كيفية الاستيلاء على السلطة فقط، فهؤلاء شرعيون وأولئك متسلطون، ولكن النتائج تكاد تكون واحدة في جميع الحالات.

ونرى أننا نستطيع تقسيم هذا العهد الذي دام قريباً من خمسين سنة هجرية إلى فترتين اثنتين، لا نرى غنى عن دراستهما:

آ ـ فترة الجزار.

ب ـ فترة ما بعد الجزار.

وإليك البيان:

آ ـ الفترة الأولى (فترة الجزار):

تمتد هذه الفترة من /١١٩٨هـ ـ ١٧٨٤م/ وهي سنة ولادة ابن عابدين، وتنتهي بموت الجزار سنة /١٢١٩/هـ في الشهر الرابع من سنة ١٨٠٤م طوال تسعة وعشرين عاماً تقريباً، ولي فيها الجزار واسمه الكامل (أحمد باشا الجزار) على دمشق أربع مرات:

١ ـ المرة الأولى سنة /١١٩٨ هـ ـ ١٧٨٤م/ فاستقام فيها حتى عزل بعد سنتين.

٢ ـ المرة الثانية سنة /١٢٠٥هـ ـ ١٧٩٠م/ فاستقام فيها حتى عزل بعد خمس سنوات.

٣ ـ المرة الثالثة: سنة /١٧٩٨/م إلاّ أنه استقال في السنة التالية.

٤ ـ والمرة الرابعة بدأت /١٨٠٣/م وانتهت بموته في ٢٤/٤/١٨٠٤م.

وبين هذه الفترات كانت الدولة تنصب بعض الولاة الضعفاء تارة، والأقوياء تارة أخرى، وكانت تحدث الفتن والاضطرابات والقلاقل كثيراً في دمشق بخاصة وفي غيرها بعامة، وكان مركز الجزار في عكا وينصب متسلّمين على دمشق تحت إشرافه، وكانت سياسته الاستيلاء بالقوة ثم إرسال الأموال

إلى الآستانة مقابل إقراره في الحكم بالوجه المشروع، وكان لا يتورع عن القتل والنهب وإدخال الفزع في القلوب، حتى هلك واستراحت البلاد منه والعباد.

وأهم ما حدث في زمن الجزار بعد ولايته الثانية على دمشق، وقوفه في وجه نابليون، الذي احتل مصر وزحف على بلاد الشام من جهة العريش سنة/١٢١٣/هـ في ثلاثة عشر ألف مقاتل، فلما بلغ الجزار ذلك أسرع بتدبير الحصار وأرسل إلى يافا العسكر وحصّنها بالمدافع، وامتد إلى غزة بعساكره وعشائره، ووصلت جيوشه إلى قلعة العريش وأقاموا فيها، وحصلت وقائع بين الفرنسيين والجزار في العريش ويافا، انتصر فيها الفرنسيون في شعبان سنة /١٢١٣/ هـ، ثم سار نابليون بالعسكر قاصداً عكا على طريق الجبال فدخلوا حيفا صلحاً، ثم ساروا إلى عكا فحاصروها وبدؤوا الحرب خامس شوال /١٢١٣/ هـ ودامت يوماً كاملاً بليلته، وكانت الجيوش الإنكليزية مع العثمانيين.

وخرج من دمشق لقتال الفرنسيين جيشان:

آ ـ التقى الأول بهم في مرج ابن عامر سنة /١٢١٤هـ/، وكان هذا الجيش بقيادة الشيخ أحمد العطار[١] أحد علماء الشافعية، وشيخ الحديث بدمشق المتوفى سنة ١٢١٨هـ، فانتصر الفرنسيون بالنجدة والإمداد.

ب ـ والثاني قرب صفد عند جسر بنات يعقوب، انتصر الفرنسيون عليه وعلى عسكر الجزار، وانكسر الجزار في هذه الوقعة، لكن الطاعون ظهر في عسكر فرنسة، فمات منهم الكثير، وكانت الحروب قائمة على عكا ليلاً ونهاراً، فلما هلك بعض قواد الفرنسين على أسوار عكا مع جند كثير منهم، بدأ بونابرت

---

(١) ر: أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم بك ص/٣٢.

يتراجع إلى وطنه[1] بعد فقدهم ثلاثة آلاف وخمسمئة جندي قتلاً، وإلفاً بالطاعون.

وفي ١١/ ذي الحجة من سنة ١٢١٣هـ أمر نابليون جنده بالرجوع إلى مصر، بعد بقائهم في بلاد الشام شهرين.

وفرح الدمشقيون بهذه النتائج، لكن الخراب كان في فلسطين عامّاً بسبب تسلط الجند على الرعية.

وهكذا ازداد الجزار عتوّاً وظلماً للرعية ونهباً للأموال وقتلاً للنفوس البريئة، ومصادرة العقارات وتعذيباً وسجناً للأبرياء، وكان ممن قتل مفتي دمشق عبد الرحمن المرادي وقتل من قتله بأمره، وكان يصادر المصادرين ثم يقتلهم، ونشر الرعب والفزع في القلوب واستمر كذلك حتى مات /١٢١٩ هـ ١٨٠٤م/ وبعد أن ضرب الأهالي ضربة لم تصب بمثلها منذ أزمان طوال حكمه الممتد تسعاً وعشرين سنة[2].

ب ـ الفترة الثانية (فترة ما بعد الجزار):

فترة ما بعد الجزار فترة المتغلبة والمتسلطة بالقوة، فلقد خرج الشام بعد هلاك الجزار مقلّم الأظافر معروق العظام مقطّع الأوصال سيء الحال، وأحدث

---

(١) وذلك لنيل رئاسة الجمهورية الفرنسية التي كان يطمح إليها وبسبب إهاجة انكلترا ملوك الفرنج على فرنسة.

(٢) أحمد باشا الجزار، أصله بشناقي من أعوان علي بك أمير مصر، هرب إلى الشام لما قتل مولاه، واختلف إلى لبنان يطلع على أحواله،ولاسيما ماكان من حكم الظاهر عمر، ثم توجه إلى الآستانة فعين وزيراً على صيدا أولاً وحصّن عكا ورفع عن بيروت حكم بيت شهاب وضبط أملاكهم، وابتدأ يقتل الناس بالجملة لأتفه الأسباب بلا عهد ولا ذمة ولا خلق، ولو كان ممن أسدى إليه معروفاً من قبل.

موته فراغاً نفّس به خناق أرباب المقاطعات المتغلبين من الأعيان، وولي دمشق حدث بموته اضطراب وخلت دمشق من الأحكام، حتى نصبت الدولة بعض الولاة من قبلها، فكانوا مسيئين للأمة وللدولة، وحصل بينهم من التقاتل والحروب ما خرّب البلاد تخريباً فظيعاً منذ موت الجزار سنة /١١١٩/هـ إلى الحملة المصرية / ١٢٤٨، فكانت بلاد الشام تتخبط بأيدي الولاة الظلمة وأرباب الإقطاعات، والدولة غير مستريحة في داخليتها وخارجيها آنذاك، وقلما جاء البلاد والٍ عادل حكيم.

ومن أهم الأحداث بدمشق في ذلك الوقت مقتل سليم باشا والي دمشق، فلقد نصبته الدولة والياً على دمشق سنة /١٢٤٧/ هـ - بعد أن كان صدراً أعظم - وهو مبيد الإنكشارية - فهمّ باغتيال بعض أعيان دمشق وفرض الضرائب على العامة، فثارت البلد بإشارة الأعيان، فضرب الوالي العامة من أبراج القلعة بالقنابل حتى ضاق عليه الخناق، فهرب إلى بعض دور دمشق فأحرق العامة تلك الدار، وقتلوا سليم باشا مع بعض خواصه، وقطعوا أعناقهم وداروا برؤوسهم في البلد ثم دفنوها في القلعة، واجتمع أعيان دمشق ورتبوا حكومة مؤقتة[1]، لكن الدولة صرفت النظر وأرسلت والياً على دمشق جديداً، وأخذت تؤول عمل الدمشقيين وتختلق لهم الأعذار عما بدر منهم، كيلا تقع دمشق في قبضة إبراهيم باشا الذي خرج من مصر لاحتلال بلاد الشام آنذاك، وربما كان أعيان دمشق يريدون الاكتفاء بتهديد سليم باشا ليحملوه على الهرب، ولكن الأمر خرج من أيديهم إلى العامة، فقتلوه على غير رضى عقلاء الأمة وأعيانها في دمشق فيما يظهر[2].

---

(١) مؤلفة من الشربجي الداراني ورشيد نسيب الشوملي اهـ. خطط الشام.

(٢) ربما كان لمحمد علي باشا والي مصر يد خفية كما قيل في هذه الفتنة، ولعبد الله باشا والي عكا كذلك.

الفرع الثاني: العهد المصري: من (١٢٤٨ إلى ١٢٥٦)هـ، (١٨٣١ إلى ١٨٤٠)م

في ثالث المحرم / ١٢٤٨هـ أرسل إبراهيم باشا إلى أهالي دمشق، يطلب منهم أن يمكنوه من الدخول إليها فلم يجيبوا، ثم طلب ثانياً فأرسلوا إليه بالرفض القاطع، وفي رابع عشر المحرم من السنة ذاتها وصلت بعض جيوشه إلى قرب قرية داريا، فخرج إلى لقائهم أهالي دمشق بقيادة الوالي علي باشا في عشرة آلاف من الأكراد وخلق من أحداث البلد، فقاتلوا قتالاً يسيراً، وكان قتال جيش إبراهيم باشا إرعاباً فقط، فهرب الدمشقيون و لم يقصد كل من الفريقين إضرار الآخر، فقُتل من كل فريق رجل أو رجلان، ثم دخل إبراهيم باشا دمشق وقد هرب منها واليها علي باشا وعسكره والقاضي والمفتي والنقيب وجميع الموظفين وغالب الأعيان، وفوّض محمد علي ولاية دمشق إلى شريف باشا حاكماً عاماً على الشام وتحت يده الحكام وهو نائب عن الباشا، وفوض ماليتها إلى حنّا بك البحري من خاصته، ثم فصلت الحكومة المصرية حلب عن ولاية دمشق، وفي سنة ١٢٥٠هـ خاض إبراهيم باشا حروباً عديدة في بلاد الشام لإخضاع العاصين من الولاة[١].

وكان أهم ما قام به الرجل تنظيم الإدارة في الشام، والترخيص للسفراء الأجانب بدخول دمشق ومن قبل كانوا في بيروت، لكنه إلى ذلك أثقل ظهور الأهلين بالضرائب الباهظة[٢].

بدأ الاشمئزاز من حكومة محمد علي سنة /١٢٥٠/هـ لما أصدر أمره إلى ابنه إبراهيم باشا بقانون التجنيد الإلزامي، فرأ ى فيه الدمشقيون قانوناً يلزمهم بأن

---

(١) مثل قاسم الأحمد وأضرابه، ر: خطط الشام ج ٥٧/٣ وما بعدها.

(٢) كان يوقّع إبراهيم باشا بعد فتح سورية (الحاج إبراهيم سر عسكر عربستان) أي قائد جيوش بلاد العرب اهـ. خطط الشام ج٥٦/٣ وما بعدها.

يتجندوا لمحاربة الدولة التي تحتضن الإسلام لمصلحة والٍ مشكوك في نياته وتصرفاته متهم في ميوله بنظرهم آنذاك نحو الدول المعادية للدولة العثمانية كإنكلترة وفرنسة، فصاروا يفرون منه وزاد الأمر نفرة وفساداً أمر محمد علي باشا لولده المذكور باحتكار أصناف الحرير للحكومة، وبفرض ضريبة جديدة على الأهالي على كل فرد منهم سنة /١٢٤٩/ هـ اسمها (الفردة)، وزاد الحنق لنزع السلاح من الأهالي، فابتدأت الثورات على إبراهيم باشا في شتى البلاد، وضغطت الدول الكبرى بريطانية ومن معها على محمد علي باشا لإخراج ولده من الشام بعد انتصاره على العثمانيين في الحرب، على أن تبقى مصر لمحمد علي وذريته من بعده مع إمارة عكا (أي فلسطين من أرض الشام). بَيْدَ أن محمداً علياً أبى أن يخرج من الشام، فقررت بريطانية وحلفاؤها إخراجه بالقوة، ونازلوه من الساحل بالأساطيل تحمل الجيوش العثمانية والأوربية، فضربت الثغور والأسطول المصري وأحرقته مضطرة العساكر المصرية إلى العودة من طريق البر الذي جاءت منه، فأخذ إبراهيم باشا يجمع شمله في الداخل ويستدعي جنوده من الساحل، وخرج من دمشق سنة /١٢٥٦/هـ عن طريق البر صادعاً بالأمر الذي جاءه من والده بالجلاء عن الشام، خارجاً من (باب الله) ونزل في سهل القدم ومنها قصد إلى مصر عن طريق البر.

عيَّنت الدولة العثمانية عليّاً باشا الذي كان والياً على الشام يوم دخول إبراهيم باشا، وبقي قنصل بريطانية الذي أثار كثيراً من الأهالي مفوّضاً من الدولة بمراقبة أعمال ولاتها[1]. ولمعرفة ولاة دمشق في عصر ابن عابدين وزمن ولايتهم يُرجع إلى ملحق التواريخ في آخر هذه الرسالة.

---

(١) ر: خطط الشام لكرد علي ج٢/٣٠٢ إلى ٣٠٤ وج٣/٣ - ٦٧ وما بعدها إلى ص٧٢، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان من ص٥٣٧ إلى ٥٥٨ ور: تاريخ الجوتي ج٢/٤٥٩ إلى ما بعدها وج٣.

المطلب الثالث: أثر الحالة السياسية في ابن عابدين وموقفه من حكام عصره:

هذه الحالة السياسية المضطربة والأحداث الدامية، والفوضى الناشبة أظفارها في هذا المجتمع الدمشقي خاصة وفي بلاد الشام عامة، جعلت العلماء والأدباء وهم الطبقة المثقفة في الأمة، تنصرف انصرافاً كلياً عن العمل السياسي وعن الاشتراك في هذه الفتن، غير أن عواطفهم كانت إلى جانب الدولة العثمانية والخلافة بلا شك، وهم يكرهون كل من يناطح الدولة أو يشق عصا الطاعة عنها، باعتبار سلطة الدين الذي يأمر مُتَّبِعِيهِ بالخضوع التام لخلافة إسلامية واحدة، ورفض كل من يشق عصا الطاعة عليها، وعلى هذا التفسير نستطيع فهم كره المجتمع الدمشقي - وعلى رأسه علماء الدين - لإبراهيم باشا وحكمه، فهم قد رأوا فيه الثائر الباغي الذي يريد أن يفتت أوصال الدولة التي حضنت الإسلام ودافعت عنه كما ورد في الحديث: ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما))[1] هذا كله برغم ظلم بعض الولاة العثمانيين واستبدادهم حيث خطأ الفرد عندهم لا تحمله الدولة المسلمة، لكن ابن عابدين لم يكن آنئذ من رجالات الزعامة الدينية برغم كونه لا مثيل له بين أشياخه في العلم كما سيأتي معنا،ذلك لكون ابن عابدين ظل منضوياً طوال حياته حت لواء شيخه الشيخ سعيد الحلبي شيخ الشام آنئذ، وكان يعترف له برتبة الأستاذية والمشيخة ويتأدب معه الأدب الجمّ ولا يقر رأياً دونه، ولا يقطع بفتوى إلاّ باستشارته، وإذا عرفنا أنه توفي في حياة شيخه عرفنا سر عدم قيامه بأي عمل من شأنه أن يَعدُّه الناس جراءة شيخاً مستقلاً.

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن أبي سعيد الخدري عن علي والعباس معاً بلفظ: ((إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)) ر: كشف الخفا ج١/٨٤ وما بعدها.

أما الشيخ سعيد، فكانت له مع إبراهيم باشا مواقف جليلة ستأتي إن شاء الله في الترجمة له، ويعتبر ابن عابدين آخذاً بها متلبساً فيها لانضوائه تحت لواء شيخه الحلبي المذكور.

وابن عابدين على كلٍّ كان منتقداً الفتح المصري شأن مشايخه وأقرانه، وقد تندّ منه في بعض مصنّفاته عبارات من النقد اللاذع أحياناً، لكن موقفاً واحداً لابن عابدين نستطيع أن نعده من مواقفه الباسلة تجاه حكام عصره، وهي تصريحه في حاشيته ردّ المحتار «بأن ولي الأمر - الحاكم الأعلى - لا شأن له في التحليل والتحريم، كيف وقد قال فقهاؤنا: (ومن قال لسلطان زماننا عادل).فقد كفر حيث يكون اعتقد الظلم عدلاً». وقد توسع في تحقيق ذلك ابن عابدين في ردّ المحتار في بحث الأشربة[1]، وقد أدت هذه العبارة لمصادرة نسخ ردّ المحتار كما سيأتي معنا في دراستها، ثم أعيدت بعد إزالة التشويش من حولها، هذا ولقد انتقد ابن عابدين في حاشيته ردّ المحتار الغرامات والضرائب والمكوس التي كانت في عصره يفرضها الأقوياء وظلمة الحكام على عامة الشعب الضعفاء، وعبّر عنها بـ (جباية الشام وغراماتها) وقرر أنها ظلم، وكتب في ذلك المرحوم محمد كرد علي، الرئيس الأسبق لمجمع اللغة العربية بدمشق ومؤسسه، في مجلة المجمع عدة مقالات حول كتابات ابن عابدين الجريئة هذه، والتي لم يصدر عن غيره من فقهاء عصره مثلها فيما اطلعنا عليه، ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[2] - مقال جباية الشام - للكاتب المذكور.

---

(١) ر: مقالات الكوثري ص/١٣٤.
(٢) ر: مجلة المجمع ج١/٣٣٤ - ٣٦٥. قلت: وكان اسمه آنئذٍ: (المجمع العلمي العربي).

المبحث الثاني

عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي الاجتماعية وشرح الحالة الاقتصادية والظروف المادية في عصره ووطنه

استيقظت أوربة ذات يوم على الجيوش العثمانية تدق أبواب فيينة، وتهدد الغرب كله بالانهيار، الغرب الذي ظل مستسلماً لأحلام اليقظة بعد الحروب الصليبية، حتى تنبّه قليلاً حين سقطت القسطنطينية، ثم ذعر يوم وصل العثمانيون بالإسلام إلى أسوار فيينة.

منذ شروق شمس ذلك اليوم تحرك الغرب باتجاه الشرق في حروب صليبية جديدة ضد الدولة العثمانية، وبدؤوا يحملون معاول الهدم لهذا البناء الإسلامي الشامخ من شتى الجهات، من الداخل ومن الخارج، بالضعضعة والإتعاب والتخريب وإثارة الفوضى والقلاقل، وتحريض الأقليات الطائفية والثورات، ومناصرة الخونة الثائرين على الدولة كمحمد علي وولده إبراهيم وموازرتهم، إلى ما هنالك مما سمي فيما بعد بـ (المسألة الشرقية).

ولقد ساعد هؤلاء كثيراً في مهامهم اليهودُ الذين كانوا آنئذ في استانبول وبلاد الشام، وكانوا كثيرين، وكانت لهم السلطة المالية وبيدهم مقاليد الحركة الاقتصادية في البلاد الخاضعة للدولة العثمانية ولاسيما دمشق[1]، وكانت لهم يد طولى في كل

---

(١) ر: خطط الشام لكرد علي ج٣/١٠ وقال مانصه: ((في ١٢٠٩ صدر أمر الجزار بمصادرة صيارف دمشق واليهود وقتل بعضهم، وأدخل الرعب على أبناء نحلتهم)) ثم قال: ((قال جودة وكان هؤلاء الخونة يتقربون إلى رجال الآستانة بالأمور الدنيئة، فينصبونهم حكاماً في المقاطعات فيفسدون في الأرض ويتسلطون على العباد، حتى ترفع الرعية علم العصيان وتقاوم الحكومة ولا تبعة في ذلك على الدولة)) اهـ.

الحوادث التي سهلت تدمير هذه الدولة، وإلغاء الخلافة التي كانت منيتهم ومنية أسيادهم من الدول الكبرى التي تتبنى حرب الصليب ضد الهلال. ولقد كان ولاة الدولة العثمانية كبش الفداء، إذ أسندت إليهم الدولة تأديب الثائرين الذين تغذيهم دول أوروبة سراً، والأخذ على يد المفسدين من النصارى واليهود وأذنابهم، ونسب ذلك كله فيما بعد إلى الدولة العثمانية، التي وصفت بالفساد والجور وظلم الرعية والفوضى، ولا سيما من المؤرخين[1] والباحثين المتسرعين بالحكم، ممن خدع بما كتب مؤرخو الدولة العثمانية السابقون، ومن سوء حظ هذه الدولة أن تاريخها كتب بيد أعدائها.

ولقد أنصف الأستاذ كرد علي، حيث بيَّن أسباب هذه الفوضى والفساد[2] فقال:

«وأكثر الفوضى ناشئة من الجند الجاهل الذي تمادى في اللؤم والدناءة إلى درجة الوحوش الضارية، ويقسم هذا الجند إلى ثلاثة أقسام:

١ - الإنكشارية.

٢ - والقبو قولي، وهما القسمان القويان.

٣ - والقسم الثالث: حرس الولاة الخاص، وهو يتألف من المغاربة والتكارنة والترك والأرناؤوط والدالاتية وغيرهم، والعداوات متأصلة بين هذه الأقسام الثلاثة، ولطالما قامت بسبب ذلك فتن بينهم أهرقت فيها الدماء، ووقعت ويلاتها على الشعب فتنهب أمواله وتغلق حوانيته وتقف العمال، ولا سيما في

---

(١) ر: الحركة الأدبية ص/٣٧و ٣٨و ٣٩ وما بعدها.

(٢) كان الشام في القرن الثالث عشر الهجري مهد القلاقل والثورات، يقع الاعتداء في الأكثر على أهل السكينة من الفقراء والضعفاء، اهـ. ر: خطط الشام ج٣/.

الحواضر كدمشق، ولا تنفضُّ هذه المشاكل إلاّ بتدخل الولاة أو أحد الأعيان ويتكرر ذلك أبداً، لأن العلة الأولى فيها لم تستأصل، فلا يعاقب المجرمون ولا يحمل الأوباش على حرمة الشريعة، ولذلك كانت شوارع المدن وأحياؤها كثيرة الأبواب والأرتجة، وتقفل أيام الثورات وساعة المخاصمات والمشاغبات، وأكثر رجال الجندية نفوذاً الإنكشارية لكثرتهم وشدّتهم وصداقتهم للوالي، وكان زعماء الجند يلقبون بالآغاوات، ويرسمون على أيديهم الوشم شعار الفرقة التي ينتمون إليها، ويرسم على أبواب المقاهي اسم الفريق الذي يختلف إليها وليس لهم نظام خاص، والمحلات تخضع للآغا المقيم فيها وهو يخضع لزعيم الفرقة، ولم تكن تكفيهم إدراراتهم التي كانوا يتناولونها من مال الخزينة لكثرة أتباعهم، فيضطرون للعمل يذهبون إليه وهم مسلّحون، ليسهل عليهم الانضمام إلى فرقتهم متى دعت الحاجة، ولاشأن للخاملين وأهل الفسق إلاّ الاجتماع في المقاهي والحانات وإطالة أيدي الأذى على الناس، يصادرون أموالهم ويقتلون الأبرياء منهم، فتمادى الرعاع في فحشهم وفجورهم لضعف الحكام وقصورهم عن ردع الظلم، فنشأت فئة من الأشداء تولوا حماية أنفسهم ومن يلوذ بهم.

وكان علماء الدين وأهل التقوى، ينصفون أهل الذمة ويعاملونهم بالحسنى، ولكنهم لم يُوَفَّقوا كل التوفيق لردع الرعاع والمفسدين، فكانت البلاد تغط في فوضى وقلاقل واضطرابات لايدري أولها من آخرها»[1].

ولو ذهبنا نحلل أسباب فساد الجند والولاة على ماقال الأستاذ كرد علي، لوجدنا أن سبب ذلك انشغال الدولة عن الإصلاح الداخلي بالقلاقل والفتن، والحروب الخارجية مع أعدائها من الدول المعاصرة، وبالثورات التي قامت في أجزاء مختلفة من الدولة، ولم تتمكن الدولة من إنجاز عمل يستحق التوقف عنده، سوى القضاء

---

(١) ر: خطط الشام ج٣/٣ - ٦٧.

على الإنكشارية (١٨٢٦)م وبعد خروج المصريين غرقت البلاد بالصراعات والفتن، وكان ما أصاب دمشق منها فتنة /١٨٦٠/م فيما اتسعت رقعة الحروب وأطماع الدول الأجنبية في ممتلكات الإمبراطورية.

وأهم خصائص العصر تتركّز في تواتر الأحداث وتلاحقها، مما حمل السلطة على اتخاذ مواقف رد الفعل على الصعيد الداخلي، تجسد في استبدال الولاة المتسارع وتلاحق عمليات الترميم الإداري كتلاحق الوقوعات السياسية، وعلى الصعيد الخارجي فقد تميز العصر بوقوع الدولة في خضم التيارات السياسية الدولية[1].

وكان لذلك نتائجه على المجتمع الدمشقي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية.

فمن الناحية الاجتماعية: أدى تحريض الدول الأجنبية الأقليات الطائفية ضد الدولة العثمانية إلى انقسام في المجتمع الدمشقي وتصدع في بنيانه، وإذا عرفنا أن الامتيازات الأجنبية في البلاد جعلت هذه الأقليات تتمتع بقسط من العلم الحديث في مدارسها التبشيرية، أدركنا سر محاربة الدولة والولاة لهذا العلم الممزوج بكره الإسلام والدولة العثمانية، والعزم على هدمها والتخلص من السيادة الإسلامية، وبذلك نفر كل ذي اتجاه إسلامي آنئذ من هذا الاتجاه التبشيري المرتدي ألبسة العلم، فعزل الناس بذلك عن مجاراة روح العصر وتتبع الأنشطة الفكرية خارج حدود مدينتهم وولايتهم بحرية، وإذا حرص الولاة على شيء من ذلك فأسبابه تلك التي ذكرنا.

---

(١) ر: الحركة الأدبية ص/٤١ وما بعدها.

أما من الناحية الاقتصادية: فقد أرهق الأهلون بالضرائب التي يفرضها الولاة على المواطنين ولا شأن للدولة في أكثرها، وقد لا يصل منها إلى خزينتها إلاّ جزء يسير، ولكن كثرة الثورات والفتن جعلت الولاة يرزحون تحت ثقل تهيئة الجيوش والإنفاق على العسكر، لكي تبقى شوكة الدولة قائمة ويبقى الوالي في أمان من القتل والاغتيال كما فعل بسليم باشا، وهكذا أدى ذلك إلى حرمان المدينة من المرافق الحيوية كالطرق، كما ازدادت الهجرة إلى خارج البلاد بسبب الفوضى والقلاقل، ويحلو لنا أن نختم البحث بكلمة عن حالة دمشق الاجتماعية في عام /١٨٣٠م - ١٢٤٨هـ، لعمر أبي النصر في كتابه سورية ولبنان في القرن التاسع عشر: «كانت دمشق في ١٨٣٠م ضيقة.... وكانت سيداتها تسير في الشوارع بالإزارات ذات الألوان المختلفة ومن مصطلحاتهم (المتحجبات) أن يصبغن شعورهن بالحناء ويرسلنه ضفائر على ظهورهن إلى أسفل، وفي كل طرف ضفيرة شريطة من الحرير الأسود معقود عليها بضعة من النقود الذهبية (الجهادية) أما لباس الرأس فقبعات صغيرات حمر كالطرابيش معممة بمنديل مزركش مزيّن بالحلي والجواهر.

أما في العائلة فقد كان يكثر اجتماع الرجل بالمرأة عند النصارى، أما الإسلام فإذا لم يكن الضيف محْرَماً قلّما يتجاوز حديث السيدة معه كلمة (نعم) أو (لا)، وعند النصارى إذا لم يكن الضيف من أصدقاء العائلة الأخصاء - كذا -.

والفتاة تتمتع بحديثها حتى يوم الخطبة، ولا يجوز لها بعد ذلك أن تظهر أمام خطيبها أو أن تسمع اسمه ملفوظاً أمامها.

وفي كل بيت دمشقي مصطبة وفيها ديوان (مقعد) يحيط بها من جهاتها الثلاث، وبحذاء المصطبة غرفة واسعة في وسطها (منقل) ناره لا تطفأ، نراجيل حاضرة وآنية للقهوة، وحين تطأ قدما الضيف البيت، تبدأ الخدم بالحركة، فيقدمون شراب الليمون أولاً ثم الدخان ثم الحلويات فالقهوة.

وكان سكان دمشق يبلغون أوائل القرن التاسع عشر (١٠٠٠٠٠) نسمة ولكن اجتاح البلاد ١٨٤٨م الهواء الأصفر فأودى بحياة الكثيرين»[١].

أما الجوائح التي اجتاحت دمشق في هذه الفترة فأهمها:

١ ـ جوائح الجزار وغزوة نابليون بونابرت لدمشق واضطهاد إبراهيم باشا لأهل دمشق.

٢ ـ الهواء الأصفر ـ الطاعون المسمى اليوم بالكلوليرا ـ ولقد هبّ في دمشق في زمن ابن عابدين عدة مرات قتل فيها كثير من أهل دمشق.

٣ ـ /١٢٠٦/ طوفان بدمشق[٢].

٤ ـ طاعون /١٢٢٨ و١٢٢٩ هـ[٣].

٥ ـ طاعون ١٢٤٢[٤].

ذيل: تحليل لما سبق ونتائج:

قبل الوجود المصري في سورية، أي ما قبل سنوات (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م)، كانت دمشق مركزاً لإيالة الشام[٥]، وعندما حكمها إبراهيم باشا ألغى التقسيمات الإدارية العثمانية، وجعل المدينة مقراً لسلطته المركزية، وذلك بوصفه (حاكماً عاماً وقائداً أعلى للجيش)، إلاّ أن عودة البلاد إلى الحكم العثماني أحيت

---

(١) ر: سورية ولبنان في القرن التاسع عشر لعمر أبي النصر ص/٤٧.

(٢) ر: روض البشر للشطي.

(٣) ر: رسائل ابن عابدين.

(٤) ر: حصول الأنس للغزي.

(٥) منذ بداية القرن الثامن عشر وحتى العام ١٨٣١، اشتملت بلاد الشام على ثلاث إيالات هي: إيالة الشام، إيالة حلب، إيالة طرابلس، وكانت إيالة الشام تضم عدداً من الألوية التي كانت تسمى (سناجق) هي دمشق القدس غزة نابلس عجلون صفد صيدا بيروت، الكرك، الشوبك اهـ.

التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة من قبل وبقيت كذلك إلى حين صدور قانون تنظيم الولايات في ١٨٧٤/١١/٨)، فسميت دمشق مركزاً لولاية سورية يقيم فيها الباشا الوالي وأركان جهازيه المدني والعسكري، ولقد كان فرمان تعيين الولاة يصدر لعام واحد، لكن التجديد كان أمراً اعتيادياً، ومع ذلك كانت سياسة الدولة إضعاف مراكز الولاة وتجريدهم من سلطاتهم الفعلية وإن بقيت في الشكل.

بدأت صورة دمشق تتجلى على هذا الشكل بمقدم واليها أحمد باشا الجزار (١٧٢٢ - ١٨٠٤)م في بداية القرن التاسع عشر، وكانت ولايته الرابعة على مدينة دمشق في /١٨٠٣/م امتداداً لسنوات خلت من الظلم، ذاق خلالها الدمشقيون من طغيانه فنوناً، فقط اصطبغ عهد الجزار بالسلب والتعذيب والقتل وبموته (١٨٠٤/٤/٢٤) تنّفس الناس الصعداء، وما كانوا ليصدقوا الخبر لولا تواتره، حتى قال ابن عابدين[1]:

هلك الجزارُ ولا عجب ... ومضى بالخِزي وبالإثْم
وبميتته الباري عنّا ... أرخْ قد كفّ يد الظلّم

وطارد أعوان الجزار وحاشيته الدمشقيون بما لم يسبق له مثيل، ثم كان ولاة عثمانيون منهم المحسن ومنهم المسيء، حتى كان الفتح المصري للمدينة (١٨٣١م) على يد إبراهيم[2]، وكانت الفترة المصرية تسع سنين ناقصة غير كاملة إلى (١٨٤٠م)[3]، وكان عدد سكان دمشق في عهد محمد علي باشا وولده إبراهيم باشا آنئذ (٢٥٠٠٠٠) نسمة، بعدما كانوا يقاربون مئة وأربعين ألفاً،

---

(١) ر: روض البشر ص/٤٣.
(٢) كانت إقامة إبراهيم باشا وعسكره في سهل القابون بظاهر دمشق.
(٣) سنة الطاعون.

ولكن إبراهيم باشا كانت له مساوئ كثيرة، من جملتها فرض الضرائب والأتاوات على أفراد الشعب، حتى وصل الأمر إلى فرض ضرائب شخصية على أفراد الشعب، ثم الامتيازات التي منحها للأجانب، وذلك الاهتمام الكبير بالإنكليز والفرنسيين، كل ذلك وغيره سبب انحراف الناس عنه وكرههم له، وأكبر دليل على ذلك استقبال إبراهيم باشا العظيم للقنصل الإنكليزي (غارن) واحتفاؤه به ثم مناصرة الإفرنسيين والإنكليز له وتطميعهم إياه بالانقضاض على الخلافة والثورة على سلطان المسلمين، كل ذلك يدعونا إلى رسم علامات الاستفهام حول هذا الرجل، وحول إدارته الجديدة التي جاءت ببعض الاصلاحات، ولكنها أذلت البلاد والعباد.

لهذا وغيره كان كره الناس شديداً للفتح المصري ولا سيما في أواخره، وزاد الطين بلّة سماح إبراهيم باشا بأمر خاص منه بفتح خمّارة في دمشق، بحيث ما كان يجرؤ أحد على ذلك قبل الفتح المصري، ولكأن هذا الرجل جاء دمشق ليرفع من شأن الأجانب، ويذل الخلافة العثمانية ويضعضع من شأنها، حتى تركع ذليلة على أقدام الدول الكبرى التي تولت قيادة الحملة الصليبية الجديدة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، والتي انتهت بإلغاء الخلافة واحتلال أكثر البلاد العربية والإسلامية بقوة السلاح وتأسيس دولة إسرائيل!!![1].

وما كاد عهد إبراهيم باشا ينقضي (١٨٤٠)م حتى شهدت دمشق سلسلة من الولاة العثمانيين، اتهموا فيما بعد بأنهم يسيئون معاملة الذميين من أهل

---

(١) ر: مذكرات تاريخية ص/٨٧ و ٨٨ و ٩٠، واقرأ في هذه الصفحات خبر قرض البواريد الذي فعله إبراهيم باشا بسكان دمشق!!.

الكتاب، والحق أن هذا حصل من الرعاع وبعض العامة، فلقد كان فريق من العلماء وأهل التقوى وأكثر الولاة، يرون معاملة الذمي بالحسنى تبعاً لقواعد الدين الشريفة، ولكنهم لم يُوَفَّقوا دائماً لردع الرعاع[1].

وبعد هذا كله، إذا أردنا برهاناً على صدق ما ذهبنا إليه فلنستمع بهدوء إلى عبد الرزاق البيطار الدمشقي[2] المؤرخ للقرن الثالث عشر، يقول ما خلاصته: ((إبراهيم باشا المصري: غشوم ظالم وظلوم غاشم خليفة الحجّاج وتذكرة السفاح في أقواله وأفعاله)).

ثم قال: ((ثم إنّ إبراهيم باشا لما زاد في عتوه عارضته الأجانب، وتعصّب الإنكليز في الظاهر للدولة العثمانية التي كانت في تعب شديد، فقهروا معاً السلطان ومحمد علي باشا، ولم يسمح الإنكليز للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمقاصد له، فأراد أن تبقى مصر على شبه استقلال ليضعف كل من الجهتين، فبقي محمد علي باشا والياً على مصر بشروط معلومة)).

ثم قال: ((وكان إبراهيم باشا قد تمكّن من البلاد الشامية وقهر الناس واستباح الحرام، وفعل جميع الموبقات والآثام، وفرض على كل فرد بالغ من أهل المدن والقرى مالاً أقله (١٥) قرشاً وأكثره (٥٠٠) قرشاً تؤخذ في كل سنة، واستولى عسكره على المساجد والمدارس والتكايا، فلم يمكّنوا المصلين من دخولها، بل جعلوها لسكناهم ولدوابهم، وذلك سنة ١٢٤٩هـ!!..

وقد أذل أهل العلم والشرف والاحترام، وأعز الأسافل والطغاة واللئام)). ثم قال: ((وفي سنة ١٢٥٠ هـ شرع

---

(١) خطط الشام ج٢. وانظر ما تقدم.

(٢) روض البشر ص/١٥ وما بعدها، وحلية البشر ج١/١٥ إلى ٢٨.

بإدخال من وقع في قبضتــه في العسـكرية، فهـرب النـاس وتشـتت أمرهـم وعظـم الكرب وتعطّلت الأشغال))[1]

ثم قال بعد قليل: ((و لم تزل يد الصّغار تستطيل عليه وجيوش التأخير توجّه إليه إلى سنة ١٢٥٥هـ)).

ثم قال: ((وورد الأمر من محمد علي باشا إلى ولده بقتل علي آغا ابن محمد خزنة كاتبي، ثم صدر الأمر بخروج إبراهيم باشا وعساكره من الأراضـي الشـامية إلى الأقطار المصرية.....إلخ)).

ثـم قـال: ((وأخـذ معـه جميـع الحبـوب والمواشـي مـن غـير خـوف ولا تحاشي))ا.هـ[2].

ومن هذه النصوص نعلـم أيّ بـلاء قاسـته دمشـق مـن هـذا الظـالم المستبد السفّاح، الذي كان خليفة للجزار، ولكن عين الرضا عن كل عيب كليلة!! فما أبعد هذا الكلام الصادر من ابن القرن الثالث عشـر مـن قـول أحدهـم: ((وهكـذا أنزل إبراهيم باشا دمشق منزلتها اللائقة بها وعرف لها مكانتها فحفظها لها))[3].

وبعد، فهذا كله مما سقته إليك هو اتجاه أرباب الفكر وأئمة الدين وأساطين العلم المعاصرين لإبراهيم باشا، صوّرته بهذه الأسطر كما فهمته من نقولهم وليـس لي سوى النقل، والعهدة على القائل.

---

(١) روض البشر ص/٢٠.

(٢) ر: روض البشر من ص/١٥ إلى ٢١ وحلية البشر للبيطار ج١/١٥ إلى ٢٨.

(٣) واقرأ إن شئت النفوذ العظيم الذي كان لليهـود في دمشـق بزمـن ابـن عـابدين، نتيجـة للحكم ولجهود إبراهيم باشا المشكورة بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

الفصل الثاني

عصر ابن عابدين وموطنه من النّواحي العلميّة

• مدخل

- تمهيد.
- العلوم الدينية في عصر ابن عابدين.
- الفقه ـ التفسير ـ الحديث.
- العقائد.
- الآداب: علوم العربية ـ التاريخ.
- العلوم الكونية.

• ثبت بأعلام العلوم الدينية في دمشق في القرن الثالث عشر الهجري.

• الآداب في عصر ابن عابدين ووطنه.

• العلوم الكونية في عصر ابن عابدين ووطنه.

مدخل

كان القرن الثالث عشر تتمة القرن الثاني عشر، من حيث عدم التجديد والإبداع في العلوم الدينية والأدبية، وعلى بطء وضعف، وذلك لمشاغل الدولة السياسية وأعبائها المالية الجسيمة. فلم تعرف سورية حياة تعليمية بالمعنى المعاصر لهذه العبارة، ومرد ذلك إلى اندثار المدارس التي كانت قائمة قبل الفتح العثماني وأثناءه، وفقدان المدارس الحديثة[1] واكتفاء الأهلين بما لديهم من فرص التعليم في الجوامع والخوانق والكتاتيب، حيث يتعلم الأطفال مبادئ الكتابة والقراءة وطرفاً من الحساب، ويحفظون القرآن الكريم. ظلّ الأمر على ذلك حتى قبيل خروج المصريين من البلاد، حيث تجاوزت الدولة النواحي التعليمية في خط كلخانه فبقي التعليم متخلفاً، وظل الأمر كذلك حتى عام /١٨٦٩/م، أي إعلان نظام إدارة المعارف الذي نظّم التعليم في أرجاء الدولة[2].

---

(١) خطط الشام ج٣. قلت ولكن الشطي في روض البشر يقول: ((إن المدرسة الجقمقية كانت هي المدرسة الملكية ـ أي الرسمية السلطانية ـ الوحيدة بدمشق، خلفها مكتب عنبر، ثم التجهيز الأولى. روض البشر ١٦٧))

(٢) خطط الشام ج٣.

دراسة في النواحي العلمية في القرن الثالث عشر:

آ - العلوم الدينية:

كان للعلوم الدينية الحظّ الأوفر في التقدّم في هذا القرن، ويكاد يكون أكثر رجالات العلم بهذا العصر مشاركين في العلوم الدينية، فضلاً عن المتخصصين فيها.

على أن العلوم الدينية، وإن كان لها سوق رائجة في هذا القرن، لكنها لم تتجدد أساليبها من اختصار وشرح وتحشية وتقرير وما إلى ذلك، ولم يوجد من يرجّح أو يخرّج أو يعالج مشاكل العصر، إلاّ ما كان من ابن عابدين الذي نترجم له، فهو العالم الديني الوحيد فيما نعلم، الذي استطاع أن يفكر ويستنبط الحلول للمشكلات، وأن يجدد في جوهر الفقه ولبّه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.. ولم تحظ العلوم الدينية الأخرى، من تفسير وحديث وعقائد فيما نعلم، بمن ينفض عنها غبار القرون، فبقيت على ما كانت عليه، ولم تظهر تصانيف كثيرة بدمشق في هذا المجال، بل انكب علماء هذا القرن على مؤلّفات الأقدمين، إلاّ ما كان من الأمير عبد القادر الجزائري نزيل دمشق، الذي صنّف مصنّفات جيدة في التصوّف[1]، والشيخ خالد النقشبندي الذي ألّف في العقائد، ولكن ذلك لم يصل إلى حد التجديد...[2].

وجاء في مقدمة كتاب أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم، والمقدمة بقلم ولده عدنان مردم ما يلي:

---

(١) من جملتها (المواقف) وهنالك العلامة مصطفى كمال الشريف الصوفي له كتب في التصوف جيدة، ولاسيما في علوم الشيخ ابن عربي اهـ.

(٢) من جملتها: (الفرق بين الكسبين)، و(القضاء المبرم والقضاء المعلق).

(ففي دمشق قام السيد محمد عابدين الذي كان دائباً على نشر العلم يحل المشكلات العلمية بفهم ثاقب حتى بلغ من الشهرة أن توافد الناس عليه زرافات ووحداناً وأخذوا منه كشيخ الإسلام عارف حكمة الذي استجازه، وكانت للسيد عابدين تآليف كثيرة وجليلة ومن أهمها حاشية الدر في خمسة مجلّدات والتي اشتهرت في سائر الأقطار الإسلامية والعربية. ثم قال: وكان الطابع المميز للنهضة الدمشقية فقهياً بحتاً لقيام أسر معروفة في دمشق نذرت نفسها للعلوم الشرعية ولتتبع هذا العلم ودراسته ونذكر من تلك الأسر: آل حمزة، والأسطواني، والغزي والمرادي وعابدين والحلبي) ر: أعلام القرن الثالث عشر ص/٦ وما بعدها.

ب ـ العلوم الأدبية /الآداب/:

قبل البدء بدراسة الآداب في دمشق أحب أن أُنبّه على أني سأدرس الفترة الواقعة من /١٨٠٠ ـ ١٨٧٥/م فقط تقريباً، أي زمن ابن عابدين وما بعده بقليل، إذ أن فترة حياة ابن عابدين من عام /١٧٨٤م ـ ١٨٣٦م/ وما بعدها إلى عام /١٨٧٥/م فترة واحدة ليس فيها اختلاف مطلقاً، وإنما حددت هذا التحديد /١٨٧٥/م لأنه الوقت الذي أصدرت فيه الدولة تنظيم ديوان المعارف ونظمت التعليم الرسمي في أنحاء الدولة، ويعتبر هذا الحدث بداية الانقلاب الفكري في الدولة بعامة، وفي دمشق بخاصة.

والنقد الأساسي في نتاج الأدباء الدمشقيين في زمن ابن عابدين يتمثل في تقليد الصيغ الأدبية التي كانت رائجة من جهة[1]، وقصورها عن بلوغ المستوى في الأصل من جهة ثانية، وتعليل هذه الظاهرة فيما يبدو بانعدام النقد والتقويم، تلك العزلة التي عانى منها الأدباء، وخلو أجواء الفكر من المناظرات العامة، فانعدمت بذلك روح المبادرة والتجديد، واكتفت دمشق في هذه المرحلة

---

(١) من تكلف للبديع وألاعيب الشعر وما إلى ذلك.

بالموضوعات التقليدية فقط، من دينيات إلى أدب اجتماعي ثم أدب وجداني، وأخيراً أدب تسجيلي.

هنالك عاملان فيما يظهر للجمود الفكري، الذي ران على عقول نصيف كبير من أدباء دمشق في الفترة المشار إليها:

الأول: الحالة السياسية والاجتماعية التي مرّت بها البلاد في تلك الفترة.

والثاني: انفصام الأديب عن نفسه كمخلوق فطر على الرصد والتعبير.

وهكذا نَشهد خلو المرحلة من آثار أدبية تشارك فيما يدور على صعيد الأحداث، وإن وجد كان تأريخاً لها بطريقة السرد المجرد، وبدون اهتمام وبعد وقت طويل...!!

وأحب أن أُنوّه ونحن على عتبة الدراسة الأدبية لهذه المرحلة، أننا احتزأنا من الشواهد بما يدل على ما ذهبنا إليه فقط، وهو غيض من فيض مما تجمع بين أيدينا من الشواهد، أو أحلنا القارئ إليه في مظانّه.

١ ـ الدينيات:

يدور هذا الباب حول مناجاة الخالق ومدح الرسول الأعظم ﷺ والحضرة النبوية ومدح آل بيته الطاهرين، يسمى بـ (البديعيات) وفي بعض جوانبه يتصل بما دار من خلافات في مسائل الدين.

ومع أن موقع الدين في صميم المجتمع الدمشقي كان في المرتبة الأولى على امتداد القرن الفائت، كان عجز أدباء دمشق عن بلوغ أهدافهم يكاد يكون واضحاً شكلاً ومعنى.

آ ـ **ففي الشّعر**: وهو من الفنون الأدبية الرائجة في تلك الحقبة بدمشق، نجد أمثلة مزجاة للمناجاة الإلهية عند ثلاثة من أدباء دمشق هم: خليل الرومي

وقاسم القاسمي الشهير بالحلاق والشيخ محمود حمزة، ولم ينجح هؤلاء فيما يظهر في رفد الشعر الديني بأصالة أدبية أو عمق تفكير، فمما قاله القاسمي:

أشكو إلى اللّه ما ألقاه من لَمم ... وما أقاسيه من ضرّي ومن ألمي
بالذّلّ وافيتُ باب العزّ منكسراً ... مستغفراً من ذنوب أوجبتْ سقمي
يسِّرْ وأصلحْ وأحسنْ منك لي كرماً ... أمري وديني مع الدُّنيا ومُختتمي

ومما قاله ابن حمزة:

يا ربّ ذنبي عظيمٌ أنت تعلمُه كرماً ... كيف النجاةُ ورأس المال خسرانُ

أما مدح الرسول محمد ﷺ، فقد جاء تقريرياً جافاً، فمما قاله علي الشمعة:

إنّ هذا النبيَّ فاقَ الأناما ... وتسامى جاهاً وعزَّ مقاما

ومروراً بمحمد سليم قصاب حسن وعبد السلام الشطي وسليم الحصني، لا نجد أحلى مما قاله محمود العظم الذي مدح الرسول صلوات الله عليه في قصيدة مطوّلة:

سلوني فأحكامُ الهوى بعض حكمتي ... وأحكامُ آياتِ الغرام مزيّتي
بدا لي به نورُ الحقيقة ظاهراً ... فشاهدتُ ذاتي تنجلي لبَصيرتي
فمحبوبُ قلبي إنْ تأملتُ واحدٌ ... أنِستُ به للانفراد بوَحْدتي

وهي تقترب من مائتي بيت [١]

وقال محمد سليم قصاب حسن في ذلك:

هو المصطفى صفوةُ الله مَنْ ... تفرّد في الخلق لا نِدَّ لهْ

---

(١) روض البشر ص/٢٧١.

وجـيزُ المديـح لـه أنـه عظيمٌ على قـدْر مـن أرسلهْ

أما الحضرة النبوية فقد امتدحها ابن عابدين في سنة /١٨٠٥/م حين كان وفد بلده حاجّاً بقوله:

يا نوقُ سبحانَ الذّي أدناكِ من أرض الحبيب وحلّ من أقصاني

أما مديح آل البيت، فمما قاله عبد السلام الشطي في ذلك:

أيـا عِـتْرةَ المختـار إنـي أُحبُّكـم
وأرجـو بكُـم فـوزاً وأرجـو لكُـم قُرْبـا
فقـد جـاء أن الله يسـألُ عبْـدَه
إذا كـان يـومُ الحشْر عـن حـبّ ذي القُربـى[1]

هذه الأمثلة تدلنا على فقدان الشاعرية التي كان شعراء تلك الحقبة يفتقرون إليها، وعلى محدودية المعاني، وهكذا ابتعد الشعر الديني عن جوهر الدين الإسلامي، وانحسرت النفحة الصوفية الحارة في شعر العصر وغلبت عليه المادية الجافة إلاّ فيما نَدَر.

ب ـ النثر: لم يكن النثر الديني مثل الشعر الديني فيما يبدو، بل كان فيه حدية وعمق، فلقد كان كل من ابن عابدين ومحمود حمزة وعمر العطار وأمثالهم من أدباء هذه الحقبة، يحرصون في نتاجهم المطبوع على إيضاح عدد من القضايا المطروحة على صعيد البحث الديني، كمسائل الأوقاف والحكم والفتاوى والاجتهاد والخلافات المذهبية وما إلى ذلك. على أن التأليف الديني في هذه المرحلة كان متقلّصاً عن المرحلة التي سبقتها بالمقارنة باستثناء أفراد قلائل كابن عابدين، وذلك عائد لطبيعة الأحداث التي مرّ فيها المجتمع الدمشقي آنئذ.

---

(١) روض البشر ص/١٦٩.

نماذج من الأدب الديني:

في المناجاة: خليل المرادي سنة١٢٠٦هـ يقول:

يـــــا رب إن ذُنوبـــــي كثـــيرةٌ ليـــس تُحصَـــر
وفيــــك كـــلُّ يقيـــني بـــأنّ عفْـــوَك أكـــثر[1]

خليل الرومي سنة /١٢٠١/هـ:

أغِـــثْ أغِـــثْ يـــا إلهـــي مـــن لي إذا لم تُغثْـــني
إليـــكَ فوّضـــتُ أمـــري فَلِلسِّـــوى لا تَكِلْـــني[2]

شاكر العقاد سنة /١٢٢٢/هـ:

قـــد آن يـــا خلّـــي ويـــا بُغيْتي أرجعُ عـــن مَيلـــي وعـــن صَبْوتـــي
وأتقـــي ربّـــاً ســـريعَ الرِّضـــا يُنعِـــم بـــالعَفْو وبالتّوبَـــة[3]

محمود العظم سنة /١٢٩٢/هـ، قال في مدح الرسول ﷺ:

مســـتجيرٌ بســـيِّد الكائنـــاتِ صـــاحبِ البيِّنـــات والمُعْجـــزاتِ
النـــبيّ الأُمـــيّ أفضـــل خلـــق الله ممَّـــنْ مضـــى ومَـــنْ هُـــو آتِ..

وآخرها:

كلّمـــا رمـــتُ نهضـــةً أثقلَتْـــني نُـــوَب الدهـــر آهِ واحسَـــراتي
مَـــنْ لعبـــدٍ بجسَّـــم مـــن معـــاصٍ صـــارَ منْهـــا في أسْـــوأ الحـــالاتِ
كيـــف حـــالي إذا رأيـــتُ كتـــابي بالخَطايـــا قـــد ســـوَّدتْه حيـــاتي
يوم طمس النُّجوم مـــن شدّة الهـــوْل وســـيْرِ الشـــوامخِ الراســـياتِ

---

(١) م.ن. ـ ص/١٠٩.
(٢) روض البشر ص/١١٠
(٣) م.ن ـ ص/١٤١.

وقال في الحضرة النبوية:

هذا الحِمى فانزلْ على باناته ... وأنِخْ بنا يا صاحِ في عَرَصاته
عفّرْ خدودَكَ من ثَراه بعنبرٍ ... تتمسّك الأرواحُ من نفحاتِه[1]

يوسف بدر الدين المغربي المتوفى ١٢٧٩هـ، يمدح الرسول ﷺ في قصيدة مطولة من ثلاثمائة بيت سماها عريضة الابتهال، قال منها:

إليكَ رسولَ الله وجَّهتُ وجْهَتي ... لأنَكَ بابُ الله في أيِّ منْحَة
وأنتَ مَلاذُ العارفين بأسْرِهم ... إذا ما استغاثُوا سيِّما يومَ حَسْرة
ألا يا رسولَ الله إنِّيَ خائفٌ ... فسلْ خالقي فضلاً يؤمّنُ خِيفَتي
ألا يا رسولَ الله إنِّي مُبْتلىً ... ألا فاسألِ المولَى يُزيلُ بَلِيَّتي
ألا يا رسول الله كَدْتُ بعلّتي ... أذوبُ فسلْ مولايَ يبرئُ عِلّتي

وقال في آخرها:

عليك صلاةٌ مع أجلّ تحية ... من الله تنهلاّنِ في كُلِّ طَرْفةِ
ولما شهدت اللُّطف قلتُ مورّخاً ... لك الشكر يا والي على أيِّ مِنَّةِ

١٢٧٠[2].

٢ - الأدب الاجتماعي:

تدور أغراض هذا الباب حول الموضوعات التقليدية المكرورة، وفي مقدمتها المدح والهجاء والفخر والتهاني والرثاء، كما يأتي الشعر في طليعة الفنون الأدبية التي طرقت هذه الموضوعات. والذي احتل الحيِّز الأكبر من أدب الاجتماعيات هو المدح، ولكن نماذجه ليست مما يستجاد في الأغلب.

---

(١) م.ن. - ص/٢٧٢.

(٢) روض البشر ص/٢٩٨.

فمن هؤلاء المادحين من الشعراء محمد نسيب حمزة، الذي مدح إبراهيم باشا فاتح الشام، وعبد الغني السادات الذي امتدح علي باشا وزير الشام، ومحمد حمزة الذي مدح فؤاد باشا والي دمشق، وعبد المجيد الخاني الذي مدح توفيق بن إسماعيل الخديوي. ولم يكد يوجد بين أدباء دمشق من شذَّ عن التقرب من ذوي السلطة سوى عدد قليل منهم، ومن هؤلاء راغب تقي الدين الحصني المتوفى سنة/١٨٧١/م.

وهناك بعد ذلك شعر المجاملات الاجتماعية، وهو لا يقوم على مصالح مباشرة كما رأينا في شعر المديح، بل يتوجه به ناظمه اعترافاً بالفضل وامتناناً بالجميل، ومن شعراء المجاملات خليل الرومي ومحمد شاكر العمري والشيخ أمين عابدين[1] وحسن البيطار وعبد الغني السادات ومحمد الجملة الخلوتي وأحمد المنيني وعبد السلام الشطي ومحمد جميل الشطي وأحمد اليافي وهبة اللّه التاجي وعبد الحليم اللوجي وعبد الغني الميداني وسليم بهجت الحصني. وهذا الشعر اصطبغ كما ترى بمعان عادية مكرورة لا تعدو ردود الفعل من تهنئة أو ترحيب بعودة مسافر وما إلى ذلك، كقول الميداني في عودة الشيخ حسن البيطار من الحج:

وَمضَتْ بروقُ الحيِّ في الظّلْماءِ سَحَراً أهاجتْ لاعِجَ الأحْشاءِ[2]
ونضتْ سيوفَ الهنْدِ في إبراقِها فهَمَتْ عيونُ مَدامِعي بدِماءِ

أما الفخر، فمن شعرائه محمود العظم ومحمد سعيد القاسمي وعبد المجيد الخاني، ففي تفاخر العظم نلحظ الهدوء والاتزان، وفي فخر القاسمي تركيزاً على الذات، وفي فخر الخاني اعتداداً بمكانة أسرته العلمية.

---

(١) حلية البشر ج٢/٨٦٧ - ٨٧٢.
(٢) ٢م.ن. - ص/ن.

وإليك قول العظم:

أأشربُ والزُّلالُ يُخاضُ فيه ... ومن نهر المَجَرّة كانَ مائي[1]

أما الرثاء فيمتاز في هذه الحقبة بالرهافة والصدق وحرارة العاطفة، وإن لم يخل من الرتابة وأجمل المراثي تلك التي جادت بها قريحة العلاّمة ابن عابدين في رثاء شيخه أحمد العطار وشيخه محمد الكزبري وشيخه خالد النقشبندي الذي رثاه بقصيدة قوية صادقة الشعور استهلها بقوله:

أيّ ركْنٍ من الشريعة مالا ... فرأيناه قد أمالَ الجِبالا

ومن الشعراء الأوائل في هذا المضمار إبراهيم العطار وعبد الله الحلبي ومحمد الصالحي وعبد الرزاق البيطار الذي رثى أباه الشيخ حسن البيطار بقصيدة منها هذا البيت الذي يعبّر عن شاعرية عميقة صادقة:

قُل لُمغْترٍ بالحياة تنبَّهْ ... لرحيلٍ فالعُمْرُ لَمْعُ سرابِ

ومن الشعراء الدمشقيين المتأخرين الذين خرجوا عن هذه الرتابة كما خرج عنها البيطار المذكور، جميل العظم وصلاح الدين القاسمي الذي أثر عنه منحاه التعجبي وأسلوبه الرصين وشاعريته الجياشة.

نماذج من الأدب الاجتماعي:

من شعر المجاملات قول الشيخ أحمد البربير سنة /١٢٢٦/هـ مادحاً الشيخ سعد الدين النابلسي الصالحي:

يا قلبُ زُرْ بالصّالِحية صالحاً ... فيه يقيني من عَناايَ يَقيني

هذا وإن يَكُ سعْدُ دُنيايَ انزوَى ... عنّ فحسبي قربُ سعْد الدِّين[2]

---

(١) أعيان دمشق للشطي ص/٢٧١ ـ ٢٧٢.

(٢) روض البشر ص/٣٣.

وفي الرثاء قال البربير المذكور في رثاء الشيخ أحمد العطار:

صاحِ عدّدْ فاليومَ ماتَ البُخاري مُذْ رُزِئْنا بشيخِنا العطّار

الشيخ حسن البيطار سنة /١٢٧٢/هـ يردُّ على مدح شيخ الإسلام له بقصيدة، فرد البيطار:

يا سائلي عن دليل الصّدق في خبري شَواهدُ الفضْل لا تحتاجُ للحُجَج

فيمِّم الرَّكْبَ وانزِلْ روضَ ساحتِه واشممْ شَذا طيبِهِ الفيّاح بالأَرَج[1]

الشيخ كمال الدين الغزّي في تهنئة خليل المرادي بالفتوى:

الحمدُ لله أُعْطِي القوسَ باريها وحلَّ في الدّار حاميها وبانيها

وأَلسُنُ الحَمْد فاحتْ في مَحافِلنا تُثْني على الله شُكْراً في تَهانيها

وعادَ عيدُ المُنى والعَيْش في رغدٍ وفي رُبوع العُلا قد حلَّ مُفْتيها[2]

عبد السلام الشطي /١٢٩٥/ هـ يهنئ رشدي باشا الشرواني بالصدارة:

صَدَارةُ المُلْك قد صارتْ بدولتِكُم ميمونةً وبكم أَضحى لها الظَّفَرُ

بُشْرَى لنا معشرَ الإسْلام منْصِبُكمْ مُباركٌ وبه أرّخت يَفْتخرُ

١٢٩٠[3].

علي الصفدي سنة /١٢٠٣/هـ يمدح خليلاً المرادي مفتي الشام:

أَقولُ لمن رامَ شأْوَ الخَليلِ أَلا أَطْرِقْ كَرَى عن طِلاب القَمرْ

لياليه غُرّةَ أيّامِنا وأيّامُه ضوءُ عين الدَّهَرْ

---

(١) روض البشر ص/٨١.

(٢) م.ن ـ ص/١٠٥.

(٣) م.ن ـ ص/١٢٣.

عبد الغني السادات سنة /١٢٦٥/هـ يمدح علي باشا وزير الشام مطرّزاً (علي باشا وزير الشام):

علَوْتَ بمجدٍ فوقَ ما أنتَ آمِلُهْ   وفُزْتَ بإقبالٍ لكَ العزُّ حامِلُهْ
لكَ السَّعدُ ما هذا العُلُو لمُبتَغٍ   سواكَ وما في الدّهر شهْمٌ يُحاوِلُهْ
يميناً بما أرجُو لقد حُزتَ في الورَى   مقاماً على الجَوْزاء تعْلُو منازِلُهْ[1]

الأمير عبد القادر الجزائري سنة /١٣٠٠/هـ، له في الفخر:

لنا في كلِّ مكرُمةٍ مجالُ   ومن فوق السِّماكِ لنا رِجالُ
ركبْنا للمَكارم كلَّ هَوْلٍ   وخُضْنا أبحُراً ولها زجالُ
لنا الفخْر العميمُ بكلِّ عصْرٍ   ومصرٍ هل بهذا ما يُقال؟
ومنّا لم يَزلْ في كلِّ وقتٍ   رجالٌ للرّجالِ همُ الرِّجالُ
لقد شادُوا المؤسَّس من قديمٍ   بهم ترقى المكارمُ والخِصالُ

ومنها:

سلُوا عني الفرانسَ تُخبِرْكُمْ   ويصدُقُ إذْ حكَتْ منها المقالُ
فكمْ لي فيهمُ من يوم حربٍ   به افتخر الزّمانُ ولا يَزالُ[2]

وقال يمدح دمَّر من مُتَنَزهاتِ دمشق الفائقة:

عُجْ بي فديتُكَ في أباطِح دمرٍ   ذات الرياض الزهرات النُّضَّرِ
ذاتِ المياهِ الجارياتِ على الصَّفَا   فكأنّها من ماء نهرِ الكَوْثرِ
ذاتِ الجَداولِ كالأراقِم جَرْيُها   سبحانَه من خالقٍ ومصوِّرِ
ذاتِ النسيم الطيِّب العطِر الذي   يُغنيكَ عن زَبدٍ ومسكٍ أذْفَرِ
والطَّيرُ في أدواحِها مترَنِّمٌ   برخيم صوتٍ فاقَ نغْمةَ مِزْمَرِ

---

(١) روض البشر /١٧٤.
(٢) روض البشر/١٧٩.

مغنىً بـه النُّسّـاكُ يزكـو حالُهـا ... مـا بـين أذكـارٍ وبـين تفكُّـرِ
أين الرُّصافة والسّدير وشِعبُ بـو ... وان إذا أنصفتني مـن دُثّـرِ(١)

هبة الله التاجي البعلّي سنة ١٢٢٤ هـ يمدح المرادي ويهنئه بالفتوى:

هـذي الأمـانيُّ الـتي بُلّغتَهـا ... رغمـاً عـن الأعـداء والحُسّـادِ
مـولايَ يـا فـردَ الوُجـود فضـائلاً.. ... وشمـائلاً يـا أوْحـدَ الآحـادِ
رُحماكَ إنّـي عـن عُـلاكَ مقصِّـرٌ ... فـامْنُنْ بقـربٍ منـك لا ببِعـادِ(٢)

٣ ـ الأدب الوجداني:

يشمل هذا النوع من الأدب أدب الغزل والنسيب والتأمل والوصف، ومـن شعراء هذا الفن عبد الحليم اللوجي وتلميذه محمد العمري والكنجي وعلي الشمعة وخليل الرومي، وأحمد السفرجلاني ومصطفى خلقي ورفيق العظم، وهي مدرسة محترفي الشعر، وأكثرهم من هواة الطرب ومجالس الصفاء، فمن ذلك قول العمري:

وبـات ينشِدني والكـأسُ في يـدِه ... باكرْ صَبُوحَك أهْنـا العيـش بَـاكِرُه

وممن شارك في الموشَّحات عبد الرزاق البيطار وعبد المجيد الخاني ومصطفى خُلُقي وأحمد السفرجلاني القائل في موشح:

غُصـن بـانٍ قـد تَبـدَّى ... في عُـلاه البَـدْرُ بَـانْ
أخْجَـلَ الأغصَـانَ تِيهـاً ... وسَـبَا الحُـورَ الحِسَـانْ
قلـتُ يـا محبـوبُ واصِـلْ ... وانعطـفْ فالصَّـبْرُ بـانْ
ذابَ قلْـبي مـن جفـاهُ ... هكـذا قُـدّرْ فكـانْ

---

(١) م.ن ـ ص.ن.
(٢) م.ن ـ ص/٢٩٠.

بينما يصف رفيق العظم الحب العذري:

كفى بـالهوى دمعاً يسيل ومهجةً ... تـذوبُ وأحشـاء يُمزّقُهـا الهَجْـرُ

معذّبـتي جـودي علـيَّ بنظـرة ... يضمُّ عظـامي بعدَهـا اللّحْـدُ والقبرُ

وممن كتب في موضوع التأمل شعراً مصطفى اللوجي ومحمود أبو الشامات وصلاح الدين القاسمي ومراد الشطي القائل:

واعتـبرْ في حـال أهْـل الزَّمـنِ ... وانتَبـهْ مـن غمَـرات الوسَـنِ

وتيقّـنْ أنّ زرع الأحسـن ... مُوجِبٌ حقّـاً لحصْـدِ المِحَـن

والحقيقية أن هؤلاء قد عبّروا في تأملاتهم عن همـوم فرديـة، لكنهـا معانـاة حقيقية، فقد كانوا مرآة عصرهم، ولو كان البون شاسعاًبين بعضهم عن بعض أو كان عطاؤهم في هذا الفن قليلاً.

نماذج من الأدب الوجداني:

الشيخ إسماعيل الجراعي المتوفى سنة /١٢٠٢/هـ:

بروحي لحظ ظلّ يفعَلُ بالحَشى ... على ضَعْفِه فِعلَ المُدامةِ بـاللّبِّ

إذا راشَ منه الرِّيمُ سهماً فلا تَرى ... له غَرضاً يلغى سِوى مُهجة الصَّبِّ

فيـا مُنكـري مـا في حشايَ إليْكـمُ ... عن الحُكم فيما عنكُم غابَ في الحُجْب

ولا تُنكِروا صَـدع الفُـؤادِ فـإنّني ... سمعتُ بأذني رنّة السهمِ في قلْبي[1]

حسين حمزة /١٢٠٣/هـ قال متغزلاً:

سرَى فأودعَ في الأحشاء جمْرَ غضى ... واغتالَ قلْبي بغنْجِ اللّحْـظ واقتَسَرا وقْتَ سَرى

(١) روض البشر ص/٦٥.

دري بأني بهِ مُضنىً فعلّلني بوَصْله بعدما قد عزّ واقتدرا
وقتَ دري(١)

خليل المرادي /١٢٠٦/هـ، قال في التأمل:

مـا بنـاهُ الدّهـرُ يُتلِفُـه حـادثُ الأيـام والنُّـوبِ
فـاتركِ الدُّنيـا وزُخرفَهـا واسـتقمْ فيهـا بـلا تعَـبِ
وارْضَ بـالرِّزق القليـلِ وكُـن رافضـاً للمـال والنَّشَـبِ(٢)

عبد الحليم اللوجي /١٢٢٣/هـ متغزلاً:

ردَدْت طرفـك نحـوي سُـبحانَ مَـنْ بـك أسْـرى
يـا مـنَ أطـالَ بعـادي وزنْـدَ شَـوقي أوْرى
ورامَ تعذيـب قلْـبي ليَقْضـيَ اللهُ أمْـرا
إنْ غـابَ شـخْصُك عنّـي فَرُسْـل ذِكـراكَ تـتْرَى
أوْطـارَ طيْفُـك أضْحى الـ خيـال منّـيَ وِكْـرا
مُلّكْـت مصـرَ خَيـالي عزيـزَ طَرْفِـك قَسْـرا
فـارفقْ بـهِ قـال دَعْـني أليـسَ لي ملـكُ مِصْـرا

علي السويدي في الفخر والتأمل توفي /١٢٣٧/هـ

دَراكُ معـالي الجـدِّ بالجـدِّ يُعقَـد ونيـلُ عَـوَالي العِـزّ للعـزّ يُسْـنَدُ
وأحسنُ رأْيِ المرءِ إنْ كـانَ حازمـاً بفضْـلِ خِطـابٍ يصْطَفيـه المُهنّـدُ
ولا فضْلَ إلاّ في ذُرا السَّيف والقَنا ولا حُكْـم إلاّ حكْمُـه المتـأيّدُ
ولا خيرَ في سَيفٍ إذا لم يكُنْ لـهُ قُوىَ ساعدٍ يعْلُو بها إذْ يُجَرَّدُ(٣)

---

(١) م.ن ـ ص/٨٨.
(٢) روض البشر/١٠٥.
(٣) م.ن ـ /٢٠٤.

علي الشمعة في شقائق النعمان (ت/١٢١٩/هـ):

سألْتُ شقائقَ النُّعْمان لمّا بدت في الرَّوْض والسُّلْسال رائقْ
أمِنْ وجَنَاتِ مَحْبُوبي اكتَسبتُمْ اجابتْ لا ولكنّا شقائِقْ[1]

٤ ـ الأدب التسجيلي:

المراد من الأدب التسجيلي هنا أدب التراجم والتاريخ، وقد حفلت الحركة الأدبية بدمشق بمثلها في القرن الماضي كما هو الحال عليه في زماننا، فمن المؤلفات التي وضعها أدباء دمشق الأوائل في باب التاريخ لوقائع عصرهم يأتي:

١ ـ كتاب عبد الحليم اللوجي المسمى /تاريخ/ وفيه ذكر لأشهر الحوادث في عصر المؤلّف.

٢ ـ كتاب/ حادثة دمشق/ لسنة /١٨٤٤/م لمؤلّفه أبي السعود الحسيبي.

٣ ـ وكتابا حقي العظم / دفاع بالقنا/ و/تاريخ الدولةالعلية واليونان/.

أما مؤرخو التراجم للقرن الثالث عشر فنجد أبرزهم:

١ ـ عبد الرزاق البيطار صاحب كتاب/ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر/. ولم يقتصر على دمشق ويعد المصدر الرئيسي للتاريخ في هذا القرن.

٢ ـ محمد جميل الشطي/ روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر/.

٣ ـ ومحمد أديب آل تقي الدين الحصني/ منتخبات التواريخ لدمشق/. وهذان الكتابان الأخيران اقتصرا على دمشق وأعلامها.

٤ ـ نعمان القساطلي/ الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء.

٥ ـ /أعيان القرن الثالث عشر/ لخليل مردم بك. وهذان الكتابان الروضة وكتاب الخليل لاختصارهما وتكثيف المعلومات فيهما، يشبهان الذيلين لما سبقهما من الكتب، لكنهمنا لا يفقدان بذلك قيمتهما في حركة التاريخ لدمشق.

---

(١) روض البشر /٢٠٨.

ومن كتب التراجم التي اختصت بالأعلام فقط:

١ـ /المواهب الإحسانية في تراجم العُمرية/ لحسين العمري ١٢١٦هـ.

٢ـ /بلوغ المنى في تراجم أهل الغنى/ لمحمد الكنجي.

٣ـ /ثبت/ لمحمد أبي النصر الخطيب.

٤ـ /تحفة الزائر في مآثر عبد القادر/ لمحمد عبد القادر الجزائري في ترجمة والده.

٥ـ /الثغر الباسم/ لمحمد سعيد القاسمي، فيه ترجمه والده قاسم القاسمي.

٦ـ /الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية/ لعبد المجيد الخاني.

٧ـ /شرف الأسباط/ و/تعطير المشام في مآثر دمشق الشام/ لجمال الدين القاسمي.

ففي الأول نسب المؤلّف، وفي الثاني تراجم من دخلوا الشام.

٨ـ /الضياء الموفور في تراجم بني فرفور/ لمحمد جميل الشطي.

٩ـ /الروضة البهية في فضائل دمشق المحميّة/ لمحمد عز الدين عربي كاتبي.

١٠ـ /عقود اللآلي في الأسانيد العوالي/ وهو ثبت ابن عابدين.

١١ـ /عقود الأسانيد/ لأمين السفرجلاني.

١٢ـ /عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمئة فأكثر/. وترجمة /عثمان باشا الغازي/ لجميل العظم.

وقيمة هذه الكتب تظهر في أنها مجتمعة تشكل مصدراً أساسياً من مصادر النفاذ إلى أجواء القرن الماضي من جميع الجهات، بغض النظر عن طرق تصنيفها أو إعدادها، وما يفتقر إليه هذا الباب هو الترجمة الذاتية ولم يرد من ذلك إلاّ في ذيل بعض المؤلفات من تعريف المؤلّف بنفسه، كالحصني في المنتخبات والشطي في روض البشر والخاني في الحدائق والسفرجلاني، وغيرهم، وهو بعد ذلك قليل[1].

---

(١) انظر منتخبات تواريخ دمشق وروض البشر، قلت: ((وكتاب الضياء الموفور للشطي قد عمل عليه والدي رحمه الله تعالى شرحاً: (الدر المنثور) وطبع المتن والشرح معاً في يتبع ⇐

نماذج من الأدب التسجيلي:

١ ـ /زهر الغيضة في ذكر الفيضة/ للشيخ أحمد البربير/١٢٢٦/هـ. ذكر فيها الطوفان الواقع بدمشق سنة ١٢٠٦هـ.

٢ ـ /حصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس/ للشيخ إسماعيل الغزي المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ في تأريخ وفاة الشيخ خالد النقشبندي.

٣ ـ /عرف البَشام، فيمن ولي فتوى دمشق الشام/ خليل المرادي ١٢٠٦هـ.

٤ ـ /سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر/ خليل المرادي.

٥ ـ / النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل/ كمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق سنة /١٢١٤/هـ.

٦ ـ /التذكرة الكمالية/ كمال الدين الغزي ـ سنة /١٢١٤/هـ.

٧ ـ / المورد الأنسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي /الغزي .

ذيل البحث:

ومما يصوّر لك الحالة الأدبية في ذلك العصر النص التالي، نقلاً عن التذكرة الكمالية للغزي: ((من عجيب الاتفاق أنه في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ١٢٠٤ رأى في المنام سيدنا ومولانا العالم العلامة والنّحْرير الفهامة شيخ الإسلام مبين الحلال من الحرام المولى أبو الفضل خليل أفندي ابن شيخ الإسلام المولى الشريف علي أفندي المرادي الحسيني مفتي دمشق حالاً ـ رحلاً من الخواجكان[1] بقسطنطينة يقول (أليس لي ملك مصر) فاستيقظ المولى المزبور دام

⇐ كتاب واحد ضمنه تواريخ أسرتنا الفرفورية التي انتهت إليها رئاسة القضاء والفتيا في الدّوْلة المملوكية ثم العثمانية في بلاد الشام في حقب خلت، بقضاتها ومفاتيها وعلمائها، والكتاب متداول معروف)).

(١) الخواجكان: لقبُ شيخ الطريقة الصوفية النقشبندية من العَجَم أو الهنود.

محروساً على ممر العصور وضمن هذه الآية الشريفة في سبعة أبيات، وطلب من شعراء دمشق تضمينها فضمنوها امتثالاً لأمره، فقال هو حرسه الله تعالى:

أفْديـــه مصـــريٌّ أصـــلٍ	حـــازَ المَلاحـــة طُـــرّا
ناديتُـــه يـــا مُـــرادي	لم أسْـــتطِعْ عنـــكَ صَـــبْرا
وأنـــتَ يوسُـــف حُســـنٍ	يـــا قـــاهِري زدتَ هَجْـــرا
فقـــال دعْ عنـــكَ هـــذا	أنـــا بحـــالِكَ أدْرى
ولا تنـــالُ وِصـــالي	لـــو مِـــتَّ صـــبْراً وقهـــرا
ســـلطانُ حســـنٍ عزيـــزٌ	أنـــا وقـــد فقـــتُ كِسْـــرى
والملـــكُ عـــذْرٌ عظيـــمٌ	أليـــسَ لي مُلْـــكُ مِصْـــرا

ثم ذكر تضمين الغزي وعبد الحليم اللوجي، ثم ذكر الغزي بعد ذلك عشرين تضميناً لأشياخه وأصحابه من علماء دمشق وأدبائها» ثم ذكر أسماءهم وهم:

١ ـ علي المرادي	٢ ـ هبة الله التاجي
٣ ـ عبد الغني الغزي	٤ ـ الشهاب أحمد المنيني
٥ ـ بدر الدين الأسطواني	٦ ـ سعيد السويدي
٧ ـ شاكر العقاد السالمي العمري	٨ ـ علي الشمعة
٩ ـ يوسف شمس	١٠ ـ عمر العمري
١١ ـ حسين العمري	١٢ ـ عبد الجليل العمري
١٣ ـ محمد القونوي	١٤ ـ علي حسيب العطار
١٥ ـ مصطفى المرادي	١٦ ـ مصطفى اللوجي
١٧ ـ سليمان القادري	١٨ ـ خليل الرومي
١٩ ـ محمد الكفرسوسي	٢٠ ـ أبو محمد الصحاف الحلبي» ا.هـ.

روض البشر ص/١٥٧ و١٥٨و ١٥٩ للشطي.

أقول: هذا النص بعد دراسته وتحليله يدلنا على أمرين اثنين:

١ً ـ على مكانة علماء الدين في الأدب، ولا سيما المفتي المرادي الذي أحبّ أن يحرك الأدباء ويشغلهم فالأدب حركة.

٢ً ـ وعلى سجلّ بأدباء دمشق وشعرائها في مطلع القرن الثالث عشر، وهو زمن طفولة ابن عابدين ويفاعته.

فهؤلاء هم أساتذة الأدب وأساطينه في ذلك العصر، وهم الذين شاهدهم ابن عابدين وعاصرهم وأخذ عنهم أو عمن أخذ عنهم.

جـ ـ العلوم المادية:

بدأت تباشير العلوم الكونية تقبل على الشام من طريق الديار المصرية بوساطة النهضة الحديثة التي أنشأها محمد علي باشا في مصر، حيث أخذت تسري من أنوارها أشعة نافعة إلى الشام، بعد أن انحطت انحطاطاً أشبه بالاندراس، ثم إن الدولة العثمانية أنشأت المدارس العالية والكليات العلمية، فأخذ بعض أفراد الشاميين يدرسون فيها ويتخرجون منها ويعودون إلى بلادهم، على أننا لا ننكر وجود أفراد أفذاذ في دمشق، كانت لهم دراسات خاصة في العلوم الكونية، وكان لهم فيها تفوق، ولكن ذلك لا يعْدو أصابع اليد(١).

---

(١) في هذا البحث ر: خطط الشام ج٣.

المبحث الأول

ثبت بأعلام العلوم الدينية في دمشق
في القرن الثالث عشر الهجري

كبار العلماء في دمشق في القرن الثالث عشر:

١- محمد الكزبري شيخ الشيوخ ت/١٢٢١هـ.

٢- أحمد العطار - عالم كبير مجاهد ت/١٢١٨/هـ.

٣- حامد العطار - عالم كبير ت /١٢٦٣/هـ.

٤- عبد الرحمن الكزبري - محدّث كبيرت /١٢٦٢/ هـ.

٥- عبد الرحمن الطيبي -عالم كبير ت/١٢٦٤/هـ.

٦- خالد النقشبندي - مرشد كبير ت/١٢٤٢/هـ.

٧- شاكر العقاد - عالم كبير ت/١٢٢٢/هـ.

٨- سعيد الحلبي - عالم كبير ت/١٢٥٩/هـ شيخ الشام.

٩- عبد الله الحلبي - فقيه كبير شيخ الشام ت/١٢٨٦/هـ.

أعلام التخصص الديني بدمشق:

١- التفسير والقراءات:

١- أحمد الكزبري - عالم بالكتاب والسنّة ت /١٢٤٨/هـ.

٢- حامد العطار - المفسِّر المشارك ت/١٢٦٣/هـ.

٣- قاسم الحلاق - مفسِّر مشارك ت/١٢٨٤/هـ.

٤- الملا أبو بكر الكردي - مفسِّر مشارك ت/١٢٩٩/هـ.

٥- سعيد الحموي - شيخ قراء /١٢٣٦/هـ.

٢- الحديث:

١- أحمد الكزبري - العالم بالكتاب والسنّة ت/١٢٤٨/هـ.
٢- أحمد المنيني - المحدّث المشارك ت/١٢٥٦/هـ.
٣- حامد العطار - المحدّث المشارك ت/١٢٦٣/هـ.
٤- عبد الرحمن الكزبري - المحدّث المشارك ت/١٢٦٢/هـ.
٥- قاسم الحلاق - محدّث مشارك ت١٢٨٤/هـ.
٦- أحمد مسلّم الكزبري - محدّث ت/١٢٩٩/هـ.
٧- علي السويدي - محدّث مشارك ت/١٢٣٧/هـ.
٨- محمد الكزبري - محدّث كبيز ت/١٢٢١/هـ.

٣- العقائد:

١- خالد النقشبندي الكردي ت/١٢٤٢/هـ من علماء الكلام له كتب ورسائل منها رسالة في كسبي الأشعري والماتريدي، ورسالة في القضاء المبرم والقضاء المعلّق.
٢- علي السويدي ت/١٢٣٧/هـ له العقد الثمين.

٤- الفقه:

١- أحمد المنيني الفقيه المحدّث ت/١٢٥٦/هـ.
٢- أسعد المنيّر الفقيه - ت/١٢٤٢/هـ.
٣- أحمد بيبرس الفقيه - ت/١٢٤٧/هـ.
٤- حسن جُبَيْنَة الفقيه الأديب - /١٢٠٦/هـ.
٥- خليل الخشة الفقيه - ت/١٢٤٢/هـ.
٦- رضاء الدين الحلبي الفقيه - ت/١٢٨٦/هـ.
٧- شاكر العقاد الشهير بمقدَّم سعد الفقيه الحكيم الأديب /١٢٢٢/هـ.
٨- عبد الرحمن الكزبري الفقيه المحدّث ت/١٢٦٢/هـ.
٩- عبد القادر العمادي الفقيه ت/١٢٢٨/هـ.

١٠- عمر الغزي الفقيه ت/١٢٧٧/هـ.
١١- قاسم الحلاّق فقيه مشارك ت/١٢٨٤/هـ.
١٢- محمد المخللاتي فرضي ت/١٢٠٧/هـ.
١٣- نجيب القلعي الفقيه ت/١٢٤١/هـ.
١٤- صالح الدسوقي فقيه مشارك ت/١٢٤٦/هـ.
١٥- عبد الغني الميداني فقيه مشارك ت/١٢٩٨/هـ.
١٦- عبد السلام الشطي فقيه مشارك ت/١٢٩٥/هـ.
١٧- إبراهيم الكفيري فقيه ت/١٢٦٣/هـ.
١٨- إبراهيم النجدي فقيه ت/١٢٠٦/هـ.
١٩- أحمد الإستانبولي فقيه ت/١٢٨١/هـ.
٢٠- أرسلان التقي فقيه ت/١٣٠٠/هـ.
٢١- صالح المغربي فقيه ت/١٢٩٥/هـ.
٢٢- عبد الله الكردي الحيدري ت/١٢٢٦/هـ.
٢٣- أحمد المخللاتي فرضي ت/١٢٤٧/هـ.
٢٤- حسن الشطي فقيه حنبلي ت/١٢٧٤/هـ.
٢٥- حسن الموقع فرضي ت/١٢٢٢/هـ.
٢٦- درويش العجلاني فرضي ت/١٢٩٧/هـ.
٢٧- سعدي التاجي ت/١٢٧٩/هـ.
٢٨- خليل الكاملي فقيه ت/١٢٠٧/هـ.
٢٩- سعيد الحلبي عالم فقيه ت/١٢٥٩/هـ.
٣٠- صالح الأسطواني فقيه ت/١٢٩٤/هـ.
٣١- صالح أبو الفتح فقيه ت/١٢٥٠/هـ.
٣٢- صالح الدسوقي فقيه ت/١٢٤٦/هـ.
٣٣- صالح القزاز فقيه ت/١٢٤٠/هـ.

٣٤- صالح المغربي فقيه ت/١٢٨٥/هـ.

٣٥- عبد الرحمن الطيبي عالم فقيه ت/١٢٦٤/هـ.

٣٦- .عبد الغني السادات فقيه شاعر ت/١٢٦٥/هـ.

٣٧- عبد القادر الخلاصي فقيه ت/١٢٨٤/هـ.

٣٨- عبد الله الحلبي شيخ الشام ت/١٢٨٦/هـ.

٣٩- عمر المجتهد فقيه ت/١٢٥٤/هـ.

٤٠- غنا م النجدي فقيه ت /١٢٣٧/هـ.

٤١- محمد السكري فقيه ت/١٢٧٠/هـ.

٤٢- محمد مفتي بيروت فقيه ت/١٢٧٤/هـ.

٤٣- مصطفى البرهاني فقيه ت/١٢٦٥/هـ.

٤٤- مصطفى الرحمتي فقيه مشارك ت/١٢٠٥/هـ.

٤٥- نجيب القلعي فقيه ت/١٢٤١/هـ.

٤٦- هبة الله التاجي فقيه ت/١٢٤٢/هـ.

المبحث الثاني

الآداب

علوم العربية والأدب والتاريخ:

١- علوم العربية:

١- عبد الغني الميداني «الغُنيمي» عالم بفنون العربية مشارك ت/١٢٩٩/هـ.

٢- محمد سكر عالم بفنون العربية مشارك ت/١٢٧٠/هـ.

٣- نسيب حمزة عالم بفنون العربية مشارك ت/١٢٦٥/هـ.

٢- الأدب والشعر:

١- حسين الغزي الحلبي أديب ت/١٢٧١/هـ.

٢- خليل المرادي ت/١٢٠٦/هـ.

٣- مصطفى المغربي عالم أديب ت/١٢٨٠/هـ.

٤- حسن جُبَيْنة أديب مشارك له رسائل في الأخلاق ت/١٢٠٦/هـ.

٥- شاكر العقاد أديب مشارك ت/١٢٢٢/هـ.

٦- صالح الدسوقي أديب ت/١٢٤٦/.

٧- مصطفى التهامي أديب مشارك ت/١٢٨٠/هـ.

٨- حسن الأسطواني ت/١٢٣٧/هـ.

٩- حسين حمزة أديب وشاعر ت/١٢٠٣/هـ.

١٠- خليل الخشة أديب وشاعر ت/١٢٤٢/هـ.

١١- عبد السلام الشطي أديب ت/١٢٩٥/هـ.

١٢- علي المرادي شاعر ت/١٢٣٠/هـ.

١٣- علي السويدي شاعر مشارك ت/١٢١٩/هـ.

١٤- علي الطيبي أديب ت/١٢٥٥/هـ.

١٥- علي الصفدي شاعر وأديب ت/١٢٠٣/هـ.

١٦- محمد العطار أديب وقاض ت/١٢٠٩/هـ.

١٧- محمد الكنجي أديب - توفي أوائل القرن.

الشعراء من الأدباء:

١ - إبراهيم الخلاصي /١٢٥٥/هـ
٢ - إسماعيل الغزي /١٢٤٧/هـ
٣ - أمين الجندي /١٢٩٥/هـ
٤ - حسن الشطي /١٢٧٤/هـ
٥ - حسن البيطار /١٢٧٢/هـ
٦ - حسن الأسطواني /١٢٣٧/هـ
٧ - خليل المرادي /١٢٠٦/هـ
٨ - خليل الرومي /١٢٠١/هـ
٩ - خليل الخشة /١٢٤٢/هـ
١٠- الشيخ محمد الهلالي شاعر شهير
١١ - سعيد المقدسي/١٢٠٥/هـ
١٢ - عبد الغني الغزي /١٢١٦/هـ
١٣ - عبد الغني السادات /١٢٦٥/هـ حافظ للقرآن الكريم - شاعر.
١٤ - عبد القادر الجزائري/١٣٠٠/هـ
١٥ - يحيى القطب /١٢٠١/هـ
١٦ - علي المرادي /١٢٣٠/هـ
١٧ - علي السويدي /١٢٣٧/هـ
١٨ - علي الشمعة /١٢١٩/هـ
١٩ - علي الصفدي /١٢٠٣/هـ
٢٠ - قاسم الحلاق /١٢٨٤/هـ
٢١ - كمال الدين الغزي /١٢١٤/هـ.

الشعر:

١- قاسم الحلاق شاعر ناثر ت/١٢٨٤/هـ.

٢- كمال الدين الغزي شاعر ت/١٢١٤/هـ.

٣- عبد السلام الشطي شاعر ت/١٢٩٥/هـ.

٤- مصطفى المغربي شاعر ت/١٢٨٠/هـ.

٥- عبد القادر الحسني الجزائري الأمير الشاعر له ديوان مطبوع ت/١٣٠٠/هـ.

٦- أحمد البربير شاعر ت/١٢٢٦/هـ.

٧- خليل الرومي عالم شاعر أديب ت/١٢٠١/هـ.

٨- عبد الحليم اللوجي أديب شاعر /١٢٢٣/هـ.

٩- عبد الغني السادات شاعر ت/١٢٦٥/هـ.

١٠- عبد اللطيف مفتي ببروت شاعر مشارك ت/١٢٥٠/هـ.

١١- علي الشمعة شاعر مشارك ت/١٢١٩/هـ.

١٢- محمد العمري أديب وشاعر ت/١٢٠١/هـ تقريباً.

١٣- محمود العظم شاعر ت/١٢٩٢/هـ.

١٤- مصطفى اللوجي شاعر ت/١٢١٧/هـ.

١٥- يوسف المغربي شاعر مشارك /١٢٧٩/هـ.

١٦- راغب تقى الدين الحصني أديب وشاعر ت/١٢٨٨/هـ.

٣- التاريخ:

١- كمال الدين الصمادي الجرائحي الدمشقي، له تآليف في التاريخ ت/١٢٠٩/هـ.

٢- كمال الدين الغزي - عالم مؤرخ مشارك صاحب التذكرة ت/١٢١٤/هـ.

٣- خليل المرادي - مفتي ومؤرخ /١٢٠٦/هـ.

٤- كمال الدين الغزي - مفتي ومؤرخ /١٢١٤/هـ.

المبحث الثالث

العلوم الكونية

١- محمد بن حسين الحلبي العطار - العالم بالرياضيات والفنون ت/١٢٤٣/هـ. التزم بيته فألّف عدة رسائل في الفنون الحربية والفلك والحساب - طبع بعضها.

٢- إبراهيم الخلاصي - طبيب ت/١٢٥٥/هـ.

٣- عبد الله الأسطواني فلكي ت/١٢٦٢/هـ.

٤- عبد اللطيف الشطي - فلكي خطاط متفنن ت/١٢٥٢/هـ.

٥- قاسم دقاق الدودة فلكي ت/١٢٦٠/هـ.

٦- محمد العطار - فلكي ت/١٢٤٣/هـ.

٧- مصطفى عودة طبيب ت/١٢٨٠/هـ.

٨- علي الطيبي - عالم بالرياضيات والفلك ت/١٢٥٥/هـ.[١]

---

(١) كل من ورد من هؤلاء الأعلام فمصدرنا فيه روض البشر للشطي وحلية البشر للبيطار، ولا ندّعي الاستقصاء، بل هو حصر تقريبي.
وقد استبعدنا ذكر العلماء الرسميين من مُفتين وأمناء الفتوى، وكذلك استبعدنا ذكر العلماء المشاركين والفضلاء المشاركين لكثرتهم وعدم ضرورة ذكرهم، واستبقينا أعلام التخصص لأنهم يمثلون وجه العلم في دمشق في عصر ابن عابدين بحق. فمن أراد التوسع فليرجع إلى روض البشر للشطي وحلية البشر للبيطار وأعيان دمشق في القرن الثالث عشر لمردم بك.

الفصل الثالث

عصر ابن عابدين وموطنه من النواحي الروحية

(علم السلوك إلى الله عز وجل)

- علم السلوك في عصر ابن عابدين وحظ ابن عابدين منه وتأثره به.
- ابن عابدين الزاهد السالك ومكانته بين السالكين.
- مدى التزام الناس بأحكام دينهم في زمن ابن عابدين.

المبحث الأول

التصوف في هذا العصر وحظ ابن عابدين منه وتأثره به
(ابن عابدين الزاهد السالك ومكانته بين السالكين)

المطلب الأول: علم السلوك في هذا العصر:

انتشر علم السلوك في هذا العصر المادي المضطرب المملوء بالفوضى والقلاقل والظلم، حيث وجد الناس فيه ملجأ يسكنون إليه، يرتعون في ميادينه وينعمون بإشراقاته في سماء المعرفة، وإذا كان السلوك هو عروج الروح وانفتاحها على عالم النور عن طريق الرياضة والمجاهدة، فأنعم به مدرسة يلجأ إليها طلاب الحقيقة وعشّاقها، تطمئن قلوبهم بذكر الله وتنصقل بمراقبته تعالى وتتهذب نفوسهم بالأخلاق الفاضلة.

وحين يقسو الزمان، وتشتد الأيام، ويكفهر وجه الدهر، ويَظلِمُ الناس بعضهم بعضاً، ويأكل القوي الضعيف، وتسود شريعة الغاب؛ يبحث الناس عن مدارس التقوى ومعاهد الإيمان ورجال المعرفة والتعريف، يبحثون عن الربانيين من العلماء، أمناء الرسل وخلفاء الأنبياء، وهم المرشدين الكُمّل، يرتعون في مجالسهم التي هي رياض الجنّة، ويقطفون جنى ثمار شهودهم ويزكون أنفسهم بصحبتهم، فهم القوم لايشقى بهم جليسهم، فكم تاب على أيديهم خاطئ، وكم اهتدى بإشراق روحهم ضالّ، وكم رجع إلى الله تبارك تعالى بسببهم شارد، وهكذا تتجدد التيارات الإيمانية بهؤلاء المرشدين، وترتقي بهم النفوس وترحل إلى الله تعالى القلوب والأرواح على مطايا الحزن والبكاء...

ولقد كان نصيب دمشق من هؤلاء الربانيين الأكابر كبيراً ولله الحمد في زمن ابن عابدين وبعده، فكانت مدارس السلوك تكاد تغطي هذه المدينة الصغيرة

آنئذ، وكانت هذه المدارس التي يكثر أتباع بعضها ويقل أتباع الأخريات بمثابة معالم ومنارات على طريق السالكين إلى الله تعالى، تقصدها الأمة من جميع طبقاتها، فيجدون فيها الرّوح والريحان والهدوء والطمأنينة والحب والدف، والحنان.. وهذا مايفتقده الدمشقيون في تلك الحقبة من تاريخهم..

المطلب الثاني: حظ ابن عابدين من علم السلوك وتأثره به: [ابن عابدين الزاهد السالك ومكانته بين السالكين]:

المجالسة مجانسة، والصاحب ساحب، والمرء على دين خليله، ولابد للمرء من أن يتأثر بأبناء بلده من إخوان ومشايخ وأقران، ولقد رزق ابن عابدين بما جبل عليه من صلاح وتقوى، وبما كان لتربيته البيتية وإشراف أبيه الرجل الصالح عليه - رزق لباب مقام الإحسان[1] فيما يظهر، فكان من الذين تأثروا بعلم السلوك النقي الذي عرفه علماء الإسلام وأساطين الأمة كالشيخ الجليل العلاّمة ابن تيمية وابن القيّم وأضرابهما.

تعرّف ابن عابدين بالشيخ خالد النقشبندي الكردي وأخذ عنه، وأخذ عن شيخه العقاد، وكلاهما من أساطين الفقه والعلوم العقلية والنقلية ومن رجال علم السلوك الكبار، واستجازهما فأجازاه.

---

(١) (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك) من حديث جبريل عليه السلام، حديث صحيح أخرجه البخاري في الإيمان ٣٧، ومسلم في الإيمان ١.هـ. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً، والترمذي وابن ماجه وأحمد.

يقول فيه ولده الشيخ علاء الدين في التكملة ((وبالجملة فكان شغله من الدنيا التعلم والتعليم والتفهم والتفهيم، والإقبال على مولاه، والسعي في اكتساب رضاه، ومقسماً زمنه على أنواع الطاعات والعبادات والإفادات من صيام وقيام وتدريس وإفتاء وتأليف على الدوام)).

ويقول أيضاً: ((وكان صادق اللهجة ذا فراسة إيمانية، وحكمة لقمانية، متين الدين)).

وقال أيضاً: ((وكانت كلمته نافذة وشفاعته مقبولة، ماكتب لأحد شيئاً إلا وانتفع به لصدق نيته[1] وحسن سريرته، وقوة يقينه وشدة دينه)).

وقال أيضاً عن والده: ((وكان سيدي رحمة الله ورعاً في سائر أحواله)).

قلت: وقد أخذ كذلك علم السلوك إجازة عن حفيدي العلاّمة الشيخ عبد الغني النابلسي الشيخ إبراهيم والشيخ عبد القادر، فأجازاه بإجازة واحدة بمروياتهما عن جدهما رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: الآثار العلمية المختصة بعلم السلوك في مصنفات ابن عابدين:

هما اثنان:

١ً- إجابة الغوث.

٢ً- وسلّ الحسام الهندي.

وينظران في دراسة مصنّفاته رحمه الله.

---

(١) ر: التكملة ص/٧ وما بعدها.

المبحث الثاني

مدى التزام الناس بأحكام دينهم

أستهل هذا المبحث بمقولة ولد المترجم السيد علاء الدين عن دمشق في زمن والده السيد محمد أمين: ((كانت دمشق في زمنه أعدل البلاد، وللشرع بها ناموس عظيم لايتجاسر أحد على ظلم أحد، ولا على إثبات حق بغير وجه شرعي، ولافي غالب البلاد القريبة منها، فإنه كان إذا حكم على أحد بغير وجه شرعي جاء - ابن عابدين - المحكوم عليه بصورة حجة القاضي فيفتيه ببطلانه ويراجع القاضي فينفّذ فتواه))(١).

من هذا النص نستطيع أن نفهم مقدار احترام الناس في زمن ابن عابدين لناموس الدين، ولاسيما المجتمع الدمشقي، حتى أعراب البوادي إذا وصلت إليهم فتوى ابن عابدين، لايختلفون فيها مع جهلهم بالشريعة المطهّرة(٢).

كل ذلك من تأثير العلماء الربانيين في ذلك المجتمع الإسلامي، ولئن سلّمنا بوجود بعض الاضطراب والقلاقل، فذلك بدافع من أذناب التبشير والاستعمار في بلادنا الذين يريدون تقويض أركان الدولة العثمانية التي كانت شجاً في حلوقهم وشوكة في عيونهم إلى أخطاء ارتكبها بعض الولاة الأتراك نتيجة لرد الفعل، ولكن ذلك لم يغيِّر جوهر واقع الدمشقيين شيئاً، وهو انصياعهم لعلماء الدين وقبولهم بالفقه الإسلامي حاكماً عليهم، واتباع العلماء الربانيين لتجديد النشاط الإيماني في قلوب الأفراد أو الجماعات، وهكذا يظهر إلى أي حد كبير كان الناس

---

(١) التكملة ص/٨.

(٢) التكملة ص/٨ وما بعدها.

يلتزمون أحكام دينهم، ويرفضون كل من يتجاسر على إزاحة الدين عن مركزه القيادي، ومن هنا نستطيع أن نفسر مدى انتقاد الدمشقيين لحكم الفتح المصري الذي عطّل كثيراً من أحكام الشرع، ورفع من مستوى الأجانب، واستخدم التجنيد الإلزامي لمحاربة دولة الخلافة الإسلامية. وإليك ماقال أشهر من أرّخوا لدمشق وهو معاصر لبعض الأحداث التي مرت في القرن الفائت، وهو محمد أديب تقي الدين الحصني في منتخبات التواريخ، قال مانصه: ((كانت دمشق في زمنه - ابن عابدين - أعدل البلاد وللشرع بها ناموس عظيم لايتجاسر أحد من أهل الشام على ظلم أحد ولا على إثبات حق بغير وجه شرعي)).



خاتمة الباب الأول

تأثر ابن عابدين ببيئته بشكل عام:

ذكرنا من قبل تأثر ابن عابدين بالحالة السياسية القائمة في دمشق في زمن حياته، وانعكاس ذلك عليه في موقفه من حكام عصره.

أما تأثره بالحالة الاجتماعية والاقتصادية، فيظهر ذلك جلياً في شِعره ونثره ومصنّفاته الفقهية، فلقد عكس ابن عابدين حياة الدمشقيين بعلمه وأدبه من أول القرن الثالث عشر إلى منتصفه بشكل واضح جلي، وإني أُحيلك إلى الديوان الذي جعلته ملحقاً لهذه الرسالة لتتلمس ما أقول، وإلى الثبت بالدرجة الثانية، وإلى حاشية ردّ المحتار التي جعل منها مرآة صادقة لأحداث العصر ومشكلاته، وتكون رسائله أيضاً سجلاً أميناً لأهم الشوؤن الاقتصادية والاجتماعية، ومعضلات العصر في زمن ابن عابدين، ولاسيما رسالة (تنبيه الرقود على مسائل النقود) التي تحدثت عن غلاء أسعار العملة، ومايسبب ذلك من مشكلات تحدث عنها ابن عابدين بإسهاب.

أما الحالة العلمية، فلقد نهل ابن عابدين من مناهل عصره فقرأ على كبار شيوخ دمشق في عصره وأفاد منهم، وكان من جملة تأثير شيوخه عليه أن أَمَره شيخه الشيخ شاكر العقاد بالانتقال من المذهب الشافعي الذي تمذهب به أولاً، إلى المذهب الحنفي مذهب الشيخ شاكر، وأطاع ابن عابدين شيخه وانتقل إلى المذهب الحنفي، فقرأ عليه كتب ذلك المذهب. ولعلّ الشخصية الرئيسية التي أثرت عليه وكوّنته هي شخصية الشيخ شاكر المذكور، الذي كان فقيهاً وعالماً كبيراً وأديباً ينظم الشعر ويتذوقه، وقد تشرب ابن عابدين ذلك، فكان فقيهاً وعالماً وأديباً وشاعراً وقديماً قالوا: ((التلميذ صورة مصغرة عن أستاذه)).

وكذلك كان الشيخ شاكر صوفياً قادرياً، له مريدوه وأصحابه الذين يجالسونه مجالسة المريد للشيخ، ويسلكون على يديه الطريق كمايدرسون العلم،وكان ابن عابدين واحداً من هؤلاء بل كان أقربهم إليه، فمن هنا نجد تلك الصوفية الشفافة والروح الطاهرة والتواضع الجمّ ورهافة الحسّ وجذوة القلب... ولاشك أن الشيخ شاكراً هو الذي بدأ بتكوين شخصية ابن عابدين العلمية والفقهيه والأدبية والصوفية، وأكمل البناء في الفقه الشيخ سعيد الحلبي، وفي التصوف الشيخ خالد النقشبندي الذي وضع اللمسات الأخيرة في تلك الشخصية الفذّة، وسيأتي شرح هذا الأمر في مبحث دراسة شيوخه إن شاء الله تعالى.

ولعلي لا أُجانف الصواب إذا قلت إن ابن عابدين مدين بعد شيوخه إلى أسرته وأبيه على الخصوص، الذي كان خير معوان له على العلم، ومدين كذلك في أدبه وحيائه وصلاحه وتقواه إلى والدته، التي كانت مع أبيه خير مدرسة تخرّج منها الإمام الكبير.

أما دمشق البلد التجاري العظيم مفتاح الشرق، فلقد كان لها تأثير كبير في حياة أسرة ابن عابدين الذين كانوا تجاراً فيها، ويقطنون في حي القنوات منها، وابن عابدين ذاته كان تاجراً طوال حياته يلاحظ مع العلم شؤون تجارته ودنياه، ليتسنى له الإنفاق على أسرته وشراء الكتب النادرة التي جمعها في مكتبته، والقيام بالواجبات الاجتماعية المترتبة عليه.

وبعد، فإن تأثر ابن عابدين ببيئته وعصره وبلده ظاهر ظهوراً بيّناً لايكاد يخفى على أحد، ظهر في مؤلفاته من شروح وحواش وتقريرات وهوامش في كل كلمة فإن عابدين عالج واقعه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في مصنفاته، حتى لنكاد نلمس ذلك بأيدينا كلما رجعنا إليها، فلاتكاد تمرصفحة دون أن يعكس الفقه على واقع عصره، ويستخلص النتائج والتخريجات، فها هو تحدث

عن محترفي التصوف في رسالة (شفاء العليل) وفي حاشية (ردّ المحتار) في مطلب (درويش ودرويشان) وحذّر منهم ونبّه على بدعهم وضلالاتهم، واستثنى منهم الصوفية الصدّق، وتكلّم على ظلم الضرائب والمكوس في (حاشية رد المحتار)، وعلى عقد السوكرة (التأمين) في مبحث تأمين الحربي من (ردّ المحتار) وتوصل إلى تحريمه، وتكلّم كذلك على حوادث الفتوى التي عالجها في رسائله مثل حادثة فتوى[1] أم الأم التي أبت أن تحضن إلاّ بأجر، وأم الأب التي تبرعت، وحادثة بطلان الفسخ بلا تغرير، ومالي ذلك.وبالجملة فإن ابن عابدين قد عاش عصره وتأثر تأثراً ملموساً وحاول أن يجعل فقهه عملياً يستخرج منه أدوية لعلاج الواقع الاجتماعي في ذلك العصر، وإني لأنصح لكل من أراد أن يدرس القرن الثالث عشر بعامة والنصف الأول منه بخاصة، من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أن يدمن دراسة مصنفات ابن عابدين، فلن يجد خيراً منها مرآة تعكس واقع العصر الذي عاشه ابن عابدين بكل فكره وقلبه وفقهه ونبوغه.

---

(١) مجموع الرسائل ج١ ص/٢٧٥.

الْبَابُ الثَّانِي

شخصيّة ابن عابدين

- حياة ابن عابدين.
- شخصية ابن عابدين العلمية.
- الآثار العلميـة لابـن عـابدين ودراستها.
- طبقـات فقهـاء الحَنَفِيَّة إلى ابـن عابدين.

الفصل الأول

حياة ابن عابدين

- بيئة ابن عابدين العلمية (دمشق وآثارها العلمية والفقهية في حياته).
- الترجمة الذاتية لابن عابدين.
- دراسة ابن عابدين، شيوخه وإجازاته وأسانيده.
- تلاميذ ابن عابدين.

المبحث الأول

بيئة ابن عابدين العلمية

(دمشق وآثارها العلمية والفقهية)

في حياته

المطلب الأول: أعلام دمشق في أول القرن الثالث عشر:

كانت دمشق في عصر ابن عابدين عش العلماء، ومهد الأدباء ومثابة للناس ومهوى قلوب الطلبة والباحثين، وقد صدق الشطي في قوله مترجماً عمر اليافي المرشد الخلوتي المشارك: ((ثم إن المترجم استوطن دمشق الشام المملوءة وقتئذ بالأدباء والعلماء الأعلام))(1).

وقدكان أعلامها في أول القرن الثالث عشر على طبقات ثلاث:

١- طبقة أشياخ شيوخ ابن عابدين:

وهم:

١- الشمس محمد الكزبري المحدِّث.

٢- وأحمد العطار المحدّث(2) أحد أئمة الشافعية.

٣- وهبة الله البعلي التاجي / الفقيه الحنفي الكبير.

٤- وخليل الرومي العالم الأديب.

٥- وسعيد المقدسي.

---

(١) روض البشر ص/٢١٣.

(٢) يقول الشطي في روض البشر: ((وقد انعقدت مشيخة دمشق في رأس هذا القرن على المترجم/ أحمد العطار والعلامة محمد الكزبري)) اهـ. ص/٤٦.

٦ - ومصطفى الرحمتي الأيوبي الفقيه الحنفي الكبير.

٧- والشيخ إبراهيم النجدي الفقيه الحنبلي الشهير.

٨- ومصطفى الرحيباني السيوطي /إمام الحنابلة في عصره.

٩- وخليل الكاملي المحدّث الفقيه.

١٠- ومحمد أبو شعر وشعير /العالم الصوفي الشاذلي الجليل.

١١- ويحيى القطب الحافظ المتقن.

١٢- ومحمد سنان الفقيه الحنفي المحدّث.

١٣- ومحمد شريف الغزي / مفتي الشافعية.

١٤- وإسماعيل الجراعي / مفتي الحنابلة.

١٥- وحسين العطار المدرّس.

١٦- وخليل المرادي المؤرّخ المفتي.

١٧- وعبد القادر السقطي.

١٨- وطه الكردي.

١٩- ومحمد البرهاني / أمين الفتوى الذي توفي قبل بداية هذا القرن.

٢٠- وأحمد البربير.

٢١- وحسين النابلسي.

٢٢- وإبراهيم النابلسي.

٢٣- وعبد القادر النابلسي.

٢٤- وعبد الحليم العجلوني.

٢ً- طبقة أشياخ ابن عابدين:

١- يوسف شمس / وهو مخضرم بين طبقة أشياخ ابن عابدين وأشياخهم.

٢- إبراهيم الرحيباني.

٣- نجيب القلعي (قنبازو).

٤- محمد شاكر العقاد.

٥- حامد العطار.

٦- عبد الرحمن الكزبري.

٧- عبد الرحمن الطيبي.

٨- سعيد الحلبي.

٩- خالد النقشبندي.

١٠- خليل الخشة.

١١- سعيد الحموي / شيخ القرّاء.

١٢- صالح القزَّاز (الزجَّاج).

١٣- عبد الغني الغزي.

١٤- عبد الله الكردي.

١٥- علي الشمعة.

١٦- علي المرادي.

١٧- علي السويدي.

١٨- كمال الدين الغزي / مفتي الشافعية.

١٩- محمد الكفرسوسي.

٢٠- مصطفى الشطي.

٢١- أحمد المخللاتي الفرَضي.

٢٢- يحيى الكزبري.

٢٣- يحيى المسالخي.

٢٤- حسين العمري.

٢٥- صالح الكردي.

٢٦- عبد الغني السقطي.

٢٧- محمد الدسوقي.

٣ً- طبقة ابن عابدين / الشيخ سعيد الحلبي وهو من إخوان ابن عابدين في الطلب على العقاد.

١- محمد عيد العاني.

٢- محمد سعيد الأسطواني / وهو من إخوان ابن عابدين في الطلب على العقاد.

٣- عبد القادر الميداني.

٤- مصطفى البرقاوي.

٥- نسيب حمزة.

٦- أحمد بيبرس.

٧- أحمد القلعي.

٨- أحمد مسلّم الكزبري.

٩- أحمد المنيني.

١٠- أسعد المُنَيِّر.

١١- إسماعيل الغزي.

١٢- إسماعيل حمزة.

١٣- تقي الدين الحصني.

١٤- حسن الشطي.

١٥- حسين المرادي / مفتي دمشق.

١٦- رضى الغزي.

١٧- هاشم التاجي.

١٨- سعدي السيوطي.

١٩- سعدي العمري.

٢٠- سعيد العجلاني.

٢١- صالح الأسطواني

٢٢- صالح أبو الفتح.

٢٣- صالح أياس.

٢٤- صالح الدسوقي / وهو الذي رد على ابن عابدين في التهاليل برسالته.

٢٥- صالح السقطي.

٢٦- صالح شمس.

٢٧- عبد الرحمن بيازيد.

٢٨- عبد الرحمن الحفار.

٢٩- عبد الغني السادات.

٣٠- عبد القادر حمزة.

٣١- عبد القادر الميداني.

٣٢- عبد القادر الكزبري.

٣٣- عبد الله الكزبري.

٣٤- عبد اللطيف / مفتي بيروت.

٣٥- علي حسيب.

٣٦- علي السقطي.

٣٧- عمر المجتهد.

٣٨- عمر الغزي / تلميذ الشيخ شاكر.

٣٩- غنام النجدي.

٤٠- قاسم الحلاق.

٤١- محمد الأيوبي الرحمتي.

٤٢- محمد الرومي.

٤٣- محمد المكي.

٤٤- يحيى السردست.

٤٥- عبد الله السكري(١) / من إخوان ابن عابدين في قراءته على الشيخ سعيد الحلبي.

٤٦- مصطفى البرهاني / صاحب حاشية الدر.

وبعد، فهؤلاء هم أعلام دمشق في أول القرن الثالث عشر، أي في زمن ابن عابدين، وهم أصحاب المكانة العلمية والفقهيه فيها، وإليهم تنتهي زعامة دمشق في تلك الحقبة، لكن هذه الطبقات ليست منفكة منفصلة بعضها عن بعض بل هي متداخلة، ونحن إنما فصلناها على هذا الشكل بغية تسهيل الدراسة، فالشيخ شاكر العقاد مثلاً يعدّ مخضرماً بين الطبقتين الأوليين، فهو من جهة قرأ على الشمس الكزبري والزين مصطفى الرحمتي والشهاب العطار، ومن جهة قرأ على الطبقة التي قبلهم فشاركهم، وهكذا بعض أهل الطبقة الأولى قرؤوا على الكزبري والعطار المذكورين وشاركوهما وهكذا في الطبقة الثانية كالشيخ سعيد الحلبي يعدّ من تلاميذ العقاد ومن أقرانه، وقل ذلك في الطبقة الثالثة طبقة ابن عابدين إلى آخر ماهنالك.

وهؤلاء الرجال ليسوا على درجة واحدة من العلم ولا من التصنيف فهم متفاوتون، فمنهم من ترك آثاراً جليلة ومنهم من لم يترك، وسيظهر ذلك في المطلب الثاني، وقد أفردت في ملحق التراجم أربعةً كانوا أشياخ الشام ومرجع الخاص والعام بلا منازع، انعقدت عليهم الأستاذية في دمشق بزمن ابن عابدين،

(١) يقول الكتاني في فهرس الفهارس: « وقد أدركت بحمد الله في دمشق من شارك ابن عابدين في عمدته من مشايخه وهو الشيخ سعيد الحلبي ذاك سند الشام - شيخنا عبد الله السكري الحنفي » اهـ. فهرس الفهارس والأثبات ج٢/٢١٦ وما بعدها.

وهم الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والشيخ عبد الرحمن الطّيبي والشيخ سعيد الحلبي والشيخ حامد العطار، تجدها هناك.

المطلب الثاني: أهم الآثار الفقهيه والعلمية في دمشق بزمن ابن عابدين.

من استقراء الآثار الفقهية والعلمية في دمشق في الحقبة التي ندرسها، وهي أوائل القرن الثالث عشر، يتبين معنا أن تلك الآثار مخطوطة كانت أو مطبوعة قليلةٌ إذا قيست بالقرن الذي قبله أو بالقرن الذي بعده، ولاندري لعل ذلك راجع إلى فقدان هذه الآثار أو خروجها إلى ديار الغرب؟ ومهما يكن الأمر فإن حظ الفقه كان قليلاً إذا قيس ببقية الآثار العلمية الأخرى في الحقبة المذكورة، وذلك يعود حسب دراستنا إلى انصراف الناس إلى الدراسات الأدبية والصوفية والعلمية الأخرى، وإلى زهد فقهاء ذلك الزمن بالتصنيف وهو العامل الأكبر فيما يبدو.

وإليك بعد هذا التقديم بياناً بأهم الآثار الفقهية والعلمية من مخطوط ومطبوع، المصنفة في تلك المرحلة، التي نحن بصدد دراستها.

الفقـــه:

- (كشف الغمة في الرد على من حرّم التهاليل على الأمة): رسالة ناقش فيها المؤلف ابن عابدين، ألّفها /١٢٣٢/هـ. صالح الدسوقي /١٧٨٥- ١٨٣١/.
- (الدر اليتيم في حكم مال اليتيم) عبد الغني السادات ١٧٩٥- ١٨٤٩.
- (جمع اللآلي في الشَّبَك في حكم الحائط المشترك) عبد الغني السادات.
- (نشر الحزام في المحاماة عن تكفير أهل الإسلام) عبد الغني السادات.
- (مناسك في الحج مختصرة ومطولة) أحمد الإسلامبولي ١٨٠٥- ١٨٦٤.
- (مناسك) و(حاشية على تحفة ابن حجر لم تتم) عبد القادر الخطيب.
- (معراج النجاح على متن نور الإيضاح) محمد علاء الدين بن عابدين ١٨٢٨- ١٨٨٨.

- (حاشية على الدر المختار) مصطفى البرهاني /١٢٦٥/.
- (حاشية على الدر المختار) مصطفى الرحمتي الأيوبي /١٢٠٥/.
- (كراهة سبق الإمام الراتب) عبد القادر الخلاصي /١٢٨٤/.
- (مناسك) و(هداية الأنام إلى خلاصة أحكام الإسلام) عمر اعزي /١٢٧٧/.
- (إعانة الناسك على أداء المناسك)/ رسالة فيمن حج البيت الحرام ومات وعليه ذنوب صغائر وكبائر وتبعات / (رسالة في محرمات النكاح برضاع أو نسب وتصوير مسائلها) قاسم القاسمي الحلاق /١٢٨٤/.
- (الفوز والنجاح في حكم فسخ النكاح عند الحنابلة) حسن الشطي الجد.
- (كشف اللثام عن قول من حرم الحج إلى بيت الله الحرام) محمد الخاني ١٢٧٩.
- (مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى) فقه حنبلي - مصطفى الرحيباني السيوطي الحنبلي /١٢٤٣/.
- (حاشية على الأشباه والنظائر لابن نجيم) هبة الله التاجي البعلي ١٢٢٤.
- (دليل الطالب) في مجلّدين في الفقه الحنبلي.
- (شرح غاية المنتهى) لم يكمل / إسماعيل الجراعي ت /١٢٠٢/.
- (منحة مولي الفتح في تجريد زوائد الغاية والشرح) مجلد، طبع حسن الشطي /١٢٧٤/.
- (رسالة في الفقه المالكي وشرح لها وحاشية عليها) - (رسالة في اختلاف المذاهب) - صالح المغربي السمعوني /١٢٨٥/.
- (اللباب شرح الكتاب على القدوري) عبد الغني الغنيمي الميداني.
- (سلّ الحسام على شاتم دين الإسلام).
- (رسالة في صحة وقف المشاع).
- (رسالة في مشدّ المسكة) عبد الغني الغنيمي الميداني /١٢٩٨/.
- (المنهل الموورود في أحكام المولود) علي الشمعة /١٢١٩/.

- (رفع التعدي في رفع الأيدي) علي الشمعة.

- (جمع الخلافيات بين ابن حجر والرملي في شرحيهما على المنهاج) علي الشمعة.

العـــلوم:

- (حصول الأنس في انتقال حضرة مولانا إلى حظيرة القدس) - إسماعيل الغزي /١٢٤٧/. - (منظومة في أسماء مجددي القرون الثلاثة عشر) الغزي المذكور.

- (منظومة في أسماء أهل بدر) أمين الجندي /١٢٩٥/.

- (النثار على الإظهار في النحو، في مجلّد - (مختصر شرح عقيدة السفّاريني) مطبوع في التوحيد) -(بسط الراحة لتناول المساحة) - مجلّد - (شرح رسالة في أنْ المصدرية).

- (شرح على الكافي في العروض والقوافي). (شرح على حزب النووي).

- مولد - ثَبَت - منسك مطبوع - معراج اختصر وطبع - رسالة في البسملة.

- رسالة في شروط فسخ النكاح - مبحث في التلفيق. والثلاثة الأخيرة مطبوعة - حسن الشطي الحنبلي /١٢٧٤/.

- (المواهب الإحسانية في تراجم العمرية) حسين العمري /١٢١٦/ (شرح على العقائد العضدية) و(مكاتبات خالد النقشبندي) (عَرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام) خليل المرادي /١٢٠٦/ مطبوع. (رسالة في تراجم بعض علماء حلب) (رسالة فيمن لقيه المرادي من العلماء): اسمها (إتحاف الأخلاف بأوصاف الأسلاف).

- (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) - خليل المرادي /١٢٠٦/.

- (الفيوضات الرحمانية في أحكام الفرائض القرآنية) ـ سليم الطيبي النحلاوي ت /١٣٠٠/ ـ (رسائل في علم الميقات) (تاريخ على طريق الرمز والإشارة) صالح المغربي السمعوني /١٢٨٥/ - (مختصر التفسير) (الحكم في كلام القوم) صالح اليافي /١٢٥٠/ - (ديوان عبد السلام الشطي) (تحفة أهل الإيمان بأدعية ليلة النصف من شعبان) (مختصر الفرج بعد الشدة) (نظم موالد الإمام بحرق الحضرمي) عبد السلام الشطي /١٢٩٥/ (سناء النيرين في إعجاز الآية والآيتين عبد الغني السادات/١٢٦٥/.

- (شرح على المراح في الصرف) (ورسالة وشرحها في الرسم) و(إسعاف المريدين لإقامة فرائض الدين) (كشف الالتباس في قول البخاري قال بعض الناس) عبد الغني الميداني/١٢٩٨/) (شرح منظومة البدر الغزي) (الكواكب الدرية (التكرار الواقع في القرآن) - (شرح على الأجرومية) عمر الغزي /١٢٧٧/ (التوسلات الحسنى بنظم أسماء الله الحسنى) (مورد الناهل بمولد النبي الكامل) (الدرة الزاهرة بتضمين البرأة الفاخرة) قاسم القاسمي الحلاق /١٢٨٤/ ـ (أسنى الهبات لمعرفة الأوقات) قاسم دقاق الدودة/١٢٦٠/ (النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل) (التذكرة الكمالية) (الدر المكنون والجمال المصون من فرائد العلوم وفوائد الفنون) (المورد الأنسي في ترجمة الشيخ عبد الغني النابلسي) كمال الدين الغزي /١٢١٤/ (عقيدة الغيب) (الصلوات المعروفة) - تقي الدين محمد أبو شعر وشعير /١٢٠٧/ (البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية) محمد الخاني /١٢٧٩/ (رسالة في علم الوضع) محمد سعيد الجزائري /١٢٧٨/ (مجموعة رسائل في الفلك والتشريح والرياضيات) محمد العطار /١٢٤٣/(تعليقات على حاشية السيد عبد القادر الجزائري الكبير في علم الكلام) (ذكرى العاقل) مطبوع (المقراض الحاد لقطع لسان أهل الباطل والإلحاد) (المواقف في التصوف في ثلاثة أجزاء) (ديوان شعر) الأمير عبد القادر الجزائري /١٣٠٠/(الرسالة الحمزاوية في

التوفيق بين الماتريدية والأشعرية) - (رسالة في فضل آل البيت) (رسالة في الرد على من ادعى لزوم قراءة الحنفي المؤتم للفاتحة) عبد القادر حمزة /١٢٧٩/ (مكتوبات الشيخ خالد- النقشبندي) عبد الفتاح العقري /١٢٨٥/(العقد الثمين في العقائد) (الرد على الإمامية) رسالة في الخضاب (تاريخ بغداد) علي السويدي /١٢٣٧/ (حاشية على أماكن من شرح البخاري للقسطلاني) (رسالة في البسملة) (نظم رسالة أما بعد للتافلاتي) (نظم مفردات قواعد الإعراب الهشامية) علي الشمعة /١٢١٩/) (مجموعة رسائل في التصوف والطريقة النقشبندية /٨/ رسائل) (ورسالة في بسم الله الرحمن الرحيم اسمها/ منح العليم/ ورسالة في الحض على بر الوالدين ورسالة في دخول الحمّام) عمر اليافي /١٢٣٣/) (انفتاق الزهر عن انغلاق البحر) علي الشمعة (نسمات الأسحار ونفحات الأزهار في فضائل العشرة الأبرار) محمد الكيلاني /١٢٤٤/. (تاريخ فيه ذكر للحوادث المشهورة في زمان المؤلّف) عبد الحليم اللوجي /١٢٢٣/. (المزولة) محمد العطار (فن القبان) محمد العطار (شرح على متن السحيمي في التوحيد) عبد القادر الخطيب. (ثبت) محمود حمزة/ ١٨٢١/ - /١٨٨٧/ (نثر الدرر على مولد ابن حجر) أحمد بن عابدين /١٨٢٣ - ١٨٨٩/ -(٩٢٠٨).

(رسائل الأشواق في وسائل العشاق /٣/ مجلدات) (شرح على مناجاة النابلسي) (البحر الزاخر والروض الزاهر في التصوف) محمودالعظم/١٢٩٢/). (مختصر شرح الشهاب الخفاجي على الشفا) مصطفى الرحمتي الأيوبي /١٢٠٥/ - (تحفة العبّاد فيما في اليوم والليلة من الأوراد من الأصول الستة) - مصطفى الرحيباني السيوطي /١٢٤٣/ (بديعية المولد) (شرح على الكافي في العروض والقوافي) (قريضة الفكر) نسيب حمزة /١٣٦٥/ - (رسالة في النحو) (مولد شريف) يحيى المسالخي /١٢٢٥/ (مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر) بعض أجزائه محمد علاء الدين بن عابدين. (المعراج)(سيرة) أبو الفتح الخطيب /١٨٣٤ / - /١٨٩٧/ (شرح الشمائل الترمذية) محمود الموقّع /١٨٤١ - ١٩٠٤/ (حميدية

الزمان بأفضلية الرسول الأعظم ﷺ محمد عارف المنير /١٨٤٨-١٩٢٣/ (الحصون المنيعة في براءة عائشة الصدّيقة باتفاق أهل السنة والشيعة) محمد عارف المنير (أسماء الوزراء الذين حكموا دمشق من /١٥١٦ إلى ١٧٠١/ رسلان القاري ت/١٨٣٨/ - (صفوة التفاسير) أبو بكر الكردي ت /١٢٦٩/ - (تنبيه الغافلين في الرد على خطأ أئمة الدين) أبو بكر الكردي. (شرح الدّرر في الفقه الحنفي) أحمد الإسلامبولي ت /١٢٨١/ - (زهر الغيضة في ذكر الفيضة) (تاريخ) أحمد البربير ت/١٢٢٦/ - (اقتباس القرآن) أحمد البربير[١].

ملحوظة: ما ذكرناه من الأرقام الزائدة على سني الوفاة والولادة فهو إشارة إلى رقم ذلك الكتاب المخطوط في ظاهرية دمشق.



---

(١) استقينا مادة هذا المبحث من حلية البشر للبيطار، ومن روض البشر للشطي، ومن أعيان القرن الثالث عشر لمردم بك، ومن مراجع أخرى.

المبحث الثاني

الترجمة الذاتية لابن عابدين

على عتبة دراسة الترجمة الذاتية لابن عابدين، ينبغي أن ننوّه بمصادر ثلاثة رئيسية استقينا منها جلّ ما كتبناه في هذا المبحث وهي:

أولاً ـ التكملة[1] لولد المترجم الشيخ علاء الدين عابدين وهو ولده الوحيد.

ثانياً ـ الثبت الذي ذيّله الشيخ أبو الخير عابدين ابن أخي المترجم بترجمة حافلة له من جمعه.

ثالثاً ـ الترجمة التي كتبها الدكتور الشيخ محمد أبو اليسر عابدين حفيد أخي المؤلف ونشرها في دائرة معارف البستاني، وهنالك مصدر رابع مكمّل لهذه الثلاثة ولكنه غير معروف لأحد، وهو ما تفضّل به عليّ الدكتور الشيخ محمد أبو اليسر عابدين فأملاه عليّ فكتبته في بعض مجالسي الخاصة معه، وهو ما عبّرت عنه بالمسموعات، وقد أثبتّ من ذلك نسخة كاملة ملحقاً في آخر هذه الرسالة، وهنالك مصادر أخرى ثانوية سأذكرها في عداد من ترجم لابن عابدين في المبحث الخامس من هذا الفصل إن شاء الله.

---

(١) كل ترجمة أو عزو إلى التكملة سيأتي فيما بعد فهو من الجزء الأول منها من الصفحة الخامسة ومابعدها إلى آخر الترجمة ص/١١/ ولو لم نذكر رقم الصفحة، فعلنا ذلك بالتكملة لأن أكثر العزو إليها كما سترى فاقتضى البيان، وكذلك إذا أطلقنا الثبت فهو كتاب (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) الذي ألفه ابن عابدين الكبير لشيخه العقاد، وهو في الحقيقة ثبت ابن عابدين نفسه وفي آخره عدة ملاحق أهمها ملحق ترجمة المؤلف ابن عابدين ذاته بقلم الشيخ محمد أبو الخير عابدين، وهذه الترجمة هي مانريدها عند إطلاق كلمة الثبت هنا في مجال ترجمة ابن عابدين.

المطلب الأول: أصل أسرة عابدين:

أسرة عابدين دمشقية عريقة ضاربة في أعماق الزمن في دمشق، تمتد جذورها مئات السنين، ولا صحة لما قاله الحصني في منتخبات التواريخ نقلاً عن السيد أبو الخير عابدين من أن أصلهم من حماة، فذلك وهم وقع فيه الحصني، كما أكّد نفيه الدكتور أبو اليسر عابدين في التقرير العلمي في ملاحق النصوص في آخر الرسالة[1]، أما (عابدين) فأساس هذه الشهرة جدهم الخامس محمد صلاح الدين الشهير بعابدين، كما ذكره كثير من المترجمين[2] له، والذي يظهر لنا أن مؤسس مجد هذه الأسرة وصاحب الذكر في أجدادها، بحيث أصبحت إليه تنسب هو (محمد صلاح الدين) الذي ذكر عنه صاحب التكملة (السيد الشريف العالم الفاضل الولي الصالح الجامع بين الشريعة والحقيقة إمام الفضل والطريقة /محمد

---

(١) منتخبات التواريخ لدمشق للحصني ج٢/٦٨٠ و: ر التقرير العلمي العابديني في إجابات مختصرة رقم /٨/ في آخر الرسالة في ملاحق النصوص، ففي منتخبات التواريخ عبارة تدل على وهم في أصل هذه الأسرة المباركة، قال مؤلفه: ((وقد أخبرني ابن ابن أخيه السيد أبو الخير مفتي دمشق: أن مجيئهم كان من حماة، وقد اختاروا السكنى بدمشق، ولهم سلسلة مباركة وذرية طيبة)) أهـ منتخبات التواريخ: ج٢/٦٨٠ وما بعدها. جاء في التقرير العلمي العابديني ما يلي: (حول استفساركم عما أورده محمد تقي الدين نقيب الأشراف في الجزء الثاني من منتخبات التواريخ لدمشق من أن المرحوم الجد أبو الخير عابدين مفتي دمشق طيب الله ثراه أخبره بأن مجيء عائلة عابدين كان من مدينة حماة وقد اختاروا السكنى بدمشق ـ لا أصل له مطلقاً و لم أسمع به من والدي، كما لم يسمعه سيدي الوالد من المرحوم الجد الذي نقل الخبر على لسانه ولايوجد في أي مصدر آخر. ويؤكد سيدي الوالد عدم صحة هذا القول وعدم صحة نسبته للجد الشيخ أبو الخير) اهـ. التقرير العلمي ص/٣، وما بعدها تحت عنوان إجابات مختصرة برقم /٨/.

(٢) التكملة والترجمة المكتوبة بخط الشيخ أبو اليسر ومنتخبات التواريخ وحل المترجمين لابن عابدين اتفقوا على سبب هذه النسبة: ر: التكملة ١/٥.

صلاح الدين/ الشهير ((بعابدين)) وما المترجم إلاّ محدد لهذا المجد الذي أسسه الجد المذكور حتى صارت الأسرة تعرف من بعد باسمه، وما ذلك إلاّ لصلاحه وتقواه وكثرة عبادته وعبوديته كما يدل عليه اشتقاق لفظة (عابدين)[1] والذي يبدو من استقراء أجداد ابن عابدين أنهم كانوا:

١ ـ أولاً: صلحاء عبّاداً عرفوا بين الناس بالورع وكثرة العبادة.

٢ ـ وثانياً: أشرافاً يدل على ذلك ما كتبه الشيخ علاء الدين صاحب التكملة والشيخ أبو الخير في الثّبت ((عقود اللآلي)) وهما الأصلان لكل ما كتب عن ابن عابدين بعد ذلك وعن تلك الأسرة الجليلة، وإليك ما قاله الشيخ أبو الخير[2] صاحب الزيادات على ((عقود اللآلي)) ثبت ابن عابدين:

(هذا، وإن نسبه الشريف وإن ذكر في أول قرة عيون الأخيار التكملة إلاّ أنه لما طبع في الآستانة العلية دار الخلافة العثمانية حماها اللّه من كيد الأعداء وسائر بلاد الإسلام وقع زيادة أب هو (علي) في الرتبة الثامنة سهواً، وصحح السهو لما طبعت مرة ثانية في مصر القاهرة[3] فأحببت ذكر ذلك هنا للتنبيه على تلك الزيادة فأقول:

---

(١) أقول: ((كما جرت عليه عادة كثير من الأسر عند العرب المسلمين، حيث يسمون كثير العبادة بـ (عابدين) تشبيهاً له بسيدنا زين العابدين السجاد حفيد النبي صلى الله عليه وسلم، وكأن كلمة (زين) سقطت في درج الكلام فبقيت النسبة (عابدين) وقديماً كانوا يقولون عن كثير الفقه (أبو حنيفة الزمان) وعن الشديد بالحق (عمر الزمان) وهكذا.. والله أعلم)).

(٢) اخترنا هذا النص لأنه متأخر، ففيه تصحيح لما فيه التكملة المطبوعة في استانبول.

(٣) النسب الموجود في التكملة المطبوعة في القاهرة موافق بالكلية للنسبة المذكور أعلاه ومصحح بحذف الزيادة المسهو بها.

((هو: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحيم بن نجم الدين بن العالم الفاضل الولي الصالح الجامع بين الشريعة والحقيقة إمام الفضل والطريقة محمد صلاح الدين الشهير بعابدين بن نجم الدين الثاني بن محمد كمال ابن تقي الدين المدرّس بن مصطفى الشهابي بن حسين بن رحمة الله بن أحمد الثاني بن علي بن أحمد الثالث بن محمود بن أحمد الرابع بن عبد الله بن عز الدين ابن عبد الله الثاني بن قاسم بن حسن بن إسماعيل بن حسين النتيف بن أحمد الخامس بن إسماعيل الثاني بن محمد بن إسماعيل الأعرج بن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام حسين بن البتول هي الزهراء فاطمة بنت سيد المرسلين وحبيب ربّ العالمين صلى الله تعالى عليه وسلّم وشرّف وعظّم وعلى أهل بيته الكرام وأصحابه العظام[1])).

وقد اتفق المؤرخون على أنه مشهور (بابن عابدين الحسيني) وكان أحياناً يلقب نفسه (محمد عابدين الماتريدي) فابن عابدين هو الولد الثاني والثلاثون للسيدة فاطمة الزهراء البضعة النبوية الطاهرة رضي الله تعالى عنها، وما لدينا من التكملة المطبوعة بالقاهرة نسخة طبق الأصل عن هذا النسب لكن بزيادة لقب ((السيد الشريف)) لكل هؤلاء الشرفاء مع ذكر صفة (الثالث) للسيد حسين النتيف وذكر لقب عابدين لأولاد محمد صلاح الدين المشهور بعابدين من عنده إلى المترجم[2].

---

(١) ثبت عقود اللآلي/٢٤٧، أقول: ((وذكر تيمور باشا في كتابه أعلام الفكر الإسلامي الحديث في معرض ترجمته للسيد علاء الدين أن أسرة آل عابدين تجتمع مع الأسرة الحمزاوية في (إسماعيل) أول من جاء دمشق من أجدادهما.

(٢) التكملة ٥/١.

فأنت ترى أن هذا النسب كل رجاله أشراف[1]، وأنه قريب من الأصل الطاهر، وأن رجاله هؤلاء في المرتبة العليا من الفضل والعلم والصلاح والسيادة....

يدلّك على ما ذكرت مقالة الوالد السيد عمر عابدين الرجل الصالح رحمه الله يقول فيها لولده المترجم: ((اشترِ ما بدا لك من الكتب وأنا أدفع لك الثمن، فإنك أحييت ما أمتّه أنا من سيرة سلفي فجزاك الله تعالى خيراً يا ولدي)). ثم أردف صاحب التكملة ذلك بقوله: ((وأعطاه كتب أسلافه الموجودة عنده من أثرهم الموقوفة على ذراريهم وعندي بعض منها ولله تعالى الحمد))[2]، ومن هذا النص الأخير نعلم أن من أجداده علماء لوجود كتب لأسلافه في حوزة والده دفعها إليه وكانت موقوفة على ذراري الأسرة العابدينية.

هذا عن آبائه، أما عن جدّته أم والده، فهي بنت الشيخ المحبّي صاحب تاريخ /خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر/ وصاحب /نفحة الريحانة/ المصنّف الكبير والعلم المؤرّخ الشهير.

أما والدته فهي من ذرية الحافظ الداودي القطان الشهير، وكان عمّها الشيخ محمد عبد الحي الداودي، صاحب التأليفات الشهيرة منها حاشية المنهج وحاشية ابن عقيل ومجموع الفوائد وغيرها، والذي يبدو أن لهم نسباً إلى سيدنا

---

(١) في ص/٢٤٧ من الثبت مقولة معزوة إلى حاشية رد المحتار نقلاً عن ابن حجر المكي الشافعي والخير الرملي أن ابن الهاشمية له شرف وأن أولاد السيدة فاطمة رضي الله عنها كلهم شرفاء للحديث ((كل ولد آدم فإن عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم)) اهـ. ص/٢٤٧/ وما بعدها.

(٢) التكملة ج١/٨.

العبّاس عم النبي ﷺ ورضي عنه، ولكنه ليس بدرجة الثبوت[1]. وهكذا يكون جدّه لأبيه العلامة المحبي وجدّه لأمه العلامة الداوودي رحمهما الله تعالى.

فمن سلالة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ومن أحفاد الرسول الأعظم ﷺ ومن خؤولة العلاّمة المحبي والعلاّمة الداوودي رحمهما الله تعالى، خرج العلامة ابن عابدين خياراً من خيار من خيار، ومن هذا الجو من الصلاح والتقوى والسيادة والشرف والعلم والعمل ولد المترجم يحمل كل هذه الصفات وخلاصة تلك الميزات.

وفي ذلك يقول البستاني في أول ترجمته لابن عابدين كلاماً حول الأسرة العابدينية إليك نصّه: (علم أسرة دمشقية من أعيان الفقهاء يرتقي نسبها إلى زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عرف منها غير واحد في علم الفقه تدريساً وإفتاء وتأليفاً، فكان من أشهرهم محمد أمين[2]..).

---

(١) التكملة ج١/٨ يقول الدكتور الشيخ أبو اليسر في الترجمة الكتابية التي نشرتها دائرة معارف البستاني: ((له مؤلفات عظيمة ـ الداودي ـ بخط يده موجودة عندي منها حاشية كبيرة على ابن عقيل شارح الألفية ومنها شرح على المنهاج للقاضي زكريا الأنصاري في مذهب الشافعي رضي الله عنه وهو ضخم في أربع مجلدات يشبه حاشية حفيده على الدر ومنها بمجموع كبير ولمسائل عجيبة لا أستغني عن مطالعته ليلاً ونهاراً وفيه تراجم كثيرة من العلماء)) اهـ. ص/٣ وقال في المسموعات ص/٨/: ((جد ابن عابدين لأمه محمد بن عبد الحي الداوودي معاصر للشيخ عبد الغني النابلسي كان شافعي المذهب ومؤلفاته في الفقه الشافعي تعادل الحاشية الحنفية، له حاشية على المنهج وحاشية على ابن عقيل ومجموع من نفائس الدهر بخطه)) كل ذلك أخبرنيه الدكتور أبو اليسر عابدين.

(٢) دائرة المعارف للبستاني ٣/٣٢٤.

المطلب الثاني: مولده:

أجمعت المصادر التي بين أيدينا كلها، واتفقت كلمة المؤرخين والمترجمين لابن عابدين، على أن ولادته كانت في عام /١١٩٨/هـ الموافق لـ /١٧٨٤/في دمشق، ونشأ في حجر أبيه السيد عمر عابدين في حي القنوات، من أحياء دمشق[(١)] - زقاق المبلّط، وكنيته أبو النور[(٢)] واسمه محمد أمين، وكان كثيراً ما يقول عن نفسه (محمد عابدين) وبهذا الاسم شهر، وكان له عمّ[(٣)] من أهل الصلاح ومظنة الولاية ومن أهل الكشف اسمه الشيخ (صالح) عابدين وكان صالحاً، بشّر أمّه به قبل ولادته وهو الذي سمّاه بـ (محمد أمين) حين كان في بطن أمّه.

المطلب الثالث: نشأته:

نشأ ابن عابدين في حجر أبيه الذي لم يكن عالماً، بل كان تاجراً عابداً صالحاً، فربّاه على الفضيلة والهمة العالية، فحفظ القرآن[(٤)] العظيم عن ظهر قلب وهو صغير جداً.

---

(١) ر: التكملة والثبت ص/٢٤٣. قلت: ((هذه المعلومات من المسموعات ص/٢)).

(٢) من تقريظ أحمد الغِرّ مفتي بيروت. تجده في الفصل الثالث من الباب هذا الثاني.

(٣) توفي عمه المذكور شهيداً بحادثة وقعت بدمشق /١٢٠٣/ هـ ودفن في مقبرة باب الصغير بجانب قبر الإمام العلائي شارح الدر لجهة الشمال اهـ. التكملة والثبت ص/٢٤٥/.

(٤) الذي نرجحه أن الحفظ كان قبل التعرف على الشيخ الحموي، وإنما الذي حصل بعد التعرف والقراءة: الإتقان.

وكان والده يجلسه في محله التجاري ليألف التجارة ويتعلّم البيع والشراء، وربما صاحبه في جولاته التجارية في الأسواق، وكان لهذا أثره فيما بعد، حيث بقي ابن عابدين طول حياته تاجراً يأكل من كسب يده، وانعكست تلك المعرفة التجارية على فقهه وكتابته كما سنرى فيما بعد.

كان والده شفوقاً عليه يحبه محبّة تامة، حتى إنه لما حجّ المترجم /١٢٣٥/ امتنع والده عن دخول داره الجوانية مدة غياب ولده، ولم ينم على فراش تلك المدة وهي أربعة أشهر، بل بقي نائماً في داره البرانية، وكان المترجم مقابل ذلك باراً بوالديه في حياتهما وبعد وفاتهما، كما سنرى في أخلاقه وشمائله رحمه الله تعالى.

المطلب الرابع: تحصيله

سبب تحصيله أنه كان يجلس في محل والده ليتعلم التجارة فجلس مرة يقرأ القرآن، فمرّ به رجل فأنكر عليه وزجره وأمره بالتعلّم، فسأل عن أفضل من يعلّم القرآن فدلّه بعضهم على الشيخ محمد سعيد الحموي شيخ القراء فقرأ عليه القرآن مجوّداً وحفظ المتون وقرأ عليه بعض العلوم والفقه الشافعي ثم انتقل إلى شيخه الشيخ شاكر العقاد السالمي / المشهور (بابن مُقَدَّم سعد)/الحنفي الخلوتي القادري، فأخذ عليه الطريقة القادرية، وقرأ كثيراً من العلوم والفنون في المعقول والمنقول وألزمه بالتحول إلى المذهب الحنفي فقرأ عليه[1] كثيراً من كتب المذهب، وتضلّع في الفقه والعلوم الآليّة وأحبّه شيخه محبّة عظيمة وصار يفتخر به ويأخذه إلى شيوخه ويستجيزهم له، فيجيزونه، وبدأ بالتصنيف في هذه الفترة وسنّه /١٧/

(١) ر: التكملة والثبت ص/٢٤٣ وما بعدها.

عاماً، ثم بدأ بقراءة الدر المختار على الشيخ المذكور مع جماعة منهم الشيخ سعيد الحلبي، ولكن الشيخ العقاد توفي /١٢٢٢/هـ/ و لم يكمل الدر فأكمله ابن عابدين مع تلاميذ الشيخ العقاد على الشيخ سعيد الحلبي أكبر التلامذة سناً وقدراً، ثم قرأ عليه كثيراً من الكتب التي بدأها مع شيخه العقاد، وكتباً أخرى في الفقه الحنفي وغيره من العلوم الآلية حتى برع ونضج وتمكن، ثم شرع في تأليف (رد المحتار) وفي أثنائها ألّف (العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية) ثم تعرّف على شيخه في الطريق الشيخ خالد النقشبندي، فأخذ عليه الطريقة النقشبندية واستجازه فأجازه، واشتغل بالتصنيف والتدريس والإفادة حتى أصبح مرجع الفتوى ومحجة العلماء في العالم الإسلامي.

المطلب الخامس: منهجه في الحياة

كان شغل ابن عابدين في الدنيا التعلّم والتعليم والتفهّم والتفهيم والإقبال على مولاه، والسعي في اكتساب رضاه، مقسّماً زمنه على أنواع الطاعات والعبادات والإفادات من صيام وقيام وتدريس وإفتاء وتأليف على الدوام، فكان قد جعل وقت التأليف والتحرير في الليل فلا ينام منه إلاّ ما قلّ، وجعل النهار للدروس وإفادة المستفتين، فكان دائباً على إلقاء الدروس ونشر العلم يرقى في درج المعالي وحل المشكلات بصائب فهم، ويحرص على جمع الفنون مع اشتغاله بالتدريس والمطالعة وتصحيح الكتب والمراجعة وتهميش الكتب بدقائق العبارات وتحرير المنتقدات بألطف إشارات، وكتابته على أسئلة المستفتين، والأوراق التي سوّدها بالمباحث الرائعة والرقائق الفائقة لا تكاد تحصى، ولا يمكن أن تستقصى.

كان ابن عابدين رحمه الله يأكل من مال تجارته بمباشرة شريكه مدة حياته، ويلاحظ أمر دنياه شريكه من غير أن يتعاطى بنفسه و لم يأكل طوال حياته إلاّ من

تجارته، وكان رحمه الله مغرماً بتصحيح الكتب والكتابة عليها فلا يدع شيئاً من قيد أو اعتراض أو تنبيه أو جواب أو تتمة فائدة إلاّ ويكتبه على الهامش، ويكتب المطالب، وكانت عنده كتب من سائر العلوم لم يجمع على منوالها، وكان كثير منها بخط يده، ولم يدع كتاباً منها إلاّ وعليه كتابته.

وكان السبب في جمعه هذه الكتب عديمة النظير والده، فإنه كان يشتري له كل كتاب أراده، ويقول له:((اشتر ما بدا لك من الكتب وأنا أدفع لك الثمن فإنك أحييت ما أمتّه أنا من سيرة سلفي، فجزاك الله خيراً يا ولدي))[1].

وأعطاه والده كذلك كتب أسلافه الموجودة عنده من أثرهم الموقوفة على ذراريهم، وكان المترجم حريصاً على إصلاح الكتب، لا يمر على موضع منها فيه غلط إلاّ أصلحه وكتب عليه ما يناسبه، وكان حسن الخطّ حسن القشط، قل أن يرى من يكتب مثله على الفتاوى وعلى هوامش الكتب في الجودة وحسن الخط وتناسق الأسطر وتناسبها، ولا يكتب على سؤال رفع إليه إلاّ غيّره غالباً.

وكان أيضاً حريصاً على إفادة الناس وجبر خواطرهم، مكرماً للعلماء والأشراف وطلبة العلم، يواسيهم بماله، وبالجملة لا تخلو أوقاته من الكتابة والإفادة والمراجعة للمسائل.

المطلب السادس: وصفه الخَلْقِي

كان المترجم رحمه الله طويل القامة شثن الأعضاء والأنامل، أبيض اللون أسود الشعر واللحية، فيه قليل الشيب لوعدّ شيبه لعدّ، مقرون الحاجبين، ذا هيبة ووقار، وهيئة مستحسنة ونضار، جميل الصورة حسن السريرة، يتلألأ وجهه نوراً،

(١) ر: التكملة.

حسن البشر دائم الابتسام، وكان إلى ذلك كله نظيف الثوب والبدن، يلبس لباس علماء زمانه من جبة وعمامة بيضاء مكوّرة على طربوش أحمر وقفطاناً وكان ذلك كلّه وسطاً[1].

المطلب السابع: أخلاقه والميزات العامة لشخصيته

كانت أعظم صفة فيه الصلابة في الدين مع التواضع والأدب في محلهما، وإليك بعض الأضواء على هذه الصفات:

آ ـ أما صلابته في دينه:

فلقد كان متين الدين لا تأخذه في الله لومة لائم، صدّاعاً بالحق، فكانت تهابه الحكام والقضاة وأهل السياسة. لذلك رزق الهيبة فكان مهاباً مطاعاً نافذ الكلمة عند الحكام وأعيان الناس، أمّاراً بالمعروف نهّاء عن المنكر رادعاً للحكام وأهل الجور إذا سمع منكراً أو رآه سعى بتغييره ما استطاع لصلابته في دينه، ولقد شهد من صاحبه في سفر أنه إذا رأى منكراً غيّره من ساعته على مقتضى الشريعة، فكانت كلمته نافذة وشفاعته مقبولة وكتابته ميمونة، ما كتب لأحد شيئاً إلاّ وانتفع به لصدق نيته وحسن سريرته وقوة يقينه وشدّة دينه وصلابته فيه، فكانت أعراب البوادي إذا وصلت إليهم فتواه لا يختلفون فيها مع جهلهم بالشريعة المطهّرة.

---

(١) التكملة والمسموعات، وإليك النص من ص/٧ من المسموعات: (كان ابن عابدين حسن البشر دائم الابتسام، وكان نظيف الثوب والبدن يلبس لباس العلماء في زمانه من جبة وعمامة بيضاء مكورة على طربوش أحمر وقفطاناً وكل ذلك كان وسطاً).

ب ـ أما تواضعه:

فلقد كان حسن الصحبة متواضعاً حسن الأخلاق يحب الفقراء والمساكين وأهل التقى والدين، ومن أعظم الأدلة على ذلك أنّ وقف جده لأم أبيه العلامة المحبي كان مشروطاً نظره للأرشد من ذرية الواقف فامتنع من توليته وسلّمه لأخيه.

جـ ـ أما أدبه:

فحدّث، ولا حرج، عن أدب من جمع بين شرف العلم وشرف النسب ومن ربّاه الأولياء ونشأ في أحضان ورثة الأنبياء، ولقد قيل «السفر يسفر عن أخلاق الرجال» ولقد شهد له وأخبر عنه من يوثق بصلاحه ودينه ممّن صحبه في سفره إلى الحج من تلامذته قال: «إني ما وجدت عليه شيئاً يشينه في دنياه ولا في دينه، وكان حسن الأخلاق والسمات، ما سمعته في سفري معه في طريق الحج تكلّم بكلمة أغاظ بها أحداً من رفقائه وخدمه أو أحداً من الناس أجمعين، اللّهم إلاّ إن رأى منكراً فيغيّره من ساعته على مقتضى الشريعة المطهّرة[1] العادلة». أما مجلسه فكان محفوظاً من الفحش والغيبة والتكلم بما لا يعني. وسيأتي إن شاء اللّه

---

(١) ر: التكملة. قلت: «في أدب ابن عابدين مع أقرانه من العلماء جاء في رد المحتار ما يلي من الثناء على الطحطاوي محشي الدر قال: «فقد ظهر لك بطلان ما أكبَّ عليه أهل العصر من الوصية بالختمات والتهاليل مع قطع النظر عما يحصل فيها من المنكرات التي لا ينكرها (إلاّ) ـ كذا ـ من طمست بصيرته، وقد جمعت فيها رسالة سميتها (شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل)، وأثبتُّ فيها العجب العجاب لذوي الألباب وما ذكرته هنا بالنسبة إليها كقطرة من بحر أو شذرة من عقد نحر، وأطلعت عليها محشي هذا الكتاب فقيه عصره ووحيد دهره السيد أحمد الطحطاوي مفتي مصر سابقاً فكتب عليها وأثنى الثناء الجميل، فالله يجزيه الخير الجزيل، وكتب عليها غيره من فقهاء عصره» اهـ. رد المحتار ج٥/٣٦ قلت: وهكذا يكون أدب العلماء وأخلاق ورثة الأنبياء.

في المبحث التالي في دراسته وشيوخه نماذج من أدبه مع شيوخه أو من هم في طبقتهم إن شاء الله.

د ـ أما قوة شخصيته وعظمته:

فتتجلى في تلك القوة الذهنية الربانية التي منحه الله تعالى إياها فلقد كان بحّاثاً ما باحثه أحد إلاّ وظهر عليه، وسيظهر لهذه الصفة آثار في دراسة مصنفاته إن شاء الله، وتتجلى كذلك في إكرامه للعلماء والأشراف وطلبة العلم وغيرته على أهل العلم والشرف ونصرته لهم ودفاعه عنهم ما استطاع[1].

هـ ـ أما عن صلاحه وتقواه وبرّه:

فذلك ما لا يحده الوصف، فلقد كان في رمضان يختم كل ليلة ختماً كاملاً مع تدبر معانيه، وكثيراً ما يستغرق ليله بالبكاء والقراءة للقرآن العزيز ولا يدع وقتاً من الأوقات إلاّ وهو على طهارة ويثابر الوضوء على الوضوء، وكان يواسي إخوانه العلماء بماله، كما كان كثير التصدّق على ذوي الهيئات من الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافاً بما يسمّى اليوم (بالعائلات المستورة) وكذلك كان كثير البرّ والصدقات لأرحامه الفقراء وعظيم البر والصلة لأرحامه الفقراء وعظيم البر والصلة لأرحامه الأقربين، يواسيهم بأفعاله وأقواله وماله، وبالخصوص شقيقه الشيخ عبد الغني عابدين[2] رحمهما الله تعالى.

وكان رحمه الله إلى ذلك كله له خيرات عامة، منها تعمير المساجد وافتقاد الأرامل والفقراء.

---

(١) ر: التكملة.

(٢) ر: المصدر السابق والثبت ص/٢٤٣ وما بعدها.

و ـ أما ورعه وعفته:

فهذا ما أجمع عليه مؤرخوه، فلقد كان ورعاً ديّناً عفيفاً، ومن نماذج ورعه وعفته أنه عرض عليه خمسون كيساً من الدراهم لأجل فتوى على قول مرجوح فردها ولم يقبل، ومن ذلك أنه امتنع عن شراء العقارات الموقوفة التي عليها كدك أو محاكرة أو قيمة أو بالإجارتين[1]، ولم يل وقف جده لأم أبيه بل تركه لأخيه

---

(١) هذه الحقوق يقال لها في عرف الفقهاء: ((حقوق القرار على الأوقاف)) وهذه لمحة عن هذه الحقوق كلها مع ما مر في صلب البحث:

ـ حقوق القرار على الأوقاف: يشمل هذا النوع طائفة من الحقوق تعورف إنشاؤها على عقارات الأوقاف بطرق معينة في حالات مخصوصة: تارة لحاجة الوقف إليها وتارة لدفع الضرر عن بعض مستأجري عقارات الوقف لو لم يمنحوا حق القرار فيها. وقد تكلم متأخرو الفقهاء في كتبهم وفتاويهم عنها. ويدخل في هذا النوع الحقوق التالية:

١ ـ حق الحَكَر:

وهو حق قرار مرتب على الأرض الموقوفة بإجارة مديدة تعقد بإذن القاضي يدفع فيها المستحكر لجانب الوقف مبلغاً معجلاً يقارب قيمة الأرض ويرتب مبلغاً آخر ضئيلاً يستوفى سنوياً لجهة الوقف من المستحكر. أو ممن ينتقل إليه هذا الحق، على أن يكون للمستحكر حق الغرس والبناء وسائر وجوه الانتفاع. وحقه هذا قابل للبيع والشراء وينتقل إلى ورثته بالموت.. الخ، والغرض من هذا العقد أن يستفاد من الأراضي الموقوفة المعطلة عندما لا يكون الوقف متمكناً من استثمارها. ولعل الحكر أقدم ما نعرف من الحقوق العينية المنشأة على الأوقاف. فقد حدثت طريقته في عهد متقدمي الفقهاء وأقروها.

٢ ـ حق الإجارتين:

وهي عقد إجارة مديدة بإذن القاضي الشرعي على عقار الوقف المتوهن الذي يعجز الوقف عن إعادته إلى حالته من العمران السابق بأجرة معجلة تقارب قيمته تؤخذ لتعميره، وأجرة مؤجلة ضئيلة سنوية يتجدد العقد عليها ودفعها كل سنة. وذلك كمخرج من عدم جواز بيع الوقف ولا إجارته مدة طويلة. ومن هنا سميت

يتبع ⇐

⇐

بالإجارتين. والفرق بينها وبين الحكر أن البناء والشجر في الحكر ملك للمستحكر لأنهما أنشئا بماله الخاص بعد أن دفع إلى جانب الوقف ما يقارب قيمة الأرض المحكّرة باسم أجرة معجلة. أما في عقد الإجارتين فإن البناء والأرض ملك للوقف، لأن عقدها إنما يرد على عقار مبني متوهن يجدد تعميره بالأجرة المعجلة نفسها التي استحقها الوقف. وهو ينشأ بطريقة أحدثتها القوانين العثمانية بعد سنة ١٠٢٠/هـ على أثر الحرائق التي شملت أكثر عقارات الأوقاف في القسطنطينية، فعجزت غلاتها عن تجديدها، وتشوّه منظر البلدة، فابتكروا طريقة الإجارتين تشجيعاً على استحجار هذه العقارات لتعميرها اقتباساً من طريقة التحكيم في الأراضي.

٣ ـ المَرْصَد:

وهو في الأصل دَيْن يثبت على الوقف لمستأجر عقار مقابل ما ينفقه بإذن المتولي على تعميره عند عدم وجود غلة في الوقف، ثم يؤجر منه بأجرة مخفضة لما له من دين على الوقف. وقد اعتبر بعد ذلك لصاحبه حق قرار في عقار الوقف يورث ويتنازل عنه بالفراغ، بأن يأخذ صاحبه دينه من آخر يحل محله في العقار بإذن المتولي.

٤- حق الكَدِك:

الكدك (بفتح فكسر) لفظ تركي الأصل يطلق على ماهو ثابت في الحوانيت الموقوفة ومتصل بها اتصال قرار ودوام لعلاقته الثابتة بالعمل الذي يمارس في هذا العقار. وقد جرت العادة أن ينشئ مستأجر عقار الوقف هذا الكدك فيه من ماله لنفسه على حسب حاجته بإذن متولي الوقف. وقد يسمى الكدِك: (سكنيٌّ) في الحوانيت الصناعية أو التجارية، كما يسمى (كردارا) في الأرض الزراعية، وقد أقروا ملكية كل من الكدك والكردار للمستأجرين، فيوهب ويورث ويباع ولكن لا شفعة فيه. وأقروا لهم فيه حق القرار فيحق لمالكه استبقاؤه بأجر المثل عن عقار الوقف خالياً عنه وإن أبى المتولي إذ لا ضرر على الوقف مادام المستأجر يدفع للوقف أجر المثل وذلك كيلا يتضرر صاحب الكدك بقلعة.

٥ ـ حقوق أخرى عرفت باسم (القميص) (ومشد المسكة) و(القيمة):

وقد أقروا أيضاً لأصحابها حق قرار على عقار الوقف بأجر المثل ترجيحاً على سواهم من المستأجرين. فالقميص: حق لمستأجر دار الرحى الموقوفة يخوله البقاء فيها لما له فيها

يتبع ⇐

ولم يتفق له قبول هديّة من ذي حاجة أو مصلحة، وهو ورع في سائر أحواله وعلى الخصوص في حال إحرامه في حجته عام /١٢٣٥/هـ، فإنه تحرّى للطعام غاية التحري مع قلة تناول الطعام إلاّ بقدر الضرورة، فهو يأكل ليعيش لا من القوم الذين يعيشون ليأكلوا، فكان الورع ديدنه وهجّيراه في شؤونه كلها.

ز ـ أما عقيدته:

فهي عقيدة أهل السنّة والجماعة، ما تريدي كما كان يذكر عن نفسه أحياناً، وله محبة للسادة الصوفية الصادقين، وذوق في فهم كلامهم واندراج تحت نظرهم[1] رضي الله عنه وعنهم.

⇐

من أدوات الطحن وآلاته ولوازمه. ومشد المسكة: حق لمستأجر الأرض الموقوفة في البقاء بسبب ماله فيها من حراثة وسماد، إذ يتضرر لو أخرج منها. ـ والقيمة: حق مستأجر البساتين الموقوفة في البقاء فيها ذلك لماله من أصول المزروعات التي تدوم كالفصفصة، أو من عمارة الجدر المحيطة التي أنشأها هو، ومثلها ما يكون لمستأجر الحمامات الموقوفة من أدوات ولوازم ثابتة، وهي نظير الكدك.

هذه هي زمرة حقوق القرار العينية المنشأة على الأوقاف، وقد كانت هذه الحقوق أغلالاً في أعناق الأوقاف سلبت معظم منافعها بأجور زهيدة في عهود اختل فيها ميزان الحكم وسلطان القضاء. وإنما سميت جملة هذه الحقوق باسم مستقل هو: (حقوق القرار)، لما يصرح به الفقهاء في كثير منها كالحكر والكدك ومشد المسكة، بأن لصاحبها حق قرار. ولأنها لا تدخل في ضمن الانتفاع ولا في حق الارتفاق. ر: (تنقيح الفتاوى الحامدية) ١٩١/١، ورد المحتار ٤٢٨/٣، (والمدخل إلى نظرية الالتزامات العامة في الفقه الإسلامي) للزرقا من ص/٤٠ ـ ٤٦، (والوقف) لعبد الجليل عَشُوب ص/٢٢٩ ـ ٢٤٩ و(الأوقاف) لشاكر الحنبلي ص/١٢٠ ـ ١٣٥، و(إتحاف الأخلاف) لعمر حلمي المقدمة والباب السادس منه، و(قانون العدل والإنصاف) لقدري باشا من /٢٢٥ ـ ٣٦١ و٤٦١.

(١) التكملة، والثبت ص/٢٤٥.

ح - أما وفاؤه وبره بوالديه وبأسرته:

فلقد كان في ذلك مضرب المثل، فكان باراً بوالديه، مات والده في حياته /١٢٣٧/هـ، فصار يقرأ المترجم كل ليلة عند النوم ما تيسّر من القرآن العظيم ويهديه ثوابه مع ما تقبّل له من الأعمال، حتى رأى والده في النوم بعد شهر من وفاته فقال له الوالد المذكور: ((جزاك الله تعالى خيراً يا ولدي على هذه الخيرات التي تهديها إليّ في كل ليلة)).

أما والدته فقد توفي في حياتها وكان بها في غاية البر والصلة، وكانت صالحة فأضحت صابرة بعده تقرأ من الجمعة إلى الجمعة (١٠٠٠٠٠) مرة (سورة الإخلاص) وتهب ثوابها للمترجم، وتصلّي كل ليلة خمسة أوقات قضاء احتياطاً، وكانت كثيرة الصلاة والصيام، عاشت بعد المترجم سنتين صابرة محتسبة لم تفعل ما تفعله جهلة النساء عند فقد أولادهن، بل كان حالها الرضا بالقضاء والقدر وتقول: ((الحمد لله على جميع الأحوال))[١]. أما برّه بأخيه وأسرته فلقد كان المترجم عظيم البّر بهم، ولا سيما بأخيه السيد عبد الغني، وكان يعتني ويتفرس الخير بأكبر أولاده السيد أحمد عابدين ويهتم بتربيته ويقول لوالده:((دع لي ولدك السيد أحمد وأنا أربيه وأعلّمه)) وقرن القول بالفعل فعلّمه القرآن العظيم وأقرأه مسلسلات ابن عقيلة وأَجازهُ إِجازةً عامة حتى صار من أفاضل عصره.

---

(١) ر: التكملة. جاء في التقرير العلمي العابديني مايلي: ((فيما يتعلق بقصة إطعام السيد محمد أمين أثناء كتابته الحاشية لم يذكر في مكان ما، وهي من المسموعات فقد نقل والدي عن الجد أبو الخير أن أمه كانت تطعمه وهو يكتب ويأبى أن يأكل أكثر من رغيف واحد) اهـ. ر: التقرير العابديني ص/٤/ تحت عنوان إجابات مختصرة برقم /٩/.

ط - وأما لطف شمائله:

فقد كان ليّن العريكة حسن الصحبة، من اجتمع به لا يكاد ينساه لطلاوة كلامه ولين جانبه وتمام تواضعه على الوجه المشروع، كثير الفوائد لمن صاحبه والمفاكهة، ومجلسه مشتمل على الآداب وحسن المنطق والإكرام للواردين عليه من أهله ومحبيه وتلامذته ومصاحبيه، كلّ من جالسه يقول في نفسه: ((أنا أعزّ عنده من ولده)).

وبالجملة فقد كان صادق اللهجة ذا فراسة إيمانية، وحكمة لقمانية، مجدّاً في الطاعات، مثابراً على أنواع العبادات مع عفّة وزهد وورع وتقوى وديانة وطهارة وصيانة، وحج رحمه الله /١٢٣٥/ هـ وتحرّى لنفقة الحج غاية التحرّي كما هو دأبه في جميع أحواله وأوقاته، خصوصاً للزاد الذي استصحبه معه حتى عاد لوطنه دمشق[١].

المطلب الثامن: ابن عابدين في محراب التدريس والإرشاد

بلغ ابن عابدين أواخر حياته من الشهرة مالا مزيد عليه[٢]، فكان الوزراء والأمراء والعلماء والمفتون والقضاة والمشايخ يسعون إليه، وعظمت بركته وعمّ نفعه وكثر أخذ الناس عنه، وغالب من أخذ عنه وقرأ عليه أكابر الناس وأشرافهم وأجلاؤهم، وقصده الناس من الأقطار الشاسعة للقراءة عليه والأخذ عنه ولطلب الإجازة منه، وكان لا يضنّ على أحد بما يستحقه، ومن الذين استجازوه فأجازهم شيخ الإسلام عارف حكمة، استجازه بالمكاتبة فأجازه، وكان يستفتى

---

(١) ر: التكملة والثبت ص/٢٤٣ وما بعدها.

(٢) ر: التكملة ج١/٩.

بالواقعات والمشكلات من سائر أنحاء العالم الإسلامي مع كثرة العلماء والمفتين في كل البلاد.

المطلب التاسع: وظائفه

كان العلاّمة ابن عابدين يؤذّن في جامع التعديل على ظهر القنوات ويسمى (الطالوية) تحت (السيباط) ويصلّي فيه إماماً[1] حسبة لوجه الله لأنه كان يسكن تلك المحلة من دمشق المشهورة إلى يومنا هذا بالقنوات في زقاق اسمه (زقاق المبلّط). وكانت الحارة التي يسكن فيها ملكه بما فيها من البيوت[2].

هذه وظيفته الدينية التي كان يقوم بها بحكم جواره للمسجد، أما وظيفته الاجتماعية التي كان يقوم بها بحكم درجته العلمية، فهي أمانة الفتوى لبلاد الشام، فلقد كان المفتي حسين المرادي وكان عنده أربعة أمناء للفتوى أحدهم المترجم، وكان لديه خامس مسوّداً للفتوى. وإليك نص ما قاله الحصني في المنتخبات: (حسين المرادي مفتي دمشق....وكان عنده أميناً للفتوى كلّ من الجهابذة الأعلام السيد محمد أمين عابدين وحسين الكبيسي وسعدي العمري وهاشم التاجي، ومسوّداً للفتوى طاهر أفندي الأسدي))[3].

ولعلّ ابن عابدين كان مرجع الثلاثة من رفقائه والمفتي معاً، بل هو ما أعتقده وأحزم به، يفهم هذا من كلام الشيخ أبو الخير عابدين صاحب الترجمة في

---

(١) المسموعات: ٢ وقد بنى مئذنته السيد علاء الدين ابنه وكتب اسمه عليها اهـ. المسموعات.

(٢) المصدر السابق، ر: الحاشية في الـ: ص.ن.

(٣) منتخبات التواريخ ٦٥٢/٢.

آخر الثبت (لا سيما وهو المرجع للفتوى التي هي من أعظم البلوى وعلى الخصوص في ذاك الزمن الذي كان مرجع الأحكام فيه إليه من سائر البلاد من كل حاضر وباد)[1] ومن العبارة التالية من صاحب التكملة (وقلّ أن تقع واقعة مهمّة أو مشكلة مدلهمّة في سائر البلاد[2] أو بقية المدن الإسلامية أو قراها إلاّ ويستفتى فيها مع كثرة العلماء الأكابر، والمفتين في كل مدينة).

المطلب العاشر: وفاته

قبل وفاته بعشرين يوماً اتخذ لنفسه القبر الذي دفن فيه، وأوصى أن يدفن به لمجاورته لقبري عالمين جليلين كان يحبّهما ابن عابدين ويقدّرهما تمام التقدير، وهما قبر الشيخ علاء الدين الحصكفي صاحب الدر، والشيخ صالح الجينيني المحدّث الكبير، وكان طمعه بقبر الشيخ الحصكفي أعظم لمزيد محبّته إياه تلك التي تجلّت في الدنيا بمزايا ثلاث: شرحه للدر بحاشيته (رد المحتار) وحاشيته على شرحه للملتقى، وتسميته ولده الوحيد من بعده بـ (علاء الدين) تيمناً به، فقد أرّخ ولادته على ظهر الدر المختار[3]، ومدحه الحصكفيَّ بقصيدة جيدة مثبتة في ديوانه في آخر الرسالة.

---

(١) الثبت /٢٤٥ وما بعدها.

(٢) التكملة. أقول: والظاهر أنها حسبة بلا راتب كما فهمت من ثنايا التراجم الكثيرة والله أعلم.

(٣) في /٣/ ربيع الثاني /١٢٤٤/هـ. التكملة.

وفي الساعة الثالثة من ضحوة يوم الأربعاء[1] الحادي والعشرين من ربيع الثاني (١٢٥٢)هـ توفي ابن عابدين رحمه الله، وهذا التاريخ اتفق عليه كل من ترجم له من المؤرخين وهو الراجح في نظري، وانظر الهامش ووافق ذلك /١٨٣٦/م فكانت حياته المباركة قريباً من أربع وخمسين سنة هجرية ودفن في القبر الذي أوصى أن يدفن فيه بمقبرة دمشق في باب الصغير في التربة الفوقانية وكانت له جنازة حافلة ما عهد نظيرها، حتى إن جنازته رفعت على رؤوس الأصابع من تزاحم الخلق وخوفاً من وقوعها وإضرار الناس بعضهم بعضاً، حتى صار حاكم البلدة وعساكره يفرقون الناس عنها، وبكى الناس عموماً نساء ورجالاً كباراً وصغاراً، وكان الشيخ سعيد الحلبي شيخه حيّاً، فمشى في جنازته ورثاه وبكاه وصار يقول: ((يا محمد والله كنت مخبّيك لهذه اللحية))[2] أي (كنت أدّخرك لهذه اللحية) بمعنى (أن يرث مقامه في العلم والإقراء)[3].

ولَمَّا توفي المترجَم وبلغ الخبر أخاه عبد الغني برك في الأرض ولم يقدر على القيام[4]، ثم صلّى عليه في جامع سنان باشا في محلة باب الجابية بدمشق، وغصّ بهم المسجد حتى صلّى الناس في الطريق في يوم ما شهدت دمشق مثله، والذي صلّى عليه إماماً أحد رجلين: الشيخ سعيد الحلبي والشيخ حامد العطّار، يذهب

---

(١) رأيت في نسخة /رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه/ المخطوطة في ظاهرية دمشق تحت رقم (عام١٠٥٥٤) في بياض آخر صفحة منها بخط تلميذ المترجم السيد حسين الرسامة ما يلي: (توفي سيدي السيد محمد عابدين يوم الأربعاء خلا من شهر ربيع الثاني تسعة عشر يوماً الساعة (٣) من النهار /١٢٥٢/هـ).

(٢) المسموعات /٤.

(٣) الترجمة الكتابية من الدكتور أبو اليسر عابدين ص/٢/.

(٤) المسموعات: /٦، قال: ((لما توفي المرحوم السيد محمد أمين وبلغ الخبر أخاه السيد عبد الغني برك في الأرض ولم يقدر على القيام)).

صاحب التكملة إلى الأول وهو الأرجح في نظري، لأنه ابـن المترجم وكـان آنئذ واعياً وشاهداً حاضراً وليس الشاهد كالغائب.

ويذهب صاحب الترجمة في آخر الثبت وكلّ من ترجمـوا لـه بعـد ذلـك إلى الثاني، والذي أراه والله أعلم أن الشيخ حامداً العطار صلّى الفريضة مـن ظهـر أو عصر بالناس، وأن الشيخ سعيداً الحلبي شيخه هو الـذي صلّىعليـه صـلاة الجنـازة فظنّ بعض الناس أن حامداً العطار صلّى الصلاتين معاً وهو وهـم، ودليلـي في هـذا الترجيح بالجمع بين القولين على هذا الوجه أن السيد علاء الدين[1] كان حـاضراً مشاهداً لكونه أقرب الناس إلى الميت فهو ولده، وأما الشـيخ أبـو الخير فقـد سمـع سماعاً كما قال: ((وكان العلاّمة المفسّر المسند الشيخ حامد العطار إماماً في الصلاة عليه كما أخبرت بذلك))[2].

هذا، ولقد صلّي عليه غائبة، على بعض المذاهب في أكثر البلاد[2].

أما قبره فيقول فيه البيطار في حليـة البشـر[3]:((وقـبره مشـهور هنـاك عليـه جلالة))[4].

---

(١) التكملة.

(٢) ر: التكملة والثبت ص/٢٤٦، هذا وأن حياته هذه قد استقيت من التكملة وترجمتـه في آخر الثبت والمسموعات بالدرجة الأولى، ومن الترجمة الخطية بيد الدكتـور أبو اليسـر عابدين.

(٣) حلية البشر ج٣/ ١٢٣٠ وما بعدها.

(٤) أقول: وقد زرت قبره في مقبرة الباب الصغير قرب الباب الجديد الغربي بجانب الشـارع المفتـوح حديثا ويبعد قبره عن هذا الباب/٥٦/ خطوة تقريباً، وقد كتب على شـاهدته الأبيـات التالية من التاريخ بخط فارسـي علـى شـاهدة رخاميـة حديثـة نقـلاً عـن شـاهدة قديمـة حجرية وضعت في آخر القبر:

يتبع ⇐



⇐

يا رحيم

قفوا واغبطوا قبرا تسامى بعالم وقولوا له هنيت وافاك سيّد

هو الحبر من أضحى بعلمه عاملاً هو العابد ابن العابدين محمد

لقد بكت الأملاك حزناً لموته فحقاً نعاه روض درس ومسجد

على العفو والغفران تحمل روحه إلى غرفات في النعيم فتسعد

دعاه مقام شامخ ـ قلت أرخوا يروم وملك لا يضاهها مؤبّد.

في ٢١/ ربيع الثاني / سنة /١٢٥٢/

المبحث الثالث

دراسة ابن عابدين

تحصيله، شيوخه، إجازاته، وأسانيده

المطلب الأول: تحصيل ابن عابدين

مرّ تحصيله بمراحل عديدة، ولذلك سبب وجيه، فسأتوسع في هـذا المطلب قليلاً، وسأصاحب ابن عابدين في هذه المرحلة مرحلة مرحلة..

الفرع الأول: سبب تحصيله:

ذكرنا أن المترجم كان يجلس في محل والده كثيراً في أول وعيه الدنيا ليـألف التجارة ويتعلّم البيع والشراء، فجلس يوماً يقرأ القرآن العظيم فمر به رجل لايعرفه فسمعه يقرأ، و لم يكن بعد قد تعلم التجويد أو جالس أحداً من أهل العلم، فزجره وأنكر قراءته وقال له: ((لايجوز لك أن تقرأ هذه القراءة، أولاً: لأن هذا المحل محـل التجـارة والنـاس لا يسـتمعون قراءتـك فـيرتكبون الإثـم بسـببك، وأنـت أيضـاً آثم،وثانياً: قراءتك ملحونة..))

فقام من ساعته وسأل عن أقرإ أهل العصر في زمنه، فدلّه أحد أصدقائه على شيخ القراء في عصره الشيخ سعيد الحموي.

الفرع الثاني: مراحل التحصيل

المرحلة الأولى: مع شيخ القراء..

ذهب المترجَم إلى حجرة الشيخ سعيد الحموي[1] وهو وقتئذ شيخ قراء البلاد الشامية، ومن علماء الشافعيّة المعمرين فيها، فطلب أن يعلّمه أحكام[2] القراءة والتجويد. وكان وقتئذ لم يبلغ الحلم، فحفظ المتون التالية: / الميدانيّة والجزرية في أحكام التجويد والشاطبية في القراءات / وقرأها عليه

قراءة إتقان وإمعان حتى أتقن فن القراءات بطرقها وأوجهها من طريق الشاطبية. ثم جمع عليه، ثم قرأ عليه طرفاً من النحو والصرف والفقه الشافعي، حيث تمذهب به لأنه مذهب شيخه، فحفظ لذلك متن الزّبد في الفقه الشافعي، وبعض المتون من النحو والصرف والفقه الشافعي وما شابه ذلك..

وقد انتهت هذه المرحلة بإجازات ثلاث من الشيخ لتلميذه: اثنتين خطّيتين وواحدة شفهية، سجّل ذلك كله ابن عابدين في آخر الثّبت، الأولى بثبت الشيخ صالح الجينيني، والثانية بالرسالة العجلونية، وبكل مروياته، والثالثة بقراءة بعض سور من القرآن الكريم، وكانت الأوليان سنة/١٢٢١/هـ.

المرحلة الثانية: مع الشيخ شاكر العقاد..

كان نجم الشيخ شاكر العقاد قد بزغ وتألّق ـ واسمه الحقيقي محمد شاكر ابن علي بن سعد بن علي بن سالم العمري الشهير والده بالعقاد و بابن مقدّم

---

(١) في الجامع الأموي.

(٢) في التكملة أن حفظ القرآن كان قبل اتصاله بالشيخ سعيد الحموي، وفي بقية التراجم أنه (قرأ القرآن وجوّده على الشيخ سعيد) وانفرد الشطي بقوله: ((وقرأ القرآن وجوّده وحفظه على الشيخ سعيد الحموي ص/٢٤٥)) وهذا يدل على أن حفظ القرآن كان بعد التعرف على شيخ القراء المذكور، ولكني أقدم كلام صاحب التكملة إذ صاحب الدار أدرى بما فيها وأهل مكة أدرى بشعابها، والحفظ كان قبل التعرف، إلا أن يكون الشطي أراد بالحفظ هنا: الإتقان والله أعلم.

سعد، وأصبح محجة الطلبة ومنبع العلم ومورد القاصدين وفقيه العصر وعلاّمة دمشق، فلا غرو أن يقصده ابن عابدين الشاب المتفتّح الذكي النابغة، ليقرأ عليه العلوم التي كانت تعرف (بالآلة). فبدأ بقراءة كتب المعقول والحديث والتفسير، ولّما وصلوا إلى الفقه – وكان ابن عابدين شافعياً على مذهب شيخه الأوّل الشيخ سعيد الحموي - ألزمه شيخه الجديد الشيخ شاكر بالتحول للمذهب الحنفي لأنه مذهبه، فلقد كان الشيخ شاكر من أكابر الحنفية في عصره بالرغم من كون والده حنبلياً لكنه تحنّف فلقّب بالعقاد الحنفي، لكونه كان يشتغل بصنعة العقادة، وهكذا تحوّل السيد محمد أمين إلى المذهب الحنفي، ولزم شيخه، فقرأ عليه كتب الفقه الحنفي وأصول الفقه والفرائض والحساب والعقائد والتصوف، وعلم المعقول كالمنطق وما شابهه، ولندع الشيخ شاكرا يخبرنا في إجازته الشعرية للمترجم عن العلوم التي قرأها عليه فقد قال:

وكان ممن جدّ في ذا الشان	السيد المفضال ذو الإتقان
محمد أمين ابن عمرا	من جده بعابدين اشتهرا
لازمني في مدة مديدة	قراءة لكتب عديدة
ما بين فقه وحديث شافي	وعلم نحو وبيان صافي
ومنطق وعلم آداب حلا	وضع عروض والقوافي قد تلا[1]

وقد ذكر لنا من ترجمه من المؤرخين بعض الكتب التي قرأها المترجم على شيخه المذكور في الفقه الحنفي وهي: ١ - الملتقى - ٢ - الكنز ٣ - البحر لابن نجيم

---

(١) الثَّبَت /٢١٣.

٤ ـ الهداية وبعض شروحها ٥ ـ الوقاية وشروحها لا سيما (شرح المواضع المغلقة من وقاية الرواية) لصدر الشريعة ٦ ـ والدراية[1].(كذا).

ثم شرع المترجم في قراءة الدر المختار على شيخه المذكور مع جماعة من طلبة العلم، من جملتهم أكبر تلامذة العقاد الشيخ سعيد الحلبي رفيقه في الطلب وشيخه فيما بعد، وبقي ملازماً لشيخه العقاد حتى توفي في اليوم الرابع من المحرّم سنة /١٢٢٢/هـ و لم تتم قراءة الدر[2].

وكان مما أخذه المترجم عن شيخه الطريقة الصوفية القادرية التي كان مجازاً بها من الشمس الكزبري، هذا، وكان السيد محمد أمين عظيم الأدب مع أشياخه جميعاً، ولا سيما مع الشيخ الذي تخرّج عليه وانتفع به وهو الشيخ شاكر، حتى صار الأدب له عادة مع جميع أهل العلم من أشياخه أو من طبقة أشياخه، وكان لأدبه الجم هذا نتائج عظيمة من اعتناء شيخه به والتفاته إليه وتوصية أصدقاء شيخه به. وإليك بعض الحوادث التي توضح ما ذهبت إليه مروية بلسان ولده السيد علاء الدين في التكملة:

---

(١) هذا المسرد مأخوذ من التكملة والثبت كليهما، ولا أدري ما المقصود بالدراية هل هو (معراج الدراية شرح الهداية) أم (كمال الدراية في شرح مختصر الوقاية) وكلاهما مخطوطان؟ والله أعلم.

(٢) والذي يظهر أن هنالك بعض الكتب السابق ذكرها لم تتم قراءتها على الشيخ العقاد توحي بذلك عبارة التكملة (وكانت وفاته في أثناء قراءة الكتب المذكورة وكان من جملة من حضر مع سيدي الوالد على شيخه المذكور أكبر التلامذة وهو علامة زمانه وفقيه عصره وأوانه فقيه النفس الشيخ محمد سعيد الحلبي الشامي فأتم سيدي قراءته الكتب المذكورة عليه) اهـ. التكملة.

أقول: (هذا وتاريخ وفاة العقاد أرخها الجميع بالتاريخ المذكور في ٤ محرم ١٢٢٢هـ وأرخها البستاني بـ ١٤ /آذار/ ١٨٠٧ بالرومي.

آ ـ قال: ((وكان سيدي رحمه الله تعالى ـ والده ـ ذهب مرة مع شيخه السيد محمد شاكر المذكور لزيارة بعض علماء الهند وصلحائها الشيخ محمد عبد النبي لمّا ورد دمشق، فلما دخلا عليه جلس شيخ سيدي وبقي سيدي واقفاً في العتبة بين يدي شيخه حاملاً نعله بيده كما هو عادته مع شيخه، فقال الشيخ محمد عبد النبي لشيخ سيدي: مُرْ هذا الغلام السيد فليجلس، فإني لا أجلس حتى يجلس، فإنه ستقبّل يده وينتفع بفضله في سائر البلاد وعليه نور آل بيت النبوّة. فقال له الشيخ محمد شاكر: اجلس يا ولدي، فجلس....)).

ب ـ ثم قال: ((وكذلك وقع له مع شيخه المذكور إشارة نظير هذه من الإمام الصوفي الشهير والولي الكبير الشيخ طه الكردي قدّس سره)).

جـ ـ وقال:((وكان سيدي رحمه الله تعالى قد عرض عليه شيخه ـ الشيخ شاكر ـ بنته للزواج فمنعه والده من زواجها وقال: أخاف عليك من غضب شيخك وعقوقه إن أغضبت ابنته يوماً ما، وهذا لا تخلو منه الجبلّة الإنسانية غالباً)).

ثم قال صاحب التكملة: ((ومن ذلك الوقت زاد اعتناء الشيخ به والتفاته إليه بالتعليم[1])).

ولقد تجلّت عناية الشيخ شاكر بتلميذه العظيم في أنه صار يأخذه معه ويحضره دروس شيوخه ويستجيزهم له فيجيزونه إكراماً للشيخ والتلميذ معاً، فإن لم يكن حضور دروسهم فإنه كان يأخذه معه لزيارتهم بمناسبة أو بغير مناسبة زيارة تبرّك واستجازة للمترجم.

آ ـ فمن ذلك أنه أحضره مرة درس شيخه العلاّمة شيخ الحديث الشيخ محمد الكزبري واستجازه له فأجازه، وكتب له إجازة عامة على ظهر ثبته ـ المجيز ـ

---

(١) التكملة.

مؤرّخة في افتتاح ليلة غرة/١٢١٦/هـ[(١)]. والمترجم آنذاك عمره/١٨/ عاماً تقريباً وختم تلك الإجازة بختمه.

ب ـ وكذلك أحضره مرة درس شيخه العلامة المسند الشيخ أحمد العطار واستجازه له فأجازه، وكتب له إجازة عامة على ظهر ثبته ـ المجيز ـ بخطّه مؤرّخة في منتصف المحرم /١٢١٦/هـ.

جـ ـ وكذلك أخذه شيخه العقاد لمعايدة السيد نجيب القلعي يوم عيد الفطر سنة /١٢٢٠/ هـ واستجازه له فأجازه.

د ـ وكذلك أحضره عند الشيخ محمد عبد الرسول النقشبندي أحد علماء الهند وصلحائها المشاهير، وخليفة الشيخ المرشد عبد الله الدهلوي، واستجازه له فأجازه بإجازة خطيّة شملته وأخاه الشيخ عبد الغني كما سيأتي[(٢)].

ولقد كانت طريقة الشيخ شاكر مع تلاميذه في التعليم والتربية هي طريقة السلف من علماء هذه الأمة، لا يكتفون بصب العلم على خواص تلاميذهم بل يشرفون على تربيتهم من الناحية المسلكية والروحية أولاً، فها هو الشيخ شاكر لايكاد يفارق تلميذه إلاّ ساعات النوم، فهو يعلمه ويأخذه إلى العلماء، ويعرّفه بهم ويستجيزهم له، ثم هو يعطيه الطريق الصوفي القادري لتزكو نفسه فلا يصيبه الغرور بعلمه وعمله، ثم هو يقرئ هؤلاء الخواص من التلاميذ كل العلوم التي معه، ويعطيهم أحسن ما عنده ويدلهم على شراء الكتب النافعة ويجود عليهم بوقته وماله وجاهه وعلمه، وهو بعد ذلك يربيّهم من الناحية الفكرية، فلقد كان علماء السلف إذا آنسوا من الطالب النابغة تقدّماً أمروه بتصنيف في علم من العلوم ثم

---

(١) التكملة والثبت ص/٢٤٣ وما بعدها.

(٢) التكملة والثبت ص/٢٤٣ وما بعدها.

يوجهونه ويرشدونه إلى الصواب بعد إتمام العمل، وهكذا كان يفعل الشيخ شاكر مع ابن عابدين وأمثاله من تلاميذه النوابغ، وفي ذلك أكبر النفع للطلبة النابهين، بل ربما أمر بعضهم بتصنيف متن في علم ما وأمر رفيقه بشرحه أو أمر واحداً بالشرح وأمر الثاني بالتحشية وهكذا... فهي جامعة من أكبر الجامعات تعتمد على تلك الصلة الروحية الأبوية بين الشيخ والتلميذ، والتي تتحلى بالصحبة الكاملة والالتصاق الروحي العظيم، فهو أشبه بالتصاق الرضيع بثدي أمه لا ينفك يتركه حتى يعود اليه.

يقول ابن عابدين في وصف أسلوب شيخه الشيخ شاكر في التعليم والتربية ما نصّه: ((كان رحمه الله تعالى عديم النظير في حسن التقرير والتعبير وفي تفهيم المبتدىء، حتى إنه فاق على مشايخه في ذلك، قد أعطاه الله تعالى قوة على تفهيم المبتدئ المسائل الدقيقة الخفية، وكان من عادته رحمه الله تعالى بعد تفهيمه للطالب المسألة يأمره بكتابتها وأن يعرضها عليه، فان رآه فهمها وأدّاها بعبارة حسنة دعا له، وإلاّ أعاد عليه ثانياً وعلّمه كيفية تأليف الكلمات وتركيب الألفاظ، وقد جمعت من ذلك أوراقاً كثيرة كان يأمرني بكتابتها، والحاصل أنه كان باب الفتوح، والشيخ المربي النصوح، شغله من الدنيا التعلّم والتعليم والتفهم والتفهيم....))[1].

هكذا وصف ابن عابدين شيخه وأسلوبه، ومثل هذا الأسلوب التربوي الكامل يخرّج أمثال ابن عابدين حين يلاقي البذر الطيّب الأرض الخصبة والسقيا المعطاء...

ولنستمع إلى صاحب الترجمة في آخر الثبت يشرح هذه المرحلة الجليلة من مراحل دراسة المترجم على الشيخ شاكر، وهي مرحلة النقد والتخريج يقول: ((وكان الشيخ شاكر يأمره بتحرير المسائل، وجمع الرسائل ليتقوى على الممارسة

---

(١) الثبت /١٩٣.

في التأليف، فكتب حاشية على شرح الشيخ محمد سعيد الأسطواني أحد رفقائه بالطلب على نبذة الإعراب، وكان الشرح والحاشية المذكوران بأمر شيخهما، وشرح الكافي في العروض والقوافي وكان سنّه يومئذ سبع عشرة سنة[١]).

وفي هذه الحادثة يقول الشطي في ترجمة الأُسطواني المذكور نقلاً عن الحصني ما نصّه:((وألّف رسالة في النحو شرحها له صديقه العلاّمة السيد محمد عابدين وهما في حداثة السن، وأثنى عليه بقصيدة غراء))[٢] اهـ.

هذا، وتتجلى محبة ابن عابدين لشيخه العقاد الذي تخرّج عليه في أنه أنشأ مقامات في مدحه تشبه مقامات الحريري، ومدحه بقصيدة فيها ممتازة وسترى ذلك في بحث شعره ونثره ومطلع تلك القصيدة:

لولا سناء من جبينك مشرق ما ضاء طرّا مغرب أومشرق.

وترجم بعدها ترجمة حافلة جعلها ذيلاً لثبته الذي ألّفه لشيخه المذكور وقرأه عليه، حيث قال في آخره: ((بلغ هذا الثّبت مقابلة على أصله مع المراجعة للأصول المنقول عنها والتفحص عند التوقف في شيء، وذلك مع سيدي وأستاذي نفعني الله تعالى ببركاته وأعاد عليَّ من صالح دعواته آمين))[٣] واسم الثّبت (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي).

أما مدة صحبته للشيخ شاكر فهي سبع سنين يعبّر عنها ابن عابدين بقوله: ((مع أني لازمته سبع سنين كاملة ملازمة شديدة))[٤].

---

(١) الثبت /٢٤٤. قال صاحب التكملة: ((وشرح كتاب الكافي في العروض والقوافي وكتب في آخره: تم سنة /١٢١٥/ وكان سنّه سبعة عشر سنة)) اهـ.

(٢) روض البشر /١٢٨. أقول: ((واسم الحاشية المنوّه بها /فتح رب الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب /اهـ.)) المصدر السابق.

(٣) الثبت /١٩٢.

(٤) الثبت /١٩٣.

وفي محبة الشيخ لتلميذه يقول ابن عابدين: ((وقد منّ الله تعالى عليّ بخدمته سبع سنين وقرأت عليه كتباً عديدة، وكان يحبّني حباً شديداً ويكرمني إكراماً مزيداً، وأقسم لي مراراً أني أعز عليه من أولاده، وقصد مرة أن يزوجني بنته فما قدّر الله ذلك لامتناع والدي، خوفاً عليّ إن أغضبتها يوماً ما أن أقع في غضبه مما لاتخلو عنه الجبلّة الإنسانية، وكان قائماً بأموري ومهماتي فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء))[1]

أقول: بخ بخ يا ابن عابدين بمحبة شيخك لك، فالأصل في التلميذ أن يحبه شيخه، لا أن يحب شيخه والشيخ عنه بمعزل...

وأكبر دليل على محبة الشيخ تلميذه العظيم هذا النص الذي سأنقله إليك بقلم المترجم قال: ((فأجابني)) حفظ الله وجوده* وأكثر خيره وجوده* وأطال عمره* ورفع عزه وقدره* ولا زال خاطره مجبوراً وبيته معموراً كما جبر لخاطري المكسور* وقلبي المقهور* بذكر صفات اشتملت عليها ذاته الشريفة* وشمائله المنيفة * أدام الله نصره * وأوفر خيره وبره فقال:

حبيب لقد أهدى إليّ مدائحاً	ألذّ على قلبي وأشهى من الشهد
عقود جمان صاغها فكر بارع	خبير بتنظيم الفرائد في العقد
أديب أريب ألمعيّ سميدع	نبيل نبيه لوذعي عطر النّدّ
فصن ذاته من حاسد ومعاند	ويمّمْ به سبل المسرّة والمجد
وحين رجا مني القبول تخضّعاً	تلقّيتها بالشكر منه وبالحمد)[2]

ولقد توّج هذا الإكرام المتناهي من الشيخ شاكر لتلميذه الخاص الذي بوّأه محلاً فوق محل الولد كما أقسم ـ توج ذلك كلّه بإجازته له بإجازتين بالإجازة

---

(١) الثبت /١٩٥.

(٢) ر: الثبت /٢٠٦.

الشعرية وهي إجازة عامة بكل المرويات من فقه وحديث وآثار مؤرخة في صفر /١٢١٧/هـ، وبالإجازة النثرية بمسلسلات ابن عقيلة وبغيرها من المرويات وسماه فيها بولد القلب، وعلّق على الإجازة النثرية ابن عابدين بقوله: (نعم أضافني شيخي حفظه الله تعالى على الأسودين التمر والماء وعلى ثلاثة أنواع من الطعام ونوعين من الحلوى، وأسمعني الحديث المسلسل بالضيافة عليهما شكر الله سعيه وجزاه عني خيراً وذلك في شهر رمضان سنة /١٢١٦/(١).

بقي أن المترجَم سمع من شيخه تمام الرسالة العجلونية من /٣١ ـ ٤٠/ حديثاً من الشيخ شاكر، تكميلاً لما سمعه عن الشهاب العطار فيها فهو يقول: ((فقد سمعت تمام هذه الرسالة من الحديث الواحد والثلاثين إلى الآخر على جناب شيخنا الشيخ شاكر العقاد بن سالم العمري حفظه الله تعالى وأطال بقاه بجاه رسله وأنبياه عليهم الصلاة والسلام وذلك في نهار الأحد السادس عشر من شوال سنة /١٢١٨/))(٢).

وأحبّ أن أختم الحديث عن هذه التلمذة الفريدة من ابن عابدين لشيخه الشيخ شاكر بهذه الكلمات التي تدل على الاتحاد الروحي بينهما حيث يقول: ((وكان من أعظم نعم الله تعالى وتيسيره ولطفه بي وحسن تدبيره أن أرشدني في ابتداء طلبي للعلم على شيخ نصوح ذي كرم وحلم، قد جمّله الله تعالى بأحسن الشمائل وتوّجه بتاج الكمالات والفضائل، وأغدق عليه من سماء نعمه هواطل العلوم، وأظهر من أرض صدره ينابيع الفهوم.. وهو الإمام الأكمل والهمام الأفضل العالم العلاّمة والحبر البحر الفهّامة سيد أهل التدقيق في أوانه وفخر أهل التحقيق في زمانه ملاذ الطالبين وكهف الراغبين سيدي وأستاذي وعمدتي

---

(١) الثبت /٢١٤/ الحاشية.

(٢) الثبت / ٢١٩.

وملاذي السيد أبو الفضل... الخ. ثم قال: فقد لازمته مدة مديدة وخدمته أياماً سعيدة، وقرأت عليه كتباً عديدة ورسائل مفيدة، وكان أحفى بي من الوالد على الولد، وأراني إكراماً لم أره قط من أحد وبذل جهده في نفعي وأسداني ما شكره ليس في وسعي، وأدناني منه دون غيري وصار أولى مني بأمري))(١).

فلله در هذا الشيخ المربي الذي أكرم الله تعالى به ابن عابدين أي شيخ هو؟! إنه غرس هذه المحبة له في قلب تلميذه حتى جعله يقول:

((وجعلني لا أخرج يوماً عن امتثال أمره، وأدام لساني رطباً بثنائه وطيب ذكره وبالدعاء له عقيب الصلوات وفي الأماكن المطهّرات والأوقات الفاضلات))(٢).

بقي أن نعرف المؤلّفات التي صنّفها ابن عابدين في هذه المرحلة أثناء تلمذته للشيخ شاكر حتى وفاته سنة /١٢٢٢/هـ، وهي كما سردها صاحب التكملة:

١ً ـ ألف حاشيتين على شرح المنار للعلائي (الحصكفي) كبرى وصغرى، سمّى إحداهما (نسمات الأسحار على إفاضة الأنوار شرح المنار) وهي الصغرى، والثانية الكبرى فقدت في مصر في الطريق الى مفتيها الشيخ التميمي.

٢ً ـ وألّف ثَبَتاً لأسانيد شيخه سمّاه (عقوداللآلي في الأسانيد العوالي).

٣ً ـ وشرح (الكافي في العروض والقوافي).

٤ً ـ ورسالة سمّاها (رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه).

---

(١) الثبت /٧.

(٢) الثبت/٨

٥ً ـ وحاشية على شرح نبذة الإعراب سماها (فتح ربّ الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب) وغير ذلك وذلك في حياة شيخه المرحوم[١].

أما عن درجته العلمية التي حصل عليها من دراسته وملازمته للشيخ شاكر، فيحدثنا ولده في التكملة بقوله: ((حتى برع وصار علاّمة زمانه في حياة شيخه المذكور))[٢].

المرحلة الثالثة: مع الشيخ سعيد الحلبي.

توفي الشيخ شاكر العقاد في المحرّم من سنة /١٢٢٢/هـ، ولم يعيّن خلفاً للحلقة التي كان يقرئها من الطلبة، ولكن أكبر تلاميذه سنّاً وقدراً ألا وهو الشيخ سعيد الحلبي الملقّب بـ (فقيه النفس)، هو الذي انعقدت له البيعة بالمشيخه، والتفّ حوله الإخوان لإكمال الكتب التي بدؤوها مع شيخهم العقاد، وكان فيمن تتلمذ على الشيخ المذكور المترجم السيد محمد أمين، يقول صاحب التكملة: ((فأتمّ سيدي الوالد قراءته الكتب المذكورة عليه ـ الشيخ سعيد الحلبي ـ وحضر معه لإتمام الكتب المذكورة بقية التلامذة والطلبة الذين كانوا يداومون على الشيخ محمد شاكر المذكور))[٣].

أما الشيخ سعيد الحلبي هذا، فهو فقيه النفس العلاّمة الكبير الذي انتهت إليه مشيخة الحنفية بعد الشيخ شاكر العقاد، وكان أحد الأربعة الذين أسندت إليهم زعامة العلم والفضل آنئذ بدمشق وهم (الشيخ حامد العطار والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ عبد الرحمن الطيبي والشيخ سعيد الحلبي). ولقد كان

---

(١) التكملة

(٢) التكملة

(٣) التكملة. وعبارة الثبت قريبة من ذلك: (فأتمه ـ الدر ـ مع بعض من حضر معه من إخوانه على الشيخ سعيد الحلبي المذكور) اهـ. الثبت.

لكل واحد من هؤلاء تخصّص كما يظهر. فالأول في الحديث والتفسير مثل والده الشهاب أحمد العطار، والثاني في الحديث رواية ودراية، والثالث[1] في الفقه الشافعي. أما الشيخ سعيد[2] ففي الفقه الحنفي كان تخصصه وتفرغه، ولقد كان الشيخ سعيد أهيبهم وأعظمهم شخصية، بل لعلّه أعظم علماء عصره في بلاد الشام في قوة الشخصية، تجلّى ذلك في تربيته لتلاميذه، وكان قد أذن لهم بسؤاله ومجادلته في العلم، وكان هو يجادلهم ويسألهم عن فهمهم، وكان هذا سبباً في تأليف الحاشية.

فقد روى الحصني في منتخباته الحكاية الآتية: ((ويحكى عنه أنه في دروسه يجادل ويسأل تلاميذه عن فهمهم وأعطى لهم الإذن بسؤاله ومجادلته، فصادف يوماً بحث المتحيّرة من قسم المستحاضة في علم الفقه، فنهض أحد تلامذته السيد محمد أمين عابدين وفنّد فهمه بالمسألة ببحث دقيق أعجب الشيخ والحاضرين، فأمره أن يؤلّف حاشية لكتاب الدر الذي كان يقرؤه ودعا له بإتمامها ونفعها للمسلمين))[3].

---

(١) الشيخ عبد الرحمن الطيبي لقّبه شيخه الشهاب العطار بالشافعي الصغير وأذن له بالفتيا وهو ابن عشرين سنة وأصله من الطيبة من عجلون نزل دمشق سنة /١٢٠٠/ هـ وتزوج بها وسكن القيمرية وتوفي بها. وهذا التصنيف منقول عن روض البشر للشطي حيث قال: ((وكان هو والشيخ عبد الرحمن الكزبري والشيخ سعيد الحلبي والشيخ حامد العطار طبقة واحدة في العلم والسن ومشيخة دمشق))اهـ. روض البشر/١٦٤.

(٢) أما الشيخ سعيد الحلبي، فقد ولد في حلب ثم جاء إلى دمشق سنة ١٢٠٧هـ. اهـ. روض البشر ١٢٧. ويقول الشطي في روضه أيضاً: ((ثم تصدر للإقراء والتدريس مدة حياته في حجرته المعروفة به شمالي جامع بني أمية فانتفع به وتخرج عليه من دمشق وغيرها من لا يعد ولا يحصى، لاسيما في الفقه الحنفي، انفرد به في عصره حتى أخذ عنه كثير من أهل طبقته)) اهـ/١٢٧.

(٣) منتخبات التواريخ ٦٦٣/٢.

وهكذا شرع بأمر شيخه الجديد بتأليف مسوّدة حاشية (ردّ المحتار على الدّر المختار)، وفي أثناء ذلك ألّف (العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية)، وكان لتقريرات شيخه والهوامش التي كان يلتقطها منها الأثر الأكبر في تكوين حاشية رد المحتار التي سنفرد لها باباً برأسه إن شاء الله، وفي تكوين غيرها من الحواشي والشروح والمصنّفات التي صنّفها ابن عابدين فيما بعد.

أما عن عناية الشيخ سعيد الحلبي بابن عابدين فكانت عظيمة جدًا وكان به حَفِيّاً، فلقد ذكر لي الدكتور محمد أبو اليسر عابدين حفيد أخي المترجم نقلاً عن والده الشيخ أبو الخير ((أنه كان الشيخ سعيد الحلبي يغلق الباب بعد خروج تلاميذه في وقت مخصوص إلاّ ابن عابدين فيترك له الباب مفتوحاً ولو تأخر خصوصية له))[1]. وكان الشيخ سعيد الحلبي يخشى على ابن عابدين من أن يغترّ بعلمه نظراً لما منحه الله تعالى من الذكاء المُشِعّ المتوهج والبديهة الحاضرة والهمة العالية والاستحضار الكامل لمسائل العلم، فكان ربما أشار له من طرف خفي إلى عدم رؤية النفس بالتأثير والفاعلية، وأنّ كل ما يصل إليه العبد من التوفيق إنما هو فضل من الله عليه. وفي هذا المعنى قال لي الدكتور أبو اليسر: ((لما أخذ ابن عابدين الحاشية لشيخه الشيخ سعيد قال له: ((شوها الصّبّرة هلّي مساويها)) كيلا يغترّ بها))[2].

ويتجلّى الحبّ المتبادل بين الشيخ العظيم وتلميذه العظيم في القصيدة التي هنّأ بها ابن عابدين شيخه الحلبي بولادة مولود له سمّاه (عبد الله) (بعد وفاة ثلاثة

---

(١) المسموعات ص/٤: وإليك النص الكامل: ((كان الشيخ سعيد الحلبي يغلق الباب بعد خروج تلاميذه في وقت مخصوص، إلا ابن عابدين فيترك له شيخه الباب مفتوحاً ولو تأخر خصوصية له)) اهـ. ص/٤، قلت: (ولعلها: ((بعد دخول تلاميذه)) وهو سهو من صاحب المسموعات) والله أعلم.

(٢) المسموعات/٤.

أولاد له في شهر واحد، فهو يعزّيه بها ويهنئه ويبشّره وهي مؤرخة في سنة ولادته مطلعها[1]:

وحيد العصر من قد فاق علماً ... وحلماً من ذوي فضل كرام

إلى أن قال:

يقول نظمت أبياتي فأرّخ ... بعبد الله في شهر الصّيام

وإني أحيل القارىء إلى ديوان ابن عابدين.

وكذلك تلك القصيدة الغراء التي مدح بها المترجَم شيخه في ذيل حاشية منحة الخالق[2]، والتي يقول في مطلعها:

ركبنا جواد الفكر في مَهْمَه البرّ ... وخضنا بفُلْك العمر في لجج البحرِ

إلى أن يقول:

ورَغْياً لشيخ العصر سيّدنا الذي ... رقى ذروة التّحقيق أوحدِ ذا العصرِ

وكذلك أحيل القارىء إلى الديوان المذكور[3].

أما عن أدب ابن عابدين مع شيخه الشيخ سعيد الحلبي فحدّث ولا حرج، فلقد كان الأدب جبلّة فيه غير مصطنع، ولاسيما مع مشايخه وبالأخص مع الشيخ سعيد المذكور، لكونه كان ناضجاً يوم صحبه فهو يعرف قيمة التحقيق العلمي

---

(١) منتخبات التواريخ ٦٦٨/٢، والولد المذكور هو الشيخ عبد الله الحلبي شيخ الشام بعد والده.

(٢) منحة الخالق ٣٣٨/٧ و٣٣٩.

(٣) وإليك هذا النص من المسموعات:ص/٤: ((لما توفي ابن عابدين في حياة شيخه الحنفي قال شيخه المذكور على النعش (يا محمد، والله كنت مخبيك لهذه اللحية) كناية عن خلافته)).

الذي يفيض من فم الشيخ سعيد الذي وصفه معاصروه ومن بعدهم بأنه (فقيه النفس) وناهيك به وصفاً...

وإليك هذه القصة التي تنبئك عن أدب المترجَم مع شيخه ومعرفته قدره: (جمعت حكومة إبراهيم باشا في الشام العلماء لأمر، فجاء إبراهيم باشا وكان ابن عابدين في صدر المجلس، والعلماء حوله، فجاء الشيخ سعيد الحلبي فقام ابن عابدين فأخذ بابوج الشيخ ـ نعله ـ فوضعه تحت إبطه ووقف في العتبة ولم يرض القعود، فقال إبراهيم باشا للشيخ سعيد الحلبي:

((يا سي الشيخ ـ أي يا سيدي الشيخ ـ قل لدا التلميذ خلّيه يقعد)) فقال الشيخ سعيد ((مابخصّك)): فقال إبراهيم باشا للعلماء ـ يأخذ رأيهم في هذا الأمر: ((شو بتقولوا يا إخوان؟)) فقال الشيخ سعيد: (قال علماؤنا ((الضرر يزال)) والله سبحانه وتعالى أعلم) وقام فوضع ابن عابدين البابوج وقام العلماء كلّهم، فما كان من إبراهيم باشا إلاّ أن خرج من الشام في اليوم الثاني في نفس الوقت). أقول: وكان أهل الشام يعدّونها كرامة للشيخ سعيد الحلبي آنذاك[1].

---

(١) المسموعات /٥، أقول: والأمر الذي لم يشرحه لي الدكتور أبو اليسر هو خلع بيعة أهل دمشق للسلطان العثماني ومبايعة محمد علي باشا خليفة للمسلمين، ولذلك قال إبراهيم باشا: (شوبتقولوا يا إخوان؟ فقال الشيخ سعيد له هذا أمر لا علاقة لنا به فعندك مفاتي فاسألهم). كما أخبرني بذلك كثير من علماء دمشق إضافة لما تحدث به الدكتور أبو اليسر حفظه الله منهم المرحوم الشيخ عبد الوهاب الحافظ نقلاً عن شيخه الشيخ عطا الكسم ومنهم فضيلة والدي الشيخ محمد صالح الفرفور نقلاً عن مشايخه، وهذا الموقف الجريء موقف من عظمات الشيخ سعيد الحلبي ويعتبر ذلك إخلاصاً منه ومن العلماء المُقِرّين بكلامه للسلطان العثماني خليفة المسلمين مصداقاً للحديث ((من جاءكم وأمركم على رجلٍ واحدٍ فاقتلوه)). أقول: ولقد بكى الشيخ الدكتور أبو اليسر أثناء ذكر هذه الحادثة خشوعاً. وسأسوق لك نص المسموعات:

يتبع ⇐

ثم ما هي العلوم التي قرأها على شيخه الحلبي؟

الذي يظهر من تتبع نصوص التراجم لابن عابدين، أنه تمم عند شيخه المذكور ما كان بدأ به عند الشيخ شاكر من الكتب والعلوم، وليس[1] الدر فحسب هو كل ما قرأه ابن عابدين على الشيخ الحلبي... يدلنا على ذلك قول

⇐

((ومن تواضع ابن عابدين وأدبه مع شيخه الحلبي القصة التالية وهي كرامة للشيخ الحلبي أيضاً: (جمعت حكومة إبراهيم باشا في الشام العلماء لأمر، فجاء إبراهيم باشا وكان ابن عابدين في صدر المجلس والعلماء حوله فجاء الشيخ سعيد الحلبي، فقام ابن عابدين فأخذ بابوج الشيخ فوضعه تحت إبطه ووقف في العتبة و لم يرض القعود، فقال إبراهيم للشيخ سعيد الحلبي: (يا سي الشيخ قل لذا التلميذ خليه يقعد) فقال الشيخ سعيد (ما بخصك) فقال إبراهيم باشا للعلماء يأخذ رأيهم في هذا الأمر:

(شوبتقولوا يا إخوان)؟ فقال الشيخ سعيد (قال علماؤنا ((الضرر يزال)) والله سبحانه وتعالى أعلم) وقام، فوضع ابن عابدين البابوج وقام العلماء كلهم، فخرج إبراهيم باشا من الشام في اليوم الثاني في نفس الوقت) وهي من كرامات الشيخ سعيد وأدب ابن عابدين. أقول: (وسبب جمع العلماء هو رغبة إبراهيم باشا بأخذ فتوى من علماء دمشق آنئذٍ بخلع بيعة سلطان الدولة العثمانية وأخذ البيعة لمحمد علي باشا عزيز مصر ورفض العلماء ذلك، لأنه لا يجوز احتماع بيعتين كما سمعته من المرحوم الشيخ عبد الوهاب الحافظ)).

قلت: وحكاية إبراهيم باشا هذه مع الشيخ سعيد الحلبي سمعها الدكتور الشيخ أبو اليسر من سليم أفندي قصاب حسن الشاعر الذي كان ابن ابنة الشيخ سعيد الحلبي وتلميذاً للسيد أحمد عابدين اهـ. شيخنا.

(١) وإليك النص من المسموعات ص/٤: ((لما توفي الشيخ شاكر العقاد أكمل إخوانه بما فيهم ابن عابدين الدر على الشيخ سعيد ا لحلبي أكبرهم سناً وكان زميلاً لهم عند الشيخ شاكر العقاد)) اهـ.

صاحب التكملة: ((فأتم سيدي الوالد قراءته الكتب المذكورة عليه))[1] ووافقه على ذلك جلّ المترجمين كالشيخ أبو الخير صاحب ترجمة الثبت والبيطار وغيرهم.

لكن جميع هؤلاء يذكرون في عبارات لا تكاد يختلف كثيراً بعضها عن بعض، أن ابن عابدين حين أتم قراءة الدر على شيخه الحلبي استجازه فأجازه وكتب له تلك الإجازة بخطه وختمه في آخر نسخته من (الدر المختار) أي نسخة ابن عابدين طبعاً ـ وذلك عام /١٢٢٤/هـ كما هو مكتوب على الإجازة المذكورة.

وفيما يبدو لي أن ابن عابدين كان يقرأ بقية الكتب الفقهية والفنون الأخرى على شيخه الحلبي أثناء قراءته الدر المختار عليه، فكان الدّر المختار عمود القراءة الفقهية، وكان إتمام قراءته عنوان التخرّج الفقهي الأول ودل على ذلك الإجازة المنوّه بها آنفاً، هذا ولقد وقعت بيد كاتب السطور[2]، النسخة التي قرأها ابن عابدين على شيخه من الدر المختار وعليها التعليقات والهوامش والطرر التي استفادها من شيخه، ومن دراستي لكل ذلك تبيّن لي أن ابن عابدين قرأ الدر على شيخه مرتين: مرة كمّل بها ما كان قرأه على الشيخ شاكر مع إعادة سرد لما قرأه على شيخه الأول وذلك في شوال/١٢٢٢ هـ أي بعد وفاة شيخه الأول بتسعة أشهر تقريباً، وهي المدة التي أعيد فيها تشكيل الحلقة العقادية بزعامة أكبر التلامذة الشيخ سعيد الحلبي، الذي أصبح خليفة للشيخ العقاد وشيخاً للحلقة من بعده،

---

(١) التكملة.

(٢) أقول: هذه النسخة النفيسة التي تعتبر أصل حاشية رد المحتار أكرمني بالاطلاع عليها وتصوير بعض نصوصها فضيلة الأخ الدكتور محمد مطيع الحافظ الذي آلت إليه بطريق شرعي فتفضل بإعارتها لي جزاه الله خيراً. والذي يتبادر للذهن أن ابن عابدين تملكها ١٢٢٢هـ كما في طرة على ظهر النسخة وهي نسخة جيدة واضحة ا.هـ.

وهي فترة لا بد منها كي يتهيأ الجميع من بعد ذلك للبرنامج والمنهاج الجديد اللذين سيرسمهما الشيخ الجديد، فابن عابدين يقول على ظهر الدر في طرة:

((ابتدأنا في قراءة هذا الشرح على شيخنا فريد الدهر وفقيه العصر السيد سعيد بن السيد حسن الحلبي في شوال/١٢٢٢ هـ أحسن الله الختام)).

وهي القراءة التي انتهت بالإجازة المشار إليها/١٢٢٤/هـ ثم كانت القراءة الثانية وهي قراءة استبحار علمي نادر من تلميذ ناضج أصبح فيما بعد حجة المذهب الحنفي في عصره لشيخ حسبه أن المعاصرين له أجمعوا على جلالته وطول باعه وعلى تلقيبه ـ أبي حنيفة الزمان.

وكانت هذه القراءة للدر مرتبطة مع حاشيته للحلبي المداري وكان يتخللها قراءة البحر الرائق من أوله إلى كتاب الإجارة، وظّل الأمر كذلك ست سنوات تقريباً من عام /١٢٢٥ على/١٢٣٠ هـ، ويدلنا على ذلك طرة موجودة على ظهر الدر المشار إليه آنفاً ((ثم قرأت هذا الشرح مع حاشيته للحلبي والبحر الرائق إلى كتاب الإجارة على شيخنا المذكور حفظه الله تعالى وكان الفراغ منه في أواخر ربيع الثاني/ ١٢٣٠/)).

إذن كان التخرّج الفقهي النهائي عام/١٢٣٠/هـ كما تشير إليه هذه الطرة، ولعلّ ابن عابدين ظل يثابر على دروس الشيخ الحلبي في غير الفقه الحنفي، فهو قد انصرف بعد عام /١٢٣٠/هـ إلى تبييض هذه الطرر والتقريرات ليجعل منها فيما بعد المسوّدة الكاملة لحاشية رد المحتار التي[1] انتهى تبييض الجزء الخامس

---

(١) وإليك هذا النص من المسموعات ص/٤: ((لما أخذ ابن عابدين الحاشية لشيخه الشيخ سعيد قال له: ((شوها الصُّبّرة هلي مساويها؟)) أي (ما هذه الصبرة التي صنعتها؟) كي لا يغتر بها)).

والأخير منها في عام /١٢٣٣/هـ، كما قال هو في آخر الحاشية بالهامش: ((تم في أواخر محرم الحرام سنة ثلاثين بعد المائتين والألف)).

وكذلك، لم يكتف بتعليق الطرر والتقريرات على الدر، بل كان يكتب كل ما يسمعه من شيخه في تقرير الدرس، وما يراه في مطالعاته على هوامش الكتب التي كان يقرؤها على شيخه لتتكامل من بعد في مصنّفاته الكثيرة، فحاشيته منحة الخالق أصلها كما ذكر مؤلّفها في أولها تلك الطرر والتقريرات التي سمعها من شيخه أو استفادها من المطالعة، ولكن حصّة السماع من الشيخ كانت فيما يبدو أكثر..

ولقد ظلّ ابن عابدين متتلمذاً على الشيخ الحلبي مع الحلقة العقادية بالرغم من صيرورته أميناً للفتوى ومن ذيوع اسمه وبعد صيته، ولكن ذلك لم يكن ليغيّر من هذه التلمذة المخلصة التي ملؤها الإجلال والاحترام والحب شيئاً، ولكن ابن عابدين أثناء ذلك كان يشتغل بالتصنيف من شروح وحواشي في جميع فروع العلم لا سيما الفقه الحنفي الذي كاد أن يأخذ لبّه إلى /١٢٤٣/، وهو في هذه المدة لم يقتصر على الشيخ الحلبي، بل حضر دروس غيره نيْلاً للبركة، وطمعاً بالدخول في الإجازة العالية فقط، كالشمس الكزبري والشهاب العطار ومن شابههما[١]، ولكن لا بد لنا من استثناء الشيخ خالد النقشبندي الذي كانت صحبة ابن عابدين له صحبة روحية بغية تزكية القلب وصقله وسلوك مراحل الطريق إلى الله، وما عدا هؤلاء فإن ابن عابدين لم يعط قلبه و لم يهب ذوب نفسه بعد الشيخ شاكر لغير الشيخ سعيد الحلبي.

---

(١) (وممن استجازهم فأجازوه هبة الله البعلي وأحفاد العارف عبد الغني النابلسي ومحمد عبد الرسول الهندي هذا حضوراً والأمير المصري والفلاني مكاتبة اهـ).

والحقيقة التي لا ريب فيها أن المؤسّس لشخصية ابن عابدين هو الشيخ سعيد الحموي، والباني لها الشيخ شاكر العقاد، والذي أكمل البناء وجعلها صالحة للسكن والارتفاق الشيخ سعيد الحلبي، والذي زخرفها وفرشها وزيّنها وصقلها هو الشيخ خالد النقشبندي، رحمهم الله جميعاً.

الفرع الثالث: في وراثة الأنبياء:

المرحلة الأولى: مرحلة الإقراء والتدريس

بدأت هذه المرحلة في شوال /١٢٤٣/ كما يقرر المترجم في طرة على ظهر نسخته من الدر المختار فهو يقول: ثم أقرأته ثانياً وثالثاً ثم أقرأته رابعاً مع الهداية والعناية ابتداء من شوال /١٢٤٣/ أحسن الله الختام).

فمن /١٢٣٠/ إلى /١٢٤٣/ ثلاثة عشر عاماً قضاها في تخمير دراسته وإكمالها على شيخه الحلبي وفي تصنيف الكتب التي أطارت في الآفاق ذكره فلم يأت عام /١٢٤٣/ حتى أصبح شيخ الحنفية في عصره بلا منازع، ولم تبق صلته بشيخه فيما يبدو بعد هذا التاريخ إلاّ صلة البرّ والاحترام والاعتراف بالفضل والتأدب، الذي لم يتزعزع بما وصل إليه ابن عابدين من مكانة مرموقة، ولا شك أن أفواج كبار الطلبة كانت تؤمّ دمشق ابن عابدين للقراءة عليه واستجازته، حتى تعدّى ذلك إلى علماء عصره الذين استجازوه كما سنرى فيما بعد.

وكان في تقريره للعلوم بحراً زخّاراً يتعب تلاميذه ومن جاء بعده، يشهد لذلك تلميذه الشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت في مقولة شفوية أثبتها ولد المترجم السيد علاء الدين في التكملة وهي قوله: ((ماسمعت مثل تقرير سيدي والدك في درسه، حتى إنني كنت كثيراً ماأجتهد في مطالعة الدرس، وأطالع عليه سائر الحواشي والشروح والكتابات على الدرس، وأظن من نفسي أنني فهمت سائر

الإشكالات وأجوبتها، وحين أحضر الدرس يقرّر شيخنا - ابن عابدين - الدرس ويتكلّم على جميع ماطالعته مع التوضيح والتفهيم ويزيدنا فوائد ماسمعنا بها ولا رأيناها و لم يخطر على فكر أحد ذكرها))[1].

أما انتفاع الناس به فيقول صاحب التكملة في ذلك: ((وكانت تسعى إليه الوزراء والأمراء والموالي والعلماء والمشايخ والكبراء والفقراء وذوو الحاجات وعظمت بركته وعمّ نفعه، وكثر أخذ الناس عنه، وغالب من أخذ عنه وقرأ عليه أكابر الناس وأشرافهم وأجلاؤهم من الموالي والعلماء الكبار والمفتين والمدرّسين وأصحاب التآليف والمشاهير، وقصده الناس من الأقطار الشاسعة للقراءة عليه والأخذ عنه))[2]:

المرحلة الثانية: من مراحل النضج والاكتمال:

ابن عابدين شيخ الشيوخ في عصره ومرجع الفتوى.

تَبوّأ ابن عابدين في أواخر أيام حياته القصيرة المباركة مكانة لم يتبوّأها فيما نعلم أحد في عصره ظلّت شاغرة مدة قرون، أي من أيام المحقّق حيث أطلق الكمال بن الهمام السيواسي - وهي (مرجع الفتوى ومشيخة علماء العصر) فضلاً عن رتبة (فقيه النفس) وهي ماانفرد به في زمنه كما قال صاحب التكملة يدلنا على ذلك تلك التراجم التي اتفق أصحابها على ارتفاع مكانة الرجل على علماء العصر، وكذلك استجازة أكثر معاصريه من العلماء له، حتى عارف حكمة شيخ الإسلام استجازه فأجازه، وسأسوق إن شاء الله في فصل آراء الكاتبين فيه ما يوضّح ذلك من النصوص التاريخية.

---

(١) التكملة.

(٢) التكملة.

الفرع الرابع: أعظم ينابيع ثقافة ابن عابدين

نستطيع بعد هذا العرض الشامل لمشيخة ابن عابدين وإجازاته وأسانيده، ودراسته وتحليل ذلك كله، أن نضع أصابعنا على أهم ينابيع ثقافة هذا الرجل الكبير وأغزرها وهي:

١ - شيوخه المخرّجون الأربعة: الحموي والعقاد والحلبي والنقشبندي المتقدّم ذكرهم وتراجمهم، فهؤلاء هم أعظم الينابيع بالدرجة الأولى.

٢ - شيوخه الذين حضر بعض مجالسهم ونال إجازاتهم وهم يأتون في الدرجة الثانية.

٣ - أسرته: والده ووالدته وزوجته أم علاء الدين، فوالده كان يشتري له الكتب أو يدفع له ثمن ما اشترى، ووالدته ترعاه بحنانها وتشجّعه وزوجته كانت تقوم بخدمته، فهذا الجو الذي عاش فيه ابن عابدين له أثره العظيم على نبوغه.

٤ - مكتبته التي جمعها من مصادر شتى: فمنها ما هو عن طريق والده ومنها ما اشتراه بنفسه ومنها ما جاءه من طرق شرعية أخرى، حتى حصل له بذلك مكتبة من المخطوطات وقليل من المطبوعات قلّ نظيرها، حتى لقد سمعت من مشايخي أنها كانت على رفوف مستديرة بشكل الأسطوانة تدور على محور يديرها ابن عابدين بيده وهو جالس فتدور حتى يأتي إليه الرّف الذي فيه الكتاب المطلوب[1]!! . جاء في أول التكملة ما يلي: ((وكانت عنده كتب

---

(١) سيدي الوالد الشيخ محمد صالح الفرفور عن الشيخ عطا الكسم بسنده إلى ابن عابدين.
ر: ملحق النصوص.

من سائر العلوم لم يجمع على منوالها وكان كثير منها بخط يده ولم يدع كتاباً منها إلاّ وعليه كتابته»اهـ[1]..

والذي يبدو للباحث أنّ هنالك مكتبة كاملة هائلة انتقلت إلى ابن عابدين من طريق مشروع، وذلك بدليل تلك المصادر والمراجع التي يذكرها في ثنايا مصنّفاته، ولاسيما حاشية رد المحتار، يقول المرحوم عز الدين التنوخي[2] في تقديمه لكتاب (المثنّى): «ثم لم يذكر هذه المجموعة بعد المحبي الدمشقي أحد من علماء دمشق إلى أن تمّ انتقالها بإحدى الطرق إلى مكتبة حجّة المذهب الحنفي في عصره السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة» [3]اهـ.

أما كتب الحنفية في الهند فكان لها سهم كبير في مكتبة ابن عابدين حيث انتقل منها إليه شيء كثير، وفي ذلك يقول المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار[4] في مقال حول كتاب (مذكّرات سائح في الشرق العربي) للأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي ما يلي:

«زار ـ الندويّ ـ مؤرّخ الشام الكبير الأستاذ كرد علي[5] رحمه الله فقابله في بيته بحفاوة لم يقابله بها إلاّ أفراد قلائل من الأدباء والكتّاب فقال له ــ أي الندوي ــ: هل تعلمون أنّ للهند فضلاً ونصيباً في أعمال السيد ابن عابدين العلمية، وذلك لأن والده لما كان تاجراً وكانت له صلات قوية في الهند، فكان

---

(١) ر: التكملة.

(٢) أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق المتوفى سنة /١٩٦٦/.

(٣) ر: مجلة مجمع اللغة العربية الدمشقية ج٣٥/٤٣٤ تحت اسم أمين عابدين.

(٤) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق توفي /١٩٧٦/م.

(٥) مؤسس المجمع بدمشق ورئيسه الأول توفي /١٩٥٤/.

يجلب كتباً فقهية من الهند لولده وكان السيد يطالعها، إذن فللهند يد في تكوين ثقافته ودراسته الفقهية..)) (١).

قلت: وهنالك مكتوبات المفتين ومجموعات أمناء الفتوى أيضاً التي كانت بمتناول يد ابن عابدين بحكم مركزه الرسمي أميناً لفتوى الحنفية بدمشق.

٥ ـ وأحب أن أنوّه هنا بسبب من أهم أسباب فقاهة ابن عابدين في نظري بعدما تقدّم، بل ربما قبله، هو معرفته بالتجارة والمعايش وأساليب البيع والشراء والصّفق في الأسواق بحكم نشأته التجارية، فلم يكن ذلك الفقيه المنزوي في صومعة علمه لا يدري من أمور الناس شيئاً، بل ظل ابن عابدين تاجراً طوال حياته، وكلّ من ترجمه قال: إنه لم يأكل إلاّ من مال تجارته، ولم يكن على وظيفة أمانة الفتوى التي كان يشغلها في دمشق مرتّب آنذاك بل كانت وظيفة شرفية بحتة، لذلك كان تاجراً وظل تاجراً وعاش تاجراً حياته كلّها، لكنّه لما تفرّغ للعلم جعل مباشرة العمل التجاري بيد شريكه وهو يلاحظه، فهو إذن على اتصال دائم بالأسعار والبضائع والطوارئ على ذلك كله، وهذا أكسبه

---

(١) ر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج١٢٧/٣٠، ومن فضل الله تعالى على دمشق وعلى هذه الأسرة أن آل جلُّ هذه المكتبة النفيسة إلى الأسرة العابدينية ولاسيما شيخنا الدكتور أبو اليسر الذي أعاد مجد الأسرة فقد أعاد هو ووالده أكثر ماضاع منها وهي موجودة لديه حفظه الله. أما مصير هذه المكتبة بعد وفاة صاحبها المترجَم له رحمه الله فقد حدثني عن ذلك شيخنا الدكتور أبو اليسر مانصه: (كان ابن المترجَم السيد علاء الدين صغيراً دون البلوغ، فجاء تلاميذه فباعوا مكتبته كلها، وأكثرها عند الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني في الميدان، ووصل منها شيء للشيخ محمد البيطار، وقرأه على الميداني المذكور، وقد جمع أكثرها فيما بعد، ولاسيما المخطوطات المرحوم الشيخ أبو الخير عابدين والدكتور الشيخ أبو اليسر رحمه الله حتى كادت تتكامل وعنده زيادات لم تطبع وما بقي عند الشيخ عبد الغني.. ذهب حريقاً)اهـ.
ر: المسموعات ص/٦.

فقاهة نادرة المثال، فهو قد فقه عصره وأهل عصره قبل أن يفتيهم وزاد في فقاهته تسنّمه منصب أمانة الفتوى رسمياً وهو المفتي فعلياً، والفتوى في الحقيقة ترجع إليه فازداد اطلاعه من خلال ذلك على أحوال العصر وتبدّل الأمور وجري الأحداث، فاكتسب من ذلك كله فقاهة عظيمة ظهر أثرها في كتبه الفقهية، لاسيما في النوازل والواقعات في تنقيح الفتاوى الحامدية وفي رد المحتار ومجموعة الرسائل وفي مجموعة فتاواه التي بقي منها نَزْر يسير.

ولقد قال بعض العلماء السابقين: ((من لم يفقه أهل زمانه فليس بفقيه)). ففقه الزمان وأهله جزء رئيس من الفقاهة العالية التي وجدت عند ابن عابدين وعند الإمام أبي حنيفة من قبل رحمهما الله تعالى، وهذا ما جعل فقه كل من الإمامين فقهاً واقعياً عملياً مرناً كلّ في دائرته: الأول في دائرة التخريج في المذهب الحنفي، والثاني في دائرة الاجتهاد المطلق في الشرع الإسلامي.

المطلب الثاني: شيوخ ابن عابدين

لابن عابدين ما يقارب خمسة عشر شيخاً[1] أربعة منهم يعتبرون أساطين المدرسة العلمية والروحية التي تربّى فيها ابن عابدين وبها تخرّج، والباقون أجازوه فمنهم من حضر بعض دروسه ومنهم من يعتبر من أشياخه ومنهم من أجازه مكاتبة.

---

(١) أقول: ((هذا العدد للشيوخ الذين قرأ عليهم قراءة معتبرة أو أجازوه أما الذين استفاد منهم أي فائدة أو قرأ عليهم قراءة تبرك فكثيرون، قال صاحب التكملة: ((أخذ عن مشايخ يطول ذكرهم هنا من شاميين ومصريين وحجازيين وعراقيين وروميين)) اهـ. وهكذا نرى أن العدد هنا ليس للحصر بل للتقريب)).

آ ـ شيوخ التخريج والتربية:

أما الشيوخ المخرّجون لابن عابدين فهم:

١ً ـ الشيخ محمد سعيد الحموي:

أول شيوخه وأقدمهم تاريخاً الشيخ محمد سعيد الحموي المعمّر نزيل دمشق، شيخ القراء في عصره، فلقد كان لابن عابدين الموجّه الأول في بدء الطلب بعدما تيقّظ لطلب العلم، فسأل عن شيخ القراء في الديار الشامية فدلّه القوم على الشيخ المذكور الذي كان يلقي دروسه في حجرته في الجامع الأموي.

٢ً ـ الشيخ شاكر العقاد:

وهو الشيخ الثاني الذي تبنى ابن عابدين وأحلّه من قلبه محلاً عظيماً وقد ترجمه تلميذه البارّ الوفي في آخر الثبت الذي جمعه له بترجمة حافلة أنقلها لك إن شاء الله تعالى في ملاحق هذا الكتاب(١)، لتستشف منها روح ابن عابدين في حبه لشيخه ووفائه له وانحيازه إليه، ولتتلمس من خلالها تلك الشخصية الفذّة التي كانت المثل الأعلى لابن عابدين طوال حياته إذ تأسّى به وتتبع خطاه، وانطبعت نفسه بنفس شيخه المذكور حتى صار نسخة مصغّرة عنه.

٣ً ـ الشيخ سعيد الحلبي:

وهو الشيخ الثالث لابن عابدين من جهة ورفيقه في الطلب من جهة أخرى، لأنهما اشتركا في قراءة الدر المختار على الشيخ شاكر المذكور.

---

(١) انظر ملاحق هذا الكتاب /ملحق التراجم: التراجم لشيوخ ابن عابدين.

٤ً - الشيخ خالد النقشبندي:

وهو الشيخ المربّي من كان له إشراف على روحانية ابن عابدين ورقيه الروحي.

ب ـ شيوخ الإجازة لابن عابدين:

وهؤلاء صنفان:

• الصنف الأول:

أخذ عنهم ابن عابدين في بعض المجالس العلمية التي كانوا يعقدونها في الجامع الأموي أو في بيوتهم، فكانت إجازتهم له بعد قراءة أو سماع وهم ثمانية:

١ً- الشمس محمد الكزبري:

فلقد حضر المترجَم بعض مجالسه وصدرت منه له إجازات شفوية، فضلاً عن الإجازة الخطية التي سنثبتها في محلها.

٢ً - الشهاب أحمد العطار:

وقد حضر المترجَم بعض مجالسه أيضاً وأخذ منه إجازة خطية.

٣ً - الشيخ نجيب القلعي الشهير بابن قنبازو:

الذي حضر المترجَم بعض مجالسه مع شيخه الشيخ شاكر العقاد وأجازه مشافهة.

٤ً - الشيخ محمد عبد الرسول الهندي:

وقد التقى به ابن عابدين في دمشق أثناء زيارة الشيخ الهندي لها.

٥ً - الشيخ هبة الله البعلي التاجي:

التقى به ابن عابدين فيما يبدو وأخذ منه إجازة خطية لم نظفر بها أثبت الشيخ أبو الخير عابدين وجودها ولم يثبت صورتها.

٦ً - الشيخ محمد صالح الزجّاج:

التقى به ابن عابدين وظفر منه بإجازة خطية.

٧ًو٨ً - الشيخ إبراهيم والشيخ عبد القادر ولدا الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني النابلسي:

ظفر منهما المترجَم بإجازة خَطيَّة حضوراً.

• **الصنف الثاني:**

أخذ عنهم ابن عابدين الإجازة مكاتبة و لم يلتق بهم حسب ما لدينا من أصول، وهم ثلاثة:

١ً - الشيخ محمد الأمير المصري:

استجازه ابن عابدين مكاتبة، فأجازه الشيخ الأمير بالمكاتبة.

٢ً - الشيخ صالح الفلاّني:

استجازه ابن عابدين مكاتبة، فأجازه الفُلاّني بالمكاتبة.

٣ً - الشيخ عبد الملك القلعي المكي:

وله إجازة لابن عابدين لم يذكرها ابن عابدين في جملة إجازاته ولا الشيخ أبو الخير حفيد أخيه، ولا ولده الشيخ علاء الدين، ولا ندري السبب؟ ولكن الذي ذكرها هو الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، استناداً إلى ثبت الشيخ أبو النصر الخطيب.

قال الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في كتابه «فهرس الفهارس والأثبات» ما نصّه:

((وأخذ بالمكاتبة عن الشيخ صالح الفلاّني والأمير الكبير وعبد الملك القلعي المكي، وإن كان ثبته الذي جمع له لم يشتمل على إجازة الأخير له مع أنها مثبوتة في ثبت الشيخ أبو النصر الخطيب الدمشقي))[1].

المطلب الثالث: إجازات ابن عابدين:

أما إجازات ابن عابدين فهي على نوعين:

آ ـ الإجازات الكتابية:

وهي ثلاث عشرة إجازة مكتوبة بخط أصحابها مختومة بختمهم ما عدا الأخيرتين وهي كما يلي:

١ ـ إجازتا الشيخ محمد شاكر العقاد الشّعرية والنثرية والأولى ١٢١٧.

٢ ـ إجازة الشيخ سعيد الحلبي /١٢٢٤/ شعبان.

٣ ـ إجازة الشمس محمد الكزبري غرة /١٢١٦/.

٤ ـ إجازة الشهاب أحمد العطار.

٥ ـ إجازة حفيدي العارف النابلسي إبراهيم وعبد القادر معاً.

٦ ـ إجازتا الشيخ محمد سعيد الحَمَوي الأولى في غرة جمادى الأولى /١٢٢١/ والثانية في أواخر ربيع الثاني / ١٢٢١/.

٧ ـ إجازة الشيخ صالح الزّجّاج في شوال /١٢٢٤/.

٨ ـ إجازة الشيخ محمد الأمير المصري في غرة رمضان /١٢٢٨/.

٩ ـ إجازة الشيخ خالد النقشبندي الشَّهْرَزوري الكردي في ١٣ رمضان /١٢٤١/.

---

(١) ر: فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ج٢/٢١٦ وما بعدها.

١٠ ـ إجازة الشيخ محمد عبد الرسول الهندي في شعبان /١٢٣٥/.

١١ ـ إجازة الشيخ صالح الفلاّني في /١٢١٧/ للمترجَم ولغيره.

١٢ ـ وثيقة إثبات إجازة من الشيخ هبة الله البعلي التاجي شارح الأشباه والنظائر للمترجم بقلم الشيخ أبو الخير عابدين.

١٣ ـ وثيقة إثبات لإجازة من الشيخ عبد الملك القلعي المكي بالمكاتبة للمترجَم بقلم المحدّث الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، نقلاً عن ثبت الشيخ أبو النصر الخطيب الدمشقي(١).

ب ـ الإجازات الشفوية:

وهي عدّة إجازات صدرت من علماء معاصرين لابن عابدين، منهم من أجازه بإجازة خطية، ومنهم من اكتفى بالإجازة الشفوية وهم:

١ً ـ إجازة الشيخ محمد سعيد الحَمَوي لابن عابدين بقراءة بعض السور القرآنية.

٢ً ـ أربع إجازات من الشمس الكزبري لابن عابدين الأولى بصحيح البخاري وبالكتب الستة والثانية بصحيح مسلم خاصة، والثالثة بدلائل الخيرات، والرابعة بالأربعين العجلونية وبسائر المرويات من الآثار وهي تعتبر إجازة عامة.

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين مانصه: (يقول الفقير محمد أبو الخير عابدين مصحِّح هذه الطبعة البهية إن المرحوم سيدي العم مؤلف هذا الثبت قد أخذ عن مشايخ معتبرين وأفاضل محققين، وقد ظفرت بإجازات له منهم أحببت سرد أسمائهم مع صور الإجازات التي ظفرت بها لمناسبة لا تخفى ولتكون كالثبت لأسانيد سيدي المذكور). الثبت ص/٢١٢.

٣ً ـ إجازة من الشيخ محمد نجيب القلعي الشهير بقنبازو لابن عابدين، وهي إجازة عامة بحديث الأولية وبسائر المرويات من الآثار بعد سماع حديث الأولية من الشيخ المذكور وقد دخل في هذه الإجازة الحاضرون غير ابن عابدين.

جـ ـ صورة سماع ابن عابدين للأربعين العجلونية من الشهاب أحمد العطار وإكمالها على الشيخ شاكر العقاد:

آ ـ الإجازات الكتابية:

(١)

أولاً ـ إجازة الشيخ محمد شاكر العقاد لابن عابدين بالنظم:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المجيد الهادي ... حمداً بديعاً جلّ عن نفاد
ثم صلاةٌ مع سلامٍ أمجد ... على النبي المصطفى محمّد
وآله وصحبه الكرام ... أولي التقى والفضل والإنعام
وبعد فاعلم أيها المهذّب ... بأن علم الدين أصل طيّب
لا سيّما علم الحديث والأثر ... وفقه نعمان الإمام المعتبر
وكان ممّن جدّ في ذا الشان ... السيّد المفضال ذو الإتقان
محمد أمين ابن عمرا ... من جدّه بعابدين اشتهرا
لازمني في مدة مديدة ... قراءة لكتب عديده
ما بين فقه وحديث شافي ... وعلم نحو وبيان صافي
ومنطق وعلم آداب حلا ... وضع عروض والقوافي قد تلا
ثم ابتغى مني أن أجيزه ... وأن أبين في الورى إبريزه
هذا وإني لست من فرسانها ... ولا من الحائم في ميدانها
لكنّما التشبيه بالكرام ... أهل التقى والسادة الأعلام

طريقـة مسـلوكة مندوبـه — وبغيـة محمـودة مرغوبـه

هـذا وإنـي قـد أجزتـه بمـا — أرويـه حقًّـا عـن فحـول العلمـا

مـن الصحيحيـن وبـاقي السّـنن — ومسند النّعمان ذي القدر السّني

عـن شـيخنا العلامـة المعـروف — بـالكزبري محمّـد الموصـوف

عـن شـيخه والـده الإمـام — عن شيخه قطب الـورى الهمـام

عبـد الغـني العـارف النابلسـي — حـاوى المعـالي والمقـام القدسـي

عن نجم أفق الشام عـن بـدر السّما — عـن شيخ الاسلام رئيـس العلمـا

عـن خـاتم الحفـاظ ذاك ابـن حجـر — أعـني الإمـام المعتنـى والمعتـبر

بالسّـند المتصـل المختـار — إلى النـبيّ الهـاشمي المختـار

كـذاك بالفقـه العظيـم الشـان — فقـه الإمـام الأعظـم النعمـان

أرويـه عـن شيخي أمـين الفتـوى — منلا علي الحـاوي الهـدى والتقـوى

عـن شيخه عبـد الغـني النابلسـي — ذي الرّتبة العليـا فقيـه النّفـس[1]

عـن شـيخه والـده إسمـاعيلا — العـادم النظـير والمثيـلا

عـن شـيخه العلاّمـة الأجـلّ — شـرنبلاليّ إمـام الكـلّ

بالسّـند المتّصـل البيـان — إلى الإمـام الأعظـم النّعمـان

وإنـي أوصيـه بـالإخلاص — وبالدعـاء لي بـالخلاص

مـن آفـة الرّيـا وقصـد السّـمعه — فإنهـا مطفئـة للشـمعه

وإنـي محمّـد الملقّـب — بشـاكر بـين الـورى أنتسـب

ابـن علـيّ بـن سـعد بـن علـي — السـالميّ الحنبلـيّ العمـري

---

(١) قال في آخر الثبت الشيخ محمد أبو الخير عابدين: ((فمنهم العالم العلامة، والمسند الفهامة، در عقد الإسناد، السيد محمد شاكر العقاد، وكتب له إجازتين إحداهما نظم والأخرى نثر وصورة النظم)) اهـ. ر: الثبت ص/٢١٢ وما بعدها.

وحـين إتمـامي القـوافي كـالدّرر نـاديت أرّخ جـدّه يمـن ظهـر

في صفر سنة /١٢١٧/

وختمه مكتوب فيه عبده شاكر

ثانياً ـ إجازة الشيخ محمد شاكر العقاد بالنثر[١]:

وصورة الإجازة النثرية لابن عابدين (في مسلسلات ابن عقيلة):

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنار بسلسلة مشكاة أنـوار جمالـه الكائنات* وعمت مسلسلات رحمته جميع أفراد الموجـودات * والصلاة والسلام على من هو الواسطة العظمى في وصل كل منقطع بالإمدادات الربانيات * وعلـى آلـه وأصحابـه أولي المـآثر الفـاخرات* صـلاة وسـلاماً دائمـين بـدوام الأرض والسموات* ما كان الإسناد للرجال أقوى من الأنسـاب الجليّـات* أما بعد فقد سمع مني ولد القلب الذكي الألمعي والحافظ اللّوْذَعي المستمسـك بـالعروة الوثقـى من الدين السيد محمد عابدين جميع هـذه المسلسـلات بصفـات تسلسـلها حسـب الإمكان فصافحته وشابكته وقرأت عليه سورة الصف وهو يسمع وأضفتـه علـى الأسودين، ولقنته الذّكر وألبسته الخرقـة وناولتـه السبحة وعـددت في يـده وغـير ذلك مما أمكن وأذنت له أن يرويها عني بحق روايتي لهـا عـن الشيخ الإمـام المحدّث البحر الذي بجواهر الآثار والإسناد هو الحريّ سيدي الشيخ محمد الكزبري متّعـني الله تعالى والمسلمين بطول حياته وأعاد عليّ وعليهم من صالح دعواته بحق روايتـه لها عن والده المرحوم المسند الجامع الشيخ عبد الرحمن الكزبري بحق روايته لها عن مؤلفها الشيخ الإمام المسـند المحدّث الشيخ محمـد عقيلـه * أمدنـا الله بإمداداتـه*

---

(١) قلت: ((وهاتان الإجازتان من الشيخ شاكر لابن عابدين الكبير بخط المجيز موجودتـان في ورقـة واحـدة عنـد الأخ الدكتورمحمـد مطيـع الحـافظ، أعارنيهـا جزاه الله خـيراً، فأخذت عنها راموزاً تجده في ملحق الوثائق في آخر هذه الرسالة)).

ووالى علينا جميع هباته* وأذنت له أن يروى عني أيضاً كل ما يجوز لي روايته عن شيوخي الأعلام بلّغهم الله الجنّة دار المقام وحشرنا في زمرتهم تحت لواء المظلّل بالغمام* عليه أفضل الصلاة وأتم السلام* وأوصيه بتقوى الله تعالى في سره وعلانيته* والقيام على محافظة شريعته* وأرجوه دوام تذكري ومن ينتمي إليّ وأحبائ بالدعوات الصالحة على الدوام* لا سيما بالعفو والعافية وحسن الختام.

نعم الأمر كما ذكر الفقير محمد شاكر بن علي العقاد عفي عنه(١).

(٢)

إجازة الشيخ سعيد الحلبي لابن عابدين:

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أنعم علينا بتنوير الأبصار وجلاء الأفهام وتحسين أبكار الأفكار* باقتباس آثار الدر المختار* الذي أرسله أعظم منحة من منح الغفّار* وأجل هبة من مواهب الرحمن التي هي كالبحر الزخار* صلى الله وسلم وبارك عليه* وزاده شرفاً ورفعة لديه* وعلى آله وأصحابه الدرر والغرر الذي حلّوا عن الأشباه والأنظار* حيث نالوا بفتح القدير غاية الهداية في البداية والنهاية فكانوا من الأخيار* ورقوا في معارج الدراية وتبين كنز الآثار * إلى غاية لا مطمح في نيلها ولا حد لها ولا قرار* وعلى أتباعهم من الأئمة المجتهدين الذين أطدوا بنيان هذا الدين المتين السادة الأبرار* خصوصاً رئيسهم المجتهد الأقدم

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((رأيت بخط المجاز العم بهامش هذه الإجازة ماصورته (نعم أضافني شيخي حفظه الله تعالى على الأسودين التمر والماء وعلى ثلاثة أنواع من الطعام ونوعين من الحلوى وأسمعني الحديث المسلسل بالضيافة عليهما شكر الله سعيه وجزاه عني خيراً وذلك في شهر رمضان سنة ١٢١٦) انتهى مارأيته/ مصححه) اهـ. ر: الثبت ص/٢١٤ وما بعدها. قلت وقد تركت النص كما هو دون تحوير فيه لا سيما (وأحباىء) فالصواب فيها (وأحبائي) لكن تركت ذلك محافظة على أمانة النقل.

والإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ذو الشرف والفخار* وأصحابه الذين حسنوا في جميع الأحوال والأطوار* وبلغوا من مبسوط فضله الكافي الوافي حل الأوطار (وبعد) فإن أشرف العلوم علم الفقه الذي تكفل ببيان الحلال والحرام وجميع الأحكام الثابتة بالآراء والأخبار* وإن من أجل ما صنّف في ذلك متن التنوير وشرحه المسمى بالدر المختار للشيخ علاء الدين الحصكفي المفتي الحنفي عظيم المقدار* وقد قرأه عليّ ولدي القلبي الشاب الصالح* والكامل الفالح السيد محمد عابدين في صبيحة كل نهار* ثم طلب مني الإجازة به وبغيره من كتب العلوم بديعة الأسرار* فأقول قد أجزت له أن يروي عني ذلك وجميع ما تلقيته من مشايخي الأخيار* بأسانيدهم المدونّة في الأسفار وأرجوه أن لا ينساني من صالح دعواته لا سيما عقب الصلوات وعند الأسحار* وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادة الأطهار* ما تعاقب الجديدان وأشرقت الشموس والأقمار* وإنني الفقير الحقير كثير الذنوب والأوزار سعيد الحلبي خويدم الأبرار في شعبان سنة /١٢٢٤/[١].)

---

(١) قال الشيخ محمد أبو الخير عابدين: (ومنهم الشيخ النصوح باب الفتوح ناسك زمانه وفقيه أوانه مفيد الطالبين ومربي المريدين سيدي الشيخ سعيد الحلبي المولد الدمشقي المحتد والوفاة المتوفى يوم الإثنين في ٣ رمضان سنة /١٢٥٩/ ودفن رحمه الله تعالى في مقبرة الذهبية قريباً من قبر شيخه من روى عنه العالم النقاد الشيخ شاكر العقاد، وصورة ماكتب له بخطه المتبع بختمه آخر نسخته الدر المختار شرح تنوير الأبصار)اهـ. الثبت ص/٢١٥ وما بعدها. قلت: وهذه الإجازة ظفرت بها بخط الشيخ سعيد الحلبي تجدها في ملحق الوثائق في آخر هذه الرسالة.

(٣)

إجازة الشمس محمد الكزبري لابن عابدين:

(بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن منّ على أهل طاعته بجوائز الاحسان وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد سلسلة الكائنات وتمدها على مدى الأزمان* وعلى آله واصحابه وأتباعه وأحزابه الذين انتشرت بهم مآثر الشريعة الغراء في كل مكان* ما تعاقب الملوان* أما بعد، فقد أجزت الشاب النبيه الموفّق بتوفيق المنعم المنان* السيد محمد أمين ابن السيدعمر الشهير بابن عابدين منحه مولاه العلم والعمل وهواطل الامتنان* بجميع ما حوته هذه الوريقات من أسانيد الفقير الحسان* بل وجميع ما أخذته عن أشياخي ذوي العلم والعرفان* واني لأوصيه بما أوصوني به وهو تقوى الله في السر والإعلان* والحرص على الاشتغال بالعلم تعلماً وتعليماً على مدى الأوان* وأرجوه أن يتذكرني بصالح دعواته لا سيما بحسن الختام والوفاة على كمال الايمان* وصلّى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم* وأنا الفقير محمد بن عبد الرحمن الكزبري غفر الله تعالى له ولوالديه وللمسلمين آمين ليلة غرة سنة /١٢١٦/[١].

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((ومنهم خاتمة المحدّثين من انتظمت به سلسلة الإسناد كالعقد الجوهري الشيخ محمد بن سيدي الشيخ عبد الرحمن الكزبري الدمشقي الشافعي رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته وصورة ما كتبه وأتبعه بخطه وختمه على ظهر ثبته))اهـ. الثبت ص/٢١٦ وما بعدها.

(٤)

إجازة الشهاب أحمد العطار لابن عابدين:

(بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، وصلّى الله على من لانبيّ بعده* وعلى آله وصحبه وسلّم* أما بعد، فقد أجزت الفاضل النجيب والألمعي الأريب ولدي القلبي السيد محمد أمين بن السيد عمر عابدين بما تضمنته هذه العجالة وبما تضمنته أثبات مشايخي المذكورين هنا وأثبات مشايخهم وبجميع مايجوز لي روايته وقراءته، كل ذلك بشرطه المعتبر عند أهل الحديث والأثر وأوصيه بتقوى الله في السرّ والعلن، فإنها نعم الزاد ليوم المعاد وأسأله الدعاء بحسن الختام ونيل المراد وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم قاله أحقر الورى أحمد بن عبيد العطار الشافعي)[1].

(٥)

إجازة حفيديْ العارف الشيخ عبد الغني النابلسي:

- الشيخ إبراهيم والشيخ عبد القادر ولديْ الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني النابلسي لابن عابدين:

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((ومنهم الشيخ الهمام* والمسند الإمام* محدّث العصر وفقيهه* وفطن الدهر ونبيهه* من شاع صيته في الأمصار* واشتهر كالشمس في رابعة النهار* الشيخ أحمد بن عبيد الله بن عسكر بن أحمد الحمصي الأصل الدمشقي المولد والوفاة الشهير بالعطار* عليه رحمة الملك الغفار* وصورة ماكتبه له كما رأيته بخطه متبوعاً بختمه في آخر ثبته الذي جمعه له العلامة الفاضل الحري* الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمد الكزبري* رحمه الله تعالى وأعاد علينا من بركاته آمين))اهـ. ر: /الثبت ص/:٢١٨ وما بعدها.

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والتسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين* أما بعد، طلب مني ومن أخي الإجازة* ولدنا السيد الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين* وفقه الله تعالى في الظاهر والباطن ببركة سيدنا محمد وآله الكرام* صلّى الله تعالى عليه وعلى آله واصحابه الأخيار* وقد أجزناه بمالنا من الإجازة من جدنا الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الغني النابلسي قدّس الله سره ونوّر ضريحه وفيما لنا من الإجازة من العلماء الأعلام:

الفقير إبراهيم النابلسي

الفقير عبد القادر بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الغني النابلسي[1].

(٦)

إجازتا الشيخ محمد سعيد الحَمَوي لابن عابدين:

آ ـ الإجازة الأولى:

(الحمد لله رب العالمين* وأفضل الصلاة وأكمل التسليم* على سيد الأولين والآخرين* وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين* أما بعد فقد أجزت الشاب النجيب* والفاضل الأديب السيد محمد عابدين* منحه الله التوفيق والتمكين* بهذا الثّبت المنسوب لشيخنا العلامة الثاني الشيخ صالح الجينيني بشرطه

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((ومنهم الإمامان التقيان الورعان الشيخ إبراهيم النابلسي وشقيقه الشيخ عبد القادر النابلسي، وصورة ما كتباه له بخط أحدهما المتبوع بختم الشيخ عبد القادر))اهـ. ر: الثبت ص/٢٢٠.

المعتبر عند أهل الحديث والأثر وأوصيه وإياي بتقوى الله تعالى وأن لا ينساني من صالح الدعوات وحسن الختام مع العافية قاله بفمه ورقمه بقلمه أفقر الورى وخويدم نعال الفقرا محمد سعيد الحموي ثم الدمشقي غفر الله ذنوبه وملأ من التوفيق والسداد ذنوبه وذلك في غرة جمادى الأولى سنة /١٢٢١/.).

ب ـ الإجازة الثانية:

وكتب له إجازة ثانية بخطه متبوعة بختمه في آخر الرسالة العجلونية وصورتها:

(الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله* وعلى آله وصحبه ومن والاه * أما بعد فقد أسمعني هذه الرسالة الشاب النجيب والفاضل الأديب السيد محمد عابدين* صانه الله من كل ما يشين* وقد أجزته بها وبكل ما يجوز لي روايته بشرطه المعتبر* عند أهل الحديث والأثر* وأوصيه وإياي بتقوى الله* والإعراض عمن سواه* وأن لا ينساني من صالح الدعوات لا سيما حسن الختام والوفاة على الإيمان. رقمه الفقير إلى مولاه الغني محمد سعيد بن إبراهيم الحموي في أواخر ربيع الثاني سنة ١٢٢١).

(٧)

إجازة الشيخ صالح الزجّاج (المعروف بالقزاز) لابن عابدين:

(بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن نوّر بصائر العلماء بأنوار هدايته الأزلية* وشرح صدور نقلة السنة النبوية* وخصّ هذه الأمة من بين سائر الأمم بعلم الرواية والإسناد* الحاسم عن هذه الشريعة المطهّرة شبه أهل الزيغ والإلحاد* وصلاةً وسلاماً على من نبع الماء النمير من بين بنانه* وتفجرت ينابيع الحكم من قلبه ولسانه* محمد المنتخب من خلاصة ولد عدنان* وعلى آله وأصحابه بدور الإيمان ماانتظمت درر الليالي والأيام* في سلك سلسلة الشهور والأعوام وبعد،

فقد سمع مني هذه الرسالة بطرفيها: الأوحد النبيه* والأمجد الذي قرّت به عيون الفضل وذويه* درة تاج النبلاء* وواسطة قلادة الفضلاء، الملحوظ بعين عناية الملك المتين* السيد محمد الملقب بعابدين جعل الله التقوى زاده* ورزقني وإياه الحسنى وزيادة، وأناله من الخير ماأراده* وتلمّح من الحقير الإجازة* ظناً منه أني من أهل ذلك* مع أني لست كذلك* ولا ممن يذكر في عدادهم ولو في الفذالك* وهيهات ماذلك لمثلي مزجى البضاعة* معدود من أرباب البطالة والإضاعة* ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رعي الهشيم* فأجبته تشبهاً بالسلف الصالحين* عسى الله أن يحشرنا في زمرة المفلحين* وأجزته بها وبجميع مروياتي ومسموعاتي ومقروءاتي بالشرط المعتبر* عند أهل الأثر* من التحفّظ والإتقان في الرواية* والتيقظ والإيقان في الدراية ومن البراءة عن تصحيف المباني والتجنب عن تحريف المعاني* والمرجو أن لا ينساني من دعائه النافع* ولاسيما إذا جافت النفحات السحرية الجنوب عن المضاجع* وأن يستغفر لي مما اقترفته من الذنوب والآثام* وأن يتحفني بخالصة من دعائه بحسن الختام* والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وكتبه أحقر الخليقة* بل لا شيء في الحقيقة* فقير رحمة ربه* وأسير وصمة ذنبه* محمد صالح بن محمد بن صالح بن محمد الزجّاج عُفي عنه في سنة /١٢٢٤/ انتهى)[1].

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((ومنهم الشيخ الإمام والحبر الهمام الشيخ محمد صالح الزجاج رحمه الله تعالى وصورة ما كتبه له بخطه في آخر الرسالة العجلونية))اهـ. ر: /الثبت ص/٢٢٢.

(٨)

إجازة الشيخ محمد الأمير المصري لابن عابدين:

(بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لمن شرّف العلماء الأعلام* بما منحهم من الفضل التام* وشكراً له على ماخصهم به في الفهم والإفهام* وأفضل صلاة وأتم سلام على إمام كل إمام* السيد السند لجميع الأنام* وعلى آله وصحبه ومحبيه وحزبه وكامل علماء أمته ورثة جنابه في خير مقام* أما بعد فلما تعلقت النفوس الشريفة بحب علو الإسناد* لما في اتصاله من اتباع سبل الرشاد رغب في ذلك العمدة الأكمل* والقدوة الأفضل* الألمعي الأديب واللوذعي اللبيب* المتصف بالشرفين* المتحلي بكل خلق حسن من غير مين* شيخ الإسلام ومفتي الأنام* مولانا السيد محمد بن السيد عمر عابدين خادم العلم بدمشق الشام* جعلها الله دائماً دار إسلام وسلام ولازال فيها بدراً منيراً دائم النفع إلى يوم الزحام* وقد راسلني حفظه الله مع بُعد الديار على يد بعض السادة الأخيار* يستجيزني اقتفاء بمن سلف من الأبرار* واعتماداً على قرب القلوب والأرواح، وإن شطّ المزار، وبلغني أن عنده ثبتنا المؤلف في هذا الشأن، فتعين علينا أن نجيبه لمطلوبه* وأن نسعفه في مرغوبه* فقلت بعد الاستخارة* بصريح اللفظ والعبارة* قد أجزت السيد المذكور* ضاعف الله لي وله الخير والأجور* بكل ماصح لي أو عني أو سمعته أو سمع مني* من كل مأثور ومنقول* وفروع وأصول* ومنظوم ومنثور* مما تضمنه ثبتنا المذكور اقتداء بمن سلف من السادة الأعلام* سيما ابن الجزري الإمام* حيث يقول في منظومته طيبة النشر:

وقد أجزتها لكل مُقْرِئْ كما أجزت كلَّ من في عصري

وكفى به سنداً في هذا المرام* فقلت اقتداء به أجزت عزيزنا المذكور وأجزت كل من استجازني له وأذنته أن يجيز عني كل من سأله في ذلك بشرطه المعتبر عند أهل تلك المسالك* على العموم والخصوص* في كل معقول

ومنصوص* معتذراً له في تأخير الجواب* بما لا يعلمه إلا رب الأرباب* سائلاً لي وله من الله سبحانه مزيد التوفيق والقبول* وأن يحفّني وإياه بلطفه الخفي، وينفعنا في الأماكن المستطابة* فإنها بظهر الغيب نافعة مجابة* كما أن ذلك منّا له مبذول* كل مأمول* راجياً منه أن لا ينساني من صالح دعواته* في خلواته وجلواته* سيما ومن الله نرجو القبول* إنه على ذلك قدير* وبالإجابة جدير* تحريراً في غرة رمضان المعظّم قدره من شهور عام ثمانية وعشرين بعد الألف والمئتين من الهجرة النبوية* على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والسلام ختام. الفقير محمد الأمير خادم العلم والفقرا بالأزهر غفر له.

(٩)

إجازة الشيخ خالد النقشبندي الشَهْرَ زوري الكُرْدي لابن عابدين:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع منار العلم في كل مصر وعصر* وأقام أهلَه ظاهرينَ على الحق مؤيَّدين بالفتح والنصر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزَّل عليه سورة الفتح والنصر وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً لا يحويهما عد ولا حد ولا حصر ماروى محدِّث حديثاً مرفوعاً فأزاح عن رواته وصمة الحصر (أما بعد) فالعلوم شتى وغورها بعيد* والسعيد كل السعيد من طاب له موردها العذب الفريد* وأجلُها علوم الشريعة التفسير والفقه والحديث* كما أجمع عليه من العلماء القديم والحديث* إذ بها نجاتنا في الدنيا والآخرة* وهي ضياء قلوبنا ومِنّتنا الفاخرة* والتفسير والفقه لا يتمان إلا برواية الحديث النبوي* لأنه مفصِّل لمجملهما* وموضح لمشكلهما ومقيد لمطلقهما* فلا يتم الخوض فيهما إلا بذلك الدر المعتوي، ولم تزل أكابر العلماء يبذلون المهج الحُجج بعد الحجج* ويقتحمون النَّهَج أو خوض اللجج* لاقتناص شوارد ذلك البَلجَ* ولتصفية مادبَّ منه وما درج* حتى أصبحت السنة المحمدية* بيضاء نقية* خالصة سائغة للشاربين طيبة بهية* ولم تزل خيار الناس من الأوائل والأواخر يتبركون بسلسلة إسناد

حديث النبي الفاخر* ويزاحمون بالركب لأهل المحابر* ولما كان الأمر هكذا طلب منا نور السلالة الهاشمية* ومصباح السلسلة الفاطمية* الرفيع العماد* الشامخ الأوتاد* غطريف الجحافل وبهجة المحافل* صاحب المجد الأثيل* محمود السيادة الهمام الجليل* الذي سارت الركبان بحديث صفات بيته الفاخر* وطار صيته في الخافقين حتى صار مثلاً، وحدّث عن البحر الزاخر* صاحب التآليف العديدة الفريدة* والتصانيف المفيدة* لو لم يكن منها إلا ردُّ المحتار* ومنحة الخالق ونسمات الأسحار التي عم نفعها الأقطار* وجاءت أوفى كتب الفقه نفعاً* وأحصاها فرعاً* وعرف الكل فضل منشيها وعلوَّ همته وتمنى معاصروه الفوز بخدمته* ألا وهو العَلَم* كنار على عَلَم لا يمتري في سودده اثنان* وما لمدّعي الخُلْف يدان* عزيز مصره وفريد دهره* علامة المعقول والمنقول* المستخرج بغواص فكره مايعجز عنه الفحول* غرة الزمان* وبهجة العرفان* المصباح المنير والكوكب الشهير والروض النضير* السيد الأسد ابن الأسود بلا نكير* السيد محمد أمين* ابن المرحوم السيد الشريف عمر عابدين لا برح رفيع العماد محفوظاً من كل مايشين، إجازة ماتصح لنا روايته أو تنسب إلينا درايته* سيما ما تضمنته هذه الوريقات من مشاهير الكتب الحديثية المعوَّل عليها عند الأثبات، فأقول أجزته بجمع مروياتي تبركاً بها وبسلاسلها* كي يرد أعذب مناهلها* وأبحت له الرواية عني في ذلك* بشرطه المعتبر عند كل سالك* كما أن المجاز[1] لي بمثل ذلك أباح وأجاز* وإن كنت لست أهلاً لأن أجيز أو أُجاز والله سبحانه يرفع عماده مادامت السموات والأرض* ويحرسه وأهله ماتعاقب الملوان من رتبة الخفض* وأسأله الدعاء لي بالتوفيق التام وحسن الختام* والصلاة والسلام على سيد الأنام*

---

(١) قلت: هكذا وجدتها في الثبت ص٢٢٣ وما بعدها، وإن كان الصواب في أغلب الظن أنها (المجيز) وليست (المجاز) بقرينة السياق والسباق والله أعلم.

وعلى آله وأصحابه الأعلام* ماطاب البدء وحسن الاختتام* قاله بفمه ورقمه بقلمه أضعف العباد خالد النقشبندي[1] في ١٣ رمضان سنة /١٢٤١/هـ.

(١٠)

إجازة الشيخ محمد عبد الرسول الهندي لابن عابدين:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بحمده يرفع عن القلب حجاب الغين* والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هو نور كل عين، وعلى آله وصحبه الذين تسلسلت من آثارهم عين بعد عين[2]* أما بعد فهذه زهرة نيِّرة بين فرقدين* طالعهما سعيد* ومنهجهما حميد* أحدهما قمر والآخر عين[3]* طلعا في سماء السيادة مبرئين من كل وصمة وشين* محتدهما عريق وأساسهما على التقوى لا مرية في ذلك ولا مين* فرعي الشجرة الزكية العابدينية الطيبة بين المشرقين والمغربين العالمين العاملين الفاضلين* الهمامين الجليلين الكاملين* الحسيبين النسيبين الشابين الشبلين* بهجتي الديار الشامية ونور الغوطة والنيرين محط رحال الفضل والشرف والسؤدد، سليليْ سيد الكونين* السيد محمد أمين أفندي والسيد عبد

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((ومنهم الشيخ الإمام* والعلامة الهمام* شيخ أهل الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة* العالم العامل* والمرشد الكامل شيخ أهل زمانه* وعلامة وقته وأوانه* من اشتهر بالعلم والتقى والصلاح والورع والولاية والفلاح* الجامع بين علمي الظاهر والباطن ضياء الدين سيدنا ومولانا الشيخ خالد النقشبندي العثماني المجددي قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه وأعاد علينا من بركاته المتصل نسبه الشريف بسيدنا عثمان ذي النورين رضي الله تعالى عنه وصورة ماكتبه له على ظهر ثبت المجيز)) اهـ. ر:الثبت ص/٢٢٤ و٢٢٥ و٢٢٦.

(٢) (عين) هنا؛ بمعنى: الماء.

(٣) (عين) هنا؛ بمعنى: الشمس.

الغني أفندي في فلك السعد نيِّرَيْن* ولدي عمـدة السـادة الأشـراف* خلاصـة آل عبد مناف* مولانا السيد عمر أفندي عـابدين* حفظهمـا الملـك المعـين* نخبـة آل البيت سادات الفريقين* استدعياني أن أكتب لهما إجازة على وجه التبرك وقاهما الله تعالى من سهم العين* فبلّغتهما قصدهما وأجزتهما بمروياتي التي أرويهـا عـن زين بعد زين* أعاد الله تعـالى عليهمـا بركـة جدهمـا المصطفـى سيد الخـافقين* وصانهما في كهف والدهما المتوج بتاج أبي السـبطين* كـل ذلـك بشـرطه عنـد أهله وأنا محمد عبد الرسول خادم سنة النبي الهين اللـين في شـعبان سـنة /١٢٣٥/ كذا بخط المجيز[١].

(١١)

إجازة الشيخ صالح الفُلاّني لابن عابدين:

الحمد لله وحده، وسلام علـى عبـاده الذيـن اصطفـى، أقـول قـد أجـزت سيدي الشـيخ صـالح ابـن الشـيخ حيـدر الكـردي وولديـه عبـد الله وعبـد الغـني والفـاضل النبيـل ذا المجد الأثيـل السـيد محمـد بـن السـيد عمـر عـابدين الحسـيني الدمشقي جميع ما يصح روايته من الكتب الستة ومسند أحمد وغيرها بأسانيد مـن أعلاها عن شيخنا محمد بن سِنّة (بكسر السين وتشديد النون المفتوحة) المعمر مئة وخمسين سنة عن مولاي الشـريف محمـد بـن عبـد الله عـن محمـد بـن أركمـاش الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، بأسانيده المشهورة في الفهارس قاله بفمه

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين: ((ومنهم العالِمُ العلامة المحدِّث الصـوفي صـاحب الكرامـات الشيخ محمد عبد الرسول النقشبندي أحد علماء الهند وصلحائها المشاهير وخليفة المرشد الكامل الشيخ الدّهلوي وقد استجازه هو وشقيقه السيد عبـد الغـني فأجازهمـا وكتـب لهما ماصورته)) اهـ. ر: الثبت ص/٢٢٦ وما بعدها.

ورقمه بقلمه الفقير الجاني صالح بن محمد الفُلاّني العمري عافاه الله تعالى سنة ١٢١٧/ هـ. إلى هنا آخر كلامه[1].

(١٢)

وثيقة ثبوت إجازة من الشيخ هبة الله البعلي التاجي لابن عابدين:

قال الشيخ أبو الخير عابدين مايلي:

(ومنهم) العالِم العلامة المحقق الفقيه الشيخ هبة الله البعلي شارح الأشباه والنظائر، وهو عن الشيخ صالح الجنيني، وسنده مذكور في هذا الثبت وفي أول حاشية سيدي المجاز على الدر وكتب له إجازة لم أظفر بها الآن[2].

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين مايلي نقلاً عن ابن عابدين الكبير: ((ورأيت بخط سيدي المجاز ماصورته: ((بسم الله الرحمن الرحيم ومن مشايخي عالم المدينة الشيخ صالح الفلاني العمري فإنه لما ذهب الحاج الشريف أوصيت الشيخ صالح الحيدري أن يطلب لي الإجازة منه فذهب إليه فوجده مريضاً فكتب لـه)) اهـ. ر: الثبت ص/٢٢٧ وما بعدها.

(٢) في أول الإجازات ذكر الشيخ أبو الخير عابدين رحمه الله هـذه العبارة التالية: (يقول الفقير محمد أبو الخير عابدين مصحح هذه الطبعة البهية إن المرحوم سيدي العم مؤلف هذا الثبت قد أخذ عن مشايخ معتبرين وأفاضل محققين وقد ظفرتُ بإجازات لـه منهم أحببت سرد أسمائهم مع صور الإجازات التي ظفرت بها لمناسبة لا تخفى، ولتكون كالثبت لأسانيد سيدي المذكور.. وقد أخذ عن مشايخ معتبرين غير هؤلاء، وهنا ما ظفرت به الآن) ر: الثبت ص٢٢٩. قلت: كل هذه الوثائق في ثبت عقود اللآلي هي من جمع الشيخ أبي الخير عابدين رحمه الله من ص٢١٢ إلى ص٢٢٩. اهـ.

وثيقة إثبات إجازة الشيخ عبد الملك القلعي المكي:

قال الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في كتاب ((فهرس الفهارس والأثبات)) مانصه:

(وأخذ بالمكاتبة... وعن عبد الملك القلعي المكي، وإن كان ثبته الذي جمع له لم يشتمل على إجازة الأخير مع أنها مثبوتة في ثبت الشيخ أبي النصر الدمشقي[1].

ب ـ الإجازات الشفهية:

١ ـ إجازة الشيخ محمد سعيد الحموي لابن عابدين:

إجازة بقراءة بعض السور من الكتاب العزيز.

(وكتب سيدي المجاز بعدها بخطه الشريف ماصورته):

((وأجازني سيدي المجيز المذكور والشيخ محمد سعيد الحموي بقراءة سورة يس والواقعة وتَبارك وألم نشرح وبسورة القدروالزلزلة وألهاكم والفيل إلى الناس والفاتحة في كل ليلة وقال أمرني أشياخي بقراءتها كذلك وإهداء ثوابها لأرواحهم رحمهم الله تعالى))[2].

---

(١) ر: فهرس الفهارس والأثبات والمشيخة ص٢١٦ و٢١٧/ج٢.

(٢) هذه ترجمة موجزة للشيخ محمد سعيد الحموي بخط ابن عابدين موجودة بعد نص الإجازة السابق هذه:

(أخبرني سيدي المجيز أطال الله تعالى بقاه أن من أشياخه الشيخ حسن الحموي بن كلدمة والشيخ منصور الحلبي الخلوتي وأبو الطيب المغربي المدني والشيخ صالح الجنيني والشيخ عبد الرحمن العيدروس والشيخ أحمد الملّوي والشيخ محمد الحفني والشيخ أحمد الجوهري والشيخ عمر الزاهد الدمياطي والشيخ حسن الرشيدي والشيخ عبد الله

يتبع ⇐

٢ ـ إجازات الشمس الكزبري لابن عابدين:

آ ـ **الإجازة الأولى**: بصحيح البخاري وبالكتب الستة:

(ورأيت بخط سيدي المجاز في آخر ثبت المجيز رحمهما الله تعالى ماصورته):

(وحضرت على حضرة سيدي صاحب هذا الثبت في درس تحت القبة في صحيح البخاري من باب الأذان في سنة /١٢١٥/ رزقنا الله تعالى إكماله عليه آمين* وقد صدرت منه إجازة للحاضرين وكنت من جملتهم ولله الحمد والمنة، وذلك في سبع وعشرين من رمضان يوم الختم في سنة ١٢١٧ وصورتها/ أجزت ساداتنا الحاضرين بهذا الصحيح وبالكتب الستة ـ أو قال بالسنن ـ شك مني ـ وبكل ماتجوز لي روايته من كتب الحديث/).

ب ـ **الإجازة الثانية**: بصحيح مسلم

(وفي نهار الإثنين الثامن من ذي القعدة سنة /١٢٢٠/ حضرته في ختم صحيح الإمام مسلم في داره في محلة الشاغور وأجاز الحاضرين ولجميع المسلمين وكان أناس كثيرون وصنع لهم في ذلك اليوم ضيافة جزاه الله تعالى خيراً انتهى).

⇒

الحواط الحموي والشيخ فرج الحموي والشيخ يوسف الفقيه والشيخ عمر الكردي وعلي أفندي الداغستاني والشيخ محمد التافلاتي المغربي.

وأخبرني أن مولده سنة /١١٤٥/هـ وأنه قدم دمشق واستوطنها سنة /١١٦٨/هـ وأخبرني أن شيخه الشيخ حسن الحموي الشهير بابن كديمة (مصغراً) كان يقرأ في كل يوم دلائل الخيرات عشر مرات رحمه الله تعالى وأخذ عن الشيخ عبد الغني النابلسي ومحمد حياة السندي، توفي شيخنا المذكور ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في خامس عشر ذي الحجة الحرام سنة ١٢٣٦ عن أحد ـ كذا ـ وثمانين سنة. انتهى). اهـ.

ر: الثبت ص/٢٢١/ وما بعدها.

جـ ـ الإجازة الثالثة: بدلائل الخيرات

(ورأيت بخطه أيضاً) (أجازني بدلائل الخيرات شيخي وأستاذي الشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن شيخه الشيخ إسماعيل الجراحي العجلوني عن شيخه الشيخ أحمد النخلي عن المحجوب عن والده عن جده عن والد جده عن مؤلفها رحمه الله تعالى آمين الفقير محمد بن عمر عابدين انتهى)(١).

د ـ الإجازة الرابعة العامة: بالأربعين العجلونية وبسائر المرويات من الآثار.

(ثم في تاريخ ٢٧ من صفر سنة /١٢١٨/ جاء رجل من الأتراك يانبوي ـ كذا ـ اسمه فيض الله أفندي وأسمعه رسالة للشيخ إسمعيل العجلوني جمع فيها أربعين حديثاً من أربعين كتاباً من أول كل كتاب حديثاً واحداً وأنا أسمع وبيدي نسخة هذه الرسالة فقرأها في يومين ثم في اليوم الثاني وهو يوم الختم أجازه والحاضرين وكنت من جملتهم وصورتها: ((أجزتك والحاضرين بما تضمنته هذه الرسالة وبما تجوز لي روايته بشرطه المعتبر عند أهل الأثر)) وقبل البداءة بالقراءة أسمعنا حديث الأولية ومن جملة مافي الرسالة الحديث المسلسل بالمشابكة نقله عن جياد المسلسلات للحافظ السيوطي، وقد شبَّك الشيخ بيدي حفظه الله وأبقاه* وكل الأسواء وقاه* وأنعم أيامه* وأحسن ختامه آمين) (وكتب على ظهر نسخته الأربعين العجلونية ماصورته):

(حضرت في هذه الرسالة على جناب الإمام المحدِّث الشهير والعالم الكبير سيدي محمد الكزبري مدرس الحديث تحت قبة النسر بقراءة رجل من الأتراك يانوى ـ كذا ـ اسمه فيض الله من أولها إلى آخرها في ثلاثة مجالس وكان قد أسمعنا

---

(١) الثبت ص٢١٧ وما بعدها.

قبل القراءة حديث الأولية وعند تمامها أجازنا إجازة عامة وصورتها (أجزتك والحاضرين بما تضمنته هذه الرسالة وبما تجوز لي روايته بشرطه المعتبر عند أهل الأثر) وذلك في اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة /١٢١٨/ والحمد لله رب العالمين حرره الفقير محمد أمين بن عمر عابدين غفر له).

٣ ـ إجازة الشيخ محمد نجيب القلعي/ الشهير بقنبازو/ لابن عابدين:

إجازة عامة بحديث الأولية وبسائر المرويات من الآثار:

قال الشيخ أبو الخير عابدين: (ومنهم الشيخ الإمام الفقيه السيد محمد نجيب ابن أحمد القلعي الشهير بابن قنبازو، وقد رأيت بخطه رحمه الله تعالى أنه ذهب مع شيخه الشيخ شاكر لزيارة الشيخ المذكور نهار الأحد يوم عيد الفطر سنة /١٢٢٠/هـ فاستجازه له شيخه فأسمعه حديث الأولية وأجازه به وبكل ماتجوز له روايته وللحاضرين، وكان من جملتهم الشيخ سعيد الحلبي والسيد محمد بن الشيخ محمد العاني والشيخ سليم بن العمري)[(١)].

حـ ـ سماع الأربعين العجلونية من الشهاب أحمد العطار وإكمالها على الشيخ شاكر العقاد:

جاء في كلام الشيخ أبو الخير عابدين رحمه الله (ورأيت بخط سيدي المجاز العم رحمه الله تعالى على ظهر الرسالة العجلونية ماصورته):

(وسمعت مما في ضمن هذه الرسالة ثلاثين حديثاً من شيخنا العالم النحرير والناقد البصير* شيخ أهل الشام وبركة الأنام* الشايع ذكره في القرى والأمصار* الشيخ أحمد العطار* إمام الشافعية في جامع بني أمية* ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى ولم يكمله فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإنا لله وإنا إليه راجعون،

---

(١) ر: الثبت ص/٢٢٩/ وما بعدها؛ أسفل الصفحة.

وذلك في ربيع الأول سنة /١٢١٨/ وكانت وفاته رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة التي يسفر صباحها عن اليوم العاشر من ربيع الثاني حرره الفقير محمد عابدين عُفي عنه آمين). ثم قال: (وقد سمعت تمام هذه الرسالة من الحديث الواحد والثلاثين إلى الآخر على جناب شيخنا الشيخ شاكر العقاد بن سالم العمري حفظه الله تعالى وأطال بقاه بجاه رسله وأنبياه عليهم الصلاة والسلام وذلك في نهار الأحد السادس عشر من شوال سنة /١٢١٨/)(١).

المطلب الرابع: أهم الأسانيد العلمية لابن عابدين:

ثبت ابن عابدين الذي جمعه لشيخه العقاد المسمى بـ(عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) مليء بالأسانيد في مختلف العلوم والفنون، ولعل أهم صفة بارزة لابن عابدين الفقه الحنفي، فقد اخترت إسناده فيه، ثم اخترت إسناده في بعض كتب المذهب لاسيما التنوير والدر، لأنهما الكتابان اللذان دارت حولهما (حاشية رد المحتار)، ثم اخترت سند ابن عابدين إلى رسول الله ﷺ في صحيح البخاري لأنه أعلى أسانيده على الإطلاق، بل أعلى إسناد على ظهر الأرض، ثم ذيلت ذلك بإسناد ابن عابدين بكتب الحديث كالكتب الستة وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد وغيرها عن شيخه الفلاني، فهذه أهم أسانيده فيما أعلم، ومن أراد التوسع فليرجع إلى الثبت المذكور يجد بغيته هناك...

---

(١) ر: الثبت ص/٢١٩/ وما بعدها.

(١)

الإسناد الأول: في الفقه الحنفي:

جاء في قول ابن عابدين الكبير - رحمه الله - فيما يرويه عن شيخه العقاد (في ذكر سند سيدي في الفقه على مذهب سيدنا الإمام الأعظم* والمجتهد الأفخم الأقدم* سيد المجتهدين* وسند السادة المحققين* من اشتهر فضله في الخافقين* وقُبل مذهبه على الرأس والعين* محيي سنة سيد المرسلين* وناشر لوائها إلى يوم الدين* الذي أقر بفضله وأسبقيته المجتهدون* واتّبعه واقتدى به الأئمة المعتبرون* من سائر الناس عوّلوا عليه* ولولاه متقدماً في الاجتهاد لما عرفوا الطريق إليه كما ذكر ذلك الإمام الرئيس الشافعي ابن إدريس ونص عليه* سيدنا وبركتنا* وملاذنا وعمدتنا* العظيم الشأن* أبو حنيفة النعمان* رحمه الله تعالى ونفعنا والمسلمين به* وأماتنا على حبه آمين (يرويه) سيدي من طرق متنوعة* بأسانيد متفرعة* عُلِم كثير منها مما تقدم من سند الحديث المسلسل بالحنفية* وسند مسند الإمام وأسانيد الكتب الحنفية* فإن من المعلوم أن لكل مصنّف منهم سنداً متصلاً بالإمام، ولكن لابأس بإيراد سند مخصوص بفقه الإمام الأعظم جميعه تتميماً للفائدة (فأقول) قد تفقه سيدي، وأخذ الفقه عن الإمامين الجليلين* العالِمين العامِلَيْن* خادمي الشريعة المطهرة* وناشري راياتها المنورة* الشيخ الإمام والحَبر البحر الهمام خاتمة الفقهاء في عصره* ومرجع الأنام في مصره* المتضلع من معقول العلوم ومنقولها* وفروعها وأصولها* المنلا علي بن محمد بن سالم الحنفي النقشبندي التركماني أمين الفتوى بدمشق (و) الشيخ الإمام العلامة* والدراكة الفهامة وحيد زمانه* وفريد عصره وأوانه* الإمام الورع التقي* والعالم العابد التقي الشيخ مصطفى زين الدين أبي البركات ابن محمد رحمة الله الأيوبي الشهير بالرحمتي (و) أخذه أيضاً عن الإمام العلامة المحقق والفهامة المدقق الفقيه الفلكي الشيخ إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الغزي الشهير بالصايحاني أمين الفتوى بدمشق (فأما الأول) فأخذه عن مشايخ

كثيرين منهم الإمام العالم العلامة الماهر الجامع بين علمي الباطن والظاهر صاحب الفيض القدسي سيدي عبد الغني النابلسي شارح المحبية، وهو يرويه عن مشايخ كثيرين منهم والده العلامة الفقيه الشيخ إسماعيل النابلسي شارح الدرر والغرر، وهو يرويه عن الشيخين العالمين العمدتين: الشيخ أحمد الشوبري والشيخ حسن الشرنبلالي صاحب الحاشية على الدرر برواية الأول عن مشايخ الإسلام الشيخ عمر بن نجيم مؤلف النهر الفائق شرح كنز الدقائق والشمس الحانوتي صاحب الفتاوى والشيخ علي المقدسي شارح نظم الكنز، ورواية الثاني عن مشايخ الإسلام والشيخ عبد الله النحريري والشيخ محمد بن الشيخ عبد الرحمن المسيري والشيخ محمد بن أحمد الحموي، والشيخ محمد المحبي برواية كل واحد من مشايخ هذين الشيخين المذكورين عن الشيخ أحمد بن يونس الشلبي صاحب الفتاوى وهو عن السري عبد البر ابن الشحنة شارح الوهبانية وهو عن الكمال بن الهمام صاحب فتح القدير شرح الهداية وهو عن السراج قاري الهداية وهو عن الشيخ علاء الدين السيرامي وهو عن السيد جلال الدين شارح الهداية وهو عن الشيخ عبد العزيز صاحب الكشف والتحقيق وهو عن الشيخ جلال الدين الكبير وهو عن الإمام عبد الستار الكَرْدَري وهو عن الشيخ الإمام برهان الدين علي صاحب الهداية وهو عن فخر الإسلام البزدوي وهو عن السرخسي وهو عن شمس الأئمة الحلواني وهو عن القاضي أبي علي النسفي وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل البخاري وهو عن أبيه وهو عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني (ح)[1] ويروي سيدي العارف عبد الغني النابلسي عن السيد الحسيب النسيب السيد محمد النقيب ابن حمزة وهو عن محمد بن منصور بن المحب عن الخطيب محمد البهنسي

---

(١) هذه الإشارة (ح) تشير إلى اصطلاح (حَوِّلْ) أو (تحويل في علم أصول الحديث وهو رمز إلى الانتقال من إسناد إلى إسناد حين يكون للحديث إسنادان وجمعوا بينهما في متن واحد. ر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للحافظ السيوطي ج٢/٨٨.

عن الشمس محمد بن طولون عن محمد بن محمد بن منيع عن الزين قاسم بن قطلوبغا عن أحمد بن عثمان الكلوتاني عن محمد بن علي بن ضرغام عن عبد الله ابن حجاج الكاشغري عن الحسام حسين بن علي السُغْناقي عن محمد بن محمد بن نصر البخاري عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري، عن البرهان علي ابن أبي بكر المرغيناني عن التاج أحمد بن عبد العزيز بن عمر عن شمس الإسلام أبي بكر محمد بن علي الزرنجري عن شمس الأئمة الحلواني عن الحسين بن خضر النسفي عن إسحق بن محمد المهلّبي، عن عبد الله بن محمد الحارثي عن عبد الرحمن بن محمد السحناني عن إسمعيل بن توبة القزويني عن الإمام محمد (وأما الثاني) فعن كثيرين أيضاً (منهم) الشيخ الهمام النبيه* والعالم الإمام الفقيه* وحيد دهره* الشيخ صالح بن إبراهيم بن سليمان الجينيني وهو عن والده المذكور عن شيخ الفتيا في زمانه الشيخ خير الدين الرملي عن شيخه محمد بن محمد سراج الدين الحانوتي وهو يرويه عن والده المذكور ووالده عن العلامة محب الدين بن جرباش وهو يرويه عن أبي الخير محمد ابن محمد الرومي عن المجد أبي الفتح محمد ابن محمد الحريري عن والده عن القِوَام أمير كاتب بن عمر الإتقاني عن السُغناقي عن صاحب الكنز النسفي عن شمس الأئمة الكردري عن الإمام قاضي خان عن ظهير الدين المرغيناني عن برهان الدين الكبير ومحمود بن عبد العزيز الأوزجندي وهما أخذا عن شمس الأئمة السرخسي عن الحلواني عن القاضي أبي علي النسفي عن أبي بكر محمد بن الفضل عن الأستاذ أبي عبد الله السبَذموني (بالباء المفتوحة الموحدة والذال المعجمة الساكنة) عن أبي عبد الله بن أبي حفص الكبير عن أبيه أبي حفص عن الإمام محمد بن الحسن (وأما الثالث) فعن مشايخ كثيرين أيضاً من أجلّهم الشيخ سليمان المنصوري عن الشيخ عبد الحي الشرنبلالي عن الشيخ حسن الشرنبلالي (ومنهم) السيد محمد أبو السعود محشي مسكين عن أبيه عن الشيخ شاهين عن الشيخ حسن الشرنبلالي ومنهم الشيخ حسن المقدسي عن الإسقاطي عن الشيخ عبد الحي عن الشرنبلالي بسنده السابق إلى الإمام محمد بن الحسن عن

الإمام الأعظم والمجتهد الأقدم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي عن حماد عن إبراهيم النَّخَعيّ عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عن أفضل خلق الله تعالى أجمعين محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم إلى يوم الدين وهو عن أفضل الملائكة جبريل الأمين وجبريل بما يُوحي إليه ربُّ العالمين فيرجع الأمر إليه سبحانه وتعالى جعلنا بمَنّه وجوده من الفائزين وغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا أجمعين آمين)[1].

(٢)

الإسناد الثاني: في كتابي التنوير والدر المختار:

آ ـ إسناد ابن عابدين في التنوير:

يرويه ابن عابدين عن شيخه العقاد عن الشيخ علي التركماني عن الشيخ عبد الرحمن المجلّد عن الشيخ علاء الدين الحصكفي عن الشيخ عبد النبي بن عبد القادر الأزهري الحنفي عن الشيخ محمد بن عبد الله التُمُرتاشي الغزي المصنّف وكذلك بهذا الإسناد يروي كلَّ مصنفات التمرتاشي كمَنْح الغفار على التنوير.

ب ـ إسناد ابن عابدين في الدر المختار:

يرويه ابن عابدين وجميع مصنفات الحصكفي كشرحيه على التنوير وعلى الملتقى وشرحه على المنار عن شيخه العقاد عن الشيخ علي التركماني عن الشيخ عبد الرحمن المجلد عن الشارح المذكور[2].

---

(١) ر: الثبت ص/١٥٣ وما بعدها إلى ص/١٥٦.

(٢) ر: الثبت /١٤٣.

(٣)

الإسناد الثالث: /أعلى إسناد على ظهر الأرض/ في صحيح البخاري[١]:

(يروي ابن عابدين ـ رحمه الله ـ صحيح الإمام البخاري عن الشيخ صالح الفُلاّني عن (ابن ٢ سِنّه) عن (أبي الوفا محمد ٣ ابن العجل) عن (النهروالي ٤) عن (أبي الفتوح ٥ أحمد) عن (الهروي ٦) عن (محمد شاديخت ٧) عن (الختلاني ٨) عن (الفَرَبْري٩) عن إمام الحديث (١٠ البخاري) عن (الحافظ ١١ المكي) عن (يزيد ١٢ بن أبي عبيد التابعي) عن (سيدنا ١٣ سلمة بن الأكوع الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه) عن (حضرة سيدنا وسيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم).

(٤)

إسناد ابن عابدين لكتب الحديث:

جاء في كلام ابن عابدين الكبير عن طريق شيخه الفُلاني في الثبت مايلي (وأما تفصيل الأسانيد فمذكور في فهرستي المسماة بقطف الثمر في رفع أسانيد المصنّفات في الفنون والأثر)، فإن لم يُمكن له تحصيل الفهرست المذكور فليعلم (أني أخذت العلوم الشرعية* العلمية والعملية* وآلتها العقلية والنقلية أخذ دراية وتحقيق* وإتقان رواية وتدقيق* وإحكام وإتقان حسب الطاقة والإمكان* عن أئمة

---

(١) قال الشيخ أبو الخير عابدين في أول السند المذكور: ((ذكر السند تبركاً.. فإنه أعلا سند يوجد الآن على وجه الأرض فيما نعلم فإن بين سيدنا المؤلف وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة عشر واسطة بالنسبة لثلاثيات الإمام البخاري وهذا هو المرغوب عند المحدّثين وأما عند أهل الطرق والتلقين فإنهم يتبركون بزيادة الوسائط وكثرة عددهم كما أفادنيه بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى ورحمنا بهم آمين فأقول))اهـ.
ر: الثبت ص/٢٣١ وما بعدها.

أعلام* وجهابذة كرام* يضوع نشرهم* ويطول ذكرهم* بأسانيد هي في غاية الظهور والاشتهار كالشمس في رابعة النهار* فأكبرهم سناً وعلماً* وأوسعهم حفظاً وفهماً شيخنا الإمام الشهير* الصدر الكبير* خاتمة الحفاظ الأعلام والمرجع عند التباس الأوهام بالأفهام* بغية الدالج والساري* ونهاية أمل الراوي والقاري* محمد بن محمد بن سنة العمري طيب الله بعوارف الحسنى تُربَتَه* وأعلى في فراديس المقر الأسنى رتبته* أروي عنه صحيح البخاري قراءة بحث وتحقيق بإجازته عن المعمر أبي الوفا محمد بن محمد بن العَجِل (بكسر الجيم) عن مفتي مكة قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي عن الحافظ نور الدين أبي الفتوح أحمد ابن عبد الله الطاوسي عن المعمر بابا يوسف الهروي المشهور /بسيصه ساله/ أي المعمَّر ثلاثمئة سنة عن محمد بن شاديخت الفارسي الفرغاني بسماعه لجميعه عن أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل الختلاني المعمَّر مئة وثلاثة وأربعين وقد سمعه جميعه عن محمد بن يوسف الفربري عن مؤلفه أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري، فيقع لي ثلاثياته باثني عشر وباعتبار العدد فكأني سمعته من الحافظ ابن حجر وكأن شيخنا محمداً سمعه من التنوخي وبين وفاتيهما ثلاثمئة وستة وثمانون لأن التنوخي توفي سنة ثمانمئة وشيخنا توفي عام ستة وثمانين ومئة وألف، وبهذا السند بعينه أروي موطأ مالك إلى أبي لقمان الختلاني عن أبي إسحق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي عن أبي مصعب عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس فيقع لي ثنائياته باثني عشر، وأروي جميع كلٍّ من الكتب الستة ومسند أحمد وغيرها، ومابين قراءة وإجازة من شيخنا محمد المذكورابن سنة عن محمد بن عبد الله الشريف بإجازته من محمد بن أركماش الحنفي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني،وبهذا السند أروي المسلسل بالأولية وقد سمعه مني السيد المذكور (قاله بفمه ورقمه بقلمه فَجِلاً عجلاً الفقير إلى مولاه الغني صالح بن محمد المسوفي العمري الشهير بالفلاني وقاه الله شر نفسه وجعل يومه

خيراً من أمسه لسبع خلون من المحرم افتتاح عام خمسة عشر ومئتين وألف من هجرة من له دوام العز والشرف). انتهى[1].



(١) جاء في قول ابن عابدين الكبير في أول هذا السنة: ((* وقد أجاز أي الشيخ صالح الفلاني لصاحبنا السيد محمد سعيد الأسطواني إجازة حين حج وكتب له من بعض أسانيد زيادة على ماهنا وهي قوله))اهـ. ر: الثبت ص/٢٢٨ وما بعدها.

المبحث الرابع

تلاميذ ابن عابدين

تلاميذ ابن عابدين كثيرون، وكلهم من الأكابر والعلماء والأعيان وصدور الناس، فمنهم من تخرَّج به وانتفع، ومنهم من قرأ عليه وسمع منه فقط، ومنهم من استجازه فأُجيز منه، ولا يمكن استقصاؤهم في ديوان جامع، لكني سأذكر أبرزهم وأجلّهم، وأكثرهم ذكره صاحبُ التكملة والآخرون ذكرهم غيره، وهم أصناف من المجتمع الدمشقي، فمنهم المفتي ومنهم أمين الفتوى ومنهم القاضي ومنهم شيخ الإسلام ومنهم الوجهاء والأعيان، ومنهم التلامذة المتخرِّجون، وإليك ثبتاً بأسمائهم وأهم أعمالهم مع ذكر من تخرَّج بالمترجَم أو قرأ عليه وانتفع به:

آ ـ التلامذة المتخرجون بابن عابدين (مع حفظ الألقاب):

١ ـ عبد الغني بن عابدين: العلامة الفقيه الصوفي، أخو المترجَم، تخرَّج بالمترجَم وحصل منه على إجازة.

٢ ـ أحمد بن عبد الغني عابدين: أمين الفتوى بدمشق، ابن أخي المترجَم، تخرَّج به وحصل منه على إجازة وبه انتفع.

٣ ـ صالح بن حسن عابدين: ابن ابن عمه، تخرَّج به.

٤ ـ محمد جابي زاده[1]: قاضي المدينة المنورة، وصاحب الوجاهة والمنصب الرفيع، أخذ عنه سائر العلوم وبه انتفع.

٥ ـ يحيى السردست: أحد أفاضل الصوفية[2] الفقهاء، عنه أخذ وبه انتفع وعليه تخرَّج.

---

(١) هو أحد أصحاب النيشان المجيدي العالي وباية إستانبول كما وصفه السيد علاء الدين في أول التكملة.

(٢) وصفه السيد علاء الدين بفقيه النفس. اهـ. التكملة.

٦ ـ عبد الغني الغنيمي الميداني[١] شارح القدوري وعقيدة الطحاوي، عنه أخذ وبه انتفع وعليه تخرَّج.

٧ ـ حسن البيطار: من علماء دمشق، عليه تخرج في المذهب الحنفي (وقرأ بخاصة عليه العقود الدرية).

٨ ـ محمد بن حسن البيطار: ولد المتقدم وأمين الفتوى بدمشق، عليه تخرَّج وبه انتفع.

٩ ـ أحمد الإسلامبولي: محشِّي الدرر، عنه أخذ وبه انتفع وعليه تخرَّج.

١٠ ـ حسين الرسَّامة: فرضي دمشق ورئيس حُسَّابها: عنه أخذ وبه انتفع وعليه تخرج.

١١ ـ يوسف بدر الدين المغربي[٢]: من علماء دمشق ووجهائها، عنه أخذ وبه انتفع وعليه تخرج.

١٢ ـ عبد القادر الخلاصي: من علماء دمشق وشارح الدرّ المختار والألفية، انتفع بالمترجم وأخذ عنه.

ب ـ التلامذة الآخذون عن ابن عابدين قراءة أو سماعاً فقط دون تخرج:

١ ـ عبد القادر الجابي: من علماء دمشق.

٢ ـ محمد الجقلي: من علماء دمشق.

٣ ـ محمد المنيّر: أحد أصحاب باية إزمير المجردة.

٤ ـ علي المرادي: مفتي الشام وعلاّمة كبير.

---

(١) وصفه السيد علاء الدين بفقيه العصر. اهـ. التكملة.

(٢) وصفه السيد علاء الدين بصاحب التآليف المفيدة والتصانيف النفيسة. اهـ. التكملة.

٥ ـ عبد الحليم ملاّ: قاضي الشام، وقاضي عسكر الأناضول، وعلاّمة كبير.

٦ ـ حسن بن خالد بك: من علماء دمشق.

٧ ـ محمد تلّو: من علماء دمشق.

٨ ـ محيي الدين اليافي: من علماء دمشق.

٩ ـ أحمد المحلاوي المصري: شيخ القراء في زمنه.

١٠ ـ عبد الرحمن الجمل المصري: من علماء مصر.

١١ ـ أيوب المصري: من علماء مصر.

١٢ ـ عبد الرزاق البغدادي ـ الملا: من علماء بغداد، من مشاهير علمائها وفضلائها.

١٣ ـ مصلح: قاضي جنين وأحد علمائها.

١٤ ـ أحمد البزري: قاضي صيدا وأحد علمائها.

١٥ ـ محمد البزري: مفتي صيدا وأخو المذكور آنفاً.

١٦ ـ محمد الأتاسي: مفتي حمص وأحد كبار علمائها.

١٧ ـ أمين الأتاسي: أمين فتوى حمص، وأخو المذكور آنفاً.

١٨ ـ أحمد سليمان الأروادي: من العلماء[١].

١٩ ـ عارف حكمة: شيخ الإسلام، أخذ عنه بالإجازة، استجازه فأجازه.

٢٠ ـ السيد علاء الدين بن عابدين: ابن المترجَم أخذ عن والده استجازه فأجازه.

٢١ ـ جمال بن عمر المكي.

٢٢ ـ عبد الرحمن الحفار الشافعي.

٢٣ ـ الشهاب الآلوسي ((محمود)).

---

(١) إلى هنا وعند الأروادي توقف السيد علاء الدين في التكملة، واكتفى بمن ذكرهم فقال: ((وغيره ممن يطول ذكرهم هنا ولا يحصى عددهم من أفاضل وأعيان فإنهم انتفعوا به وأخذوا عنه وعليه تخرجوا))اهـ. التكملة.

٢٤ ـ عمر بن أحمد العقاد[١] المعمَّر نزيل المدينة المنورة، أخذ عن ابن عابدين في الفقه والحديث.

٢٥ ـ محمد الحلواني: مفتي بيروت.

٢٦ ـ محمد بن سليمان بن محمد الجوخدار[٢]: الحنفي المتوفى سنة /١٢٩٧/هـ.



(١) ليس له إجازة خاصة من ابن عابدين، لكنه تتلمذ له في الفقه والحديث، ذكره الشيخ محمد عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس وقال إنه التقى به في المدينة المنورة. ر: فهرس الفهارس والأثبات ج٢/٢١٦ و٢١٧.

(٢) ذكره السيد محمد أديب الحصني في منتخبات التواريخ ج٢/ أقول: ((ومن العقاد والجوخدار إلى آخر العد لم يذكرهم السيد علاء الدين بل جمعتهم من مصادر مختلفة للذين ترجموا لابن عابدين اهـ.

الفصل الثاني

شخصية ابن عابدين العلمية

- ابن عابدين الفقيه.
- ابن عابدين الأصولي.
- ابن عابدين المشارك.

  التفسير ـ الحديث ـ العربية ـ الكتابة والشعر ـ التاريخ ـ الهيئة.
- آراء الكاتبين في ابن عابدين.

المبحث الأول

ابن عابدين الفقيه

قدّمنا في طالعة هذا البحث مايشفي الغلّة من التعريف بالفقه.

المطلب الأول : رتبة الفقاهة عند ابن عابدين :

حاز ابن عابدين رتبة الفقاهة بجدارة واستحقاق في كلا الاصطلاحين عند الفقهاء وعند الأصوليين، وإليك الدليل:

آ ـ أما عند الفقهاء:

فهذا أمر واضح جداً لكل باحث وحسبك دليلاً على فقاهته هذه تلك الشروح والحواشي والطرر والتقريرات التي كتبها، ومافيها من اعتراضات وتصحيحات وتذييلات ومناقشات وترجيحات لأقوال أئمة المذهب أو رواياتهم، مما يشهد بفقاهته النادرة، والمطالع لحاشية رد المحتار فقط يعرف معنى ماأقول. فكيف باقي تصنيفاته الفقهية التي زادت على الأربعين، كما سيأتي بيانها في فصل آثاره ودراستها.

ب ـ وأما عند الأصوليين:

فلقد شهدت أيام حياته مزيداً من النوازل والواقعات التي لم يوجد لها حل، ولم ترو فيها رواية ولا قول وعرضت على ابن عابدين بحكم وظيفته الرسمية (أمين الفتوى) ومكانته العلمية فأخذ بمبدأ الاجتهاد الجزئي وهو مايسمى (بالاجتهاد المذهبي) أي ضمن دائرة المذهب، وقد كان يقول به كما يقول به من قبله من فقهاء الحنفية المنصفين كيلا تتعطل الشريعة، وتخلو من حكم لله تعالى في واقعة لا نص على حكمها، فهو يقول: ((وإن لم يوجد منهم جواب ألبتة نصاً ينظر

المفتي ـ الفقيه ـ فيها نظر تأمل وتدبر واجتهاد ليجد فيها مايقرب إلى الخروج عن العهدة ولا يتكلم فيها جزافاً[1]...)) وهذه المرتبة تسمى في المذهب الحنفي (بالتخريج) كما مر معنا في أصول المذهب. وهي من مراتب الاجتهاد في المذهب، وهذه التخريجات موجودة عند ابن عابدين في حاشيته (رد المحتار) بعدد كثير، وفي مجموعة رسائله في أكثرها، بل إن جلها أوجده فيما يبدو المترجم لهذا الغرض. وسيأتي تفصيل آثار المترجم.

هذا، ولقد عُرف ابن عابدين عند المؤرخين وعلماء عصره ومن بعدهم بـ(صاحب الحاشية) وبـ(حجة المذهب الحنفي) وبـ(فقيه النفس) وبـ(إمام الحنفية في عصره) كل هذا لما وصل إليه من رتبة الفقاهة التي لم يصل إليها أحد في زمانه كما نعلم. ويظهر ذلك في تصانيفه الفقهية من كتاب ورسالة سوى الفتاوى التي حررها بيده مخطوطة في مكتبة آل عابدين، وأعظم ذلك كله حاشية رد المحتار على شرح الدر المختار التي سأتحدث عنها في باب قائم برأسه إن شاء الله تعالى:

أما تعداد كتبه ومصنفاته الفقهية فهاكه بإيجاز والتفصيل في مبحث آثاره:

١ ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار مطبوعة مع الدر مجردة.

٢ ـ حاشية منحة الخالق على البحر الرائق، مطبوعة بهامش البحر مجردة.

٣ ـ حاشية على شرح الملتقى للحصكفي، لم تجرّد و لم يعثر عليها.

٤ ـ حاشية على النهر الفائق، لم تجرد و لم يعثر عليها.

٥ ـ حاشية رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار (على حاشية الحلبي). مخطوطة في مكتبة آل عابدين.

٦ ـ العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، مطبوعة ومجردة منفردة.

٧ ـ نظم الكنز، لم يعثر عليه.

---

(١) ر: رد المحتار ج١ ص١٨ في أسفل الصفحة.

٨ ـ عقود رسم المفتي (شرح منظومته)، مطبوعة مع رسائله.

٩ ـ الفوائد المُخَصَّصة في أحكام كيِّ الحِمَّصة، مطبوعة مع رسائله.

١٠ـ شرح منهل الواردين من بحار الفيض على ذُخر المتأهلين في مسائل الحيض، مطبوعة مع رسائله.

١١ـ رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد وذيلها، مطبوعة مع رسائله.

١٢ـ تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام، مطبوعة مع رسائله.

١٣ـ شفاء العليل في حكم الوصية بالخَتْمات والتهاليل، مطبوعة مع رسائله.

١٤ـ تنبيه الغافل والوسنان في أحكام هلال رمضان، مطبوعة مع رسائله.

١٥ـ إتحاف الذكي النبيه في جواب مايقول الفقيه، مطبوعة مع رسائله.

١٦ـ الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة، مطبوعة مع رسائله.

١٧ـ تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول، مطبوعة مع رسائله.

١٨ـ رفع الانتقاض ودفع الاعتراض في قولهم (الأيْمان مبنية على الألفاظ لا على الأغراض). مطبوعة مع رسائله.

١٩ـ الأقوال النافعة الجلية في نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية. مطبوعة مع رسائله.

٢٠ـ العقود الدرية في قول الواقف (على الفريضة الشرعية)، مطبوعة مع رسائله.

٢١ـ غاية المَطْلَب في عَوْد النصيب للأقرب فالأقرب، مطبوعة مع رسائله.

٢٢ـ غاية البيان في أن وقف الإثنين على أنفسهما وقف لا وقفان. مطبوعة مع رسائله.

٢٣ـ تنبيه الرقود في مسائل النقود، مطبوعة مع رسائله.

٢٤ـ تحبير التحرير في بطلان القضاء بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تغرير. مطبوعة مع رسائله.

٢٥ـ تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام. مطبوعة مع رسائله.

٢٦- إعلام الأعلام بأحكام الإقرار العام، مطبوعة مع رسائله.

٢٧- تحرير العبارة فيمن هو الأَوْلى بالإجارة، مطبوعة مع رسائله.

٢٨- أجوبة مُحَقَّقة عن أسئلة مُفَرَّقة، مطبوعة مع رسائله.

٢٩- الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم (في الفرائض) مطبوعة مع رسائله.

٣٠- بغية الناسك في أدعية المناسك، مطبوعة مع رسائله.

وهناك قرابة مائة فتوى حرَّرها ابن عابدين بخطه موجودة في مكتبة آل عابدين، وقد رأيت قسماً منها هناك[١].

المطلب الثاني: نماذج فقهية:

آ) نموذج فقهي من عقود رسم المفتي:

(اعلم أن مسائل أصحابنا الحنفية على ثلاث طبقات (الأولى) مسائل الأصول وتسمى ظاهر الرواية أيضاً، وهي مسائل رويت عن أصحاب المذهب وهم أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى ويقال لهم العلماء الثلاثة، وقد يلحق بهم زفر والحسن وغيرهما ممن أخذ الفقه عن أبي حنيفة، لكن الغالب الشائع في ظاهر الرواية أن يكون قول الثلاثة أو قول بعضهم، ثم هذه المسائل التي تسمى بظاهر الرواية والأصول هي ماوجد في كتب محمد التي هي المبسوط والزيادات والجامع الصغير والسير الصغير والجامع الكبير والسير الكبير، وإنما

---

(١) جاء في المسموعات ما يلي: (عند الدكتور أبو اليسر قرابة مائة فتوى بخط ابن عابدين وبعض أوراق من شعره مع منهوات كثيرة على رد المحتار بخط ابن عابدين ذاته فيها علم كثير أقول: ((أخبرني سماحته بالفتاوى ورأيت بعض الشعر والمنهوات)) اهـ. ص٨ المسموعات.

سميت بظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد برواية الثقات فهي ثابتة عنه إما متواترة أو مشهورة عنه (الثانية) مسائل النوادر وهي مسائل مروية عن أصحاب المذهب المذكورين لكن لا في الكتب المذكورة، بل إما في كتب أخر لمحمد غيرها كالكيسانيات والهارونيات والجرجانيات والرقيات، وإنما قيل لها غير ظاهر الرواية لأنها لم ترو عن محمد بروايات ظاهرة ثابتة صحيحة كالكتب الأولى، وإما في كتب غير محمد ككتاب المجرد للحسن بن زياد وغيرها، ومنها كتب الأمالي لأبي يوسف، ـ والأمالي جمع إملاء وهو أن يقعد العالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس فيتكلم العالم بما فتحه الله تعالى عليه من ظهر قلبه في العلم وتكتبه التلامذة ثم يجمعون مايكتبونه فيصير كتاباً فيسمونه الإملاء والأمالي ـ وكان ذلك عادة السلف من الفقهاء والمحدِّثين وأهل العربية وغيرها في علومهم، فاندرست لذهاب العلم والعلماء وإلى الله المصير، وعلماء الشافعية يسمون مثله تعليقة ـ وإما بروايات مفردة مثل رواية ابن سماعة ومعلّى بن منصور وغيرهما في مسائل معينة (الثالثة) الفتاوى والواقعات وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لّما سئلوا عن ذلك و لم يجدوا فيها رواية عن أهل المذهب المتقدمين، وهم أصحاب أبي يوسف ومحمد وأصحاب أصحابهما وهلمّ جرّاً، وهم كثيرون، موضع معرفتهم كتب الطبقات لأصحابنا وكتب التواريخ)[1].

ب) نموذج فقهي من حاشية رد المحتار في (مطلب التداوي بالمحرَّم)

من مباحث باب المياه من كتاب الطهارة (قوله «اختلف في التداوي بالمحرّم» ففي النهاية عن الذخيرة يجوز إن علم فيه شفاء و لم يعلم دواء آخر، وفي الخانية في معنى قوله عليه الصلاة والسلام «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم

---

(١) مجموع الرسائل ج١٦/١ و١٧ من رسالة عقود رسم المفتي.

عليكم)) (١) كما رواه البخاري أن مافيه شفاء لابأس به كما يحل الخمر للعطشان في الضرورة وكذا اختاره صاحب الهداية في التجنيس فقال: ((لو رعف فكتب الفاتحة بالدم على جبهته وأنفه جاز للاستشفاء وبالبول أيضاً إن علم فيه شفاء لابأس به لكن لم ينقل، وهذا لأن الحرمة ساقطة عند الاستشفاء كحل الخمر والميتة للعطشان والجائع اهـ. من البحر. وأفاد سيدي عبد الغني (أنه لايظهر الاختلاف في كلامهم لاتفاقهم على الجواز للضرورة، واشتراط صاحب النهاية العلم لاينافيه اشتراط من بعده الشفاء، ولذا قال والدي في شرح الدرر: (إنّ قوله لاللتداوي محمول على المظنون وإلا فجوازه باليقيني اتفاقي كما صرح به في المصفّى)) اهـ. أقول: ((وهو ظاهرٌ موافقٌ لما مر في الاستدلال لقول الامام، لكن قد علمت أن قول الأطباء لا يحصل به العلم، والظاهر أن التجربة يحصل بها غلبة الظن دون اليقين إلا أن يريدوا بالعلم غلبة الظن وهو شائع في كلامهم تأمل))[٢]. ثم قال بعد أسطر: ((وقيل يرخص كما رخص في شرب الخمر للعطشان وأكل الميتة في المخمصة وهو الفتوى اهـ)).

---

(١) ((إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم)) صحيح رواه الطبراني في الكبير عن أم سلمة و ر: الجامع الصغير ج١/ص١٢١.

(٢) ر: حاشية رد المحتار: ج١/ص١٤٠.

المبحث الثاني

ابن عابدين الأصولي

المطلب الأول: التعريف بأصول الفقه:

(أصول الفقه هو القواعد التي يتوصَّل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة)[1] وموضوعه بالقوة: (الدليل السمعي من حيث يوصل العلم بأحواله إلى قدرة إثبات الأحكام لأفعال المكلفين)، والموضوع بالفعل في قضاياه (أنواع الدليل وأعراضه وأنواع تلك الأعراض)[2] وغايته (الوصول إلى استنباط الأحكام من الأدلة)[3] واستمداده (من جميع العلوم)[4].

---

(١) أصول الفقه للخضري ص/١٣.

(٢) المصدر السابق ص/١٤.

(٣) المصدر السابق ص/١٩.

(٤) المصدر السابق ص/١٦.

أقول: ((أما تعريف أصول الفقه: فالقاعدة هي قضية كلية تنطبق على جزئياتها عند تعرف أحكامها، وهذه القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة يخرج عنها القواعد التي يتوصل بها إلى حفظ الأحكام المستنبطة المختلف فيها بين الأئمة أو هدمها، وهي المسماة بعلم الخلاف وكذلك القواعد التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه شرعياً أولا وهي المسماة بعلم الجدل، وكيفية استعمال هذه القضايا في الاستنباط يرجع به إلى علم المنطق /مبحث القياس من مباحث الاستدلال اهـ. ر: أصول الخضري ص/١٣ و ١٤ وموضوعه بالقوة هو الدليل السمعي والحكم الشرعي والمكلف، أما الموضوع بالفعل في قضايا هذا العلم فهو أنواع: الدليل السمعي نحو خبر الواحد يفيد الظن وأعراض الدليل نحو: صيغة الأمر تقتضي الوجوب إذا لم يصرفها عنه صارف، وأنواع تلك الأعراض نحو: العام المخصوص حجة ظنية اهـ. أصول الخضري: ١٦.

المطلب الثاني : أصول الفقه عند ابن عابدين :

ابن عابدين الفقيه أشهر من ابن عابدين الأصولي، ولكن هذه الشهرة لم تمنع المترجم له من اشتغاله بهذا الفن حتى أنتج لنا كتباً فيه قيمة، والفقيه في الحقيقة لا تتم فقاهته حتى يبرع في أصول الفقه ويتمكن فيه، فلقد قال علماء السلف: ((من حفظ الفروع و لم يضبطها بأصولها تناقضت عليه الفروع)). ولقد كان ابن عابدين متمكناً في مادة أصول الفقه راسخ القدم فيها يدل على ذلك تصانيفه التي صنفها في هذا الفن، وأعظمها نفعاً حاشيته على شرح التقرير والتحبير لابن أمير الحاج على التحرير لابن الهمام، وقد اطلعت على قطعة منها مخطوطة في مكتبة آل عابدين، وصوّرت منها صفحات راموزاً أثبتّه في آخر هذه الرسالة.

وأما (حاشية نسمات الأسحار على شرح إفاضة الأنوار للحصكفي على المنار للنسفي)[1]، فتشهد بتقدمه في هذا الفن المستغلق وكذلك رسالته (نشر العَرْف في بناء بعض الأحكام على العُرْف) وهي رسالة نادرة المثيل لم يسبق إليها ابن عابدين فيما نعلم، جعلها شرحاً لبيت من عقود رسم المفتي هو

(والعرف في الشرع له اعتبار   لذا عليه الحكم قد يدار).

وسأسوق لك نصين من هذين الكتابين لتتلمس ابن عابدين الأصولي بعد أن عرفته الفقيه.

---

(١) أقول: ((هذه الحاشية الصغرى، أما الكبرى التي صنفها ابن عابدين على إفاضة الأنوار للحصكفي فقد بعثها إلى مصر إلى مفتي الديار المصرية الشيخ التميمي فضاعت هناك وأكبر الظن أنها ضاعت في الطريق قبل وصولها إليه. اهـ)).

المطلب الثالث : نماذج أصولية :

آ) من كتاب /حاشية نسمات الأسحار على شرح إفاضة الأنوار على المنار/:

قوله: (هو علم بأحوال الأدلة الموصلة إلى الأحكام الشرعية على وجه كلي) تعريف لأصول الفقه باعتبار المعنى اللّقبي، والمراد بالعلم هنا الإدراك. والدليل كما في المرآة: (مايمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري) وهو أعم من النظر فيه نفسه والنظر في أحواله وصفاته فيتناول المقدمات التي هي بحيث إذا رتبت أدت إلى المطلوب الخبري، والمفرد الذي من شأنه إذا نظر في أحواله أوصل إليه كالعالم للصانع، والثاني هو المراد ههنا، إذ المراد بالأدلة الشرعية الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والمراد بأحوالها أعراضها الذاتية اللاحقة لها باعتبار دلالة الأدلة على الأحكام مطلقاً أو عند التعارض أو باعتبار استنباط الأحكام منها، والمراد بالحكم هنا (ماثبت بخطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد) كالفرضية والوجوب والندب والإباحة والكراهة والحرمة والصحة والفساد وغير ذلك، وقوله (على وجه كلي) متعلق بالموصلة.

واعلم أن تعريف أصول الفقه اللقبي يتوقف على تعريفه الإضافي، لأنه مركب وتعريف المركب يتوقف على تعريف مفرداته الغير البينة. فالأصول جمع أصل والأصل (مايبتنى عليه غيره) حسياً كان أو عقلياً كابتناء المعلول على العلة والمدلول على الدليل. والفقه (معرفة النفس مالها وما عليها)، وهذا التعريف منقول عن الإمام رحمه الله تعالى وهو شامل للكلام والتصوف إذ هما من الفقه عنده حتى سمى الكلام فقهاً أكبر. ومن لم يجعلهما داخلين فيه زاد في التعريف قوله (عملاً فيخرجهما به)[1].

---

(١) حاشية نسمات الأسحار ص/١١.

ب) من كتاب /نشر العَرْف فيما بني من الأحكام على العُرْف/:

(إذا خالف العرف الدليل الشرعي، فإن خالفه من كل وجه بأن لزم منه ترك النص فلاشك في ردّه كتعارف الناس كثيراً من المحرمات من الربا وشرب الخمر ولبس الحرير والذهب وغير ذلك مما ورد تحريمه نصاً، وإن لم يخالفه من كل وجه بأن ورد الدليل عاماً والعرف خالفه في بعض أفراده أو كان الدليل قياساً فإن العرف معتبر إن كان عاماً، فإن العرف العام يصلح مخصصاً كما مر عن التحرير ويترك به القياس كما صرحوا به في مسألة الاستصناع ودخول الحمّام والشرب من السّقاء)[1].



(١) مجموع الرسائل ج٢ص/١١٦ من رسالة/نشرُ العَرْف فيما بني من الأحكام على العُرف/.

المبحث الثالث

ابن عابدين المُشَارِكُ

عُرِفَ ابن عابدين بالفقه وأصوله، ولكن القليل من المتخصصين من يعرف ابن عابدين المشارك، فلقد كان رحمه الله موسوعة عصره جمّاعاً للفنون، قال صاحب ترجمة الثبت: ((وكان يحرص على جمع الفنون))(١).

المطلب الأول: علوم التفسير والحديث:

لاشك أن حفظ ابن عابدين لكتاب الله عز وجل في سن مبكرة، وجمعه للقراءات وحفظه للمتون المتعلقة بها، ودراسته على الشيخ محمد سعيد الحموي شيخ قراء زمانه ودراسته بعد ذلك على الشيخ شاكر العقاد، كل ذلك كان له أثره في تكوين ابن عابدين العلمي، من ناحيتي علوم القرآن وعلوم السنة. فالشيخ شاكر العقاد كان يقال له آنذاك (شيخ الشيوخ ومسند الشام) ولقد ذكر مترجموه أنه كان موسوعة في العلوم الآلية كلها بحراً طامياً زخّاراً لا يُعرف ساحله، ولاسيما في علوم السنّة المطهرة، فهو قد صحب الشمس الكزبري محدث الديار الشامية مدة تزيد على خمسين سنة، تخرج عليه فيها وعلى الشهاب العطار المحدث الكبير والمسند الشهير، فانتقل ذلك إلى المترجَم الذي خلف شيخه العقاد في هاتين الناحيتين بخاصة خلافة كاملة. ولعل ثمرة هذه الخلافة في علوم القرآن العزيز حاشية على تفسير البيضاوي التي أكملها، ولكنه لم يجردها ولم يعثر عليها مع كثير من مكتبته بعد وفاته ذكر صاحب ترجمة الثبت أنه (التزم أن لا يذكر فيها شيئاً

---

(١) :الثبت ص/ ٢٣٢ وما بعدها.

ذكره المفسرون) وذكر أنها (موجودة في إستامبول مفقودة في دمشق)[1]. وفي علوم الحديث ذلك الثبت العظيم الذي كتبه باسم شيخه العقاد وقدّمه إليه، فقد ذكر فيه أسانيد شيخه المذكور وإجازاته ومشايخه بشكل كامل، وراجعه عليه بعد انتهائه من تأليفه، وهو لا يقتصر على الأسانيد الحديثية فقط، بل يتعدى ذلك إلى أسانيد شيخه في العلوم كلها، وإن كان أكثر ذلك في علوم السنة المطهرة وكتبها، والثبت متوجه إلى هذا الأمر معقود عليه. وإليك نصاً من فاتحة هذا الثبت المسمى بـ(عقود اللآلي في الأسانيد العوالي المتصلة بشيخ الشيوخ على الإطلاق ومحقق زمنه بالاتفاق الشيخ محمد شاكر مقدم سعد العمري):

اعلم أن من القواعد المقررة، والأصول المشتهرة، أن أرفع ماصرفت في تحصيله الأوقات، وأنفع ماتغذت به النفوس من الأقوات، وأشرف ماهجر لأجله لذيذ المنام، وأعظم ماسعت لنيله الأقدام، وأعلى ماجنحت لاكتسابه الجوانح، وأغلى ماتزينت به نحور الصفائح، وأحسن ماتزردجت بخمائله الأنفس الزكية وأجمل ماتزججت به حواجب الهمم العلية اقتناص شوارد العلوم وغرائبها، ومسامرة أبكارها وكواعبها إذ العلم هو الفارق بين الجماد والحيوان، وبدونه لا يقال للشخص إنه إنسان، قد أشار الله تعالى إلى فضله في كتابه المكنون فقال: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾ وقال: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون﴾ وقال: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ وقال: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ وكفاه علامة غلى شرف مرتبته ووسماً، أن أمر الله تعالى به من سما ذاتاً ووصفاً واسماً، وحاز علوم الأولين والآخرين وفاقهم ذكاء وفهماً. فقال له تعالى:

---

(١) الثبت ص/٢٣٢.

﴿وقل ربِّ زدني علماً﴾ وإن مما أجمع عليه في القديم والحديث، أن من أجل ذلك علم الحديث، إذ هو السبب للسعادة الأبدية، والموصل إلى نيل المراتب العلية، وبه تعرف حقائق التنزيل، وتظهر دقائق التأويل، ويكشف عن وجوه المعضلات اللثام...) الخ.. اهـ[1].

وإليك نصاً من آخره:

(على يد جامعه ....
..............محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد الشهير بابن عابدين غفر الله تعالى له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين آمين وذلك في أوائل جمادى الثانية سنة ١٢٢١ والحمد لله رب العالمين).

(قال سيدي المؤلف رحمه الله تعالى: ((بلغ هذا الثبت مقابلة على أصله مع المراجعة للأصول المنقول عنها والتفحص عند التوقف في شيء وذلك مع سيدي وأستاذي نفعني الله تعالى ببركاته وأعاد علي من صالح دعواته آمين)) انتهى)[2].

المطلب الثاني: علم الكلام والعقائد:

صنف ابن عابدين في هذا الفن مصنفات ثلاثة موجودة مع رسائله المجموعة في مجلد واحد وهي:

١ ـ رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه.

---

(١) الثبت ص/٣.
(٢) الثبت ص/١٩٢.

٢ ـ تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه، عليه وعليهم الصلاة والسلام.

٣ ـ والعلم الظاهر في نفع النسب الطاهر.

آ) أما الرسالة الأولى فقد جعلها في إثبات عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم وعدم تصور المعاصي منهم، وقد أتى فيها بأقوال كثيرة في حل عبارة موهمة في الأشباه والنظائر لابن نجيم هي: ((ولو قال لم يعصموا أي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حال النبوة ولا قبلها كفر لأنه رد النصوص اهـ)). واستقر ابن عابدين على قوله في آخر الرسالة: ((فاتضح حينئذ أن القول الصريح والوجه الصحيح إن شاء الله تعالى تنزههم عن كل عيب وعصمتهم عن كل مايوجب الريب))[1].. الخ.

ب) أما الرسالة الثانية فظاهرة من عنوانها، وموضوعها في حكم من سبّ الرسول عليه الصلاة والسلام من المسلمين إذا تاب ورجع إلى الإسلام هل تقبل توبته أم لا؟، وفي حكم من سب الصحابة كذلك، وتطرق إلى غير المسلمين وإلى من سبّ جميع الأنبياء أو بعضهم عليهم الصلاة والسلام، وأفتى بأن المسلم إذا فعل ذلك ثم تاب ورجع إلى الإسلام قبل إسلامه وعفي عنه، مالم يتكرر ذلك منه فإن تكرر قتل كالزنديق ولو تاب إلخ...

ج) وأما الرسالة الثالثة فهي في مدى انتفاع صحيح النسبة من رسول الله ﷺ إن كان عاصياً، وأن ذلك لا ينفعه يوم القيامة إلا إذا تاب وأناب، نعم ينفعه نسبه إذا كان تقياً، لأن أهل البيت ملحوظون ومعتنى بهم، قال رحمه الله في أول الرسالة: ((قد وقع البحث في مجلس لطيف جامع لجملة من أهل العلم

---

(١) مجموعة الرسائل: ج١/ ص٣٠٦ و٣١٣.

الشريف في أن من كان صحيح النسبة من رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم هل ينفعه نسبه في الآخرة بدخول الجنة والنجاة من النار وإن كان من العاصين؟ أم يحكم الله فيه بعدله ويكون مفوضاً إلى مشيئته كغيره من المذنبين؟ فبعضهم أثبت النفع وبعضهم نفاه، وكل منهم استدل بأشياء على مدعاه، فطلب مني تحرير هذا البحث بعض فضلاء من كان في ذلك المجلس المعقود))[1]... الخ.

المطلب الثالث : علوم العربية:

كان ابن عابدين من أدباء زمانه ومن أعلمهم بالعربية بجميع علومها، وذلك يعود فيما أعتقد إلى شخصية شيخه ومربّيه وأستاذه الأكبر الذي به تخرج الشيخ شاكر العقاد، الذي كان أديباً أيضاً وشاعراً كما ذكرت مصادر ترجمته التي مرّ ذكرها، وكان لهذه التلمذة أثرها في ابن عابدين اللغوي النحوي البلاغي الأديب الشاعر الناثر، فضلاً عنه الفقيه الأصولي. فلقد صنف ابن عابدين باكورة إنتاجه في علم النحو. وإليك ثبتاً بمصنفات ابن عابدين في علوم العربية:

آ) ألّف في النحو بأمر شيخه العقاد، فكان ذلك حاشية أمره شيخه بكتابتها على شرح أمر به الشيخ المذكور تلميذه الأسطواني زميل ابن عابدين بكتابته على نبذة الإعراب لابن هشام، فكتب ابن عابدين هذه الحاشية وعمره إذ ذاك مايقارب سبعة عشر عاماً وسماها (فتح رب الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب) وهي موجودة كاملة في ظاهرية دمشق وفي مكتبة آل عابدين[2] العامرة بدمشق.

---

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين ج١/ص٢.

(٢) عند شيخنا الدكتور أبو اليسر عابدين رحمه الله تعالى.

وكذلك ألّف فيما بعد رسالة أخرى في النحو مطبوعة مع مجموعة رسائله هي (الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة).

ب) وألّف كذلك رسالتين في فن العروض، الأولى لم يعرف لها أثر، ولعلها ضاعت فيما ضاع من التركة، وهي من بواكير أعماله العلمية واسمها (شرح الكافي في العروض والقوافي) كتب في آخرها (تم في ١٢١٥). والثانية موجودة الآن في مكتبة آل عابدين كاملة واسمها (الدرر المضيئة في شرح نظم الأبحر الشعرية). ووجدت أيضاً منظومة صغيرة من ثمانية عشر بيتاً من الرجز في ألقاب الزحاف المفرد والمزدوج والعلل الشعرية في مجموعة رسائله المطبوعة[١].

ج) أما فن البلاغة، فألّف فيه حاشية على المطوّل للسعد التفتازاني، ضاعت فيما ضاع من هذا التراث القيم.

د) وأما فن الأدب، فلقد كتب ابن عابدين مقامات في مدح شيخه العقاد تشبه مقامات الحريري رأيت بعضها خطية في مكتبة آل عابدين. وكتب مدائح نثرية لشيخه كذلك تعدّ من أروع النثر وأحلاه في آخر ثبته[٢].

وصنف كذلك مجموعاً فيه من النفائس والنوادر والمختارات مالا يستغني عنه باحث أو دارس، وقد رأيت قسماً منه في مكتبة آل عابدين، وصوّرت راموزاً لما وجدته هناك تجده في ملاحق هذه الرسالة.

نماذج من علوم العربية:

آ) **في النحو**: من رسالة (الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة):

---

(١) مجموعة الرسائل: ج٢/ص١٨٦.

(٢) الثبت من ص/١٩٦ إلى ص/٢٠٥.

((الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وآله الطاهرين وصحابته أجمعين وبعد، فيقول فقير رحمة ربه، وأسير وصمة ذنبه محمد أمين بن عمر عابدين: قد عنّ لي الكلام على بعض ألفاظ شاع استعمالها بين العلماء، وهي مما في إعرابه أو معناه إشكال أو خفاء، بعبارات تحل العقال، وتوضح المقال وسميتها: الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، فأقول والله المستعان وعليه التكلان منها: قولهم ((هلم جرّا)) فهي بمعنى تعال وهو مركب من هاء التنبيه ومن لُمَّ أي ضمّ نفسك إلينا واستُعمِل استعمال البسيط يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين كذا في القاموس وسبقه إلى ذكره صاحب الصحاح وتبعه السغاني...))[1] الخ.

ب) **في العروض**: من (ألقاب الزحاف والعلل)

منفرد الزّحاف خبن يافتى	وذاك حذف الثاني ساكناً أتى
من بعده الإضمار تسكين لذا	والوقص حذفه محرّكا كذا
والطيُّ حذف رابع قد سكّنا	والقبض حذف خامس مسكّنا
والعصب إسكان لخامس بدا	والعقل حذفه محرّكا غدا
والكفّ حذف سابع مسكّن	والمزدوج من بعده ياسكني[2]

---

(١) مجموعة الرسائل ج٢/ ص٣٣٠.

(٢) مجموعة الرسائل ج٢/ص١٨٦. والزحاف هو: (تغيير غير لازم يلحق ثواني الأسباب الساكنة) اهـ. ر: ميزان الذهب ص/٩ وما بعدها.

المطلب الرابع: الكتابة والشعر:

كان ابن عابدين أديب النفس كما كان فقيه النفس، فلقد كان أدبه من أحسن ماكتب بالنظر إلى عصره، على ماكان في عصر ابن عابدين من جمود وفساد في الأذواق، إلا أن الرجل كان مرهف الحس صادق الشعور فسبق عصره بمراحل، وتلك الموهبة المتأصلة فيه كانت قد انصقلت بيد فقيه الأدباء وأديب الفقهاء الشيخ شاكر العقاد الأديب الشاعر النابغة، فتهيأ لابن عابدين من ينقده ويوجهه فكان منه ابن عابدين الشاعر الأديب الكاتب، وكانت له روائع لا يجوز بحالٍ ما غمط حقّه بها، ولاسيما إذا قارناها بماكتب غيره من أدباء ذلك الزمن -أيِ النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري ـ وهكذا يجب أن تكون المقارنة بأدباء عصره، لا بأدباء عصرنا بعد مائة وخمسين سنة تقريباً، تقدمت بها اللغة العربية في الشرق العربي قرابة خمسمائة سنة. وبعد فإليك نصوصاً من كتابته ونصوصاً من شعره نماذج للدراسة فقط.

الفرع الأول - نماذج من الشعر:

القصيدة الأولى

في مدح ابن عابدين شيخه العقاد

لولا سناء من جبينك مشرق ... ماضاء طرّاً مغرب أو مشرق

يامن إذا مامال تيهاً أو رنا ... بلحاظه منه القلوب تمزّق

قمر صفا ماء النعيم بوجهه ... حتى غدا منه يسيل ويدفق

قد رام بدر التمّ يحكي غرّةً ... دمعي عليها دائماً يترقرق

ثم قال بعد حسن تخلص جميل يمدح شيخه العقاد:

العالِمُ العلاّمةُ الفردُ الفريد ... اللّوذَعيّ الألمعيّ الحاذقُ

الفاضل الحبر البهيّ أخو الذكا ... الجهبذ القرم السخي المعتق

الماجد الأتقى النقي ومن به ... تزهو دمشق على البلاد وتورق



بحر المعارف والبدائع جامع ... أسرار كنز علومها المتفرق
تنوير أبصار الورى وكفاية ... ووقاية من كل وهم بطرق
كنز الهدى بحر الندا سهم العدا ... من شانه فهو الغبي الأحمق
كشّاف كل ملمّة إيضاحها ... مفتاح تلخيص المعاني مغلق
هو شاكر ولربه ذي الشكر شا ... كر.. دائماً عن شكره لا يزلق
مافيه عيب غير أن لسانه ... دوماً بتقرير العلوم معلّق
مولاي خذها بنت فكر قاصر ... عن وصف بعض صفات ذاتك ضيق
واسبل على عثراتها ذيل القبو ... ل، فإنه المرجوُّ منك الموثق
وامنح لمنشيها دعاءً نافعاً ... لجميع أبواب الفضائل يَغْلَقُ
واسلمْ ودم في رفعة وسيادة ... تسمو بها فوق الجميع وتسبق
بالمصطفى خير الورى وبآله ... وصحابه والأنبياء الصدّق
صلى عليهم ربنا ذو الفضل ما ... هبّت صبا سحراً تروح وتمشق
أو غرّد القُمْريْ على أغصانه ... أو عَرف مدحك دائماً يتفتق[1]

القصيدة الثانية

في رثاء ابن عابدين شيخه الشيخ خالداً النقشبندي

أي ركن من الشريعة مالا ... فرأيناه قد أمال الجبالا
مذ رزئنا بأوحد العصر علماً ... وبهاءً وبهجةً وكمالا
واجتهاداً وطاعةً وصفاءاً ... وسخاءً وعفةً ونوالا
هو بحر العلوم شرقاً وغرباً ... ويميناً وقبلةً وشمالا

---

(١) ر: الثبت ص/٢٠٢ وما بعدها. قلت: ((وابن عابدين يستعمل في هذه القصيدة كثيراً القطع في علم النحو والبديع في علم البلاغة ـ المحسنات اللفظية والمعنوية ـ وبعض الضرورات الشعرية كما هو ظاهر وذلك لعقم القافية وضيقها)).

فـإذا عـنّ مشـكل كـلّ عنـه كـلُّ شـهم بحـل عنـه الشـكالا
مـذ تجلـى سـناه فينـا أرانـا كـل بـدر وقـت الكمـال هـلالا
وسقى أهـل عصـره كـأس قـرب وحسـاهم منـه الرحيـق الـزُّلالا
هو قطب عليه دارت رحى العرفـ ـان وهـو الفريـد قـالاً وحـالا
هو شيخ السلوك، من نـال هديـاً مـن سـناه فقـد تزكّـى فعـالا
ولعثمـان ذي الحيـاء وذي النـو ريـن صَـحَّ انتسـابه إجـلالا
وبـه ازدان ديننـا وطريـق النقشبنـ ـدي زاد منـه جمـالا
مارأينـا كعلمـه وتقـاه ولجـدواه مارأينـا مثـالا
دمـث الخلـق لم يكـدّر صفـاه جـاهل رام منـه شـيئاً محـالا
كـثرت حاسـدوه فـازداد هديـا مـذ أشاعوا الردى وزادوا ضـلالا
ورمـوه بـالإفك ظلمـاً ورامـوا ذلـه مـذ رَأَوْهُ فـاق خصـالا
فتغـاضى عـن القبيـح وأبـدى مابـه زاد رفعـةً وجـلالا(١)

ثم ختمها بقوله:

فعليـه مـن المهيمـن رحمـى كـل حـين علـى ثـراه تَـوالى
ماسـرى في الضمـير ذكـر خفـي وارتضـاه سـبحانه وتعـالى

تضمينات

آ

لي سيّد شـهم جليـل ذو تقـى ووحيـد دهـر عـاطر الأنفـاس
قـد حـاز أنـواع الفضـائل والسـجا يـا الـلاء قـد جلّـت عـن المقيـاس
ومكارماً فاقت شذا المسك الشـهي ومعالمـاً منهـا انتفـاع النـاسِ
إن اختيـاري خدمـةً لجنابـه وحضـور مجلسـه بـه إينـاسـي

---

(١) ر: مجموع الرسائل ج٢/ ص٣٢٦ وما بعدها والديوان.

وتضلعي من عـذب تقريراتـه أحلى لنا من مـاء حبّ الآس..

ب

يارسول الإلـه ياصـاحب الجـا ه ويـا رحمـة لكـل النـاس

أنت غـوث لنا غـداً يـوم لا مـا ل ولا صاحب ولا ذو التماس

كـن شـفيعاً لمذنـب ذي خطايـا وفـؤاد كصلـد صخـر قاسـي

وأنلني من عـذب حوضك كأساً هـو أحلى من ماء حب الآس(١)

ج

بـأبي أهيفـاً بديـع جمـال قـد سـباني بقـده الميـاسِ

لست أنسى مـذ مرّ نحوي بلحظ فـاتر قد أعمَى جميـع حواسِّـي

قلت حبي جد لي بوصل يداوي علة العشق فهـو لي خـير آس

وأنلـني مـن شـهد ثغـرك كأسـاً هـو أحلى من ماء حـب الآس

الفرع الثاني - نماذج من كتابة ابن عابدين:

النص الأول

نص في مدح ابن عابدين لشيخه الشيخ شاكر العقاد

((وقلت مادحاً لجناب أستاذي، وعمدتي وملاذي، السيد الجليل المهاب من عجزت عن وصفه ذوو الألباب، سعد زمانه، وسيد أقرانه وسيبويه عصـره، وأبو يوسف مصره، من أذعنت له بالفضل والكمال، أجلة العلماء وفحول الرجال، صاحب الفضل الوافر جناب سيدي الشيخ شاكر، ابن سالم العمري بارك الله لنا في حياته وفي أيامه وأوقاته، بسيدنا محمد سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة وأتم

---

(١) ر: الثبت ص/٢٠٦ وهذا الشطر (هو أحلى من ماء حب الآس) هو قول الكتحي الشاعر مادحاً الشيخ شاكر العقاد شيخ ابن عابدين.
ر: الديوان تجد بغيتك من مديح ورثاء ووصف وزهريات وتضمينات إلخ.

السلام: حمداً لك يامن زيّن القدود الرماح، بحسن نضارة خدود كالتفاح وطرّز حواشيها بريحان العذار، وأقام عنبر الخال حارساً لما فيها من الأقاحي والجلّنار، وكحّل العيون بإثمد الفتور، وبهج قيسانها بتزجيج الشعور، فلم يبق لرائيها عقل ولا شعور، إذ ترشقه بأسهمها وعليه تفور، وأودع في ميمات ثغورها لآلىء من در مكنون، وأطبق عليها مصراعي باب من عقيق شفاه مصون، وأجرى فيها نهراً من عذب رضاب قنيد، وأَسْبَحَ فيه سمكة لسان تسبح فيه أينما تريد، وجعل تسبيحها فيه سبحان من جمع بين ماء الحياة ونار الخدود، ونهار الجبين مع ليل الطرر السود، وجمع بين قمر قدها وشمس النهار، وجعل قيسانها ترمي النبال من غير أوتار، وألّف بين قساوة قلبها ولين معاطفها، وحرم على العاشق نيل مراشفها، فهي دائمة التسبيح على هذه القدرة المدهشة للأبصار، قائلة إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار، وصلاةً وسلاماً على إنسان عين الوجود ومنبع الفضل والجود، من أوتي من هذا النوع الإنساني أوفر نصيب الحائز لكل كمال وحسن عجيب، الجامع بين الخَلْق والخُلُق الكريم، المشار إليه في إنك لعلى خلقٍ عظيم، وعلى الآل والأزواج أجمعين والأصحاب والتابعين، البدور السافرة، في الدنيا والآخرة.

وبعد، فالمعروض على الشيخ النصوح، باب التعليم والفتوح، بلبل أرواح المعارف وثمرة أغصان العوالم والعوارف، زبدة أرباب اليقين وعمدة العلماء والمحققين، أهل التحقيق على التحقيق، وعين أعيان أهل التدقيق والترقيق، لسان أهل التفسير، ومنطق ذي التعبير الجامع بين مرتبتي المعقول والمنقول، والحائز بين فضيلتي الفروع والأصول، الذي كشف عن معالم التنزيل، وأبان أسرار الآيات البينات بما يبديه من التفريع والتأصيل، من له في التحديث الباع المطلق والفهم الحسن الصحيح، الذي يرى منقطع الأخبار به موصولاً مسلسلاً من غير علة ولا تجريح، طويل الباع مديد المناقب، بسيط الأيادي بالندى المتقارب، كامل

الصفات، خفيف الحركات، سريع بتدارك وافرالعطايا لمحتاج حائع، ليس له في خصاله من مشابه ومضارع، مغنى اللبيب الفصيح، بالإشارة من غير تصريح، وخلاصة أهل التوضيح والتنقيح، قاموس البلاغة والصحاح، وراموز الفصاحة والمصباح، جناب شيخي وأستاذي، وعمدتي وملاذي من أنا غرس نعمته، وافتخاري بخدمته، هو أنه سيدي قد عنّ لخاطري أن أزف إليكم بوادر ماوقع مني، وأجلي عليكم نوادر ماصدر عني، وهو أنه لابد للنفوس أن تمرح، وللنوادر أن تستباح وتستملح وذلك حين استفز بي الطرب والسرور، حين سمعت غناء البلبل والشحرور»[1].

النص الثاني
مقدمة عقود اللآلي
(خطبة الكتاب)

«بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن وصل من انقطع إليه برحمته الأولية، ورفع على السوى خدمة الشريعة والأحاديث النبوية، وأنار بؤبؤ أبصارهم وبصائرهم بمشكاة أنواره، فأنارت رياض قلوبهم ورباها من غرس صالح أذكاره وشرح بمعارف عوارف السنّة المحمدية صدورهم، وأرسل عليهم رحمته مسلسلةً وضاعف أجورهم، وأسند إليهم خشيته في عزيز كتابه وجعل ضعيفهم قوياً وأدرجهم في سلك أحبابه، وأعدّ لهم أجراً جزيلاً متواتراً موقوفاً عليهم فلا يقطع، وسلّمهم من الاضطراب وألبسهم تاج الفضل فلا يوضع ولا ينزع، وفتح لهم كل باب مقفل، وكشف لهم عن كل

---

(١) الثبت ص/١٩٦ وما بعدها. ولينتبه القارىء إلى إقحام أسماء كتب الفقه والأصول واللغة وعلوم العربية في هذا النثر وفي الشعر الذي قبله وهي عادة أدباء ذلك الزمان من شعراء وكاتبين..

أمر معضل، فهنيعاً لهم سادة أكرمهم مولاهم، وجعلهم خلفاء راشدين وولاهم، ونضّر وجوههم بدعاء سيد البشر، فنورها يربو على الشمس والقمر وكفاهم شرفاً وفضلاً وأعظم نعمه أن جعلهم مبدأ سلسلة ختامها نبي الرحمة وصلاة وسلاماً على النبي المرسل، والكامل المكمّل، الذي أوتي السبع المثاني والقرآن العظيم وأسرى به الملك الجليل في الليل البهيم، ونطق بالصواب والحكمة وبلّغ الرسالة ونصح الأمة، صاحب الوجه الحسن واللسان الفصيح الذي جاء بالملة السمحاء والدين الصحيح، فمحى [كذا] بنور ماجاء به ظلام الكفر والجهل، وقام بفتح الباري لإرشاد الساري إلى أقوم السبل صاحب جوامع الكلم والكلم الجوامع، وكوكب أفق المجالس والمجامع وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه، الذين هاجروا لنصرته ونصروه في هجرته، واستنّوا بسنّته، ومشوا على سننه، فبلغوا أوطارهم وحسّنوا أطوارهم، وكحلوا بإثمد أفعاله أبصارهم وقرّطوا آذانهم بأحاديثه وأسماعهم، ونقلوا أحكام هذا الدين وبلّغوها أتباعهم، وعلى الأئمة المجتهدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، مالاح في الخضراء نور نجم، وفاح في الغبراء نور نجم آمين»[1].

الفرع الثالث ـ نماذج من تَرَسُّل ابن عابدين:

النص الأول

قطعة من رسالة ابن عابدين للشهاب الآلوسي محمود

«بسم الله الرحمن الرحيم: حمداً... وبعد، فأهدي سلاماً يهزأ بتفتيت المسك الأذفر، وتحايا يفوق عبيرها نكهة العنبر إلى فارس ميدان البلاغة الذي لم يبلغ أحد في حلبات السبق بلاغه، مجمع البحرين وملتقى النيرين، خلاصة أهل

---

(١) الثبت ص/٣،٢.

التنقيح والتوشيح، ومغني اللبيب عن التصريح بالتلويح، البحر العباب، والحاوي لمنهج الصواب، روضة الآداب، وبهجة الآراب، سيدي الإمام الأوحد، والعلم المفرد، محمود الأفعال، ممدوح الأقوال، لازالت رماح أقلامه تأسر كل معنى أنيق، فتحرر كل لفظ رقيق))[1].

النص الثاني
قطعة من رسالة ابن عابدين لتلميذه
(الجابي)

((وبعد... فقد طلب مني الولد القلبي والحبيب اللّبي، الفاضل الكامل السيد محمد بن المرحوم السيد عثمان الشهير بالجابي، بعد استكتابه لهذه النسخة الشريفة - الثبت - التي جمعت فيها أسانيد شيخنا العلامة المرحوم السيد شاكر العقاد - أن أكتب له أسماء الكتب التي منّ الله تعالى بجمعها على أقل عبيده، فأقول إجابة لطلبته وإنجازاً لرغبته)).

المطلب الخامس: علم التاريخ والسيرة:

كان ابن عابدين يعيش عصره بكل معاني هذه الكلمة، يعيش أبعاد ذلك العصر ويتعرف على أبرز الرجال، ويكون بعد ذلك فكرة عن هؤلاء الأعيان من علماء عصره وأفاضله، صارت مع الأيام ترجمة، ثم تجمعت لديه هذه التراجم فصارت كتاباً في التاريخ جعله ذيلاً لكتاب (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني

---

(١) ر: الفصل الثالث في آثار ابن عابدين المبحث الثاني المطلب الثالث تجد هناك نصي هاتين الرسالتين كاملتين مع مصادرهما.

عشر لمعاصر ابن عابدين الشيخ خليل المرادي[1] مفتي دمشق المتوفى سنة ١٢٠٦هـ ولكن هذا التاريخ لم يعثر عليه مع ما لم يعثر عليه من كتبه المصنفة في شتى الفنون[2].

وللمترجم قصة المولد النبوي الشريف مخطوطة لم يعثر عليها كذلك.

المطلب السادس: علم الحساب والهيئة:

صنف ابن عابدين في هذا الفنّ رسالة واحدة فيما أعلم، هي (مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور وهي منظومة على بحر الرجز (أرجوزة) قال في مطلعها بعد البسملة والحمدلة والتصلية:

وبعد ذا فهذه منظومة	منها الكسور قد غدت معلومة
جمعتها من نزهة الحساب	أرجو الرضى في موقف الحساب
وماذكرت غير بحث الكسر	لأن غيره جليّ الأمر
ذكرتها منظومة ليحصلا	مراد من يرومها ويسهلا
سمّيتها مناهل السرور	لمبتغي الحساب بالكسور

وهذه المنظومة مكونة من (١١٧) بيتاً فقط مطبوعة مع مجموعة رسائله[3].

---

(١) قال الدكتور أبو اليسر عابدين في ترجمته لأخي جده السيد محمد أمين في ترجمته الكتابية: ((إن تاريخ المرادي ذيل لتاريخ جد والده لأمه-الكلام عن ابن عابدين - العلامة المحبي الذي هو ذيل لريحانة الخفاجي))اهـ.

(٢) فيما عدا حاشية إفاضة الأنوار الكبرى ففي أكبر ظني أن مصنفاته التي لم يعثر عليها بعد لم تخرج من دمشق مطلقاً والله أعلم.

(٣) مجموع الرسائل ج٢ من ص ١٨٢ إلى ١٨٦.

المطلب السابع: كُتُبٌ في نسبتها إلى ابن عابدين شك، هما كتابان، أثبتهما البابانى في إيضاح المكنون:

١ ـ أولهما: (الأقوال النافعة من العطلة الدافعة) وأكبر الظن أنه في المعاملات في الفقه الحنفي أو في فرع آخر من فروع الفقه، أثبته البابانى في إيضاح المكنون ج١/ ص١١٤.

٢ ـ ثانيهما: (الفوائد المحصلة في بيان اختصار مايتعلق بالبسملة) وهو على مايظهر في علم التفسير، ذكره البابانى في إيضاح المكنون، ج٢/ ص٢١٠.

هذا، وقد أثبت البابانى في إيضاح المكنون رسالة سماها (نظم نزهة الحساب لابن الهائم) للمترجَم في ج٢/ ص٦٣٨ ولم أجد غيره ذكرها من المترجمين لابن عابدين، والذي ترجح لديّ أن البابانى وهم فيها فأفردها بالذكر وهي على مايبدو رسالة (مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور) المار ذكرها آنفاً، ذكر ابن عابدين فيها بيتاً يدل على أنه استقاها من نزهة الحساب لابن الهائم، قال:

«جمعتها من نزهة الحساب   أرجو الرضى في موقف الحساب»[1]

فظنها البابانى رسالة منفردة، فأفردها بالذكر[2].

---

(١) ر: رسائل ابن عابدين ج٢/ ص١٨٢.

(٢) ودونك ثلاثة نصوص من إيضاح المكنون للبغدادي البابانى:

آ ـ الأقوال النافعة من العطلة الدافعة: الأقوال الواضحة الجلية في تحرير مسألة نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية ـ للسيد محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الشهير بابن عابدين المفتي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٥٢. اهـ. البغدادي ج١/ص١١٤.

ب ـ الفوائد المحصلة في بيان اختصار ما يتعلق بالبسملة: الفوائد المخصصة بأحكام كيّ الحمصة ـ لابن عابدين محمد أمين الدمشقي ص الإبانة اهـ. إيضاح

يتبع ⇐

جاء في التقرير العابديني مايلي: ((حول ماأثبته البابانى صاحب إيضاح المكنون ذيل كشف الظنون ـ و لم يثبتها غيره ـ في أن ابن عابدين له الكتب التالية:

١ ـ الأقوال النافعة.

٢ ـ الفوائد المحصلة.

٣ ـ نظم نزهة الحساب.

لم أسمع أو أطلع شخصياً على أيّ منها، وقد أفاد سيدي الوالد بعد اطلاعه على ذلك بأنه لا يستطيع أن يثبت أو ينفي صحة نسبتها لابن عابدين سنداً، لما تعلمون من فقدان وسرقة العديد من كتبه))[1].

⇐

المكنون للبغدادي ج٢/ص٢١٠ (والصاد في كلام البابانى إشارة إلى كلمة صاحب).

ج ـ شرح نزهة الحساب المنسوبة لابن الهائم ــ لعبد القادر بن محمد الفيومي ص الروض المذهب. شرحها شهاب الدين أحمد بن محمد بن عثمان الحلبي الحنفي المعروفة بابن غفلة المتوفى سنة ٩١٥ خمس عشر وتسعمائة أوله الحمد لله الواحد لا من طريق العدد والمقدار الخ.. ونظمها محمد أمين المعروف بابن عابدين المفتي الدمشقي ص رد المحتار اهـ.

البغدادي في إيضاح المكنون ج٢/ص٦٣٨.

(١) ر: التقرير العابديني ص/٣.

المبحث الرابع

آراء الكاتبين في ابن عابدين

تتجلى آراء الكاتبين في عَلَمٍ من الأعلام في أمور أربعة:

١- التراجم، ٢- شهادات العلماء فيه، ٣- التقاريظ، ٤- والردود.

أما التراجم فهي كلمات يؤرخ بها المؤرخون لمن يترجمون له بما يظهر مكانته ومزاياه، وهم في ذلك يعتمدون على آثاره ودراستهم الخاصة لها، وعلى ماذكره معاصروه فيه وعلى إفادات أقاربه وأولاده أو أحفاده، وهم - غالباً - في ذلك كله يرصدون ولا يشهدون. أما شهادات العلماء في العلم فهي أرفع قيمة لأنها تصدر ممن يملك الشهادة من أهل التخصص في الفنون وهم أعلم بمكانة الرجل، وأدرى من غيرهم من المؤرخين الذين لا يشترط فيهم كونهم أصحاب تخصص أو اطلاع، ولعل المؤرخين أعلم من غيرهم بسيرة الرجل وأعماله، لكن العلماء وأصحاب الدراية والخبرة أعلم بمكانته ومقامه. هذا ومن الممكن أن تكون شهادة العلماء للعلم المترجم ثناء أو رثاء أو اعترافاً بالجميل.

أما التقاريظ فهي شهادات خاصة من العلماء المعاصرين للمترجم في كتاب من كتبه أو أثر من آثاره، فإذا كثرت كان لها من القوة ماتزاحم به الشهادات العامة المذكورة آنفاً.. ولعل الردود شهادات اهتمام من أهل العلم بآثار هذا العلم وأهميتها، إذ من لا قيمة لكلامه لا يحفل أحد بالرد عليه، هذا ما لم تكثر فتكون حينئذ ذماً وقدحاً، ومن الردود والتقريرات والرسائل المفردة تتكون شهادات للعلم لا تقل قيمة عن التقاريظ وإليك بيان ذلك كله في ابن عابدين الذي استأثر بكل ذلك، حتى أصبح في عصره وبعده، إلى يومنا هذا، مرجع الناس في أحكام

دينهم ومحرر المذهب الحنفي ومجـدد الاجتهـاد المذهبي، وبعبـارة أخصـر: ((مـالىء الدنيا وشاغل الناس))...

المطلب الأول: [التراجم] نبذ من أقوال المؤرخين ممن ترجم له:

يكاد ينعقد الإجماع على إمامة ابن عـابدين في الفقـه الحنفـي بخاصـة، وفي فروع الثقافـة الإسـلامية بعامـة، وإنّ إجمـاع الكـاتبين مـن مؤرخـين ومـن علمـاء معاصرين لابن عابدين، ومن الطبقة التي جاءت بعدهم، لهو حجة قاطعـة لا ريـب فيها، على أن هذا الرجل أعظم عالم في عصره في أرجاء العالم الاسـلامي. وإليـك الدليل:

آ ـ السيد علاء عابدين في التكملة:

قال في التكملة: ((وكان رحمه الله تعالى فقيه النفس، انفرد به في زمنه)).

وقال: ((كان بحاثاً ما باحثه أحد إلا وظهر عليه))[1]

وقال: ((فإنه كان إذا حُكم على أحد بغير وجه شرعي جاءه المحكـوم عليـه بصورة حجة القاضي فيفتيه ببطلانه ويراجع القاضي فينفذ فتواه))[2].

أقول: ((وهو مايسمى اليوم بمنصب مستشار محكمة الاستئناف)).

وقال: ((وقلّ أن تقع واقعة مهمة أو مشكلة مدلهمة في سائر البـلاد أو بقيـة المدن الإسلامية أو قراها، إلا ويستفتى فيها مع كـثرة العلمـاء الأكـابر والمفتـين في كل مدينة)).

---

(١) التكملة.

(٢) التكملة.

وقال: ((وكانت أعراب البوادي، إذا وصلت إليهم فتواه، لا يختلفون فيها مع جهلهم بالشريعة المطهرة)).

وقال: ((وكانت كلمته نافذة وشفاعته مقبولة))(١).

وقال في أول الترجمة: ((ومن أجلّهم علامة زمانه على الإطلاق، من انتهت إليه الرياسة باستحقاق الإمام المتقن والعلامة المتفنن العلامة الثاني من لا يوجد له ثاني الحسيب النسيب الفاضل الأديب الجامع بين شرفي العلم والنسب.. الخ)).

ب ـ السيد أبو الخير عابدين في الثبت (ذيل الثبت):

وقال مترجم الثبت: ((لاسيما وهو المرجع للفتوى التي هي من أعظم البلوى، وعلى الخصوص في ذاك الزمن الذي كان مرجع الأحكام فيه إليه من سائر البلاد من كل حاضر وباد))(٢).

وقال في أول الترجمة: ((هو الشيخ الامام العالم العلامة المفسر المحدث الفقيه النحوي اللغوي البياني العروضي، الدمشقي الأصل والمولد.. إمام الحنفية في عصره والمرجع عند اختلاف الآراء في الفتوى في مصره صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة))(٣).

ج ـ البيطار في حلية البشر:

قال في أول الترجمة: ((هو الشيخ الإمام العالم العلامة والجهبذ الفهامة، قطب الديار الدمشقية وعمدة البلاد الشامية والمصرية المفسر المحدث الفقيه النحوي اللغوي البياني العروضي الذكي النبيه الدمشقي الأصل والمولد الحسيب

---

(١) التكملة.
(٢) الثبت ص/٢٤٥ وما بعدها.
(٣) المصدر السابق ص/٢٣٢.

النسيب الشريف الذات والمحتد... إمام الحنفية في عصره والمرجع عند اختلاف الآراء في مصره صاحب التآليف العديدة والتصانيف المفيدة))[1].

وقال: ((وفضائله لا تنكر وشمائله لا تحصى ولا تحصر، وعباداته وورعه وإقباله على الله يقضي له بالسعادة والفوز عند مولاه))[2].

وقال: ((فإن سيرة المرحوم السيد محمد عابدين وما حصّله من الشهرة والمنقبة والفضل لا تخفى على أحد))[3].

د ـ الشطي في روض البشر:

قال: ((وجملة القول في صاحب الترجمة أنه علاّمة فقيه فهامة نبيه، عذب التقرير، متفنّن في التحرير، لم ينسج عصره على منواله، ولو لم يكن له من الفضل سوى حاشيته المنوّه بها التي سارت بها الركبان وتنافست فيها الناس زماناً بعد زمان لكفته فضيلة تذكر ومزية تشكر))[4].

هـ ـ الحصني في (منتخبات التواريخ لدمشق):

قال مانصه: ((محمد أمين بن السيد عمر عابدين: شاع صيته في الأمصار واشتهر فضله كالشمس في رابعة النهار، صاحب الحاشية الشهيرة والتآليف المفيدة الكثيرة، أحد أفراد زمانه وزينة دهره وأوانه، إمام السادة الحنفية في عصره والمرجع عند اختلاف الآراء في الفتوى في مصره.. وهو المؤسس لمجد هذه الأسرة الكريمة المباركة... له اليد الطولى في جميع العلوم والفنون والمنقول والمعقول، انتفع به

---

(١) حلية البشر ج٣/ص١٢٣٠ وما بعدها.

(٢) حلية البشر: ج٣/ ص١٢٣٨.

(٣) حلية البشر: ج٢/ ص٧٢٠.

(٤) روض البشر: ص٢٥٢.

وبمؤلفاته خلق كثير من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وتخرّج عليه كثير من العلماء الأعلام»[1].

وقال في مكان آخر: «.. لأنها صادرة ـ أي القصيدة التي أوردها ـ من أكبر عالم بدمشق لشيخه»[2].

و ـ الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات:

قال مانصه: «فقيه الشام ومفتيه، صاحب التآليف العديدة، والفتاوى المجيدة، والمجموعات المفيدة». ثم قال: «وهو عند فقهاء المشرق كالرهوني عندنا في فقهاء المغرب»[3].

ز ـ كرد علي في الخطط:

قال: «ومحمد عابدين فقيه واسع المادة صاحب التآليف والرسائل المتقنة»[4].

ح ـ سركيس في (معجم المطبوعات):

قال مانصه: «وقرأ عليه كتب الفقه وأصوله حتى برع وصار علاّمة زمانه»، (أي قرأ على شيخه العقاد). وقال: «وكان ورعاً ديّناً عفيفاً عالماً صالحاً»[5].

---

(١) منتخبات التواريخ: ج٢/ ص٦٨٠ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ج٢/ص٦٦٨. هي القصيدة التي هنأ بها ابن عابدين شيخه الحلبي بولادة ابنه عبد الله وتجدها في الديوان في آخر هذا الكتاب.

(٣) فهرس الفهارس والأثبات لمحمد عبد الحي الكتاني ج٢/ ص٢١٦ وما بعدها.

(٤) خطط الشام لكرد علي: ج٤/ ص٦٨.

(٥) ر: معجم المطبوعات ج١/ ص١٥٠ و٤١و ٥٢و ٥٣و ٥٤ وسركيس غير مسلم كما هو معلوم.

ط ـ القساطلي في الروضة الغناء:

قال مانصه: ((وانتفع به خلق كثير لم يزل بعضهم أحيـاء.. وكـان لـه ذوق في حل مشكلات العلوم.. وله التآليف الكثيرة الـتي تبلـغ الخمسـين، وكـان عالماً فقيهاً يضيق كتابنا عن ذكر مآثره الحميدة))[1].

ي ـ شيخو في الآداب العربية:

قال مانصه: ((أما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمد أمين بن عمـر ابن عبد العزيز عابدين.. برز بين أدباء وطنه وأخذ عنه علماء الشام))[2].

ك ـ البستاني في دائرة المعارف:

قال مانصه: ((علم أسرة دمشقية من أعيـان الفقهـاء.. فكـان مـن أشـهرهم محمد أمين.. الشهير بابن عابدين))[3].

ل ـ مردم بك في (أعيان القرن الثالث عشر):

قال مانصه: ((.. حتى برع وتمكن فكان دائبـاً علـى إلقـاء الـدروس ونشـر العلم بحل المشكلات بشكل ثاقب حتى صار مرجعاً للفتوى، وقد بلغ من الشـهرة مبلغاً عظيماً وعم نفعه وأخذ الناس عنه منهم شـيخ الإسـلام عـارف حكمـة بـك استجازه بالمكاتبة فأجازه))[4].

م ـ مطران في مجلة المجمع (خليل):

---

(١) ر: الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ص١٤١.

(٢) ر: الآداب العربية في القرن التاسع عشر لشيخو: ٤٩.

(٣) ر: دائرة المعارف للبستاني ج٣/ ص٣٢٤ وهذه المقولة من كـلام البسـتاني ذاتـه تـوّج بها الترجمة علماً بأن باقي الترجمة بقلم شيخنا الدكتور أبو اليسر رحمه الله.

(٤) ر: أعيان القرن الثالث عشر لخليل مردم بك: ص٣٦ وما بعدها.

قال في محاضرة حول اللغة العربية وخزائنها الأدبية بعد أن عدّ من الكتّاب والشعراء ممن توفاهم الله ولهم بقايا أدبية يرجع إليها: ((ومنهم محمد عابدين صاحب الحاشية الشهيرة بالفقه))[1].

ن ـ الزركلي في الأعلام:

قال: ((فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره))[2].

س ـ البغدادي في هدية العارفين:

قال: ((ابن عابدين المفتي العلامة)).

ع ـ كحالة في (معجم المؤلفين) (عمر رضا): ج٩/ص٧٧.
قال مانصه: ((فقيه أصولي، له أربعون مؤلفاً)).

ف ـ سكر في أعلام الإسلام:

قال: ((.. ولم يبق عالم من علماء المسلمين في بلدة من بلاد الإسلام إلاّ وحاشية ابن عابدين أول كتاب في خزانته))[3].

ص ـ المراغي ـ عبد الله مصطفى ـ في طبقات الأصوليين:

((ونبغ في علوم شتى حتى أصبح علامة زمانه.. ومازال مجدّاً في نشر العلم بالتدريس والتصنيف حتى صار يُشار إليه بالبنان، وعنه أخذ كثير من العلماء الأجلاء.. وقد عرف ابن عابدين بالتدين والعفة والعلم والعمل والصلاح والتقوى))[4].

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية، المج ١١/ص٥٢، ج٢/ من فهارس المجلة ص١٦٧.
(٢) الأعلام: ج٣/ ص٨٦٦.
(٣) أعلام الإسلام لسكر: ص٢٠ وما بعدها.
(٤) ر: طبقات الأصوليين ج٢/ ص١٤٧ وما بعدها بتصرف يسير اختصاراً.

ق ـ التنوخي في مجلة المجمع:

قال: ((حجة المذهب الحنفي في عصره السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية المشهورة))[1].

ر ـ بروكلمان (كارل): في (تاريخ الأدب العربي):

قال مانصه: ((محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن عابدين ولد سنة ١١٩٨هـ ـ ١٧٨٤م، في دمشق. كان في بدايته تاجراً، ثم درس المذهب الشافعي، ثم تحنّف، ونبغ بنفسه (بجهوده الشخصية) وأصبح مدرّساً وأستاذاً توفي سنة ١٢٥٢هـ ـ ١٨٣٦م))[2].

المطلب الثاني : من شهادات العلماء لابن عابدين :

ابن عابدين بغنى عن شهادة غيره فيه فيما أعتقد، فهو الذي يشهد لغيره، ولكن الدراسة تقتضي ذكر شيء من ذلك لتبيين درجة هذا الرجل الذي غُمط حقه دهراً طويلاً ولا يزال فيما أحسب مغموطاً.

وليس هنالك أعظم من شهادة عالم لآخر، لأنها صدرت عمن يملك إصدارها ولاسيما إذا كانا من تخصص واحد، وهذا ماظفر به ابن عابدين منذ عصره حتى يومنا هذا. ودونك البيان:

آ ـ شهادة شيخ الإسلام عارف حكمة:

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٥/ ٤٢٤.

ر: ج٤ من الفهارس القسم الثاني ص٣٦.

(٢) الطبعة الألمانية حـ٢/ ص٧٧٣ الذيل.

قال صاحب التكملة: ((وقد حكى تلميذه ـ المترجَم ابن عابدين ـ صاحب الفضيلة العلاّمة محمد أفندي حابي زاده قاضي المدينة المنورة أن شيخ الإسلام عارف حكمة بك مفتي السلطنة بدار الخلافة العلية قال له: ((إني كنت أؤمّل أن تطلب لي الإجازة من شيخك للتبرك)) اهـ. أقول: ((وقد حصل عليها شيخ الإسلام من المترجم فيما بعد كما مرّ)).

ب ـ شهادة الشيخ محمد الحلواني مفتي بيروت:

قال صاحب التكملة: ((وكان تلميذه ـ الضمير للمترجم ـ العلامة الشيخ محمد أفندي الحلواني مفتي بيروت يقول لي: ماسمعت مثل تقرير سيدي والدك في درسه، حتى إني كثيراً ماأجتهد في مطالعة الدرس، وأطالع عليه سائر الحواشي والشروح والكتابات على الدرس، وأظن من نفسي أني فهمت سائر الإشكالات وأجوبتها، وحين أحضر الدرس يقرر شيخنا الدرس ويتكلم على جميع ماطالعته مع التوضيح والتفهيم، ويزيدنا فوائد ماسمعنا بها ولا رأيناها، ولم يخطر على فكر أحد ذكرها)).

ج ـ شهادة العلامة الملا داود البغدادي النقشبندي في مرثيته لابن عابدين:

ياإماماً في حَلْبَةِ العلم جالا	أورث القلب فقدُه أوْجالا
كنت بحر العلوم تقذف درّاً	فطما بعده الوجود وسالا
أنت شمس غربت في مغرب الأرض	ولكن أنوارها تتلالا
كم حواشٍ لكم تفوق حواشي الـ	غيد حسناً ورقة وجمالا
أنت أبرزتها وكان ضمير الكو	ن يخفى لها فعزّت منالا
وكم من رسائل أرسلت من فكـ	ـرك الصائب المجيد توالا[1]
إنّ رد المحتار مختار درّ	أبهر العقل حسنه فتعالى

---

(١) في الأصل هكذا ولكن الصواب لعله هكذا: (كم كتاب أرسلت..)

جواهر قد أظهرت نـثراً ونظمـاً	فتحلّى الوجـود بـل وتـلالا[٢]
قد وشيت الطروس وشياً جليـلاً	من سجايا قطب الممالك حالا
بـالنظم أبديتـه فـاق عقـده	لؤلؤياً بـل كـان سحراً حـلالا[٣]
في رثـا شـيخنا وشمـس ضحانـا	خـالد الفضـل مـن سما أفضـالا
أنـا مـن ولـده وأجزيـك عنـه	درّ نظـم أغـلا مـن الـدرّ مـالا
وسـيجزيك ربنـا مـن عطـاه	ماسـيرضيك عـاجلاً ومـآلا
فسـقى قـبرك المنـير أما ثِنْ	من غـوادي الرحمى يجود انهمالا
وصـلاة علـى النـبي وآل	وصحـاب ماشـامت العـين آلا[٣]

د ـ اعتراف علماء الأزهر في مصر وعلماء العصر لابن عابدين:

• (ابن العلامة الطحطاوي جاء الأزهر فوجد علماءه يقـرؤون حاشية ابـن عابدين (رد المحتار) فقال لهم: ((دعوها وخذوا حاشية الوالد)). فقـالوا لـه: ((كـان والدك يتسلى بالترمس أما ابن عابدين فكان يتسلى بالفستق))).

• (التقريظ الموجود في آخر الجزء الخامس ص ٥٢١ بـولاق (مـاقيل لأحـد مثله بعد الشافعي) ا.هـ الدكتور أبو اليسر وبيت القصيد منه وهو:

فلا غرو أن صارت به الشام شـامة	وجرّت ذيول الفخر تزهو على مصر

---

(٢) هذا الأصل (بل وتحافا) وهـو خطأ في النقـل واضح، والصـواب مـا أثبتـه في القافيـة والبيت، لعله هكذا: (أنت أظهرت جوهر النثر نظماً)..

(٣) لعل الصواب (فاق عقد بالنظم أبديت منه لؤلؤياً...)الخ.

(٣) مجموعة الرسائل ج٢/ ص٢٨٣ وهنا حذف الميـم في الأصـل والأفضـل مراعـاةً للـوزن والمعنى إبقاؤها.

هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

• (قال المرحوم الشيخ أبو الخير عابدين الذي ذكر ماتقدم من الاعترافين المذكورين لولده الدكتور الشيخ أبو اليسر: ((ماتواضع المصريون إلاّ لابن عابدين))).

• (قال الدكتور أبو اليسر: ((ابن عابدين أقرّ له علماء عصره))[1]).

المطلب الثالث: التقاريظ:

هنالك عشرات التقاريظ لآثار ابن عابدين من معاصرين له وممن جاؤوا من بعده، نثراً ونظماً في جميع الفنون التي صنف فيها المترجم، وذكر ذلك كله يحتاج إلى وقت طويل وبحث قائم برأسه، لكن مالا يدرك كله لا يترك جلّه، وحسبك من القلادة ماأحاط بالعنق، فإليك ثبتاً بهذه التقاريظ الصادرة من علماء معاصرين لابن عابدين وغير معاصرين، انتقيتها انتقاءً يفي بالمراد إن شاء الله وكلها صادرة عن رجال عرفوا في عصرهم بالمعرفة والخبرة والدراية والعلم الغزير والإنصاف في إصدار الأحكام.

ولعل من التقاريظ غير المباشرة تلك الرسائل التي كانت تنهمر على ابن عابدين يومياً من شتى الأصقاع من قبل المفتين والقضاة وعلماء الدين في

---

(١) ر: المسموعات ص٦.

بادرت إلى تسجيل هذا الاعتراف الكبير من علماء الأزهر في مصر بزمن ابن عابدين طيب الله ثراهم جميعاً لأبرهن على إنصافهم وفضلهم، إذ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه ومعاذ الله أن يكون فيما سقته انتقاص للعلامة الطحطاوي أو حط من شأنه، بل هو علم من أعلام الفقه كبير. وحسبك أن ابن عابدين ذاته نوّه بفضله في حاشية رد المحتار وكل منهما كان يعرف قدر الآخر، وكلام علماء الأزهر فيه مبالغة محمودة القصد منها إظهار فضل ابن عابدين الدمشقي وهو ليس بمصري كيلا يتبادر للذهن تعصبهم للطحطاوي المصري والغض من قيمة ابن عابدين الشامي وهو عين الإنصاف منهم ومما يزيد في رفعتهم عند الله والناس.

استفسارات واستيضاحات لا تكاد تحصى، سجل ابن عابدين قسماً منها مع أجوبته في مجموع رسائله لعل من أهمها في نظري رسالة الشيخ عبد الستار الأتاسي مفتي حمص حول عقوبة شاتم النبي ﷺ بعد توبته وتجديد إسلامه، نوّه بها ابن عابدين في رسالته التي خصصها للجواب على رسالة الأتاسي المذكور، فقال في هذه الرسالة التي حملت اسم (تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام)، قال مانصه: ((وكان قد اطلع على تلك النبذة[1] التي كتبها علامة عصره ويتيمة دهره، ذو الفضل الظاهر، والذكاء الباهر، والعلوم الغزيرة، والمزايا الشهيرة، الشيخ عبد الستار أفندي الأتاسي مفتي حمص حالاً، زاده الله تعالى مجداً وإجلالاً، فسنح له بعض إشكالات في تلك المسألة، إذ هي من أعظم المعضلات المشكلة، قد زلّت فيها أفهام المهرة الكملة، فترجح عنده قتل هذا الشقي وإن تاب، وأرسل إليَّ ماسنح له طالباً للجواب، لإظهار الحق والصواب، ودفع الشك والارتياب فقصدت أولاً أن أذكر الجواب عما طلب على وجه الاختصار كما كتب، ثم لما رأيت تلك المسألة مشكلة معضلة يحار مُعانيها في فهم معانيها، وكان ذلك متوقفاً على مقدمات، ونقل عبارات يستدعيها المقام فاقتضى ذلك نوع بسط في الكلام لتوضيح المرام))[2].

المطلب الرابع: الردود:

---

(١) النبذة هي: مقولة كتبها المؤلف في كتابه تنقيح الفتاوى الحامدية حول عدم فتنه وقبول توبته إن رجع إلى الإسلام والكلام هو في شاتم النبي صلى الله عليه وسلم التائب بعد ذلك كما يظهر.

(٢) ر: مجموع الرسائل ج١/٣١٥.

من الردود ماهو على هيئة تقريرات تطبع مع بعض آثار العَلَم المترجَم أو منفردة، ومنها ماهو على هيئة رسالة خاصة قائمة برأسها تشتمل على معنى الرد الصريح.

- فمن النوع الأول:

وهو لا يشمل رداً صريحاً، بل يأتي الرد في ثنايا الكلام ومعه بعض التكميل والتقييد والتخصيص، من ذلك تقريرات الرافعي التي طبعت منفردة وحدها باسم (التحرير المختار لرد المحتار) جعلها على حاشية رد المحتار لابن عابدين وعرفت من بعد باسم (تقريرات الرافعي) وهو الرافعي الحنفي (عبد القادر الرافعي الفاروقي الحنفي مفتي مصر المُتوفّى سنة ١٣٢٣هـ) وستأتي دراسة كاملة عن هذه التقريرات في آثار المترجَم إن شاء الله.

وهنالك تقريرات على حاشية نسمات الأسحار لابن عابدين (طبعة مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى بمصر سنة ١٣٢٨هـ المطبعة الميمنية) وهذه التقريرات للشيخ محمد أحمد الطوخي المصري، وليست كلها ردوداً بل منها ماهو رد، ومنها ماهو تذييل وتتميم لمقاصد الكتاب.

لكن الرد الحقيقي الموجه ضد ابن عابدين هو رسالة (كشف الغمة في الرد على من حرّم التهاليل على الأمة) في عشرين ورقة ألفها سنة ١٢٣٢هـ الشيخ صالح الدسوقي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ١٢٤٦هـ وهو معاصر كما ترى لابن عابدين، أيّد الدسوقي المذكور فيها القول بجواز أخذ الأجرة أو الجعالة على جميع العبادات البدنية وجعلها رداً على رسالة ابن عابدين (شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل) المطبوعة مع مجموعة رسائله ج١/ ص١٥٢.

أثبت هذه الرسالة الشطي في روض البشر في ترجمة الشيخ صالح الدسوقي المشار إليه ص١٤٣ وما بعدها، وبهجة البيطار في حاشية جده حلية البشر نقلاً

عن القاسمي في تاريخه ج٢/ ص٧٢٥، قال الشطي: ((ومن مؤلفاته رسالة سماها (كشف الغمة في الرد على من حرّم التهاليل على الأمة).. قلت: كشف الغمة هي رسالة في عشرين ورقة ألّفها المترجم سنة ١٢٣٢هـ وقد رأيتها بخطه وعليها تقاريظ شيخيه الكزبري والكردي والشيخ صالح الزجاج ثم الشيخ داود البغدادي النقشبندي ثم العلامة الحمزاوي مفتي دمشق ـ أي قبل صيرورته مفتياً ـ أيّد المترجم فيها القول بجواز أخذ الأجرة أو الجعالة على سائر العبادات البدنية رحمه الله))[١] وسيأتي حديث لهذه الرسالة في دراسة آثاره مطوّل إن شاء الله.

ولعلنا في دراستنا لحاشية محمد عابد السندي المتوفى سنة ١٢٥٧هـ على الدر المختار المسماة بـ(طوالع الأنوار شرح على الدر المختار) في ١٦ مجلداً مخطوطة في مكتبة الأزهر[٢]، مايكشف اللثام عن ردود كثيرة تتبّع السندي ابن عابدين تتبعاً مقصوداً بشكل ملحوظ، ولقّبه بـ(الشامي) فيها حيثما ورد ذكره، وهذا مما يعد من الردود العلمية، وموطن هذه الدراسة الباب الثالث الذي عقدناه حول حاشية رد المحتار إن شاء الله تعالى.

بقي هنالك تفاريق وأشتات من هذه الردود ترد في حينها من أهمها رد من نائب صيدا وأخيه مفتيها أورده ابن عابدين منددأ بها في رسالته (تحبير التحرير في إبطال القضا بالفسخ الفاحش بلا تغرير)[٣]، واسم هذا الرد الذي جعله صاحبه في رسالة (الرد المسدد على من يقول إن القول بالرد بالغبن الفاحش مطلقاً غير معتمد) كما ذكره ابن عابدين في مقدمة الرسالة المذكورة فلتنظر هناك.

---

(١) روض البشر: ص١٤٤.

(٢) تحت رقم (١٩٨٧) رافعي (٢٦٨٦٦).

(٣) ر: ج٢/ص٦١ وما بعدها. قلت: ولم أظفر بالرد المسدد هذا على مابذلت من البحث الطويل ولعل قادمات الأيام تسعف بذلك إن شاء الله.

الفصل الثالث

الآثار العلمية لابن عابدين ودراستها

- ضبط الآثار العلمية لابن عابدين بوجه عام.
- الدراسة الميدانية لآثار ابن عابدين
- التقارير العلمية حول آثار ابن عابدين.

تمهيد

دراستنا لآثار ابن عابدين تكشف عن جوانب كثيرة لشخصية الرجل واسعة الأفق، فابن عابدين موسوعة عصره بدون ريب، وآثاره في مختلف العلوم شواهد على ماذهبنا إليه، وهذه الدراسة المتواضعة لن تفي الرجل حقه ولا آثاره العظيمة، ماهي أهل له من الاستبحار والتوسع، لكن عملنا هذا إنما هو فاتحة لمن يريد أن يتوسع في بعض الجوانب من هذه الشخصية الفذّة.

إن هذه الدراسة سوف تشتمل على عدة مباحث يخصص بعضها لضبط الآثار العلمية هذه وحصرها ومعرفة الموجود والمفقود ومالم يعثر عليه منها، والمطبوع والمخطوط، وبعضها الآخر سوف يخصص لدراسة كل كتاب أو أثر علمي لابن عابدين دراسة مستفيضة، وسوف أخصص مبحثاً لدراسة التقارير العلمية عن هذه الآثار العلمية من تقاريظ وردود وما إلى ذلك.

وبعد، فيحسن بنا أن نسوق هنا مسرداً لآثار ابن عابدين من وضعه نفسه وبقلمه عدّ فيه ثمانية وثلاثين كتاباً، وزاد المرسل إليه تلميذه الجابي كتاباً فصارت تسعة وثلاثين، وإليك خلاصة ماعدّه ابن عابدين من آثاره في الرسالة التي اشتملت على هذا المسرد مرتبة حسب ترتيبه: (١ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار، ٢ـ العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، ٣ـ نسمات الأسحار على شرح العلائي على المنار، ٤ـ الرحيق المختوم في شرح قلائد المنظوم، ٥ـ مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور، ٦ـ شرح منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين، ٧ـ تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام، ٨ـ تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام، ٩ـ الفوائد المُخَصَّصة في أحكام كيِّ الحمّصة، ١٠ـ إتحاف الذكي النبيه، ١١ـ الإبانة، ١٢ـ شفاء العليل، ١٣ـ رفع

الاشتباه، ١٤ـ تحرير النقول ١٥ـ إعـلام الأعـلام، ١٦ـ تنبيـه الرقـود، ١٧ـ رفـع التردد، ١٨ـ العقـود الدريـة في قـول الواقـف علـى الفريضـة الشـرعية ١٩ـ رفـع الانتقاض، ٢٠ـ بغيـة الناسـك، ٢١ـ إيقـاظ النـائم الوسـنان، ٢٢ـ سـلّ الحسـام الهندي، ٢٣ـ شرح عقود رسم المفتي ٢٤ـ نشر العرف، ٢٥ـ تحرير العبارة، ٢٦ـ تحبير التحرير، ٢٧ـ الأقوال الواضحة الجلية، ٢٨ـ غاية المطلب، ٢٩ـ غاية البيـان، ٣٠ـ شرح أبيات العروض للغزي هو ((الدرر المضية بشرح نظم الأبحر الشـعرية))، ٣١ـ فتح رب الأرباب، ٣٢ـ الفوائد العجيبـة، ٣٣ـ العلـم الظـاهر، ٣٤ـ إجابـة الغوث، ٣٥ـ منحة الخالق، ٣٦ـ حواشي على النهـر الفـائق، ٣٧ـ حواشـي علـى حاشية الحلبي على الدر ((رفع الأنظار))، ٣٨ـ ونحو ثمانمئة بيت في نظم متن الكنز، ٣٩ـ وقد أضاف الجابي المذكور رسالة ((تنبيـه ذوي الأفهـام علـى بطـلان الحكـم بنقض الدعوى بعد الإبـراء العـام)) ألفهـا ابـن عـابدين بعـد رسـالته المذكـورة إلى تلميذه الجابي)[1] اهـ.

---

(١) إذا أردت معرفة تفاصيل الرسالة التي بعث بها ابن عابدين إلى تلميذه محمد بـن عثمـان الجابي في قرية منين فانظرها في الفصل السـابق من هذا الكتاب في مبحث ابـن عـابدين المشارك في مطلب نماذج من رسائله وهي كاملة في نهاية هذا الفصل الثالث في مبحث الآثار غير العلمية تجدها بتمامها هناك.

المبحث الأول

ضبط الآثار العلمية لابن عابدين بوجه عام

المطلب الأول : ضبط الآثار العلمية بحسب تصنيف العلوم:

آ ـ كتب ابن عابدين ثلاثين مؤلفاً في الفقه الحنفي وفي أصول الفتوى في المذهب الحنفي الذي عاش له ابن عابدين حياته كلها بعضها موجود والآخر لم أعثر عليه، وبعضها مخطوط والآخر مطبوع. كما كتب أربع مؤلفات في أصول فقه الحنفية كذلك، منها مالم أعثر عليه وأكثرها موجود.

ب ـ وكتب مؤلفاً واحداً في علم التفسير وهو مما لم أعثر عليه.

ج ـ وكتب ثلاثة مؤلفات في علم الكلام والعقائد كلها موجود ومطبوع.

د ـ وكتب كذلك مؤلفاً واحداً في علم الحديث وهو موجود ومطبوع.

هـ ـ وكذلك كتب مؤلَفَين في التصوف موجودين ومطبوعين.

و ـ وكتب أيضاً ستة كتب في علوم العربية مابين نحو وعروض وبلاغة وأدب وأكثرها موجود ومنها مالم أعثر عليه.

ز ـ وكتب كتابين في علم التاريخ والسيرة لم أعثر عليهما.

ح ـ وكتب كتاباً واحداً في علم الحساب والهيئة وهو موجود ومطبوع.

ودونك التفصيل:

ثبت عام
بمؤلفات ابن عابدين

رقم الكتاب	اسم الكتاب	اسم الفن
	آ ـ الفقه الحنفي	
١ ـ	حاشية رد المحتار على الدر المختار	الفقه الحنفي
٢ ـ	حاشية منحة الخالق على البحر الرائق	الفقه الحنفي
٣ ـ	حاشية على شرح الملتقى للحصكفي	الفقه الحنفي
٤ ـ	حاشية على النهر الفائق	الفقه الحنفي
٥ ـ	حاشية رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار على حاشية الحلبي	الفقه الحنفي
٦ ـ	العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية	الفقه الحنفي
٧ ـ	نظم الكنز	الفقه الحنفي
٨ ـ	عقود رسم المفتي ((شرح منظومته))	أصول الفتوى الحنفية
٩ ـ	الفوائد المُخَصَّصة في أحكام كي الحِمّصة	الفقه الحنفي
١٠ ـ	شرح منهل الواردين من بحار الفيض على ((ذخر المتأهلين في مسائل الحيض)) للبركوي.	الفقه الحنفي
١١ ـ	رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد وذيلها	الفقه الحنفي

رقم الكتاب	اسم الكتاب	اسم الفن
١٢ -	تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام	الفقه الحنفي
١٣ -	شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل	الفقه الحنفي
١٤ -	تنبيه الغافل والوسنان في أحكام هلال رمضان	الفقه الحنفي
١٥ -	إتحاف الذكي النبيه في جواب مايقول الفقيه	الفقه الحنفي
١٦ -	الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة	الفقه الحنفي
١٧ -	تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول	الفقه الحنفي
١٨ -	رفع الانتقاض ودفع الاعتراض في قولهم الأيمان مبنية على الألفاظ لا على الأغراض	الفقه الحنفي
١٩ -	الأقوال الواضحة الجلية في نص القسمة ومسألة الدرجة الجعلية	الفقه الحنفي
٢٠ -	العقود الدرية في قول الواقف على (الفريضة الشرعية)	الفقه الحنفي
٢١ -	غاية المطلب في عود النصيب للأقرب فالأقرب	الفقه الحنفي
٢٢ -	غاية البيان في أن وقف الاثنين على أنفسهما وقف لا وقفان	الفقه الحنفي

رقم الكتاب	اسم الكتاب	اسم الفن
٢٣ ـ	تنبيه الرقود في مسائل النقود	الفقه الحنفي
٢٤ ـ	تحبير التحرير في بطلان القضاء بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تغرير	الفقه الحنفي
٢٥ ـ	تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام.	الفقه الحنفي
٢٦ ـ	إعلام الأعلام بأحكام الإقرار العام	الفقه الحنفي
٢٧ ـ	تحرير العبارة فيمن هو الأولى بالإجارة	الفقه الحنفي
٢٨ ـ	أجوبة محقّقة عن أسئلة مفرّقة	الفقه الحنفي
٢٩ ـ	الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم	الفرائض (على المذهب الحنفي)
٣٠ ـ	بغية الناسك في أدعية المناسك	الفقه الحنفي (مناسك)
	ب ـ أصول الفقه:	
٣١ ـ	نشر العَرف في بناء بعض الأحكام على العرف.	أصول الفقه
٣٢ ـ	حاشية نسمات الأسحار على شرح إفاضة الأنوار على المنار والشرح للحصكفي	أصول الفقه

رقم الكتاب	اسم الكتاب	اسم الفن
٣٣ -	حاشية كبرى على شرح إفاضة الأنوار على المنار	أصول الفقه
٣٤ -	حاشية على شرح التقرير والتحبير لابن أمير الحاج على التحرير لابن الهمام	أصول الفقه
	جـ - علم التفسير:	
٣٥ -	حاشية على تفسير البيضاوي	التفسير
	د - علم الكلام والعقائد:	
٣٦ -	رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه	العقائد
٣٧ -	تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه عليه وعليهم الصلاة والسلام	العقائد
٣٨ -	العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر	العقائد
	هـ - علم الحديث:	
٣٩ -	عقود اللآلي في الأسانيد العوالي	الحديث
	و - التصوف:	
٤٠ -	إجابة الغوث في بيان حال النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث	التصوف
٤١ -	سلّ الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي	التصوف والفقه

رقم الكتاب	اسم الكتاب	اسم الفن
	ز ـ علوم العربية:	
٤٢ ـ	الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة	النحو
٤٣ ـ	فتح رب الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب	النحو
٤٤ ـ	الدرر المضية في شرح نظم الأبحر الشعرية	العروض
٤٥ ـ	شرح الكافي في العروض والقوافي	العروض
٤٦ ـ	مقامات في مدح الشيخ شاكر العقاد	الأدب
٤٧ ـ	مجموع النفائس والنوادر	الأدب
٤٨ ـ	حاشية على المطوّل	البلاغة
	ح ـ علم التاريخ والسيرة	
٤٩ ـ	قصة المولد النبوي	السيرة
٥٠ ـ	ذيل سلك الدرر	التاريخ
	ط ـ علم الحساب والهيئة:	
٥١ ـ	مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور	الحساب
	وأخيراً:	
	الفتاوى	**فقه حنفي**

المطلب الثاني : ضبط الآثار العلمية لابن عابدين بحسب وجودها أو عدمه :

آثار ابن عابدين منها موجود مابين مطبوع ومخطوط ومنها مالم يعثر له على أثر:

آ ـ فأما مالم يعثر عليه منها فهي عشرة، إليك بيانها:

١ ـ حاشية على شرح الملتقى للحصكفي، لم تجرّد.

٢ ـ حاشية على النهر الفائق، لم تجرد.

٣ ـ نظم الكنز، وقد رأيت أوراقاً فيها منظومات في الفقه في مكتبة آل عابدين العامرة أحسبها نظم الكنز والله أعلم.

٤ ـ حاشية كبرى على شرح إفاضة الأنوار على المنار فُقدت في مصر.

٥ ـ حاشية على تفسير البيضاوي يُظن أنها فقدت في تركية.

٦ ـ شرح الكافي في العروض والقوافي.

٧ ـ حاشية على المطوّل.

٨ ـ مجموع النفائس والنوادر.

٩ ـ ذيل سلك الدرر لتاريخ المرادي.

١٠ـ قصة المولد النبوي الشريف.

ب ـ والموجودات ماعدا ذلك أي (٤٢) كتاباً هي مجموع المخطوط والمطبوع.

المطلب الثالث: ضبط آثار ابن عابدين بحسب طبعها أو بقائها مخطوطة:

الموجودات من آثار ابن عابدين على قسمين: مطبوع ومخطوط لم يطبع بعد:

آ - أما المخطوط الذي لم يطبع بعد فهو:

١ - حاشية رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار: وقد جرّدها السيد أبو الخير عابدين وهي موجودة كاملة الآن في مكتبة آل عابدين العامرة بدمشق.

٢ - قطعة من حاشية على شرح التقرير والتحبير لابن أمير الحاج، موجودة الآن في مكتبة آل عابدين العامرة بخط السيد أبو الخير عابدين.

٣ - حاشية فتح الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب، موجودة الآن كاملة في مكتبة آل عابدين العامرة بخط مؤلفها.

٤ - الدرر المضية في شرح نظم الأبحر الشعرية، موجودة الآن كاملة في مكتبة آل عابدين العامرة بخط مؤلفها.

٥ - الفتاوى في الفقه الحنفي وتبلغ مئة فتوى موجودة الآن بخط مؤلفها في مكتبة آل عابدين العامرة بدمشق.

ب - أما المطبوع، فمنه ماوجدت منه نسخ مخطوطة ومنه مالم يعثر على مخطوطته. وإليك بيانه بالإجمال:

١ - حاشية رد المحتار على الدر المختار.

٢ - حاشية منحة الخالق على البحر الرائق.

٣ - العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية.

٤ - عقود رسم المفتي وشرحها.

٥ - شرح منهل الواردين.

٦ - رفع التردد وذيلها.

٧ - تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام.
٨ - شفاء العليل.
٩ - تنبيه الغافل والوسنان.
١٠- إتحاف الذكي النبيه.
١١- الإبانة.
١٢- تحرير النقول.
١٣- رفع الانتقاض.
١٤- الأقوال الواضحة الجلية.
١٥- العقود الدرية في قول الواقف (على الفريضة الشرعية).
١٦- غاية المطلب.
١٧- غاية البيان.
١٨- تنبيه الرقود.
١٩- تحبير التحرير.
٢٠- تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام.
٢١- إعلام الأعلام.
٢٢- تحرير العبارة.
٢٣- أجوبة محققة.
٢٤- الرحيق المختوم.
٢٥- بغية الناسك.
٢٦- نشر العرف.
٢٧- حاشية نسمات الأسحار.
٢٨- رفع الاشتباه.
٢٩- تنبيه الولاة والحكام.
٣٠- العلم الظاهر.

٣١- عقود اللآلي.

٣٢- إجابة الغوث.

٣٣- سلّ الحسام الهندي.

٣٤- الفوائد العجيبة.

٣٥- مقامات في مدح الشيخ شاكر.

٣٦- مناهل السرور.

٣٧- الفوائد المُخَصَّصة.

آ - أما طبعات الحاشية (رد المحتار) فسأذكره في الباب المخصَّص لها مع التفصيل.

ب - وأما طبعات الكتب التي طبعت منفردة وهي:

١ - حاشية منحة الخالق.

٢ - العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية.

٣ - عقود اللآلي.

٤ - حاشية نسمات الأسحار.

فقد ذكرتها في مكانها من دراسة كل كتاب على حدة.

ج - وأما مقامات مديح ابن عابدين لشيخه الشيخ شاكر، فهي — أو قطعة منها على الأقل - مطبوعة في آخر ثبته (عقود اللآلي). هذه ستة كتب من سبعة وثلاثين.

د - فبقي إحدى وثلاثون رسالة - وطبعت في مجموع واحد في جزأين أربع طبعات مع عقود اللآلي واثنتين بدونه، وإليك بيان ذلك:

١) الطبعة الأولى: مع عقود اللآلي في إستانبول سنة ١٢٨٧هـ سماها بروكلمان (مجموعة إستانبول سنة ١٢٨٧هـ).

٢) الطبعة الثانية: مجردة في دمشق سنة ١٣٠١هـ سماها بروكلمان (دمشق سنة ١٣٠١هـ).

٣) الطبعة الثالثة: مع عقود اللآلي في مجموع واحد في إستانبول سنة ١٣٠٢هـ سماها بروكلمان (إستانبول ١٣٠٢هـ).

٤) والطبعة الرابعة: في إستامبول مجردة سنة ١٣٢٥هـ) وهي المتداولة اليوم[١].

أقول: ((وقد طبعت هذه الرسائل الإحدى والثلاثين[٢] في مجموع واحد بجزأين في هذه الطبعات مع رسالة ليست للسيد محمد أمين، بل لولده السيد علاء الدين هي (منّة الجليل لبيان إسقاط ماعلى الذمة من كثير وقليل) مما جعل بروكلمان وغيره يوهمون فيذكرونها على أنها من مؤلفات السيد محمد أمين، وقد وقع في هذا الوهم كثيرون))[٣].

---

(١) قال سركيس في معجم المطبوعات ما يلي: ((طبعت رسائل ابن عابدين في مجموعة تشتمل على ٣٢ رسالة في الآستانة سنة ١٣٢٥ بجزأين على ذمة محمد هاشم الكتبي ترى ذكرها في مجموعة رقم ٥٣ وكذا لم تكرر محل طبع الرسائل حيث طبعت على حدة في دمشق)) اهـ.

ر: معجم المطبوعات ج١/ص١٥٤ وبروكلمان الذيل ج٢/ص٧٧٣.

(٢) قال علاء الدين في أول التكملة: ((وله رسائل عديدة ناهزت الثلاثين في جملة فنون)) وقال أبو الخير في آخر الثبت: ((وله من الرسائل في تحرير المسائل نيف وثلاثون رسالة)) ص٢٣٢ وما بعدها.

(٣) جاء في ترجمة بروكلمان ما يلي:

(مباشرة ينتقل بروكلمان من الفقرة ٩ - إلى الفقرة ١٣ في ذكر مؤلفات ابن عابدين دون تنويه أو اشارة؟).

وجاء أيضاً: (آثاره آ - رسائل ابن عابدين في جزأين سنة ١٣٢٥).

مسرد مطبوعات آثار ابن عابدين
في معجم المطبوعات لسركيس

١- الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة / دمشق ١٣٠١هـ.

٢- إتحاف الذكي النبيه بجواب مايقول الفقيه / دمشق ١٣٠١ الآستانة. سنة ١٣٢٥هـ.

٣- إجابة الغوث... في مجموعة رقم ٧٦.

٤- إجابة محققة عن أسئلة مفرقة / دمشق ١٣٠٢هـ وفي مجموعة رقم٧٦.

٥- إعلام الأعلام... / دمشق ١٣٠١هـ.

٦- الأقوال الواضحة الجلية... / دمشق ١٣٠١هـ.

٧- بغية الناسك... في مجموعة رقم٧٦.

٨- تحبير التحرير... / دمشق ١٣٠١هـ.

٩- تحرير العبارة... / دمشق ١٣٠١هـ.

١٠- تحرير النقول / دمشق ١٣٠١هـ.

١١- تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ... / دمشق١٣٠١هـ.

١٢- تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم... في مجموعة رقم٧٦.

١٣- تنبيه الغافل والوسنان / دمشق ١٣٠١هـ.

١٤- تنبيه الرقود / دمشق ١٣٠١هـ.

١٥- تنبيه الولاة والحكام... / دمشق١٣٠١هـ.

١٦- الرحيق المختوم... / دمشق١٣٠٢هـ.

١٧- رد المختار... بولاق وميمنية.

١٨- رفع الاشتباه... / دمشق١٣٠١هـ.

١٩- رفع الانتقاض...

٢٠- رفع التردد / دمشق١٣٠١هـ.

٢١- سل الحسام الهندي / دمشق ١٣٠١هـ.

٢٢- شفاء العليل / دمشق سنة١٣٠١هـ.

٢٣- العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية بهامشه الفتاوى الخيرية ج٢ بولاق / سنة١٣٠١هـ / والميمنية سنة١٣١٠هـ.

٢٤- العلم الظاهر... في مجموعة رقم٥٣.

٢٥- العقود الدرية في قول الواقف / دمشق سنة١٣٠١هـ.

٢٦- غاية البيان / دمشق١٣٠١هـ.

٢٧- غاية المطلب / دمشق سنة١٣٠١هـ.

٢٨- الفوائد العجيبة وبالهامش (النهاية في التعريض والكناية)[1] / دمشق سنة١٣٠١هـ.

٢٩- الفوائد المُخَصَّصة / دمشق سنة١٣٠١هـ.

---

(١) هذا الكتاب ليس لأحد من آل عابدين مطلقاً بل هو (للثعالبي) كما أشار إليه بروكلمان في تاريخ الأدب العربي عند ذكره كتاب الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة لابن عابدين الكبير فلينظر.

٣٠- مناهل السرور / دمشق ١٣١٠هـ.

٣١- منحة الخالق على البحر الرائق طبعته بهامش البحر.

٣٢- منهل الواردين / دمشق سنة١٣٠٢هـ.

٣٣- نسمات الأسحار... مط / الميمنية سنة١٣٢٩هـ.

٣٤- نشر العرف / دمشق١٣٠١هـ[١].

٣٥- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي / دمشق سنة١٣٠٢هـ[٢]..



---

(١) ر: معجم المطبوعات لسركيس ج١ من ص١٥٠ إلى ص١٥٤.
قلت: ((وقد عثرت على عدة زلات وقع فيها سركيس في هذا المسرد، منها تكرار بعض الكتب مرتين وثلاث أحياناً، ومنها إدراج بعض آثار علاء الدين في المسرد مثل/ منّة الجليل، والهديّة العلائية/ فلينظر..

(٢) قلت: ((وقد نقل بروكلمان فيما يبدو لي معظم آثار ابن عابدين في تاريخ الأدب العربي عن معجم المطبوعات لسركيس هذا، يدل لذلك ذكر كتاب (النهاية في التعريض والكناية) في هامش الفوائد العجيبة لابن عابدين كما جاء في معجم المطبوعات حرفياً، ولعل بروكلمان عالة على سركيس، وسركيس وكل من عني بسرد مؤلفات ابن عابدين وترجمته عالة على السيد علاء الدين في التكملة والشيخ أبو الخير في آخر الثبت كما يبدو لي والله أعلم.

المبحث الثاني

الدراسة الميدانية لآثار ابن عابدين

ستكون دراستنا الميدانية هذه لآثار ابن عابدين في مطلبين اثنين:

المطلب الأول: في دراسة آثاره الفقهية والأصولية فقط، ذلك لأن هذه الآثار تكاد تشكل أكثر من نصف آثاره جميعها، فتصانيف ابن عابدين الفقهية والأصولية هي التي تبرز تخصص ابن عابدين في الفقه وأصوله وعبقريته الفقهية، وتكشف ما خفي من جوانب شخصيته العلمية الفذة، إذ لا تظهر مقدرة عالم إلاّ في ميدان تخصّصه.

المطلب الثاني: في دراسة بقية آثاره من تفسير وعقائد وحديث وتصوف وعلوم العربية وتاريخ وحساب وما إلى ذلك، وذلك لا ستكمال الرؤية ومعرفة أبعاد ذلك الدماغ الفذ الذي أنتج لنا كل هذه الكنوز.

وسوف نعتمد في دراستنا هذه كل التراجم والفهارس التي قام بها الكاتبون، والآثار التي تركها لنا ابن عابدين والأسرة العابدينية من بعده، وسوف لا نألو جهداً في تقصّي الحقيقة بمشيئة الله...

آ ـ في الفهارس العامة:

تجدر الملاحظة في الفهارس العامة؛ وهما هنا فهرسان اثنان: إيضاح المكنون في الذيل على (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)، و(الإيضاح للباباني البغدادي) ـ إلى أنّ هذه الأرقام تشير إلى رقمي الجزء والصفحة من هذا الكتاب اللذين ورد فيهما ذكر هذا الأثر من آثار ابن عابدين، على أن هذه الآثار مرتبة في الكتاب المذكور حسب التسلسل الألفبائي في الأصل، ولكن في صفحات مختلفة في كلا الجزأين من الكتاب.

أما (هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) للبغدادي، فقد جعلنا الرقمين ٣٦٧ و٣٦٨ إشارة إلى الصفحتين من الجزء الثاني اللتين أخذنا منهما ما ذكرنا، والرقم بين القوسين ( ) إشارة إلى رقم الأثر في الكتاب المذكور، حيث صُنّفت الآثار حسب التسلسل الألفبائي أيضاً، ولكن بعضها وراء بعض في تدوين واحد لاحق لترجمة مختصرة جداً، علماً بأن البغدادي أدرج (منّة الجليل) لعلاء الدين في مؤلفات أبيه سهواً.

ب ـ أما فهارس أهم المكتبات الكبرى في العالم العربي:

فقد اكتفيت بذكر رقم الجزء ورقم الصفحة وأشرت أحياناً إلى رقم النسخة بين معقوفتين [ ]. أما الرقم المتسلسل فأشرت إليه بحرف /م/ والمخطوط بـ /خ/ والمطبوع بـ /ط/.

المطلب الأول: دراسة الآثار الفقهية والأصولية:

آ ـ الآثار الفقهية ودراستها:

١ ـ ردّ المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين):

أفردت لها بحثاً خاصاً في الباب الثالث فليرجع إليه.

٢- منحة الخالق على البحر الرائق:

البحر الرائق[1] كتاب جليل في الفقه الحنفي كتبه العلاّمة زين الدين ابن نجيم (ت ٩٧٠هـ) شرحاً لمتن كنز الحقائق للإمام النسفي أبي البركات عبد الله ابن أحمد بن محمود، المتوفى سنة ٧١٠ هـ كما في معجم المؤلفين ٦/٣٢.

---

(١) البحر الرائق جاء في بروكلمان / تاريخ الأدب العربي مايلي ج٢ ص٧٧٣ الإحالة إلى ص٢٦٦/٢/الفقرة ٣٢.

[البحر الرائق: لزين العابدين بن نجيم المصري (توفي ٩٧٠هـ).

- في المتحف البريطاني في براون ٧٥٣٢ DL23

تونس جامع الزيتونة (IV، ٦٣، ١٨٩٨-١٩٠٢)

- ص١١٧-١١٨ Ya.ER).

- سليم آغا ٣٣٤ (١٦٠٤-٩).

- راغب ٥٢٢

- سليمانية (٤٦٥ - ٧١).

- دامادزاده (٨٧٥ - ٨٣).

- عمر كحالة ـ دمشق ٣٦ (٣/١٠٧).

- القاهرة ١ (٤٠٤).

- الموصل ٣٦ (١٧٩).

٦١ (٥٧).

٦٤ (٢٢٤).

- آصف ج٢ ١٠٧٢ / ٨/٣٣

- رامبور ج١ ١٦٩ / ٥٧،٤٧

- بنكبوت ١-١٩-ص(١٦٩٩-١٧٠٨) I-XIX

طبعت في القاهرة سنة ١٣٣٤.

ثم جاء العلاّمة ابن عابدين فكتب حاشية على البحر الرائق سمّاها (منحة الخالق على البحر الرائق) شرح بها كلام ابن نجيم وحرّر الأقوال وسهّل المعضِلات فتمت في سبع مجلدات كبار، وخُصّص المجلّد الثامن لتكملة الطوري للبحر، يزيد كلّ منها على ٤٠٠ صفحة كتب العلامة ابن عابدين هذه الحاشية وعلّقها على هامش نسخته أثناء قراءته للبحر على شيخه الشيخ سعيد الحلبي، وقد ذكر مصادر حاشيته في أولها.

قال في مقدمته:

((ولست أتعرض فيها غالباً إلاّ لما فيه إيضاح أو تقوية لما فيه بحث أو

ذيول المؤلف:

الذيـول

آ - مظهر الحقائق الخفية لخير الدين الرملي توفي لسنة ١٠٨١
- الجزائر ١٠١٠
- قيليس ٣٤٣
- بنكبوت ×١×ج٢ ص١٧٠٩

ب - تكملة... للطوري المصري الحنفي
- ميونيخ ٣٠٥
- الجزائر ١٠١١
- تونس - حامع الزيتونة ج٤ ص٨٨-١٩٤٨
- آصف ج٢ ١٠٧٢ - ١٠٧٤
٣٩، ١٣٠، ١، ٥٣١
في ملحق واحد (مؤلّف)
- القاهرة ١٣٣٨

حـ - منحة الخالق... لمحمد أمين عابدين في مؤلّف واحد]
اهـ ص ٢٦٦/ الذيل ج٢.

إشكال بعبارات تفكّ الأسر وتحلّ العقال، إذ هو مشحون بالمسائل الفقهية والأدلة الأصولية، فهو غنيٌّ من ذلك عن الزيادة اللهم إلاّ أن يكون شيئاً في ذكره عظيم إفادة ضامّاً إلى ذلك بعض أبحاث أوردها في النهر الفائق الفاضل المحقق الشيخ عمر على أخيه الشيخ الفقيه النبيه العلامة زين الدين بن نجيم سديد الرأي والنظر، وبعض ما كتبه على هذا الكتاب الشيخ خير الدين الرملي المفتي الحنفي تاركاً لما وجهه عليَّ قد خفي))[1]اهـ.

هذا، وقد انتهى ابن عابدين من حاشيته في المحل الذي انتهى إليه ابن نجيم وهو الإجارة الفاسدة، وهاهو ذا يقول في الخاتمة: ((الحمد لله قد انتهى هذا السّفر المبارك والسّفران اللذان قبله قراءة مقابلة وتصحيحاً وكتابة على الهامش بحسب الطاقة مع قراءة الدر المختار للشيخ علاء الدين الحصكفي وحاشيته للشيخ إبراهيم الحلبي المداري وكتابه على هامشهما وضبطهما وتصحيحهما على جناب شيخنا فقيه عصره السيد محمد سعيد الحلبي أطال الله بقاءه وأناله ما أمله وتمنّاه...)) ثم قال: ((وذلك في أوائل ربيع الثاني سنة ألف ومائتين وثلاثين، وأنا الفقير إليه تعالى

---

(١) حاشية منحة الخالق ج١/ ص٣.

أقل عبيده وأحوجهم إلى تأييده وتسديده محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد الشهير بابن عابدين عفي عنه آمين))[1] ا. هـ

وقد نظم في ختام منحة الخالق قصيدة رائية أثبتناها في ديوانه يمدح بها شيخه سعيداً الحلبي، وينوّه بابن نجيم ويذيّل الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الغني بن السيد عمر عابدين ابن أخي المؤلف ومبيض حاشية البحر بما يشرح قصة هذه الحاشية فيقول بعد الحمدلة والتصلية:

((وبعد، فيقول الفقير أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين إن شيخنا سيدي المرحوم مؤلف هذه الحاشية المسماة (منحة الخالق على البحر الرائق شرح كنز الدقائق) قد كان علّقها على هامش نسخته البحر حين قراءته له على شيخه العلامة فقيه العصر ويتيمة الدهر السيد سعيد الحلبي، وكتب على عبارات هذا الشرح ما يحلّ عقالها ويدفع إشكالها من كلام أخي الشارح في شرحه المسُمّى بالنهر، ومن كلام الشيخ خير الدين الرملي في حاشيته على هذا الكتاب ومن كلام غيرهما مما رآه مسطوراً في الكتب أو استخرجه بفكره المضاهي لثواقب الشّهب، وقد ذكر ذلك على ظهر نسخته البحر المذكورة ثم قال: ((وإذا تم ذلك بمعونة الله تعالى أجمعه في سفر ليكون كحاشية مستقلة لعله يكون به النفع لي ولغيري من المتعلمين بفضل أكرم الأكرمين، وإن اختارتني المنية قبل جمع ما سطرته في الهوامش فقد أذنتُ لمن اطّلع على حقيقة الأمر أن يجمع ذلك، ويكون شريكي في إيصال هذا الخير، فقد أجهدت نفسي في جمع ذلك مع التأمل والمراجعة لشيخنا أطال الله بقاءه ومراجعة كثير من كتب المذهب اجتمعت عندى ولله الحمد والمنة، أسأله سبحانه وتعالى أن يتمم فضله وإحسانه بحرمة نبيه النبيه وأصحابه وتابعيه آمين)) اهـ.

---

(١) المصدر السابق ج٧/ ص٣٣٨ و٣٣٩.

ثم إنه بعد أن أتمّها جعل لها خطبة وجرد منها كراسين بخطه ثم أتته دعوة ربه لنيل الحسنى بلقائه وقربه فأجاب داعيه ولبى مناديه في سنة ١٢٥٢هـ، فقصد هذا الفقير تجريدها وجمعها في سفر خوفاً عليها من الضياع وحرصاً على حصول النفع بها في سائر البقاع وخدمة لشيخنا العم خصوصاً ولسائر المسلمين عموماً، وجاءت في اثنين وتسعين كراساً، وأصبحت في دجنّات المشكلات نبراساً، وكانت ولادته سنة ١١٩٨هـ)) اهـ ج ٧/ص٣٤٠ و٣٤١.

أما تاريخ الانتهاء من الطباعة فهو في شعبان سنة ١٣١١هـ في المطبعة العلمية بالقاهرة على ذمة السيد عمر هاشم الكتبي الحموي، وأخيه السيد محمد وهاشم.

أقول: ((وفي مكتبة الدكتور أبو اليسر عابدين النسخة الخطّية التي كتبها الشيخ أحمد عابدين بخطه، وفي آخر هذه الرسالة راموز منها.

ولقد ذكرها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي فقال: ((ومن ذلك (منحة الخالق على البحر الرايق) علقتها على هوامشه و لم أجرّدها بعد، تبلغ جزواً ضخماً))(١).

أما من ذكرها من المترجمين وأصحاب الفهارس فهم:

١ ــ علاء الدين عابدين في التكملة، في ترجمة والده ج/١ ص٧ قال عنها: ((وحاشية على البحر سماها: منحة الخالق على البحر الرائق)).

---

(١) ارجع إن شئت إلى نص الرسالة /الرقم ٣٥ منها في نماذج من رسالله والآثار غير العلمية من هذا الفصل من هذا الباب.

٢ - أبو الخير عابدين في (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي): ص ٢٣٢ قال عنها: ((وحواشيه على البحر الرائق سماها (منحة الخالق) و لم يجردّها وقد جرّدها سيدي الوالد حفظه الله تعالى فبلغت تسعين كراساً)).

٣ - الدكتور أبو اليسر في الترجمة المكتوبة ص ٣ قال: ((من أعظم كتبه حاشية على البحر سمّاها (منحة الخالق على البحر الرائق) محرّرة على هامش نسخته وقال في آخرها: ((أذنت لمن يجردها أن ينسبها لنفسه)) فجرّدها المرحوم جدي الشيخ أحمد عابدين أمين الفتوى بوقته وتلميذ المؤلف وطبعها و لم ينسبها لنفسه، بل نسبها لشيخه المؤلف)) (١).

٤ - البيطار في حلية البشر ج٣/ص١٢٣٠ قال: ((ومنها منحة الخالق على البحر الرائق)).

٥ - الشطي في روض البشر ص ٢٥٠ قال: ((وحاشية على البحر الرائق)).

٦ - مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص ٣٧ قال: ((وحواشيه على البحر الرائق سماها (منحة الخالق)).

٧ - الباباني في إيضاح المكنون ج٢/ص٥٧٨.

٨ - البغدادي في هدية العارفين ج١/ ص ١٥٤.

٩- سركيس في معجم المطبوعات ج١/ ص١٥٤.

١٠ ـ بروكلمان (٣٢ ـ منحة الخالق على البحر الرائق إحالة إلى الذيل ج ٢/ص٢٦٦)(٢)

---

(١) ثم قال رحمه الله: ((وهي موجودة عندي بخط المرحوم الجد)) اهـ. المسموعات.

(٢) ر: بروكلمان ج٢/ الذيل ص٧٧٣.

١١ ـ التقرير العلمي العابديني:

(منحة الخالق على البحر الرائق بخطّه على هامش نسخته ومنقولة بخط السيد أحمد).

قلت: ((وذكرها اللكنوي في /فرحة المدرّسين/ قال ((وعلى البحر حاشية لابن عابدين مسماة بـ/منحة الخالق/ ذكره في رد المحتار وغيره من تصانيفه)) اهـ.

١٢ ـ في الفهارس العامة:

١ ـ إيضاح المكنون ج٢/ص٥٧٨.

٢ ـ هدية العارفين ج ٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٣٦).

٣ ـ حاشية على شرح الملتقى (لم يعثر عليها).

ملتقى الأبحر:

كتاب في فروع الفقه الحنفي صنفه إبراهيم الحلبي جمعه كما قال: ((من القدوري والمختار والكنز والوقاية وزاد عليه مسائل من المجمع والهداية)). وهو مطبوع وعليه شرحان:

الأول منها اسمه: (مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر) لشيخي زاده، مطبوع. والثاني اسمه: (الدّر المنتقى شرح الملتقى) لعلاء الدين الحصكفي المعروف بالعلائي، مطبوع أيضاً.

وعلى شرح الثاني للملتقى (الدر المنتقى) كتب ابن عابدين حاشية عليه حلّ بها إشكالات شرح الحصكفي المذكور ولم تجرّد، ولم يعثر لها على أثر.

ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة قال: ((وحاشية على شرح الملتقى وحاشية على النهر إلا أنهما لم يجردا من الهوامش)) ج١ /ص٧، ويقول السيد علاء

الدين في آخر ترجمته لوالده الذي سماه علاء الدين على اسم الشارح: ((وهذا مما يدل على حبه للشارح العلائي لا سيما وقد حشّى له شرحيه ؟ على الدر والملتقى، وشرحه على المنار)) التكملة ج٦/ص١٠.

٢ - أبو الخير عابدين في آخر الثَّبت: ((وحواشيه على شرح الملتقى للعلائي، وحواشيه على النهر الفائق ولم تجرّد)) ص/٢٣٢.

٣- الدكتور أبو اليُسْر في الترجمة المكتوبة: ((وحاشية على شرح الملتقى وحاشية على النهر)) ثم يقول في آخرها: ((وكل ذلك لم نر له أثراً بل فُقِدَ)).

٤ - البيطار في حلية البشر: ((وحواشيه على شرح الملتقى للعلائي وحواشيه على النهر الفائق)) ج٣/ص١٢٢٠.

٥ - مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((وحواشيه على شرح الملتقى للعلائي))[1] ص/٣٦و٣٧ وما بعدها.

٤ - حاشية على النهر الفائق (لم يُعثر عليها).

كنز الدقائق: كتاب في فروع الفقه الحنفي صنّفه النسفي الحنفي المتأخّر (أبو البركات عبد الله أحمد بن محمود) عرف بالكنز، وهو أحد المتون المعتبرة في المذهب. عليه شروح كثيرة من جملتها (البحر الرائق) لزين الدين ابن نجيم مط.

---

(١) ورد التعليق في هامش أعيان القرن الثالث عشر (خليل بن عبد الله العلائي مولود ٦٩٤ متوفى في القدس سنة ٧٦١) اهـ. وقد وهم المعلق في هذا التعليق لأن العلائي المراد هنا هو علاء الدين الحصكفي صاحب الملتقى والدر كما في آخر الترجمة المتوفى بدمشق سنة ١٠٨٠هـ، والعلائي المذكور في التعليق هنا هو العلائي الحافظ الشافعي خليل بن كيكلدي الملقب بـ (صلاح الدين). ر: كتاب (تحقيق المراد في أنَّ النهي يقتضي الفساد) للعلائي الشافعي هذا بتحقيق أخينا الدكتور إبراهيم محمد السلقيني من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

وقد مرّ ذكره، ومن جملتها (النهر الفائق) لعمر بن نجيم أخي زين الدين مطبوع، وكما حشّى ابن عابدين البحر حشّى النهر فكتب عليه حاشية لم تجرّد ولم يعثر لها على أثر، وكل من ذكر حاشية الملتقى ذكر حاشية النهر هذه. وقال عنها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي (وحواشي على النهر الفائق) برقم ٣٦.

٥ ـ رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار

مخطوط في مكتبة الدكتور الشيخ أبو اليسر عابدين، وهو حاشية كتبها ابن عابدين على حاشية الحلبي المداري على الدر، انتهى من تأليفها سنة ١٢٢٦هـ في تاسع شوال منها ـ وهي ماتزال مخطوطة ـ تتبّع فيها المحشّي ابن عابدين المحشي الحلبيّ وبقيت على نسخته ولم يجرّدها رحمه الله، فجردها السيد أحمد عابدين ابن أخيه، وهي ماتزال مخطوطة بخط السيد أحمد عابدين في مكتبة الدكتور أبي اليسر وعليها تملك والده السيد محمد أبو الخير عابدين، وقد رأيتها وصورت منها عدة رواميز تنظر في آخر الرسالة، وهي مجلّد واحد متوّسط الحجم بخط واضح جميل، ذكرها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي برقم ٣٧ فقال عنها: ((وحواشي على حاشية الحلبي على الدر)).

أما الغلاف فكتب عليه بخط السيد أحمد: ((رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار، لخاتمه المحقّقين السيد محمد أمين الشهير بابن عابدين عليه رحمة أرحم الراحمين آمين)).

وفي خطبة الكتاب ما يلي بعد البسملة: ((الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وأصحابه أجمعين، وبعد فيقول الفقير أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين عفا عنهم رب العالمين، هذه حواشي لخاتمة المحقّقين وعمدة الفقهاء والمحدّثين سيدي العم السيد محمد أمين بن

عمر عابدين على حاشية الشيخ إبراهيم الحلبي على الدر المختار رحمه الملك الغفار، وقد كان رحمه الله تعالى علّقها على هامش نسخته التي هي بخطه فأحببت تجريدها خوفاً عليها وللنفع إن شاء الله تعالى بها، وبلغني أنه كان سمّاها (رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار) فأقول وبالله التوفيق، قال رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه)) اهـ.

وإليك خاتمة الكتاب: ((يقول الفقير مجرّد هذه الحواشي رأيت في آخر حاشية العلاّمة الشيخ إبراهيم الحلبي على الدر المختار عليه رحمة الملك الغفار التي بخط صاحب هذه الحواشي المجردة عن هامشها تاريخ إتمام الأصل ما صورته: ((وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب اللطيف على يد العبد الضعيف أقل الطلبة الفقير محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز بن أحمد الشهير بابن عابدين، كان الله تعالى له أينما كان وأسبل عليه أردية العفو والغفران، وغفر له ولوالديه ومشايخه ومن له حق عليه بحرمة النبي وآله الطاهرين صلى الله تعالى عليه من شوال المبارك سنة ست وعشرين ومائتين وألف من هجرة من حاز غايات العز والشرف صلى الله تعالى عليه وسلّم وشرف وكرّم:

قد أنعم المَوْلَى الكريمُ على ابن عابدين نِعَماً فَاشِيَةْ
من ذاك في تاسع شوالِ قد أَرَّخْتُهُ بِتُمِّمَتْ حَاشِيهْ)) اهـ[1]

وكان الفراغ من تجريدها من مُسَوَّدَة مؤلّفها على يد أقل الخليقة ومن لاشيء في الحقيقة أحمد بن عبد الغني بن عمر عابدين عفا عنه وعن والديه

(١) هذان البيتان من نظم ابن عابدين الكبير ذيل بهما نسخة لحاشية الحلبي المداري على الدر مع تعليقاته عليها وجعلهما بيتي التاريخ من حساب الجمل/ فأرخته تتمة حاشية إشارة إلى سنة ١٢٢٦هـ بالحساب المذكور، هذا والبيتان المذكوران من البحر السريع المزحّف (مستفعلن مستفعلن فاعلن).

ومشايخه وأحبابه ربّ العالمين وذلك في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٨٤ في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وثمانين ومائتين وألف والحمد لله رب العالمين)).

ولكي تتعرّف قيمة هذا الكتاب العلمية فسأسوق لك نصاً منه أنقله من راموز ورقة من أوراقه الأولى: ((واعلم أنّ من كتب مسايل الأصول كتاب الكافي للحاكم الشهيد، وهو كتاب معتمد في نقل المذهب، وشرحه جماعة من المشايخ، منهم الإمام شمس الدين السرخسي والإمام القاضي الأسبيجابي وغيرهما، ومن كتب المذهب (المنتقى) له أيضاً إلاّ أنّ فيه بعض النوادر، ولهذا يذكر صاحب المحيط بعد ذكر النوادر معنوناً (بالمنتقى)، وقيل: لايوجد في هذه الأعصار لكن ذكر لي شيخنا الشيخ أحمد الشوبري أنه عنده)) ا. هـ.

وإليك نصاً آخر من آخره قبيل الخاتمة بقليل: ((كتاب الفرايض: قوله ((الخامسة لو ترك أولاداً إلخ)) أقول فيه نظر لما تقررأن الولاية في مال الصغير للأب ثم وصيه ثم للجد ثم وصيه ثم للقاضي ثم وصيه، فالجد يقوم مقام الأب عند عدم الأب ووصيه فلم يخالف الجد فيها الأب. تأمل)).

ذكره من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: ((وله من المؤلفات حاشية على حاشية الحلبي المداري سماها (رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار)).

٢ ـ البيطار في حلية البشر: ((وحواشي على حاشية الحلبي على الدر تتبّع فيها المحشّي المذكور سمّاها (رفع الأنظار عمّا أورده الحلبي على الدر المختار) ج٣/ص١٢٣٠ وما بعدها)).

٣ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثَّبت: ((وحواشي على حاشية الحلبي المداري على الدر تتبع فيها المحشّي المذكور سماها (رفع الأنظار عما أورده الحلبيّ على الدر المختار) ص/٢٣٢)).

٤ ـ الشطي في روض البشر: ((وحاشية على حاشية الحلبي على (الدر) ص/٢٥٠)).

٥ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((وحواشي على حاشية الحلبي المداري على الدر تتبع فيها المحشّي المذكور سمّاها (رفع الأنظار عمّا أورده الحلبي على الدر المختار) ص/ ٣٦و٣٧ وما بعدها)).

٦ ـ الزركلي في الأعلام ج٣/ص ٨٦٦.

٧ ـ وقد أشار إليها ابن عابدين في رسالته لتلميذه الجابي تحت رقم ٣٧.

٨ ـ التقرير العلمي العابديني:

((رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار بالحبر الأسود والأحمر ١٧×٢٢ مجرّدة عن مسوّدة مؤلفها بخط الشيخ أحمد عابدين ٢٥ ذي القعدة ١٢٨٤ تقع في نحو ٩٠ صفحة. ولما يطبع بعد)).

آ ـ في الفهارس العامة:

١ ـ إيضاح المكنون ج١/ص٥٧٧.

٢ ـ هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٠).

٦ ـ العقود الدّريّة في تنقيح الفتاوى الحامدية.

كتاب (مغني المستفتي عن سؤال المفتي) المشهور بالفتاوى الحامدية، لصاحبه حامد العمادي مفتي دمشق الشام، من أشهر كتب الفتاوى وأعظمها نفعاً، وقد أشار الشيخ سعيد الحلبي على ابن عابدين بتصنيف هذا الكتاب على طريقة

التنقيح والاختصار والتهذيب لكتاب العمادي المذكور مع ضم الفوائد وأحكام الواقعات والنوازل، فبدأ بذلك أثناء تصنيفه رد المحتار، كما ذكر صاحب التكملة. وامتد به العمل في جزأين كبيرين في نصف الأصل تقريباً. انتهى من الجزء الأول كما ذكر في آخره في ١٧/ رمضان ١٢٣٦هـ، وانتهى من الجزء الثاني كما ذكر في خاتمته في ١٨ ربيع الأول ١٢٣٨، والظاهر أنه بدأ فيه في سنة ١٢٣٢ أو التي بعدها، وظلّ يكتب فيه مدّة خمس سنوات أو ست سنوات تقريباً حتى تكامل بالشكل المعروف.

هذا، ولقد طبع عدة طبعات:

أولها: الطبعة الكاستلّية في القاهرة في ذي القعدة سنة ١٢٨٠ هـ في جزأين كبيرين الجزء الأول في ٣٢٨ صفحة، والثاني في ٣١٤صفحة مع ذكر المطالب في الهامش، وهي الطبعة الأكثر تداولاً(١).

ثانيها: الطبعة البولاقية في القاهرة في سنة ١٣٠٠ هـ بهامشها الفتاوى الخيرية لخير الدين الرملي، وهي الأجود.

ثالثهما: الطبعة الميمنية سنة ١٣١٠هـ.

قال في خطبته -رحمه الله- يوضّح الباعث على التأليف، ويذكر اصطلاحاته في هذا الكتاب:

((أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى مولاه القدير محمد أمين الشهير بابن عابدين غفر الله له ذنوبه وملأ من زلال العفو ذنوبه، إن كتاب (مغني المستفتي عن سؤال المفتي) للإمام العلاّمة والحبر الفهامة حامد أفندي العمادي مفتي الشام عليه رحمة الملك السلام كتاب جمع حلّ الحوادث التي تدعو إليها البواعث مع

---

(١) أقول: وهذه الطبعة موجودة في مكتبتي وعليها منهوات بخط أحد أولاد أخيه ـ ابن عابدين أو أولادهم من تصنيفه كما يبدو لي وهي قيّمة جداً، مع فهرس كامل خطي.

التحرير للقول الأقوى وما عليه العمل والفتوى، و لم أر بـالفتوى أنفـع منه حيث جمع مالا غنى عنه غيرأنّ فيه نوع إطناب بتكرار بعض الأسئلة وتعداد النقـول في الجواب، فأردت صرف الهمّة نحو اختصار أسئلته وأجوبته وحذف ما اشتهر منهـا ومكرراته وتلخيص أدلته، وربما قدّمت ما أخّر وأخّرت ما قدّم، وجمعت ما تفـرق على وضع محكم، وزدت ما لابد منه من نحو استدراك أو تقييـد أو مـا فيـه تقوية وتأييد ، ضامـاً إلى ذلـك أيضاً بعـض تحريـرات نقحتهـا في حاشـيتي علـى البحـر المسماة (منحة الخالق على البحر الرائق) وحاشيتي التي علّقتها علـى شـرح التنويـر المسماة (رد المحتار على الدر المختار) ومـا حررتـه مـن الرسـائل الفائقـة في بعـض المسائل المغلقة، مع ما يفتـح بـه الفتـاح العليـم في حـال الكتابـة مـن تحريـر بعـض المسائل المشكلة والوقائع المعضلة)).

ثم قال: ((حملني على جمعه من لايسـعني إلا امتثـال أمـره، أفـاض الله عليّ وعليه من وابل خيره وبِرّه)). ثـم قـال: ((وحيـث قلـت قـال المؤلّـف فمـرادي بـه صاحب الأصل، وكل ما كان من زيادتي أصدره بلفظ أقول))[1] ا. هـ

أمّا النسخ الخطية، فلقـد أفـادني الدكتـور أبـو اليسـر أن العقـود الدرّيـة في تنقيح الفتاوى الحامدية هذه موجودة عنده بخط مؤلّفها السيد محمد أمين عابدين.

وذكره ابن عابدين في رسالته للجابي فقال: ((ومن ذلك العقـود الدرّيـة في تنقيح الفتاوى الحامدية في مجلد كبير)) ا هـ. تحت رقم (٢).

أمّا من ذكره من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: ((وفي أثنائها ـ تأليف رد المحتار ـ ألّف العقـود الدّريّة في تنقيح الفتاوى الحامدية)).

---

(١) ر: العقود الدرية في تنقيح الفتاوي الحامدية ـ خطبة الكتاب.

٢ - أبو الخير عابدين في آخر الثّبت: ((والعقود الدرّية في تنقح الفتاوى الحامدية)) ص/٢٣٢.

٣ - البيطار في حلية البشر: ((والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية)) ج٣/ص١٢٣٠ وما بعدها.

٤ - الشطّي في روض البشر: ((ومن مؤلفاته العقود الدرّية في تنقيح الفتاوى الحامدية مطبوع)) ص/٢٥٠.

٥ - مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: والعقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية)) ص/٣٦ و٣٧ وما بعدها.

٦ - الزركلي في الأعلام ج٣/ص٨٦٦.

٧ - كحالة في المعجم ج ٩/ص٧٧.

٨ - في ظاهرية دمشق نسخة منها مخطوطة ناقصة الآخر، كل جزء منها بخطه. ونسخة ثانية كلاهما برقم (عام (١٠١٥٩و٦١١٥و ٦١١٦) ونسخة ثالثة كاملة بجزأين تحت رقم (عام: (٨٦٠٢) وقد كتبت الواحدة الناقصة في ١٢٧٠ هـ، و١٢٧٣ هـ والأخرى الكاملة سنة ١٢٦٩ هـ .

٩ - بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:

(١٦ - العقود الدرّية في تنقيح الفتاوى الحامدية. وقد وردت عند الرملي باسم (الفتاوى الخيرية) (إحالة إلى ص/٤٣٤ من الذيل ج٢)[1]

---

(١) جاء في الإحالة مانصه باللغة الفرنسية:

"Le waqf ou immobilisation d'après les principes du rite hanafite, trad. du l'Ar de ebn Abidin o in E.B. Ghaliogni, droi muslman, (le waqi II , 1983)"

الفقرة - ١٦ - عقار أموال غير منقولة Immobilisation ص/٢

عن الفتاوي الحامدية (الخيرية) اهـ. ر: الذيل ج٢، / ص ٢٦٤.

(حامد بن علي بن إبراهيم العمادي - توفي سنة ١١٧١هـ - ١٧٥٧م من كتبه:

آ - مغني المستفتي عن سؤال المفتي. مختصر في: العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية لمحمد أمين بن عابدين. برلين ص/٤٨٤٤ طبع في بولاق سنة ١٣٠٠ أيضاً في القاهرة سنة ١٣١٠.

بالفرنسية: (انظر كتاب الوقف ج٢ لسنة ١٨٩٣ أي د (E.D.Ghalinogni) أي - غاليونيني) قلت: ((وبعد الترجمة كان النص المحال عليه هو: (الوقف حسب مبادئ المذهب الحنفي، ترجمة العلامة ابن عابدين تأليف أي - د غاليونيني. في كتابه الفقه الإسلامي ا هـ.ح (كتاب الوقف، الطبعة ١١، ١٨٩٣)).

ر. بروكلمان ج٢/ الذيل ص٧٧٣

آ - في الفهارس العامة:

١ - إيضاح المكنون ج٢/ص١١٣.

٢ - هدية العارفين ج٢/ص ٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٦).

ب - في فهارس المكتبات:

١ - الخديوية ج٢/ص٨٠خ.

٢ - التيمورية ج٣/ص١٨٧.

٣ - الأزهرية ج٢/ص٢٠٦.

٤ - مخطوطات أوقاف بغداد ج١/ص٤٧٩ خ م ١٥٧١ نسختان.

٧ - نظم الكنز

لم أعثر عليه، لكني وجدت بعض منظومات متفرقة في الفقه بخط ابن عابدين ذاته في مكتبة الدكتور أبو اليسر لم أعرف حقيقة أمرها، فمن المحتمل أن تكون نظم الكنز أو غيره، والزمن سوف يكشف ذلك.

ولقد ذكر ابن عابدين في رسالته لتلميذه الجابي هذا الكتاب تحت رقم (٣٨) فقال:

((ونحو ثمانمائة بيت في نظم متن الكنز لم يكمل بعد)) اهـ.

أمّا من ذكره من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: ((وله نظم الكنز)).

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت: ((ونظم الكنز)) ص/٢٣٤.

٣ ـ الشطي في روض البشر: ((ونظم الكنز)) ص/٢٥٠ وما بعدها.

٤ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((ونظم الكنز)) ص/٣٩.

٨ ـ شرح عقود رسم المفتي

في المجموع المطبوع رسالة في ٤٢ صفحة[1] تشتمل على منظومة لابن عابدين وعلى شرح لها من تصنيفه، أوضح فيها قواعد الفتوى وأصولها وطبقات الفقهاء في المذهب الحنفي وتصحيح الأقوال وترجيح الروايات وما إلى ذلك، وكتب المذهب المعتبرة به وما يفتى به ومالا يفتى، بدأها بقوله: ((أما بعد فيقول أفقر الورى المستمسك من رحمة مولاه بأوثق العرى محمّد أمين بن عمر عابدين الماتريدي الحنفي عامله مولاه بلطفه الخفي: هذا شرح لطيف وضعته على منظومتي التي نظمتها في رسم المفتي أوضّح به مقاصدها وأقيّد به أوابدها وشواردها، أسأله سبحانه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجباً للفوز العظيم فأقول وبه نستعين في كل حين:

باسم الإله شارع الأحكام   مَعْ حمده أبْداً في نظامي

ثم الصلاة والسلام سرمدا   على نبي قد أتانا بالهدى

---

(١) من ص/١٠ إلى ص/٥٢ الجزء الأول منه.

وآلــه وصحبـــه الكـــرام	علــى ممـــرّ الدّهـــر والأعـــوام
وبعــد فــالعبد الفقــير المذنــب	محمــد بـــن عـــابدين يطلـــب
توفيـــق ربــه الكريــم الواحـــد	والفـــوز بـــالقبول في المقـــاصد
وفي نظـــام جوهـــر نضيـــد	وعقـــد درّ بـــاهر فريـــد
سميتـه عقـود رسـم المفتـي	يحتاجـه العـامل أو مـن يفتـي
وهـا أنـا أشـرع في المقصـود	مستمنحاً من فيـض بحـر الجـود

وقد بلغت هذه المنظومة (٧٠) بيتاً من البحر الرجز المزدوج.

قال في نهاية الشرح: ((نجز بقلم جامعه الفقير محمد عابدين غفـر الله تعـالى لـه ولوالديـه ومشـايخه وذريتـه والمسـلمين آمـين، وذلـك في شـهر ربيـع الثـاني ١٢٤٣هـ)).

ولقد ذكرها ابن عـابدين في رسـالته الـتي بعـث بهـا إلى تلميـذه الجـابي في معرض سرد مؤلفاته فقال:

((وأرجـوزة (عقـود رسـم المفـتي وشـرحها) اشـتملا علـى عجـائب وغرائب))[1] تحت رقم ٢٣.

ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: ((وشرح منظومة رسم المفتي)).

٢ ــ أبـو الخـير عـابدين في آخـر الثبـت: ((وشـرح علـى منظومتـه رسـم المفـتي)) ص/٢٣٣.

---

(١) ارجع إلى نماذج من رسائل ابن عابدين إن شئت.

٣ - البيطار في حلية البشر: ((وشرح على منظومة رسم المفتي)) ج٣/ص١٢٣ ومابعدها.

٤ - مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((وشرح على منظومة رسم المفتي)) ص/٣٧ وما بعدها.

٥ - في الظاهرية نسخة مخطوطة بخط مجهول، أغلب ظنّي أنه خط المؤلف تحت رقم (عام ١٠٣٣١) ونسخة ثانية بخط غير المؤلف رقم (عام٥٢٦٣) كتبت الواحدة في سنة ١٢٤٣ هـ، وهي ما يغلب على ظنّي أنها بخط المؤلف، والأخرى في سنة ١٢٥٧ هـ.

٦ - التقرير العلمي العابديني

((شرح منظومة رسم المفتي بخط المؤلف ٢٧ ورقة بالحبر الأسود ١٧×٢٢)).

آ - في الفهارس العامة:

١ - إيضاح المكنون ج٢/ص ١١٤.

٢ - هدية العارفين ج٢/ص ٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٨).

٩ - الفوائد المُخَصَّصَة بأحكام كَيِّ الحِمَّصَة

هي رسالة من إحدى عشرة صفحة[١] مطبوعة مع المجموع للمطبوع ذكر فيها ابن عابدين جميع الأحكام المتعلقة بكيّ الحمّصة[٢] في المذهب الحنفي، خلص منها إلى تحقيق علمي ذكر خلاصته في رد المحتار[٣] وأشار فيها إلى هذه الرسالة، وقد كان

---

(١) من ص/٥٤ إلى ص/٦٦ من المجموع المطبوع، الجزء الأول منه.

(٢) كيٌّ الحمصة: (هو مخرج يصنع بوضع الحمصة على العضو كالرَّحل وشدها بربـاط فتنزل أقذار الجسد منه).

(٣) ر: رد المحتار ج١/ ص٩٤.

مرجعه فيها رسالتان الأولى للشرنبلالي، والثانية للشيخ عبد الغني النابلسي فلخّص مباحثهما وزاد عليهما، وانتهى من تأليفها سلخ جمادى الأولى سنة ١٢٢٧ هـ. فبعد الحمدلة والتصلية قال في خطبة الرسالة: ((أما بعد، فيقول فقير رحمة ربه وأسير وصمة ذنبه محمد أمين الشهير بابن عابدين غفر الله تعالى ذنوبه وملأ من زلال العفو ذَنوبه آمين، هذه رسالة، سميتها (الفوائد المخصصة بأحكام كيّ الحمصة) الذي اخترعه بعض حذاق الأطباء، فإنه ممّا اشتهرت قضيته، وعمّت بليّته، وقد رأيت فيها رسالتين الأولى لعمدة المحققين فقيه النفس أبي الإخلاص الشيخ حسن الشرنبلالي الوفائي رحمه الله تعالى وشكر سعيه، والثانية لحضرة الأستاذ من جمع بين علمي الظاهر والباطن مرشد الطالبين ومربي السالكين سيدي عبد الغني النابلسي قدس الله سره وأعاد علينا من بركاته آمين، فأردت أن أذكر حاصل ما في هاتين الرسالتين مع التنبيه على ما تقرّ به العين، ضاماً إلى ذلك بعض النقول عن علماء المذهب، ممّا يتضح به حكم المسألة مستعيناً بالله تعالى، مستمداً من مدد هذين الإمامين الجليلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))[١]

وقال في خاتمة الرسالة: ((وقد وقع الفراغ من تسويد هذه الوريقات في سلخ جمادى الأولى سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين على يد جامعها العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين)) .[٢]

هذا، وقد أشار إليها المترجم، في رسالته إلى الجابي تحت رقم (٩).

أما من ذكرها من أصحاب التراجم منهم:

١ ـ علاء الدين في التكملة: ((والفوائد المخصصة)).

---

(١) ر: الرسائل ج١/ ص٥٤.

(٢) ر: الرسائل ج١/ ص٦٦.

٢ ـ أبو الخير عابدين: في آخر الثبت ص/٢٣٢ وما بعدها.

٣ ـ مردم بك: في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧ وما بعدها.

٤ ـ في ظاهرية دمشق نسخة كتبت بغير خط المؤلف عام ١٢٤٤ تحت رقم (عام ٨١٠٤) مقابلة على نسخة المؤلف كتبت سنة ١٢٤٤.

٥ ـ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:

«الفوائد المخصصة في أحكام كيّ الحمّصة، بنكبوت حزء ١٩، ٢ سنة ١١٨٠/ دمشق سنة ١٣٠١ وفي مجموعة إستانبول لسنة ١٢٨٧ بروكلمان ج٢/ص٧٧٣ الذيل.

آ ـ في الفهارس العامة:

١ ـ إيضاح المكنون ج٢/ص٢١٠.

٢ ـ هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٣٤).

١٠ ـ منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض

هي رسالة من ثلاث وخمسين صفحة من ص (٦٧-١١٩) مطبوعة مع المجموع في الجزء الأول منه وهي رابع رسالة فيه، جعلها ابن عابدين شرحاً على رسالة البركوي (محمد بن بيرعلي) صاحب الطريقة المحمدية المسماة بـ (ذخر المتأهلين في مسائل الحيض) وسمّاها (منهل الواردين في بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض) فرغ منها سنة ١٢٤١ هـ وجعلها شرحاً ممزوجاً وجيزاً. قال في ديباجتها بعد البسملة والحمدلة والصلولة: «أمّا بعد فيقول العبد المفتقر إلى رب العالمين محمد أمين الشهير بابن عابدين، غفر الله تعالى ذنوبه، وملأ من زلال العفو ذنوبه: إني طالعت مع بعض الإخوان الرسالة المؤلفة في مسائل الحيض المسماة بذخر المتأهلين المنسوبة لأفضل المتأخرين الإمام العالم العامل المحقق

المدقق الكامل الشيخ محمد بن بيرعلي البركوي صاحب الطريقة المحمدية وغيرها من المؤلفات السنية، فوجدتها مع صغر حجمها ولطافة نظمها، جامعة لغرر فروع هذا الباب، عارية عن التطويل والإسهاب لم تنسج قريحة على منوالها، ولم تظفر عين بالنظر إلى مثالها، فأردت شرحها بشرح يسهّل عويصها ويستخرج غويصها، ويكشف نقابها، ويذلّل صعابها، وسميته (منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض) فأقول مستعيناً بالله تعالى في حسن النية وبلوغ الأمنية، قال المصنف رحمه الله تعالى))[1]

وقال في آخرها: ((قال الشارح رحمه الله تعالى: - وكان الفراغ من هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالى- نهار الإثنين لثلاث بقين من ذي القعدة الحرام سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف، على يد مؤلفه الفقير محمد أمين بن عمر عابدين عفي عنهما آمين))[2] وإليك نصّاً من الرسالة: (اعلم أنّ الدماء المختصة بالنّساء) احتراز عن الحيض الرعاف (ثلاثة: - حيض ونفاس واستحاضة، فالحيض) لغة مصدر حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً فهي حائض وحائضة سال دمها، والحيضة المرّة، وبالكسر الاسم، والخرقة تستثفر بها المرأة، قاموس، وفي البحر قال أهل اللغة أصله السيلان يقال حاض الوادي أي سال، فسمّي حيضاً لسيلانه في أوقاته، انتهى، وشرعاً بناء على أنه حدث كاسم الجنابة هو / مانعية شرعية بسبب الدم المذكور عما تشترط له الطهارة كالصلاة والتلاوة وعن الصوم ودخول المسجد والقربان/ وعلى أنه خبث هو (دم صادر من رحم))[3] الخ..

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٦٨.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ ص١١٩.

(٣) ج١/ ص٧٣ من المصدر السابق.

ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: (وشرح رسالة البركوي في الحيض والنفاس سماه (منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين في مسائل الحيض).

٢ ـ أبو الخير عابدين في الثبت ص/٢٣٣ (وشرح على رسالة البركوي المسمّاة ذخر المتأهلين في مسائل الحيض) مسمّاة (منهل الواردين من بحار الفيض).

٣ ـ البيطار في حلية البشر: (وشرح على رسالة البركوي سمّاها ذخر المتأهلين – كذا –) ج٣ /ص١٢٣٠.

٤ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: (شرح على رسالة البركوي المسمّاة ذخر المتأهلين في مسائل الحيض سمّاها (منهل الواردين من بحار الفيض) ص/٣٧ وما بعدها.

٥ ـ ذكرها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي تحت رقم(٦) قال: ((وشرح رسالة العارف البركوي المؤلّفة في أحكام الحيض سميته (منهل الواردين من بحار الفيض في شرح رسالة البركوي في الحيض)).

٦ ـ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:

(٣٤ ـ منهل الواردين من بحار الفيض على ذخر المتأهلين (في مسائل الحيض) إستانبول سنة ١٣٠٢) إحالة إلى الذيل ج ٢/ص٦٥٥[(١)].

---

(١) الفقرة ـ ٣٤ـ الذيل ص/٦٦٥.
(ذخر المتأهلين أيضاً برلين ٢٢٦٣
برنستون ٣٠٢، ٦
بطرسبرغ رابع من عمل كراتشكوفسكي ٩٣٠
القاهرة
كوالا ١، ٣٣٤.
يوجد شرح بجهول المؤلف، شرح ذخائر الآخرة، كوالا ١،٣٣٤).

٧ ـ التقرير العلمي العابديني:

((مسائل الحيض بخطه الأسود والأحمر ١٧×٢٢، ١٧ ورقة بجلدة مهمّشة انتهت ١٢٤١سنة، وكتب بآخرها إنّ كلاً من محمد سعيد الفرا وإبراهيم حقي الأرضرومي، ومحمد سعيد الأسطواني نقلوا نسخة عنها)).

آ ـ في الفهارس العامة:

١ ـ إيضاح المكنون ج٢/ص٥٩٥.

٢ ـ هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٣٨).

١١ ـ رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد مع ذيلها

آ ـ الرسالة الأصلية:

هي رسالة من عشر صفحات من (١٢٠ ـ١٣٠) مطبوعة مع المجموع وترتيبها فيه الخامسة، فرغ منها سنة ١٢٣٦ هـ، قال في ديباجتها بعد البسملة والحمدلة والصلولة: ((أمّا بعد، فيقول أسير الذنوب والخطيئات محمد أمين بن عابدين عمَّه مولاه بهباته الوافرات، هذه رسالة جمعت فيها بعض كلام أئمتنا الثقات في الإشارة بالسبابة وعقد الأصابع في تشهّد الصلوات، حملني على جمعها ما رأيت من إطباق حنفية العصر على الاقتصار على الإشارة مع ترك العقد في جميع الأوقات مع تصريح علمائنا سنية الجمع بينهما بالدلائل الواضحات وسمّيتها (رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد)))[1] فيظهر أنّ موضوعها إثبات سنية عقد الأصابع إضافة للإشارة عند التشهد، وسببها ما رآه ابن عابدين من تساهل كثير من الحنفية في عصره، قال في آخرها: ((وكان الفراغ منها في شهر رجب

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص١٢٠.

الأصم سنة ١٢٣٦ ستٍ وثلاثين ومائتين وألف))[1] وإليك نصاً من صلب الرسالة:

((وحاصله اعتماد الإشارة بدون عقد وهو ما عليه الناس في زماننا، ولكنه مخالف لما اطلعت عليه من كتب المذهب فإن الذي ذكروه قولان، أحدهما عدم الإشارة أصلاً، وثانيهما الإشارة مع العقد، وأمّا ما عزاه إلى درر البحار وشرحه فالذي رأيته فيه خلافه، كما ستقف عليه، وأما عبارة البرهان فلا تعارض ما في عامة كتب المذهب، ولنذكر ما تيسر لنا الوقوف عليه الآن من عبارات علمائنا))[2].

ب ـ ذيل الرسالة:

في آخر الرسالة (رفع التردّد) سابقة الذّكر ذيل بقلم المؤلف ابن عابدين في خمس صفحات، مطبوع في آخر الأصل أكّد فيه ما ذهب إليه في رسالته الأصل لـمّا اطلع على رسالة لمنلا علي القاري الهروي في هذا الموضوع اسمها (تزيين العبارة لتحسين الإشارة) وإليك ديباجتها: ((وبعد فيقول فقير رب العالمين محمد عابدين غفر الله تعالى له ولوالديه والمسلمين آمين، قد كنت جمعت رسالة سميتها (رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد) أثبت فيها تصحيح الإشارة مع العقد نقلاً عن كتب أئمتنا الخالية عن النقد بعبارات صريحة منيعة، وتحقيقات منيفة بديعة، ثم اطّلعت الآنعلى رسالة مسّماة بـ(تزيين العبارة لتحسين الإشارة) لخاتمة القراء والفقهاء والمحدّثين، ونخبة المحقّقين والمدقّقين سيدي منلا علي القاري، عليه رحمة ربه الباري، فرأيته رَجَّحَ فيها رواية الإشارة بالأدلة القوية من نصوص الفقهاء والسنّة السّنية حتى ادعى أنها متواترة لورودها من طرق عديدة متكاثرة، لكنه ذكر

---

(١) المصدر السابق ج١/ ص١٣٠.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ص١٢١.

أنّ الإشارة بدون عقد قول عندنا أيضاً، وأشار إلى أنّه لا يرضى، فأردت أن أنقل بعض عباراته المهمة لتكون لتلك الرسالة تتمة»[1] وقد فرغ من الذيل سنة ١٢٤٩ هـ كما قال في آخره: «وذلك في ربيع الأول من شهور سنة ١٢٤٩هـ»[2].

والحقيقة أنّ الذيل نقول من رسالة القاري، مؤيّدة لما ذهب إليه ابن عابدين.

ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: «ورفع التردد وذيلها».

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣ وما بعدها: «ورفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد وذيلها».

٣ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: «ورفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد وذيلها».

٤ ـ ذكرها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي تحت رقم (١٧).

٥ ـ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي

«٢١ ـ رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد. دمشق سنة ١٣٠١ وفي مجموع إستانبول لسنة ١٣٢٥».

ر: بروكلمان ج٢/ الذيل ص ٧٧٣.

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص١٣٠.

(٢) المصدر السابق ج١/ص١٣٥.

٦ - التقرير العلمي العابديني:

((عقد الأصابع بخط المؤلف ٤ ورقات مسودة بالحبر الأسود ١٧×٢٢- ١٢٤٩)).

آ - في الفهارس العامة:

١ - إيضاح المكنون ج١/ص٥٥٧.

٢ - هدية العارفين ج٢/ص ٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢١).

ب - في فهارس المكتبات:

١ - الأزهرية ج٢/ص ١٧٧.

١٢ - تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام

هذه هي الرسالة السادسة من المجموع المطبوع وهي في إحدى عشرة صفحة تقريباً من ص/١٣٨ إلى ص/١٤٩ منه، فرغ منها سنة ١٢٢٦ هـ استهلّها بالديباجة الآتية بعد البسملة والحمدلة والصلولة: ((وبعد فيقول المفتقر إلى رحمة أرحم الراحمين محمد أمين المُكنّى بابن عابدين، هذه رسالة سمّيتها (تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام) وقد رتبتها على مقدمة ومقصد وخاتمة))[1] وقال في آخرها: ((وكان الفراغ من تسويدها ليلة السبت غرة محرم الحرام سنة ١٢٢٦هـ))[2]. وموضوع الرسالة أحكام التبليغ خلف الإمام في المذهب الحنفي ومشروعيته وحكمة تشريعه وما إلى ذلك من آداب المبلغ وبيان بعض البدع التي يفعلها جهلة المبلغين والمؤذنين، وإليك نصاً من صلب الرسالة: ((الخاتمة، وإذ قد علمت مشروعية رفع الصوت بالتبليغ وأن التبليغ منصب شريف قد قام به أفضل

---

(١) المجموع المطبوع ج١/ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق ج١/ ص١٤٩.

النّاس بعد الأنبياء والمرسلين ذوي المقام المنيف فلابد معه من اجتناب ما أحدثه جهلة المبلغين الذين استولت عليهم الشياطين من منكرات ابتدعوها ومحدثات اخترعوها، لكثرة جهلهم وقلة عقلهم وعدم اعتنائهم بأحكام ربهم وبعدهم عمّا هو سبب قربهم، وانهماكهم في تحصيل حطام الدنيا وترك التعلّم الموصل إلى الدرجات العليا... إلخ»[1]

ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: «وتنبيه ذوي الأفهام»[2].

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ وما بعدها.

٤ ـ ذكرها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي تحت رقم (٨) فلينظر.

آ ـ في الفهارس العامة:

١ ـ إيضاح المكنون ج١/ص٣٢٥.

٢ ـ هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (١٢).

١٣ ـ شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل

هذه هي الرسالة السابعة في الترتيب من المجموع المطبوع، وهي رسالة مطوّلة جليلة دسمة من أطول رسائله فيما يقارب خمسين صفحة إلا قليلاً من ص/١٥١ إلى ص/١٩٨ من مجموع الرسائل المطبوع / الجزء الأول منه فرغ منها سنة ١٢٢٩ هـ ولاهتمام المؤلف بها كتب على ظهر غلافها مصادرها بقلمه

---

(١) المجموع المطبوع ج١/ص١٤٢.

(٢) لابن عابدين رسالتان بهذا العنوان (تنبيه ذوي الأفهام) هذه في العبادات، والثانية سيأتي ذكرها وهي (تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى قبل الإبراء العام) وهي في المعاملات فليعلم.

فقال: ((بيان عدد الكتب التي جمعت منها هـذه الرسـالة سـوى الـتي راجعتهـا و م
أنقل عنها أسردها هنا، وإن كنت عـزوت كـل مسـألة إلى محلها ليزداد الواقف
عليها ثقة بذكر مجموعتها، وقد نافت على خمسين كتاباً، وهي:

١ - شرح البخاري للعيني	٢ - شرح مجمع الآثار
٣ - شرح الكنز للزيلعي	٤ - شرحه لابن نجيم
٥ - شرحه للمقدسي	٦ - شرح المجمع لابن ملك
٧ - معراج الدراية	٨ - فتح القدير
٩ - الدر المختار	١٠ - شرح الوهبانية لابن الشحنة
١١ - وللمصنف	١٢- الذخيرة البرهانية
١٣ - الظهيرية (الفتاوى)	١٤ - الولوالجية (الفتاوى)
١٥ - الخانية (الفتاوى)	١٦ - الخلاصة (خلاصة الفتاوى)
١٧ - البزازية (الفتاوى)	١٨ - القنية
١٩ - خزانة الفتاوى لمختصر منتقى الفتاوى	
٢٠ - فتاوى العلامة قاسم	٢١ - أنفع الوسائل
٢٢ - تاتار خانية (الفتاوى)	٢٣ - الشرنبلالية (الفتاوى)
٢٤ - بلوغ الأرب للشرنبلالي	٢٥ - التبيان للنووي
٢٦ - حاشية الرملي على البحر	٢٧ - جامع الفتاوى
٢٨ - الطريقة المحمدية	٢٩ - شرحها للأستاذ عبد الغني (النابلسي)
٣٠ - تبيين المحارم	٣١ - نور العين
٣٢ - هدية الصعلوك شرح تحفة الملوك	
٣٣ - مجموعة فتاوى لابن حجر	٣٤ - شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا
٣٥ - إيقاظ النائمين للبركوي	٣٦ - الهداية
٣٧ - الكنز	٣٨ - المجمع
٣٩ - المختار	٤٠ - مواهب الرحمن

٤١ ـ الملتقى
٤٢ ـ الإيضاح
٤٣ ـ الوقاية
٤٤ ـ التنوير
٤٥ ـ القاموس
٤٦ ـ الفتاوى الخيرية
٤٧ ـ شرح الغاية للخطيب الشربيني
٤٨ ـ شرح الأشباه للبيرى
٤٩ ـ حاشية المنتهى
٥٠ ـ شرح الملتقى للباقاني
٥١ ـ الجوهرة شرح القدوري للحدادي
٥٢ ـ شرح الطريقة المحمدية لرجب أفندي
٥٣ ـ الاختيار شرح المختار))[١] اهـ.

أما موضوع هذه الرسالة فهو مناقشة مسألة أخذ الأجرة على تلاوة القرآن وحكم الوصية بالختمات والتهاليل واتخاذ التلاوة والذكر والتواجد فيه مطية للدنيا فقد حرم ذلك ابن عابدين تحريماً قاطعاً، وأتى على ذلك بأدلة واضحة وأتبع الرسالة بفروع مهمة من هذا القبيل وبتقريظات من كبار علماء عصره وهم:

١ ـ أحمد الطحطاوى مفتي مصر وصاحب الحاشية على الدر
٢ ـ محمد عمر الغزي
٣ ـ حسين الكبيسي أمين الفتوى بدمشق
٤ ـ عمر الخلوتي البكري اليافي
٥ ـ محمد أمين الأيوبي الأنصاري
٦ ـ مصطفى السيوطي الحنبلي
٧ ـ عمر بن أحمد المجتهد

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ص١٥١ وقد صدرت هذه المصادر بكلمة (صورة ماكتبه سيدنا المؤلف رحمه الله تعالى على نسخته التي بخطه الشريف) وهي عبارة السيد أبو الخير عابدين في الأغلب لأنه طابع لمجموع الرسائل ومشرف عليها، هذا والترقيم من قبلنا وليس من وضع المؤلف.

٨ ـ غنّام بن محمد النجدي الحنبلي
٩ ـ محمد بن عمر الكاتب النجدي(١)

ودونك ديباجتها بعد البسملة والحمدلة المطولة والصلولة مع براعة الاستهلال فيها بما يوحي إلى مقصودها ويشير إلى مضمونها ((أما بعد، فيقول محمد أمين الشهير بابن عابدين الماتريدي الحنفي منح اللطف الخفي والخير الوفي والبرَّ الحَفِي:

لـمّا وقع في دمشق وغيرها الطاعون العام، عام تسعة وعشرين ومائتين وألف، وقبله بعام، رأيت الناس مقبلين على الوصية بالختمات والتهاليل مع اعتقادهم بأنها من أعظم ما يتقرب به إلى الله الجليل، وكان من سابق لي في ذلك شبهة قوية، بناء على قواعد أئمتنا الحنفية، فأردت أن أنبّه عليها وإن لم يجد نفعاً، لعلمي بأن مغاير المألوف منكر طبعاً، ولكن كثيراً من المسائل لا تكاد تجد عنها من مسائل، وقد تبينتها الأئمة الأوائل، وأيدوها بالحجج والدلائل، خدمة لصاحب الشرع الشريف واعتناء بقدره العلي المنيف، ورهبة مما ورد من الكتمان، ورغبة فيما أُعدّ لأهل البيان، و لم آت بشيء بدون مستند، و لم أستند إلا لنقل صحيح معتمد، فأقسم بالله العظيم على من رأى ما أقول، واطّلع على ما سطرته من النقول، أن ينظر بعين الإنصاف ويجانب الاعتساف ويعيد النظر مرة بعد مرة، ويكررالتفكر كرَّةً بعد كرة، ويلاحظ أنه موقوف للحساب مسؤول عن الجواب، كيلا يصده الطمع في الدنيا الفانية عمّا ينفعه في الآخرة الباقية، وأن ينظر لما قيل لا لمن قال، وأن يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، فإن رآه صواباً فليذعن، وإلا فليدلل على ما يدعيه وليبرهن بنقل صالح لمعارضة ما أقول، ولما أُثبته من صريح النقول ولا يقتصر على أن ذلك مشتهر معروف، فكم من منكر مألوف والعرف الطارئ ليس من الحجج الأربعة الشرعية، فما بالك إن خالف

---

(١) قلت: ستجد نصوص هذه التقاريظ في آخر هذا الفصل.

الأدلة النقلية والعقلية، وإني وربي شاهد مريد إظهار الحكم الشرعي، والخروج من عهدة أداء الواجب المرعي، و لم أرد تقبيح فعل أحد بعينه ولا إظهار زيفه وشينه، فمن ظنّ بي خلاف ذلك أو نال مني فقد جعلت ربه خصماً عني، وإلى الله مرجعنا، والموقف يجمعنا، على أني لم آت بشيء لم أسبق إليه، و لم ينبّه أحد عليه، بل وجدت لي قدوة هو أجل إمام[1] قد سبقني إلى ذلك بمئين من الأعوام، وهو الذي حرّك لي همة تقاعدت منذ زمان عن إظهار ذلك مخالفة أن الفكر قد خان، ولما جددت العزم تواردت لي على ذلك الأدلة فاتضح الحق وضوح الشمس حيث لا في السماء علة، وجمعت هذه الرسالة وحرّرت هذه العجالة، فجاءت بحمد الله تعالى قرة لعين قاريها ودرة لتاج داريها، ووسمتها بـ (شفاء العليل وبل الغليل، في حكم الوصية بالختمات والتهاليل... وقد رتبتها على مقدمة وفصلين ومقصد وخاتمة، وتتمة لبعض فروع مهمة فأقول)).[2]

وآخرها هو: ((وقد نجز تحرير هذه الوريقات على يد مُوشّيها ومنمنم برودها وحواشيها محمد أمين ابن عابدين عفا الله تعالى عنه وعن والديه ومن له حق عليه آمين في رجب الأصم سنة ١٢٢٩)).[3]

وإليك بعد هذا كله نصاً من هذه الرسالة القيمة:

((فصل: وحيث أحطت خبراً بما قدمناه وصار معلومك جميع ما تلوناه يظهر لك العلة في جواز الاستئجار على تعليم القراءة والفقه والأذان والإمامة هي الضرورة واحتياج الناس إلى ذلك ، وأن هذا مقصور على هذه الأشياء دون ما

---

(١) هو الإمام العلامة الشيخ محمد البركوي صاحب (الطريقة المحمدية) وغيرها من المؤلفات السنية منه.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ ١٥٢ وما بعدها.

(٣) مجموع الرسائل ج١/ ص١٩٨.

عداها مما لا ضرورة إلى الاستجار عليه، وما قدمناه كالصريح في ذلك بحيث لايكاد ينكره منازع، ولا يقدر على دفعه مدافع»(١).

هذا، وحواشي هذه الرسالة كثيرة ومنهواتها وفيرة وفوائدها غزيرة لاتكاد تستقصى، ومع ذلك فقد رد عليها أحد معاصري ابن عابدين وهو الشيخ صالح الدسوقي برسالة سمّاها (كشف الغمة في الرد على من حرم التهاليل على الأمة) وقرّظها من بعض المعاصرين من الفقهاء واطلع ابن عابدين عليها بأغلب الظن، لكنه اكتفى من الرد عليها بالتقريظات التي كتبها كبار فقهاء عصره على رأسهم الطحطاوي الكبير مفتي الديار المصرية صاحب الحاشية الشهيرة، ولم ير كاتب الرد أهلاً لأن يرد عليه ولا رسالته أهلاً لأن تناقش بمناقشة علمية.

ب ـ الذيل

ومع ذلك فقد كتب السيد محمد علاء الدين نجل المؤلف رسالة جعلها ذيلاً لرسالة والده (شفاء العليل) في ثلاثة وعشرين صفحة سمّاها (منّة الجليل لبيان إسقاط ما على الذمة من كثير وقليل) فرغ منها سنة ١٢٩٩ هـ في ٨ جمادى الآخرة.

قال في ديباجة الرسالة المذكورة: «أمّا بعد فيقول فقير رحمة ربه المعين محمد علاء الدين ابن عابدين، هذه رسالة عملتها ذيلاً لرسالة سيدي الوالد، أحسن الله تعالى له الفوائد ورحم روحه وبرد ضجوعه، المسماة شفاء العليل وبلّ الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل، أذكر فيها فوائد حسان، تقرّبها العينان، قد خلت من ذكرها تلك الرسالة وقيدتها في هذه العجالة، حلّ مأخذها من كلامه على وفق رأيه ومرامه، لم يفرد لمسائلها فيما أعلم مؤلف، ولم يسبق في أحكامها

---

(١) المصدر السابق ج١/ص١٦١.

مصنف، مع أنها من أهم المهمات الدينية والفرائض العينية حملني على جمعها ما رأيته وسمعته من بعض جهلة الأئمة من الإخلال بما يتعلق بإسقاط ما في الذمة))[1].

وقال في آخرها: ((وقد فرغت من تحرير هذه الألوكة المرغوبة والشرذمة المطلوبة في يوم الإثنين الثامن من جمادى الآخرة الذي هو من شهور سنة تسع وتسعين ومائتين وألف))[2].

وإليك بعد ذلك عبارة منها: ((ثم أقول بيان الإسقاط والكفارة والفدية وكونه بوصية من الشخص أَوْلَى من أن يفعله عنه وارثه تبرعاً وهو يجري في الصلاة))[3]

أما من ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: (وله رسائل عديدة ناهزت الثلاثين في جملة فنون... منها... و(شفاء العليل وبل الغليل في الوصية بالختمات والتهاليل).

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ وما بعدها.

٤ ـ ذكرها ابن عابدين في رسالته إلى تلميذه الجابي تحت رقم (١٢) فلينظر[4]

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ص٢٠٨. وانظر هذه الرسالة الذيل من الصفحة ٢٠٨ إلى الصفحة ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ج١/ص٢٣٠. والألوكة هي: الرسالة من (ألكَ) بمعنى: أرسل، ر: أساس البلاغة للزمخشري ص/٩.

(٣) مجموع الرسائل ج١/ ص٢١٠.

(٤) هذه الرسالة إلى الجابي على ظهر رسالة /شفاء العليل/ في ظاهرية دمشق، وقد كتب الجابي إلى جانبها عبارة (أي هذه الرسالة الشريفة).

٥ - في ظاهرية دمشق نسختان منها: الأولى بخط المؤلف كتبها سنة ١٢٢٩هـ وفي آخرها تقريظ الطحطاوي وثبت مؤلفات المؤلف تحت رقم (عام ١٠٣٤٤) والأخرى بغير خط المؤلف تحت رقم (عام ٥٠٨٤) كتبت سنة ١٢٧٤ هـ.

٦ - بروكلمان في تاريخ الأدب العربي

«٢٣ - شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل ــ دمشق سنة ١٣٠١»[1] ر: بروكلمان ج٢/الذيل ص٧٧٣.

٧ - التقرير العلمي العابديني:

«شفاء العليل بخط المؤلف ٢٩ ورقة بالحبر الأسود والأحمر مهمشة ١١×١٧ ٢٩ وعليها تقريظات: أحمد الطحطاوي، حسين أمين فتوى دمشق عمر الخلوتي، محمد أمين الأيوبي الأنصاري، مصطفى السيوطي، عمر بن أحمد المجتهد، غنّام بن حسن النجدي، محمد بن عمر الكاتب النجدي».

آ - في الفهارس العامة:

١ - إيضاح المكنون ج٢/ص٥١.

٢ - هدية العارفين ج٢/ ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٤).

١٤ - تنبيه الغافل والوسنان على أحكام هلال رمضان

وهي الرسالة التاسعة من المجموع المطبوع، الجزء الأول منه، وهو في المذاهب الأربعة المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، وتُعدّ من الفقه

---

(١) وهم بروكلمان فأدرج رسالة /منة الجليل/ للسيد علاء الدين في مؤلفات أبيه السيد أمين فقال ما نصه: «٢٣ - منة الجليل لبيان إسقاط ما على الذمة من كثير أو قليل مجموعة إستانبول لسنة ١٣٢٥». وقد كان ينبغي التثبت منه.
ر: ج٢/ الذيل ص٧٧٣.

المقارن، فـرغ منهـا مؤلفهـا في منتصـف شـوال سـنة ١٢٤٠ هـ، وهـي في نيّـف وعشرين صفحـة مـن ص/٢٣١ إلى ص/٢٥٣ مـن ج١، وقـد أورد ابـن عـابدين مصادرها على ظهر غلاف نسخته بقلمه فقال: ((بيان عدة الكتب التي نقلت عنها في هذه الرسالة سوى الكتب الـتي راجعتهـا و لم أنقـل عنهـا اكتفـاء بغيرهـا، وقـد بلغت أكثر من خمسين كتاباً من الكتب المعتمدة:

آ ـ فمن كتب الحنفية:

١ ـ متن الكنز ٢ ـ وشرحه تبيين الزيلعي

٣ ـ وشرحه البحر الرائق ٤ ـ وشرحه النهر الفائق

٥ ـ وحاشية البحر للشيخ خير الدين الرملي

٦ ـ والهداية ٧ ـ وشرحها النهاية

٨ ـ وشرحها غاية البيان ٩ ـ وشرحها فتح القدير

١٠ ـ وشرح الدرر والغرر للشيخ إسماعيل النابلسي

١١ ـ وحاشيتها للشرنبلالي ١٢ ـ وحاشيتها للعلامة نوح أفندي

١٣ ـ والأشباه والنظائر ١٤ ـ وحاشيتها للسيد الحموي

١٥ ـ ومِنَح الغفار شرح تنوير الأبصار

١٦ ـ والدر المختار ١٧ ـ وشرح الوهبانية

١٨ ـ وحاشية السيد أبي السعود على منلامسكين

١٩ ـ وإمداد الفتاح ٢٠ ـ والبدائع شرح التحفة

٢١ ـ وشرح المجمع ٢٢ ـ وشرح درر البحار

٢٣ ـ وشرح منية المصلي ٢٤ ـ وشرح التحرير لابن أمير حاج

٢٥ ـ والذخيرة البرهانية ٢٦ ـ وفتاوى قاضي خان

٢٧ ـ والخلاصة ٢٨ ـ والبزازية

٢٩ ـ والتتارخانية ٣٠ ـ والفيض

٣١ - والتجنيس ٣٢ - ومختارات النوازل
٣٣ - ونهج النجاة ٣٤ - وفتاوى الكازروني.

ب - ومن كتب الشافعية:

٣٥ - المنهاج ٣٦ - وشرحه لابن حجر
٣٧ - وشرحه للرملي ٣٨ - وحاشية ابن قاسم على ابن حجر
٣٩ - وحاشية الشبراملّسي على الرملي
٤٠ - وفتاوى الرملي الكبير ٤١ - وحاشية على شرح الروض
٤٢ - والأنوار ٣٤ - وينابيع الأحكام.

جـ - ومن كتب الحنابلة:

٤٤ - الإنصاف ٤٥ - ومتن المنتهى
٤٦ - وشرحه ٤٧ - وشرح الغاية.

د - ومن كتب المالكية:

٤٨ - شرح المقدمة العزية ٤٩ - مختصر الشيخ خليل
٥٠ - وشرحه للشيخ عبد الباقي وغير ذلك، والله تعالى أعلم»[1] اهـ.

أما موضوع الرسالة فهو بيان مايثبت به هلال رمضان وحكم رؤية القمر نهاراً وحكم قول علماء الحساب وحكم اختلاف المطالع كلّ ذلك في المذاهب الأربعة.

أما سبب تأليف الرّسالة فهو أمر أحد أشياخه له والأغلب كونه سعيداً الحلبيّ، لأن المؤلف فرغ منها سنة ١٢٤٠هـ.

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٢٣١ والترقيم من قِبَلِنا وليس في الأصل.

ومعلوم أن العقاد شيخه الأول توفي سنة ١٢٢٢هـ. أمّا الحلبي فقد بقي حياً إلى ما بعد وفاة ابن عابدين بسنوات، وذلك بسبب واقعة وقعت في دمشق ذكرها ابن عابدين بقلمه في ديباجة الرسالة فقال: ((هذه رسالة سميتها (تنبيه الغافل والوسنان على أحكام هلال رمضان) جمعتها بسبب واقعة وقعت سنة أربعين ومائتين وألف من هجرة نبينا المكرم صلى ا الله تعالى عليه وسلّم في إثبات رمضان المعظم وهي أنّ جماعة حضروا ليلة الإثنين التالية لتسع وعشرين من شعبان المحترم فشهدوا لدى نائب مولانا قاضي القضاة في دمشق الشام بأنهم رأوا هلال رمضان هذا العام من مكان عال، وكان في السما اعتلال من سحاب وقتام، وذلك بعد ادعاء رجل على آخر بمال معلوم مؤجل إلى دخول رمضان المرقوم، وإنكار المدعى عليه حلول الأجل، فحكم الحاكم بموجب شهادتهم بعد أن زكاهم جماعة وتفحص عن ذلك وسأل، حكماً شرعياً مستوفياً شرائطه بلا خلل، فكتب الحاكم مراسلة يستفتي فيها مفتي الأنام في دمشق الشام على العادة، فأفتى المفتي بصحة هذا الحكم المبني على هذه الشهادة وبثبوت هلال رمضان لذلك، وبفرضية الصوم في ذلك اليوم حيث الأمر كذلك، فأمر نائب مولانا السلطان الأعظم بضرب المدافع للإعلام بدخول رمضان فصام الناس عدة أيام، فأراد الشافعية نقض هذه القضية، فزعم أولاً أنه أخبره بعض الناس أنّ جماعة رأوا الهلال صبيحة يوم الإثنين الذي ثبت أنه أول رمضان، فادعى أنّ هذا الإثبات لم يصح على مذهبه ولا على مذهب أبي حنيفة النعمان، لأن ذلك عند علماء النجوم ممتنع عقلاً، إذ لا يمكن أن يرى الهلال عشية ثم يرى صباحاً أصلاً، فحيث خالفت الشهادة والحكم العقل يكونان باطلين باتفاق المذهبين، وزعم أيضاً أن الحكم من أصله غير صحيح، وأنه خطأ صريح لأن مولانا السلطان - نصره الله تعالى- ولّى ذلك الحاكم سنة كاملة آخرها غرة رمضان المذكور، وأنه بدخول رمضان قد انعزل عن القضاء فلم يصح حكمه المسطور ، ولم يدر هذا الزاعم أن الشهر إنما ثبت بعد حكم الحاكم، وزعم بعضهم أنه راجع عبارة البحر من كتب الحنفية فوجدها دالّة

على خطأ الحاكم في هذه القضية، وأن الحنفية لم يفهموا منهبهم في هـذه المسألة الجلية، فحيث كان ذلك مخالفاً للمذهبين يكون أول رمضان يوم الثلاثاء لا يوم الإثنين ويكون يوم الأربعاء يوم الثلاثين من رمضان بلا إشكال، فيجب صومه إذا لم ير في ليلته هلال شوال، ثم تعاقدوا وتحالفوا على ذلك المقال، وأشاعوا ذلك الأمر بين العوام والجهال، ثم بعد ذلك استفاض الخبر عن كثير من بلاد الإسلام أنّهم صاموا يوم الإثنين كما صام أهل الشام، فأعرضوا عن ذلك و لم يلتفتوا إليه، وأصروا على ماتعاهدوا وتحالفوا عليه، وقالوا إنّ هذه البلاد لا تفيد لاعتبار اختلاف المطالع عند الشافعي، وصمموا على صوم يوم الأربعاء الذي هو يوم العيد، ولمّا كانت ليلة أول نصف الشهر على ما أثبته عامة المسلمين، تركوا قنوت الوتر المسنون في مذهبهم بيقين، ثم لما عيّد الناس صاموا وتركوا صلاة العيد في ذلك اليوم السعيد، ثمّ صلّوا العيد في اليوم الثاني، وأشاعوا ذلك بين القاصي والدّاني، ووقع الناس في الجدال، وكثر القيل والقال وصارت مذاهب الأئمة المجتهدين ضحكة بين الجاهلين، حتى ارتد بسبب ذلك كثير منهم كما بلغنا عنهم، ثم لما تبين لأولئك الزاعمين أنهم أخطؤوا على مذهبهم بيقين صار بعضهم يقول إنّما فعلنا ذلك خروجاً من خلاف أبي حنيفة النعمان، وإن الحنفية لم يفهموا مذهبهم في هذا الشأن، ولعمرى إنّ هذا زور وبهتان، وتلبيس في الأحكام الشرعية ونصرة للنفس بلا رأي ولا روية، كيف والمسألة إجماعية، لم يختلف فيها اثنان و لم يوجدللعلماء فيها قولان، فلمّا رأى ذلك بعض مشايخي الكرام حفظه الله السلام أخذته الغيرة الدينية، فأمرني بتحرير هذه القضية، فعند ذلك شرعت في بيان النقول الصحيحة والعبارات الصريحة، الدالة على أنّ الخطأ الصريح، هو الذي ارتكبوه، وأنّ الحق الصحيح هو الذي أعرضوا عنه واجتنبوه.

ولما كان منشأ خطئهم من حيث زعمهم صحة هذه الشهادة واعتبار رؤية القمر نهاراً واعتماد قول المنجمين وعدم اعتبار اختلاف المطالع، لزم بيان خطئهم

في هذه الأربعة على المذاهب الأربعة، فنذكر ذلك في ضمن أربعة فصول، أحدها في بيان ما يثبت به هلال رمضان، ثانيها في بيان حكم رؤية القمر نهاراً، ثالثها في بيان حكم قول علماء النجوم والحساب، رابعها في بيان حكم اختلاف المطالع))[1].

وإليك نصاً من صلب الرسالة قال: ((فهذه نصوص كتب المذاهب الأربعة ناطقة بأن رؤيته نهاراً لا توجب صوماً ولا تبيح فطراً، وأن المعتبر رؤيته ليلاً، فمن خالف ذلك فقد خالف الإجماع))[2].

وقال في آخر الرسالة: ((وهذا آخر ما يسّره الله تعالى وقضاه من الكلام على أحكام هلال رمضان ورؤياه على يد عبده المفتقر إلى عزه وعلاه محمد عابدين عفا عنه مولاه، وتجاوز عن مساويه وخطاياه.. وذلك في منتصف شوال سنة أربعين ومائتين وألف))[3].

ذكرها ابن عابدين في رسالته لتلميذه الجابي تحت رقم (٢١) ولكن جعل عنوانها هناك هكذا (وإيقاظ النائم والوسنان في أحكام هلال رمضان).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: ((وتنبيه الغافل والوسنان في أحكام هلال رمضان)).

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/ ٣٨ وما بعدها.

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ منه.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ ص٢٤٤.

(٣) المصدر السابق ج١/ص٢٥٣.

٤ - في ظاهرية دمشق نسخة مخطوطة ليست بخط المؤلف كتبت سنة ١٢٤٣ تحت رقم (عام (١٠٦١٦).

٥ - بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

((١٢ - تنبيه الغافل والوسنان على أحكام هلال رمضان، دمشق سنة ١٣٠١)).

ر: بروكلمان ج٢/الذيل ص/٧٧٣

٦ - التقرير العلمي العابديني:

((تنبيه الغافل والوسنان بخط المؤلف ١٢٤٠ بالحبر الأحمر ١٧×٢٢ عشر ورقات مهمّشة)).

آ - في الفهارس العامة:

١- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و ٣٦٨ تحت رقم (١٤).

١٥ - إتحاف الذكي النبيه بجواب ما يقول الفقيه

وهي الرسالة العاشرة في الترتيب في المجموع المطبوع، الجزء الأول منه، وهي رسالة لطيفة في تسع صفحات تقريباً فرغ منها مؤلفها، موضوعها حلّ بيتين في صورة فتوى طلاق هما:

مايقول الفقيه أيّده اللّـه ولازال عنده الإحسان
في فتى علّق الطلاق بشهر قبلَ ما بعدَ قبله رمضان

فأتى بكل الأجوبة التي أجاب بها فقهاء الحنيفة عن هذين البيتين، ثم أجاب هو بهذه الأبيات:

خُذْ جواباً عُقُودُهُ المَرْجَانُ فيه عما طلبته تبيانُ
فجمادى الأخير في محض بعد ولعكس ذو حجّة إبّان
ثم شوّال لو تكرّر قبل مع بعد وعكسه شعبان

ذاك إن تلـغ مـا وأمـا إذا مـا ... وصلـت أو وصفتهـا فالبيـان

جـاء شـوال في تمحّـض قبـل ... ولعكـس شـعبان جـاء الزمـان

وجمـادى لقبـل مـا بعـد بعـد ... ثـم ذو حجـة لعكـس أوان

وسوى ذا بعكـس إلغائهـا افهـم ... فهـو تحقيـق مـن هـم الفرسـان(١)

قال في ديباجة الرسالة: ((هذه رسالة جمعتها لبيان قول القائل.. (أورد البيتين) فإن البيت الثاني ينشد على عدة أوجه والحكم فيها مختلف وهو من الألغاز العويصة والخفيات الغويصة، وقد ذكره بعض علمائنا السادة الحنفية في الكتب الفقهية، فمنهم من اقتصر ومنهم من زاد، ومنهم من أجمل ومنهم من أوضح المراد، وقد رأيت لغير علمائنا زيادة على ما ذكروه فأردت جمع جميع ما بيَّنوه راجياً من المولى خلوص النية وبلوغ الأمنية وقد سميت هذه الرسالة بـ(إتحاف الذكي النبيه بجواب ما يقول الفقيه)))(٢)

وقال في آخرها: ((وهذا آخر ما يسره المولى لعبده الضعيف ذي القريحة القريحة والفكرة الجريحة في هذه الرسالة الفائقة في بابها البارزة لخطابها المغنية لطلابها بفصيح خطابها صانها الله تعالى من غمر حسود يقدح في مبانيها أو يطعن في معانيها)). (٣)

ذكرها ابن عابدين في رسالته للجابي تلميذه تحت رقم (١٠) قال ما نصه: ((وإتحاف الذكي النبيه بجواب ما يقول الفقيه شرحت بذلك البيتين المشهورين وهما:

مـا يقـول الفقيـه أيّـده اللّـه ... ولا زال عنـده الإحسـان

في فتـى علـق الطـلاق بشـهر ... قبـل مـا قبـل قبلـه رمضـان

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٢٦٠.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ص٢٥٤.

(٣) مجموع الرسائل ج١/ص٢٦٢.

ذكرت في الشرح ما يشرح الصّدر ويجلي الذهن والفكر)).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة (وإتحاف الذكي النبيه...)

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ وما بعدها.

٤ ـ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

((٢ ـ إتحاف الذكي النبيه بجواب ما يقوله الفقيه

دمشق سنة ١٣٠١ ـ إستانبول سنة ١٣٢٥))

ر: بروكلمان ج٢/الذيل ص/٧٧٣.

آ ـ في الفهارس العامة:.

١ ـ إيضاح المكنون ج١/ص١٨.

٢ ـ هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم(٢).

١٦ـ الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة

هذه هي الرّسالة الحادية عشرة من مجموع الرسائل المطبوع /الجزء الأول منه/، وهي رسالة في ثنتي عشرة صفحة تقريباً، من ص/٢٦٤ إلى ص/٢٧٦ لم يظهر لي متى فرغ منها مؤلفها[١]، وموضوعها هل الحضانة حق من ثبتت لها الحضانة أو حق الولد؟ خلاف في المذهب الحنفي، قيل بالأول فلا تجبر، ويحق لها أخذ الأجر إذا امتنعت، وقيل بالثاني فتجبر ولا أجر لها، وقد ناقش ابن عابدين

---

(١) لم أعثر على أية إشارة أو عبارة في هذه الرسالة لا في أولها ولا في آخرها تدل على زمن تأليفه لها أو فراغه منها، فالرسالة المطبوعة غفل من ذلك، و لم أعثر في المخطوطات على شيء منه، وعسى أن يسعف الزمن فيظهر ما خفي علينا اليوم إن شاء الله.

القولين وحرّر المسألة، وخرج بقول فيه تفصيل ينظر في ص/٢٧٥ من الجزء الأول عند قوله: ((وحينئذ فالذي تحرّر لنا)) وسأنقله لك بنصه: ((وحينئذ فالذي تحرر لنا فيما إذا طلبت الأجرة من ثبت لها حقُّ الحضانة؛ كالأم مثلاً مع وجود متبرع بها أنّه لا يخلو إمّا أن يكون المتبرع أجنبياً عن الصغير أوْلا، وعلى كلٍّ فإمّا أن يكون الأب معسراً أولا، وعلى كلٍّ فإمّا أن يكون للصغير مالٌ أولا:

آ ـ فإذا كان المتبرع أجنبياً يدفع للأم بالأجرة، وإن كانت الأجرة من مال الصغير حيث كانت الأم غير متزوجة بأجنبي كما مرّ عن الذخيرة والمجتبى من جواز استيجار الأم للإرضاع من مال الصغير والحضانة مثله على ما علمت.

ب ـ وإذا كان المتبرع غير أجنبي، فإن كان الأب معسراً والصغير له مال أولا يقال للأم إمّا أن تمسكيه بغير أجر وإمّا أن يدفع للعمة مثلاً المتبرعة صوناً لمال الصغير إن كان له مال، وإن كان الأب موسراً والصغير له مال فكذلك لأنّ أجرة إرضاعه حينئذ في مال الصغير والمصرّح به في الشروح كالتبيين وغيره كما مرّ أنّ المتبرعة أولى، وحيث كانت الحضانة مثله يكون حكمها كذلك، وإن كان الأب موسراً ولا مال للصغير فالأم مقدّمة وإن طلبت الأجرة نظراً للصغير))[1].

أمّا سبب تأليف الرسالة فهو حادثة الفتوى التي أشار إليها المؤلف في ديباجة رسالته بقوله: ((وهذه الرسالة سمّيتها الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة دعا إلى تحريرها حادثة الفتوى الآتية))[2].

ثم ذكر هذه الحادثة في آخر الرسالة بقوله: ((وحينئذ يظهر الجواب عن حادثة الفتوى في زماننا في صغير تُوفّيت أمه وتركت له مالاً ولها أمّ وأبوه معسر،

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٢٧٥ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ج١/ ص٢٦٤.

وله امّ أيضاً متزوجة بجدّ الصغير أرادت امّ امّه تربيته بأجر، وأمّ أبيه ترضى بذلك مجاناً، فهل يدفع لأمّ أمّه أو لأمّ أبيه المتبرعة؟ والذي يظهر من التعليل بإبقاء ماله أن يدفع للمتبرعة بل هنا أولى»[1].

ذكرها ابن عابدين في رسالته للحابي تلميذه تحت رقم (١١).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١ ـ علاء الدين عابدين في التكملة: «والإبانة في الحضانة».

٢ ـ أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣ ـ مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧ ومابعدها.

٤ ـ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

«١ـ الإبانة عن أخذ الأجرة عن الحضانة. دمشق سنة ١٣٠١»

ر: بروكلمان ج٢/ص٧٧٣.

٥ ـ التقرير العلمي العابديني.

«الأجرة على الحضانة بخط المؤلف ٥ ورقات مسودة مهمشة بالحبر الأسود ١٧×٢٢».

آ ـ في الفهارس العامة:

١ـ إيضاح المكنون ج١/ص٧.

٢ ـ هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم(١).

ب ـ في فهارس المكتبات:

١ ـ الأزهرية ٢ /ص٩١.

---

(١) المصدر السابق ج١/ ص٢٧٥.

١٧ ـ تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول

هذه هي الرسالة الثانية عشرة من المجموع المطبوع /الجزء الأول منه/

وهي رسالة في قرابة أربع عشرة صفحة من ص/٣٧٨ إلى ص/٢٩١منه،فرغ منها مؤلفها في شوال سنة ١٢٣٥ هـ وموضوعها تحرير مسائل النفقة على الأصول والفروع المذكورة في كتب الفروع في باب النفقات، فجعل لها ضابطاً جامعاً ابتكره لم يسبق إليه. وإليك ديباجة الرسالة: ((إنّ مسائل النفقة على الأصول والفروع المذكورة في كتب الفروع في باب النفقات، من كتب أئمتنا الحنفية الثقات لم أرهم ذكروا لها ضابطاً يحصرها، حتى حَارَ فيها عقل من يَسْبِرُها، وصار قصيرُ الباع مثلي يخبط فيها خبطَ عَشْوَى ولا يهتدي إلى جواب حوادثها عند الفتوى، فشمَّرتُ عن ساق الجِدِّ والاجتهاد، وأعملتُ الفكر فيما دونه خرط القتاد، وتضرعت إليه سبحانه في بلوغ المراد ابتغاءً لوجهه تعالى ونفعاً للعباد، حتى هداني سبحانه بحوله وقوته لابحولي وقوتي إلى أن أظهر على يدي ما ليس في طاقتي، بتحرير ضابط جامع، وأصل نافع يحصر الفروع التي رأيتهم ذكروها ويوافق القواعد التي قرروها وحرروها، ويبين المراد مما أجملوه، ويوقف على ما تركوا ذكره وأهملوه، اعتماداً على حسن فقاهتهم، وقوة نباهتهم، وجمعت ذلك في رسالة سميتها (تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول) ورتبتها على ثلاثة فصول وأتبعتها بخاتمة، راجياً حسن الخاتمة، فقدّمت أولاً ما ذكروه من العبارات، ثم ذكرت ما فيها من الإشكالات، وأجوبتها مع ما تحـرّر لي من هذه المقالات، ثمّ ذكرت الضابط واقعاً فيه كل شيء في محلّه حتى يرجع كلّ فرع إلى أصله، ثمّ ذكرت بعض زيادات وتوضحيات))[١].

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ص٢٧٨.

وقال في خاتمة الرسالة: ((نجزت الرسالة المباركة الميمونة - إن شاء الله تعالى - على يد جامعها الحقير محمد عابدين أسعده مولاه في دنياه وعقباه، وذلك في شوال سنة ١٢٣٥))[1].

ودونك نصاً من صلب الرّسالة: ((فلا بد من تحرير ضابط جامع لمسائل الأصول التي لم يوجد فيها أحد من الفروع أخذاً من فروعهم التي بيّنوا أحكامها فنقول، إنّه يعتبر فيهم القرب والجزئية أيضاً، إلاّ إذا كان فيهم أب أو كانوا كلّهم وارثين، فإن كان فيهم أب فحينئذ تجب عليه فقط، وإن كانوا كلّهم وارثين فحينئذ يعتبر الإرث كما في ذوي الأرحام، وكل ذلك مأخوذ من كلامهم))[2] ذكرها ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (١٤).

أمّا من ذكرها من أصحاب التراجم:

١ - علاء الدين عابدين في التكملة: ((ورسالة في النفقات لم يسبق لها نظير اخترع لها ضابطاً جامعاً مانعاً)). وقال أيضاً: ((وتحرير النقول)).

٢ - أبو الخير عابدين في آخر الثّبت ص/٢٣٣: ((ورسالة في النفقات سمّاها (تحرير النقول في نفقة الفروع والأصول) جعل لها ضابطاً لم يسبق إليه وهي فريدة في هذا الباب)).

٣ - مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((ورسالة في النفقات سماها (تحريرات - كذا - النقول في نفقة الفروع والأصول) جعل لها ضابطاً لم يسبق إليه وهي فريدة في هذا الباب) ص/٣٧ وما بعدها.

---

(١) المصدر السابق ج١/ص٢٩١.

(٢) المصدر السابق ج١/ص٢٨٣.

٤ ـ في ظاهرية دمشق أربع نسخ منها، كلها بغير خط المؤلف، وكتبت في سنين مختلفة، فالأولى كتبت سنة ١٢٥٥ تحت رقم (عام (١٠٠٠١) والثانية كتبت سنة ١٢٤٣ تحت رقم (عام (١٠٦٠٥) والثالثة كتبت سنة ١٢٩٩ تحت رقم (عام (١٠٣٨٥) والرابعة كتبت سنة ١٢٩٧ تحت رقم (عام (١٠٥٠٠).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٢٣٤.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم(٩).

١٨- رفع الانتقاض ودفع الاعتراض على قولهم

(الأيمان مَبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض)

هذه هي الرسالة الثالثة عشرة في ترتيب الجزء الأول من المجموع المطبوع وهي رسالة لطيفة في ثلاث عشرة صفحة تقريباً، وموضوعها التوفيق بين الأصلين اللذين ذكرهما فقهاء الحنفية في مسائل الأيمان وهما (الأيمان عندنا مبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض) و(الأيمان عندنا مبنية على العرف) وهما أصلان متناقضان ظاهراً فحلّ ابن عابدين في هذه الرسالة هذا التناقض الظاهر وبيَّن المراد منهما. وقد فرغ منها مؤلفها في ٢ ربيع الثاني سنة ١٢٣٨ هـ.[١]

قال في ديباجه الرسالة: «هذه رسالة سميتها (رفع الانتقاض ودفع الاعتراض على قولهم الأيمان مبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض) أذكر فيها مايفتح علي به المولى الأكرم.. فنقول: اعلم أن أئمتنا الحنفية صرحوا في كتبهم بأن الأيمان عندنا مبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض وصرحوا أيضاً بأنها مبنية عندنا على العرف،

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ص٣٠٤ قال: «وقد فرغت من تحرير هذه الرسالة في ليلة الإثنين ثاني ربيع الثاني سنة ١٢٣٨».

وفرّعوا على الأصلين المذكورين مسائل عديدة وبين هذين الأصلين مناقضة بحسب الظاهر، وكذا في بعض الفروع المفرّعة عليهما خفاء لايدركه إلا الماهر، وقد خفي ذلك على كثير من الناظرين، وحارت في أفكار الفضلاء الكاملين فضلاً عن القاصرين، فلنتكلم على ذلك بما يوضح الحال ويزيح الإشكال))[1].

وقال في مقدار استغلاق الأمر على أئمة الحنفية من قبل:((واعلم أولاً أنّ هذا الموضع من المحلات المشكلة والمسائل المعضلة فعليك أن تتلقاه بفكر خالٍ وقّادٍ لكي يتذللّ لك أبيُّه وينقاد، وممن نبه على صعوبة هذا المحل الإمام جمال الدين الحصيري في كتابه (التحرير شرح الجامع الكبير) حيث قال في باب اليمين في المساومة كما نقله عنه الفارسي في شرحه تحفة الحريص مانصه:

((وروي عن القاضي الجليل السجزي رحمه الله تعالى أنه قال لأصحابه هلمّوا نطارح مسائل الجامع فسألوه عن مسائل الباب فقال إيتوني بألين من هذا، وروي عن الشاشي رحمه الله تعالى الذي كان من أصحاب الكرخي رحمه الله تعالى أنّه قال: قرأنا كتاب الجامع على الكرخي فلما انتهينا إلى هذا الباب وضع نكتة لتخريج مسائل الباب فانتقضت بمسألة ثانية من الباب، ثم وضع نكتة أخرى فانتقضت بمسألة ثالثة، ثم وضع نكتة أخرى فانتقضت بالرابعة، فقام وترك الدرس يومئذ)). قال: ((ذكر مشايخنا هاتين الحكايتين لبيان الصعوبة)) انتهى))[2]اهـ.

ثمّ ذكر أصل المسألة فقال: ((قال في الأشباه والنظائر: ((قاعدة الأيمان مبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض.. ولوحلف لايشتريه بعشرة فاشتراه بإحدى عشرة حنث وتمامه في تلخيص الجامع الكبير وشرحه للفارسي انتهى كلام الأشباه)). وهذا بحسب الظاهر مشكل من وجهين، الأول أن هذا الأصل وبعض الفروع

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٢٩٢.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ص٢٩٢ و٢٩٣.

المذكورة مخالف لقولهم (الأيمان مبنية على العرف)، والثاني أن الفرع الأخير موافق لبناء الأيمان على العرف ومخالف لبنائها على الألفاظ مع أنه مفرّع عليه. لكن صاحب الأشباه أحال تمام تقرير المسألة إلى تلخيص الجامع الكبير وشرحه للفارسي فنذكر جملة كلامهما»[1].

ذكرها ابن عابدين في رسالته للحابي تحت رقم (١٩).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: «ورفع الانتقاض ودفع الاعتراض في قولهم الأيمان مبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض».

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٢ وما بعدها.

٣- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧و٣٨ ومابعدها.

٤- في ظاهرية دمشق نسخة منها تحت رقم (عام (١٠٦٠٠) غير مؤرخة).

٥- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

«٢٠- رفع الانتقاض ودفع الاعتراض عن قولهم الأيمان مبنية على الأغراض. دمشق سنة ١٣٠١».

ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص ٧٧٣.

٦- التقرير العلمي العابديني

«رفع الانتقاض بخط المؤلف ١٢٣٨ مهمّشة بالحبر الأسود والأحمر ست ورقات ١٧×٢٢».

آ- في الفهارس العامة:

١- هدية العارفين ج٢/ص٢٦٧و٣٦٨ تحت رقم (١٩).

---

(١) المصدر السابق ج/ص٢٩٢.

ب - في فهارس المكتبات:
١- الأزهرية ج٢/ص١٧٧.

١٩- الأقوال الواضحة الجلية في تحرير مسألة نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية

هي الرسالة الأولى من الجزء الثاني من المجموع المطبوع وهي رسالة لطيفة في أربع عشرة صفحة تقريباً من ص/٤ إلى ص/١٨ منه، لم يظهر لي متى فرغ مؤلفها منها[١] قال في ديباجتها: ((هذه رسالة سميتها الأقوال الواضحة الجلية في تحرير مسألة نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية)) وهو تحرير مهم لمسألة الإمام السبكي التي ذكرها في الأشباه في القاعدة التاسعة في إعمال الكلام أولى من إهماله، وهي: رجل وقف عليه ثمّ على أولاده، ثمّ على أولادهم، ونسله وعقبه ذكراً أو أنثى للذكر مثل حظ الأنثيين، على أن من توفي منهم عن ولد أو نسل عاد ما كان جارياً عليه من ذلك على ولده ثم على ولد ولده ثمّ على نسله على الفريضة، وعلى أن من توفي عن غير نسل عاد ماكان جارياً عليه على من في درجته من أهل الوقف المذكور يقدم الأقرب إليه فالأقرب ويستوي الأخ الشقيق والأخ من الأب ومن مات من أهل الوقف قبل استحقاقه لشيء من منافع الوقف وترك ولداً أوأسفل منه استحق ماكان يستحقه المتوفى لو بقي حياً إلى أن يصير إليه شيء من منافع الوقف المذكور وقام ولده في الاستحقاق مقام المتوفى فإذا انقرضوا فعلى الفقراء.

وتوفي الموقوف عليه وانتقل الوقف إلى ولديه أحمد وعبد القادر ثمّ توفي عبد القادر وترك ثلاثة أولاد وهم عمر وعلي ولطيفة وولدى - كذا - ابنه

---

(١) لم أعثر على تاريخ تأليفها ولا على تاريخ الفراغ منها حيث لم يسجل ابن عابدين ذلك في ماوصل إليَّ من مخطوط ومطبوع ولعل الزمن يسعف بذلك إن شاء الله.

محمد المتوفى في حياة والده وهما عبد الرحمن وملكه، ثم توفي عمر عن غير نسل ثم توفيت لطيفة وتركت بنتاً تسمى فاطمة ثمّ توفي علي وترك بنتاً تسمى زينب ثمّ توفيت فاطمة بنت لطيفة عن غير ولد.. فإلى من ينتقل نصيب فاطمة المذكورة))[1].

وقال في آخرها: ((وبقي فوائد أخر تتعلق بهذه المسألة ذكرتها في كتابي العقود الدّرية لتنقيح الفتاوي الحامدية وهذه المسألة تحتمل كلاماً طويلاً ولكن فيما ذكرناه هنا كفاية))[2].

ودونك نصاً من صلب الرّسالة:((تنبيه: تقدم عن السبكي أنه لم يعتبر الدرجة الجعلية أصلاً وأن السيوطي اعتبرها كالدرجة الأصلية، وصورتها مامر من قول الواقف على أن من مات قبل استحقاقه لشيء من منافع الوقف وترك ولداً أو ولد ولد أو أسفل منه قام ولده أو الأسفل منه مقامه واستحق ماكان يستحقه والده لو كان حياً.. فالسبكي لم يعتبر هذه الدرجة أصلاً.. والسيوطي اعتبرها كالدرجة الأصلية...))[3].

ذكر هذه الرّسالة ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (٢٧) قال: ((وهو شرح لمسألة السبكي الواقعة في الأشباه)).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((والأقوال الواضحة الجلية)).

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٤ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ج٢/ص١٨.

(٣) مجموع الرسائل ج٢/ص١٢.

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت: ((والأقوال الواضحة الجلية في نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية)) ص/٢٣٤.

٣- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ومابعدها.

٤- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي

(٦- الأقوال الواضحة الجلية لمسألة نقض القسمة (الجلية)، ومسألة الدرجة الجعلية. دمشق سنة ١٣٠١)[١].

ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٣.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص١١٤.

٢- هدية العارفين ج٢/٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم(٦).

٢٠- العقود الدّرية في قول الواقف (على الفريضة الشرعية)

هي الرسالة الثانية بالترتيب في الجزء الثاني من الجزء المطبوع، وهي رسالة وجيزة في أربع عشرة صفحة فقط فرغ منها مؤلفها سنة ١٢٣٠هـ قال في آخرها: ((وكان الفراغ من تأليفها في حدود الثلاثين بعد المائتين والألف على يد جامعها الحقير محمد عابدين))[٢].

موضوعها بيان المراد من قول الواقف في كتاب وقفه (يقسم ريع الوقف على الفريضة الشرعية) هل المراد به المفاضلة بين الذكور والإناث أم القسمة بالسوية؟ في المذهب الحنفي مع المقارنة ببقية المذاهب الثلاثة وخرج بنتيجة خلاصتها، أنّ العرف محكّم أولاً ثمّ القرينة ثمّ التسوية بين الذكر والأنثى لأنه

---

(١) كذا وردت في بروكلمان والصواب ما سبق.

(٢) مجموع الرسائل ج٢/ ص٣٤.

استصحاب للأصل حيث لادليل ولاتحمل على الفرائض المقدرة في باب الميراث لأنه خلاف قصد المتكلم الواقف.

قال في ديباجة الرسالة: ((قد وقع السؤال عن قول واقف في كتاب وقفه (يقسم ريع الوقف على الموقوف عليهم على الفريضة الشرعية) هل المراد به المفاضلة بين الذكور والإناث أم القسمة بالسوية فأردت تحرير الجواب بلا إيجاز ولا إطناب في رسالة سميتها (العقود الدّرية في قولهم على الفريضة الشرعية) فأقول وبالله التوفيق ومن فيض فضله أستمد التحقيق:

إن هذه المسألة قد اختلف فيها فتاوى المفتين من العلماء المتأخرين حيث لم يرد فيها نص عن الأئمة المتقدمين، وقد ألف فيها رسالة شيخ الإسلام العلامة يحيى ابن المنقار المفتي بدمشق الشام سماها (الرسالة المرضية في الفريضة الشرعية) وافقه عليها كثيرمن أهل عصره وصوّبوا ما ابتكره بثاقب فكره، وخالفه فيها آخرون، والكل أئمة معتبرون، فها أنا أذكر لك جملة من كلام الفريقين وأضم إليها ماتقرّ به العين))[1].

ودونك نصاً من صلب الرسالة خلاصته رأي المؤلف في المسألة ((وبالجملة فالذي يتعين المصير إليه والتعويل عليه أنّه حيث أطلقت الفريضة الشرعية في وقف أو بيع أو هبة أو وصية أو غير ذلك لقريب أو أجنبي فإن كان أهل عصر ذلك المتكلّم قد تعارفوا إطلاقها عل المفاضلة بين الذكر والأنثى تعين حملها على ذلك المعنى قطعاً، وإن لم يتعارفوا ذلك فإن وجدت قرينة اتبّعت، وإلا فالأصل التسوية لأن التفاضل ترجيح بلامرجح كما لو لم يذكر الفريضة الشرعية أصلاً، ولاتحمل الفريضة الشرعية على الفرائض المقدرة في باب الميراث التي هي الثُّمْنُ والثلث

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٢٠.

وضعفهما وضعف ضعفهما في شيء من ذلك كما ظهر لـك مـن كـلام صـاحب التنوير وكلام الإمام السيوطي))[1].

ذكرها ابن عابدين في رسالته للحابي تحت رقم (١٨).

أما من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وجملة رسائل في الأوقاف)).

وقال أيضاً: (والعقود الدّرية).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ومابعدها.

٤- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(٢٥- العقود الدّرية في قول الواقف على الفروض الشرعية - كـذا - دمشـق سنة١٣٠١).

ر: بروكلمان ج٢الذيل/ص٧٧٣.

٥- التقرير العلمي العابديني:

((العقود الدّرية بخط المؤلف ٨ ورقات بالحبر الأسود ١٧×٢٢ ١٢٣٠)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص١١٤.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٥).

---

(١) المصدر السابق ج٢/ص٣٣.

٢١- غاية المطلب في اشتراط الواقف عوْدَ النصيب إلى أهل الدرجة الأقرب فالأقرب.

وهي الرسالة الثالثة في الترتيب من الجزء الثاني من المجموع المطبوع تقع في اثنتي عشرة صفحة تقريباً من ص/٣٦ إلى ص/٤٧ منه، فرغ منها مؤلفها في سلخ رجب سنة ١٢٤٩هـ[(١)] موضوعها الإجابة على حادثة فتوى وردت من طرابلس خلاصتها وقف من شروطه، أنّ من مات عن غير ولد ولاولد ولدِ ولدٍ ولانسل ولاعقب عاد ماكان بيده إلى من في درجته وذوي طبقته من أهل الوقف يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب إلى الميت فهل تعتبر الأقربية أم الدرجة وخلص منها بنتيجة أنّه لافرق بين اشتراط رجوع نصيب الميت إلى البطن الذي فوقه أو البطن الذي هو فيه فإنّ المراد بالبطن والطبقة والدرجة واحد[(٢)]، وإليك ماقاله في ديباجة الرسالة: « قد ورد علي في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين ومائتين وألف من طرابلس الشام سؤال اضطربت آراء العلماء قديماً وحديثاً في جوابه وتحيرت الأفهام في تمييز خطئه من صوابه فأردت أن أوضح كلام كل من الفريقين وأبين للسالك أسلم الطريقين.. وجمعت ذلك في وريقات سميتها (غاية المطلب في اشتراط الواقف عود النصيب إلى أهل الدرجة الأقرب فالأقرب) فأقول: حاصل السؤال في وقف من شروطه أنّ من مات عن غير ولد ولا ولد ولد ولانَسْلٍ ولاعقب عاد ماكان بيده إلى من في درجته وذوي طبقته من أهل الوقف يقدم في ذلك الأقرب فالأقرب إلى الميت (ماتت امرأة اسمها زينب عن أولاد شقيقتها كاتبة وسعدية وفي درجتها حوّى بنت عمها علي وابن عمها عمر وهو عبد القادر)

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٤٧ قال ما نصه: (تحريراً في سلخ رجب الفرد سنة تسع وأربعين ومائتين وألف).

(٢) مجموع الرسائل ج٢/ص٤٥.

فهل يعود نصيب زينب لأولاد شقيقتها إذ هم رحم محرم ولكون شرط الأقربية متأخراً عن الدرجة فينسخها ويعتبر المتأخر ويكون العمل بما أفتى به العلامة الشيخ خير الدين الرملي ثانياً من اعتبار الأقربية حيث اعتمد على ذلك ورجع عما أفتى به أولاً من اعتبار الدرجة كماهو مبسوط في فتاويه، ولاشيء والحالة هذه لأهل الدرجة المذكورين حيث تقرر أن العام نص في أفراده يعارض الخاص فينسخه إذا كان متأخراً كما في هذه الحادثة أم لا؟ أفيدوا الجواب)). (١)

هذا، وقد كتب السائلون ورقة أخرى فيها صور أجوبة متعددة لمفتين معاصرين تابعوا الخير الرملي باعتبار الأقربية وإلغاء الدرجة أو بالتوقف للتعارض، هم: مفتي اللاذقية عبد الفتاح النقشبندي ووالده عبد الله النقشبندي ومحمد الحميني الخلوتي مفتي القدس وعبد المولى أبو الفوز مفتي دمياط وأحمد التميمي الخليلي، ومحمد الكيلاني مفتي حماة ومحمد البزري مفتي صيدا، وسئل عنها قديماً عبد الله الخليلي مفتي طرابلس الشام وكلهم تابعوا الخير الرملي، وقد ظهر لابن عابدين خلافه فلاصح عنده التوقف ولاإلغاء الدرجة، واستدل على ذلك بنقول لعلماء المذهب منهم الحصكفي صاحب الدر المختار وغيره.

ذكرها ابن عابدين في رسالة للجابي تحت رقم (٢٨).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وجملة رسائل في الأوقاف)) وقال أيضاً: ((غاية المطلب)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣ ومابعدها.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(٢٨- غاية المطلب في اشتراط الوقف.. دمشق سنة ١٣٠١)

ر: بروكلمان ج٢/الذيل ص٧٧٣.

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٣٦.

٤- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

٥- التقرير العلمي العابديني.

((شرط الواقف بخط المؤلف ٦ورقات مسودة بالحبر الأسود ١٧×٢٢ ١٢٤١رجب)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج٢/١٤١.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٣١).

٢٢- غاية البيان في أن وقف الاثنين على نفسهما وقف لاوقفان.

هي الرسالة الرابعة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع، تقع في تسع صفحات تقريباً من ص/٤٨إلى ص/٥٦منه، فرغ منها مؤلفها في غرة رمضان سنة ١٢٥١[١]، وموضوعها الرد على إيراد على جواب سؤال ورد من طرابلس الشام أجاب به المؤلف وبعث به وبعد سنة أورد عليه السائلون الأولون إيراداً أجاب عنه بهذه الرسالة حول وقف الاثنين على نفسهما هل هو وقف واحد أم وقفان؟ وخلص بنتيجة هي أنه وقف واحدٌ لاوقفان استناداً إلى متون المذهب، وناقش ابن عابدين قول من قال إنهما وقفان استناداً إلى فتوى منقولة عن خير الدين الرملي وشيخه السراج الحانوتي، لكن ابن عابدين فنّد هذا النقل وبين خطأ الناقل وعدم صحة استناده ذاك[٢]. وإليك ديباجه الرسالة: ((قد كان ورد علي سؤال من طرابلس الشام أجبت فيه على حسب ماظهر لي فيه موافقاً للمعقول والمنقول ولما هو بين ذوي العقول مقبول، ثم بعد أكثر من سنة ورد ذلك السؤال ثانياً، وفيه جواب خلاف جوابي الأول، قد رأيته خطأً واهياً مع أن ذلك المجيب قد

---

(١) ر: مجموع الرسائل ج٢/ص٥٦ قال مانصه: ((نجزت هذه العجالة في غرة رمضان سنة ١٢٥١)).

(٢) ر: مجموع الرسائل ج٢/ص٥٣ وما بعدها.

حكم على جوابي بأنه خطأ بيّن غير مقبول وأني مطالب بمراجعة النقول، لابالتوهم والعقول، واستند في جوابه إلى مافي الفتاوي الخيرية،فأردت أن أذكر السؤال مع جوابه في هذه الأقضية، وأوضح له أنه غير مصيب، وأنه ليس له في الفهم الصحيح نصيب، وجمعت ذلك في رسالة سميتها (غاية البيان في أن وقف الاثنين على نفسهما وقف لاوقفان))(١).

وخلاصة صورة السؤال: ((وكيل عن امرأتين شقيقتين أنشأ وقفهما الذي هو ملكهما عليهما وعلى بنت شقيقهما على نفس الواقفين وعلى بنت شقيقهما أثلاثاً ثلاثة بحيث يكون ذلك مدة حياتهم ثم من بعدهم على أولادهن ثم على أولاد أولادهن ثم على أنسالهنّ ثمّ على أعقابهن الطبقة العليا تحجب السفلى يقدّم في ذلك الأقرب فالأقرب للذكر مثل حظ الأنثيين وإذا انقرضت ذرية الشقيقتين عاد الوقف بأجمعه إلى بنت شقيقهما ثم على ذريتهما وإذا انقرضت ذريتها عاد الوقف على ذرية الشقيقتين وإذا انقرضت ذريتهم جميعاً عاد على وجوه مبرات مشروطة في كتاب الوقف وإذا تعذر يعود على فقراء المسلمين، ماتت إحدى الواقفتين عن أولاد فتناولوا وقفها ثمّ ماتت الأخرى عن غير ولد ولانسل فهل تعود حصتها من الوقف لأولاد شقيقتها أو ترجع لبنت شقيقها شريكتها أم للفقراء وهل إذا حكم القاضي بالعَوْد للفقراء ينقض حكمه؟))(٢)

وقد استعرض ابن عابدين صورة السؤال ثمّ ماأجاب به ذلك المناقش ثم النقول التي استند إليها وردّ على ذلك كله بما علمت أولاً في صدر البحث. جاء في الأعلام ج١١ القسم الثاني من المستدرك صورة خطه بآخر كتاب (غاية

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٤٨.
(٢) ر: مجموع الرسائل ج٢/ ص٤٨.

البيان) في فقه الحنيفة من تأليفه من مخطوطات المكتبة الأزهرية (٢٧١٥ حنفي ٤٢٩٦٢) بالنص التالي:

((الله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب، والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين، قال مؤلفها نجزت هذه العجالة على يد أفقر العباد إلى رحمة رب العالمين محمد أمين بن عمر عابدين غفر الله تعالى له ولوالديه ولمشايخه والمسلمين في غرة رمضان سنة ١٢٥١ إحدى وخمسين ومائتين وألف والحمد لله رب العالمين)).

وذكرها ابن عابدين في رسالته للحابي تحت رقم (٢٩).

أما من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وجملة رسائل في الأوقاف)) وقال ((وغاية البيان)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(٢٧- غاية البيان في أن وقف الاثنين على أنفسهما وقف لاوقفان. دمشق سنة١٣٠١).

ر: بروكلمان ج٢ الذيل/٧٧٣.

٤- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

٥- في ظاهرية دمشق نسخة كتبت سنة ١٢٤٩ ليست بخط المؤلف تحت رقم (عام (١٠٣٣٨)).

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص١٣٨.

٢- هدية العارفين ج٢/٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٠).

٢٣- تنبيه الرقود على مسائل النقود

هذه الرسالة الخامسة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع تقع في تسع صفحات تقريباً من /٥٨إلى ص/٦٧فرغ منها مؤلفها في حدود سنة ١٢٣٠هـ[١]

وموضوعها: مسائل النقود من رخص وغلاء وكساد وانقطاع مما يضطر التجار إلى معرفته قال في ديباجتها: ((هذه الرسالة سميتها (تنبيه الرقود على مسائل النقود) من رخص وغلا وكساد وانقطاع جمعت فيها ماوقفت عليه من كلام أئمتنا ذوي الارتقا والارتفاع ضامّاً إلى ذلك مايستحسنه ذوو الإصغاء والإستماع ويُسَلّمه سليم الطباع من داء الخصام والنزاع))[٢].

ودونك نصاً من صلب الرسالة:

((وقد كنت تكلمت مع شيخي الذي هو أعلم أهل زمانه وأفقههم وأورعهم فجزم بعدم تخيير المشتري في مثل هذا لما علمت من الضرر وأنه يفتي بالصلح حيث كان المتعاقدان مطلقيْ التصرف يصح اصطلاحهما بحيث لايكون الضرر على شخص واحد))[٣]... الخ قلت ويقصد بشيخه هنا الشيخ سعيداً الحلبي رحمه الله تعالى لما ترى من تاريخ تأليفها في طالعة هذه الترجمة.

ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (١٦).

أما من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وتنبيه الرقود)).

٢-أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٦٧ قال في آخرها: ((وكان الفراغ منها في حدود سنة ثلاثين ومائتين وألف. اهـ).

(٢) مجموع الرسائل ج٢/ص٥٨.

(٣) مجموع الرسائل ج٢/ ص٦٦.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:

(١٤- تنبيه الرقود على مسائل النقود. دمشق سنة ١٣٠١).

ر: بروكلمان ج٢/ص الذيل /ص٧٧٣

٤- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧ ومابعدها.

٥- في ظاهرية دمشق نسخة مقابلة على نسخة المؤلف كتبت سنة ١٢٤٤. تحت رقم (عام (١٠٥٨٥)).

آ- في الفهارس العامة:

١- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (١٣).

ب- في فهارس المكتبات:

١- التيمورية ج٣/ص١٨٧.

٢٤- تحبير التحرير في إبطال القضاء بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تغرير

هذه هي الرسالة السادسة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع، تقع في ست عشرة صفحة تقريباً وهي من الرسائل الدسمة حامية الوطيس ذات طابع الحدّة والمناقشة العلمية العنيفة من ص/٦٨إلى ص/٨٤ موضوعها الرّد على نائب صيدا الذي ألف رسالة سمّاها (الرد المسدّد على من يقول إن القول بالرد بالغبن الفاحش مطلقاً غير معتمد) رد بها على ابن عابدين الذي أجاب على جواب فتوى أخيه مفتي صيدا، ومحصّله صحّة الفسخ بخيار الغبن بلا تغرير وصحة حكم القاضي بذلك أجاب عليه ابن عابدين بما يخالفه أولا أي ببطلان الفسخ بخيار الغبن بلا تغرير.

ودونك بعد هذا ديباجة الرسالة قال: ((إنه قد ورد عليّ من ثغر صيدا سؤال وجوابه لمفتيهامحصله صحة الفسخ بخيار الغبن بلا تغرير وصحة حكم القاضي بذلك، فكتبت في جانبه الجواب بما يخالفه و لم أطول الكلام في بيان التوجيه والتعليل

لعلمي بأن من يتصدر للإفتا يكفيه القليل، فلمّا وصل إليه ذلك جمع له أخوه النائب في صيدا وريقات سمّاها (الرد المسدد على من يقول إن القول بالرد بالغبن الفاحش مطلقاً غير معتمد) كتب فيها السؤال وجواب أخيه وجوابي الذي ينافيه، وكتب في الرد على جوابي ماظهر لفهمهما مما لايقبله ولايرتضيه كل فقيه نبيه وأرسلا هذه الوريقات إلى بعض النّاس، ممن له في زعمهما في هذا الشأن إحساس، فأثنى عليهما وصوب رأيهما ونسب جوابي إلى المناقضة والفساد، والاستدلال على ما ينفي المراد، وأخبرني من جاءني بالسؤال أنّ معه كتاباً أرسل إليه مشتملاً على الطعن والذمّ في الفقير، وطلب منّي الجواب عمّا قاله هؤلاء الطاعنون بلاتصور ولاتدبير، وألحّ عليّ كثيراً وأنا أمتنع لاشتغالي بما هو أهم، وخوفاً من ضياع الوقت بخطاب من لايفهم. فلمّا لم أرَ بُدّاً من الجواب لإزهاق الباطل وإظهار الحق والصواب جمعت هذه الرسالة وسميتها (تحبير التحرير في إبطال القضا بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تغرير) وقيّدت التسمية بقولي ((بلا تغرير)) لأني ماقلت بمنع الرد مطلقاً كما تعلمه في أثناء التقرير، حيث أذكر حاصل السؤال وجواب ذلك المفتي وجوابي، واعتراض أخيه على جوابي ثـمّ أعقب ذلك بما في كلام هؤلاء الطاعنين من العوار، وأنّ مابنوه على شفا جرف هار))[1].

أمّا أصل السؤال فحاصله لخّصه ابن عابدين مع جواب مفتي صيدا عليه بقوله: ((حاصل السؤال: في دار مشتركة بين قُصَّر وبالغين، باع البالغون حصتهم لزيد، وباع وصي القُصَّر حصتهم لزيد أيضاً، وحرر ذلك في حجة فيها الإبراء من الغبن الفاحش والمسوّغ الشرعي في حصة القُصّر، وأن الثمن ثمن المثل، والآن ادعى البُلّغ والوصي على المشتري بالغبن الفاحش، ١- فهل تسمع دعواهما؟ ٢- وللقاضي الحكم بفسخ البيع حيث رآه أنفع للقصَّر ولاعبرة لماكتب في الحجة

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٦٨.

بل العبرة لما في الواقع؟ ٣- وهل الرد بالغبن الفاحش قول مصحح في المذهب؟
٤- وهل تقدم بينة الغبن على بينة المشتري أن الثمن ثمن المثل؟

وحاصل الجواب: نعم تسمع الدعوى المذكورة ولايمنع ماذكر في حجة البيع وإذا أنكر البُلَّغ الإبراء فالبيّنة على المشتري كما أفتى به الخير الرملي.. الخ)).[1]

أمّا جواب ابن عابدين فقد لخصه بقوله: ((وأمّا جوابي الذي كتبته بجانبه فهو قولي الحمد لله تعالى الجواب عن هذا السؤال المذكور على ماهو المحرر في كتب المذهب ومسطور أن يقال إن دعوى القاصرين بعد بلوغهم بأن بيع الوصي كان بغبن فاحش مسموعة ونقله مامر في الجواب السابق لكن بشرط أن لايكون وقت البيع قد شهدت بينة بأنّ الثمن هو ثمن المثل إذ ذاك بعد دعوى صحيحة لدى حاكم شرعي، فإن قامت البينة وقت البيع كذلك لاتسمع دعواهم الآن ولاتقبل بينتهم الآن على الغبن الفاحش لأن البينتين إذا تعارضتا واتصل القضا بإحداهما لاتسمع الثانية كما هو مشهور، وفي كتب المذهب مسطور، ومامر من تقديم بينة الغبن فذاك فيما إذا لم يحكم بالأخرى وعلّله الخير الرملي في كتاب الدعوى بقوله لايتصور بيع واحد بمثل القيمة وغبن فاحش للتنافي انتهى.. الخ)).[2]

ودونك نصاً من صلب الرسالة: ((فحيث اتحدت الروايتان بهذا التفصيل صار هذا القول هو الذي قالوا إنه ظاهر الرواية وإنه المذهب وإنه الصحيح وإنه المفتى به وحينئذ لم يبق لنا قول في المذهب بالرد مطلقاً فضلاً عن أن يكون قولاً مصحّحاً، أو معتمداً مرجحاً، فإن قلت: هذا التحرير لم نر من ذكره ولاسمعنا من أظهره وأشهره، قلت: نعم هو كذلك وإنه من فتح رب الممالك واختص بكشفه هذا العبد الحقير ببركة أنفاس مشايخه خصوصاً سعيدهم العالم النّحرير على أنّ

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٦٨ ومابعدها.
(٢) مجموع الرسائل ج٢/ص٦٩ ومابعدها.

الذي حررته ليس من عندي ولامن قدح زندي بل هو مأخوذ من كلامهم على وفق مرامهم))[1].

وقد انتهت الرسالة على يد مؤلفها سنة ١٢٤٨ كما يظهر من العبارة التالية: ((وذلك في نصف جمادى الآخرة من شهور عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف على يد جامعها أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة مولاه يوم التناد محمد أمين ابن عمر عابدين))[2].

أمّا التقاريظ لهذه الرسالة فهي من العلماء المعاصرين لابن عابدين وهم:
١- سعيد الحلبي ٢- حسين المرادي المفتي بدمشق ٣- عبد اللطيف فتح الله ٤- عمر المجتهد ٥- أحمد الغر.
وستجد نصوصها في آخر هذا الفصل كما تجد خطوط أصحابها في ملحق الوثائق بآخر الرسالة.
ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (٢٦).

أمّا من ذكرها من أصحاب التراجم:
١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وتحبير التحرير)).
٢-أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.
٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:
(٨- تحبير التحرير في إبطال القضاء بالغبن الفاحش بلا تقرير (على فتوى القاضي من صيدا) دمشق لسنة (١٣٠١).
ر:بروكلمان ج٢/الذيل /ص٧٧٣.
٤- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ مابعدها.

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٨١.
(٢) مجموع الرسائل ج٢/ ص٨٤.

٥- التقرير العلمي العابديني.

((الفسخ بالغبن الفاحش - بخط المؤلف ١٤ ورقة بالحبر الأسود والأحمر ٢١×١٧ منتصف جمادى الآخرة ١٢٤٨ وبآخرها اطلاع سعيد الحلبي عليها بخطه ١٢٤٨ وحسين المرادي وعبد اللطيف فتح الله وكلمة مع قصيدة لمفتي بيروت أحمد أمّورا)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٢٢٩.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم(٧).

٢٥- تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام

هذه هي الرسالة السابعة من المجموع المطبوع/الجزء الثاني منه/تقع في عشر صفحات تقريباً من ص/٨٦إلى ص/٩٥منه انتهى منها مؤلفها سنة ١٢٥١ كما قال في ختامها: ((وقد نجزت هذه العجالة الجليلة في أوقات قليلة ليلة الخميس السابع من ذي الحجة الحرام الذي هو ختام عام سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف))[١] فهي من آخر ماألفه ابن عابدين في أخريات أيامه أمّا موضوع الرسالة حامية الوطيس هذه فهو حادثة فتوى أفتى بها ابن عابدين واستدرك عليه الحاكم الشرعي وادعى أن هذا الجواب غير صحيح مدلّلاً على قوله وأرسل استدراكه إلى الوزير حاكم الشام الذي كان يحصل له شبهه من قبل في قول ابن عابدين، فبعث الحاكم الوزير كلام الحاكم الشرعي إلى ابن عابدين للجواب، فكتب ابن عابدين هذه الرسالة. وإليك القصة كما ذكرها ابن عابدين بقلمه في أول الرسالة: ((وكتب الحاكم

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٩٥.

الشرعي بذلك مراسلة وأرسلها إلى حضرة الوزير المعظم حكمدار بلاد الشام أيده الله تعالى بتوفيقه على الدوام ولمّ به شعث الإسلام وذلك لأجل تحصيل المبلغ من ورثة علي آغا، فحصل لحضرة الوزير أيّده الله تعالى شبهة في ذلك الإثبات بسبب الحكم السابق بمنع اليهودي من دعواه وبغيره من الأسباب التي أورثت لحضرته الارتياب، فأرسل إليّ المراسلة للاستفتاء عن الحكم الصادر فيها فأجبت بأن الحكم الثاني المذكور فيها غير واقع موقعه، ثمّ طلب منّي بيان ذلك فبينته ثمّ أرسل حضرة الوزير أيده الله بتوفيقه/ الجواب إلى الحاكم الشرعي فادّعى أنّ هذا الجواب غير صحيح وكتب بعض عبارات ظن أنها تدلّ لما يقول وأرسلها إلى حضرة الوزير أيده الله تعالى فأرسلها إلى الفقير لطلب الجواب عمّا هو الحق والصواب ولـمّا كان ولي الأمر واجب الامتثال بادرت إلى ذلك بدون إمهال»[1]

أما أصل السؤال في حادثة الفتوى فهو كما ذكره ابن عابدين في ديباجه الرّسالة: «هذه رسالة سميتها (تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام) والداعي إلى جمعها حادثة وقعت في عام إحدى وخمسين بعد المائتين والألف في رجل يهودي اسمه روفائيل ادّعى على وكيل ورثة رجل اسمه علي آغا بأنّ المدعي كان عنده مبلغ دراهم معلومة وديعة لورثة رجل اسمه إبراهيم أفندي وأنّ المدعي دفع ذلك المبلغ إلى علي آغا ليدفعه إلى ورثة إبراهيم أفندي وأنّ علي آغا مات و لم يدفع ذلك المبلغ فأجاب وكيل ورثة علي آغا بإنكار ذلك وادعى على روفائيل اليهودي بأنك كنت أبرأت علي آغا إبراءاً عامّاً وأثبت الوكيل الإبراء العالم لدى الحاكم الشرعي ومنع الحاكم الشرعي المدعي من دعواه المذكورة وصرح له الحاكم الشرعي بأنك ممنوع من هذه الدعوى، والفقير كنت حاضراً مجلس الحاكم، وقال لي اليهودي: أنا لم أبرئه إبراءاً عامّاً وإنّما قلت له: «ليس بيني وبينك أخذ ولاإعطاء» فأجبته بأن دعواك دفع المبلغ إليه إعطاء

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ص٨٦.

فهو داخل تحت إقرارك، وبعد ثبوت الإبراء العام لاكلام. ثمّ بعد مدة ادّعى اليهودي على الوكيل المذكور بأن علي أغا كان أقرّ بعد الإبراء المذكور بأن المبلغ باق في ذمته لورثة إبراهيم أفندي وأثبت اليهودي ذلك وكتب الحاكم الشرعي بذلك مراسلة وأرسلها إلى حضرة الوزير المعظّم... إلخ»[1]

وإليك نصّاً من صلب الرسالة يلخص موقف ابن عابدين كله:

«فقد ظهر ظهور الشمس بلاخفاء ولا لبس أنّ الحكم الثاني غير صحيح كما دلّ عليه النقل الصريح الذي لاشبهة فيه ولامطعن يعتريه»[2].

ذكر هذه الرسالة للحابي تلميذ ابن عابدين في ذيل الرّسالة التي بعث بها إليه شيخه.

أمّا من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: «وتنبيه ذوي الأفهام»[3].

٢- في ظاهرية دمشق نسختان مخطوطتان كلتاهما بخط محمد بن حسن البيطار في سنة واحدة هي سنة ١٢٥٢ في صفر، الأولى في ١١صفر والثانية في ١٤صفر منها تحت رقمي (عام ١٠٦٠٠- وعام ١٠٦١٥).

٣- التقرير العلمي العابديني:

«بطلان الحكم بخط المؤلف ٧ذي الحجة ١٢٥١ بالحبر الأسود والأحمر مهمّشة ٢٢×١٧ خمس ورقات».

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٨٦.

(٢) المصدر السابق ج٢/ ص٩٥.

(٣) هذه الرسالة لم يذكرها أبو الخير عابدين في الثبت ولا ندري سبب ذلك ولعله سهو من المؤلف أو سقط أثناء الطبع وقد ذكر أنها ٤٩ كتاباً وعند العد وجدت ٤٨ كتاباً فقط وتابعه في إسقاطها كل من البيطار والشطي ومردم بك.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٣٢٤.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨تحت رقم (١١).

٢٦- إعلام الأعلام بأحكام الإقرار العام

هذه الرسالة الثامنة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع مطوّلة تقع في سبع عشرة صفحة تقريباً من ص/٩٦إلى ص/١١٣منه.

انتهى منها مؤلفها في سنة ١٢٣٧هـ كما قال في آخرها:

((بحسن الختام لتسع خلون من محرم الحرام سنة سبع وثلاثين ومائتين بعد ألف عام من هجرة خاتم الأنبياء))[1]، وموضوعها تحرير مسائل الإقرار العام ولاسيما إقرار الوارث بقبضه جميع ماخصّه من التركة وأنّه لم يبق له حق فيما خلّفه مورثه وهو المحور الذي تدور عليه الرسالة قال في ديباجة الرسالة موضحاً سبب التأليف ومنهجه: ((إنّ مسألة الإقرار العام قد حارت فيها الأفهام، ولاسيما إقرار الوارث بقبضه جميع ماخصه من التركة وأنّه لم يبق له حق فيما خلّفه وتركه فقد كثر فيها النزاع وشاع وذاع حتى أنّ أفضل المتأخرين الشيخ حسن الشرنبلالي أسكنه مولاه في جنانه العوالي ألّف فيها رسالة سمّاها (تنقيح الأحكام في حكم الإبراء والإقرار الخاص والعام) جمع فيها كثيراً من نقول المذهب وأسهب فيها وأطنب، ثمّ وفق بين بعض العبارات وحرر بما لايخلو بعضه عن تأمل ونظر فأردت أن أذكر بعض نقوله التي أودعها في فصوله وأضم إليها بعض النقول عن أئمتنا الفحول ومايظهر للقريحة القريحة والفكرة العليلة الجريحة في التوفيق بين العبارات المتعارضة التي يظن أنها متناقضة وجمعت ذلك في رسالة سميتها (إعلام الأعلام

---

(١) مج الرسائل ج٢/ ص١١٣.

بأحكام الإقرار العام) أو (رفع الأوهام المشكّكة عن إقرار الوارث بقبض التركة) ورتبتها على مقدمة وستة فصول وعلى خاتمة هي المقصد والنتيجة لتلك النقول))[1].

ودونك بعد هذا قطعة من تلك الخاتمة التي هي المقصد من الرسالة والثمرة.
قال: ((الخاتمة في تلخيص حاصل ماتقدم على وجه الاختصار ودفع التناقض بين عباراتهم وتحرير المسألة المقصودة.. إلى أن قال: وأقول إنّه أقرب الأجوبة فتكون المسألة مستثناة من عموم عدم سماع الدعوى بعد الإبراء العام أي الذي في ضمن الإقرار العام فلذا نص على استثنائها في الأشباه))[2].

ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (١٥).

من ذكرها من أصحاب التراجم:
١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وإعلام الأعلام في الإقرار العام)).
٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.
٣- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ومابعدها.
٤- في ظاهرية دمشق نسخة خطية كتبت سنة ١٢٤٤ مقابلة على المؤلف تحت رقم (عام(١٠٥٨٤)).
٥- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.
[٥- إعلام الأعلام لإقرار العام (هكذا ورد) دمشق سنة ١٣٠١
(إعلام الأعلام لأحكام الإقرار العام) تصحيف] .
ر:بروكلمان ج٢ الذيل ص/٧٧٣.
٦- التقريرالعلمي العابديني

---

(١) مج الرسائل ج٢/ ص٩٦.
(٢) مج الرسائل ج٢/ ص١٠٦ إلى ص١١٢.

((الإقرار العام بخط المؤلف ٩ ورقات بالحبر الأسود ١٧×٢٢ ٩محرم ١٢٣٧)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص١٠٠.

٢- هدية العارفين ج٢ ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم (٥).

٢٧- تحرير العبارة فيمن هو أولى بالإجارة

هذه الرسالة العاشرة من الجزء الثاني المجموع المطبوع، وهي رسالة دسمة مطوّلة إذا قيست بكثير من رسائله المختصرة تقع هذه الرسالة في ثماني عشرة صفحة من ص/١٤٨ إلى ص١٦٥منه، فرغ منها مؤلفها في سنة ١٢٤٦: ((وهذا آخر مايسرّه المولى سبحانه وتعالى على عبده الحقير في ربيع الثاني من شهور ست وأربعين ومائتين وألف))[(١)].

أمّا موضوع الرسالة فيدور حول توضيح وهم وقع فيه كثيرون من الناس من أن المستأجر الأول أحق بالإجارة من غيره فيجرونه على عمومه بلا اختصاص مع كون هذا الحكم خاصاً ببعض الصّور، فأوضح ابن عابدين في هذه الرسالة الصور التي تخص هذا الحكم دون غيرها، وبطلان ذلك الوهم الذي طالما وقع في شَرَكِهِ كثيرون من العامة وبعض الخاصة، ثم بيّن من هو الأَولى بالإجارة في الفقه الحنفي وإليك ديباجة الرسالة موضّحاً سبب التأليف:

((هذه رسالة سميّتها (تحرير العبارة فيمن هو أولى بالإجارة) حملني على جمعها ما اشتهر على ألسنة العوام من الناس والخواص من أنّ المستأجر الأول أحقّ بالإجارة من غيره ويجرونه على عمومه بلا اختصاص، مع أن هذا الحكم ببعض الصور خاص، و لم ينص على تعميمه كما يقولونه ناصّ، فأردت تحرير هذا المقام،

---

(١) مج الرسائل ج٢/ ص١٦٥.

وتقريبه إلى الأفهام بما يرفع الأوهام، عن الخواص والعوام، خدمة لشريعة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وبنيت هذه الرسالة على مقدمة لتمهيد المقصود من الكلام ومقصد في تحرير ماهو المرام وخاتمة فيما يستتبعه المقام»[1].

وإليك بعد ذلك نصاً من صلب الرسالة: «وقد نقلوا عن أئمتنا (أنه لايحل لأحدٍ أن يفتي بقولنا حتى يعلم من أين قلنا) أي حتى يعلم المفتي دليل الحكم ووجهه، فإذا كان دليله القياس على غيره مثلاً وعرف وجه إلحاقه بالمقيس عليه يكون قد عرف علّة الحكم. فإذا وقعت حادثة وجدت فيها تلك العلّة بعينها يعلم أنها من جزئيات ذلك الحكم الذي قاله المجتهد، بخلاف ما إذا لم يعلم العلّة فإنّه يكون إلى الخطأ أقرب منه إلى الصواب كما في مسألتنا هذه فإنّ الفقهاء قالوا إذا زادت أجرة المثل في أثناء المدة وقبل المستأجر الأول الزيادة فهو أحق، وأهل زماننا سمعوا أن المستأجر الأول إذا قَبِلَ الزيادة فهو أحق، فقالوا إذا فرغت مدة إجارته كان أحقّ إذا قبل الزيادة أيضاً فأخطؤوا حيث لم يعرفوا وجه الأحقية في المسألة المنصوصة وهو كون مدته باقيةً وقبوله لما هو علّة لفسخ المؤجر عقد الإجارة وأنّه بقبوله ذلك تزول علة الفسخ فيكون أحق، وهذا الوجه لم يوجد فيما إذا فرغت المدة»[2].

ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (٢٥)[3].

أما من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: «وتحرير العبارة فيمن هو أولى بالإجارة».

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

---

(١) مج الرسائل ج٢/ ص١٤٨.

(٢) مج الرسائل ج٢/ص١٦٠.

(٣) لكن في رسالة الجابي (فيمن هو أحق)

(٩- تحرير العبارة في مـن هـو أولى بالإجارة. دمشـق سـنة ١٣٠١- في مجموعـة إستانبول سنة١٢٨٧ - وسنة ١٣٢٥).

ر: بروكلمان ج٢الذيل /ص٧٧٣.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعد ها.

في ظاهرية دمشق نسخة خطية بخط عبـد الغني الغنيمـي الميدانـي سنة ١٢٤٦ تحت رقم (عام ١٠٥٨٣).

٦- التقرير العلمي العابديني:

((رسالة تحرير العبارة منسوخة بخـط محمـد سـعيد الأسـطواني ١٢٧٧ وكتـب عليها أنّها بنوبة محمد علاء الدين ابـن المؤلـف عشـر ورقـات ١٧×٢٢ بالحبر الأسود)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٢٣٢.

٢- هدية العارفين ج٢ ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم(٨).

ب- في فهارس المكتبات:

١- كشاف اطلس خ/ص٥٨ تحت رقم (٧٤١٥).

٢- مخطوطات أوقاف بغداد ج١/ص٣٩٢و٣٩٣.

خ وم تحت رقمي١٢٥٣-١٢٥٤.

٢٨- أجوبة محقّقة عن أسئلة مُفرّقة

هذه الرسالة الحادية عشرة من الجـزء الثـاني مـن المجمـوع المطبـوع تقـع في خمس عشرة صفحة تقريباً لم يذكر لها مؤلفها تاريخاً للانتهـاء، ولكـن الظـاهر أنّـه ألفها في أخريات أيام حياتـه في غضـون أول عـام ١٢٥٢هـ، لوجـود فتـوى عـن سؤال مؤرخ في ذي الحجّة من عام ١٢٥١/ر ص/١٧٤من ج٢ مـن مـج مطـب،

وهي عبارة عن مجموعة من أجوبة وفتاوى، أجاب بهاعلى أسئلة وردته من أنحاء متعددة من العالم الإسلامي آنذاك كالقدس وطرابلس الشام، وقد يكون السؤال مبهم المكان، وهو يصدّركلامه بذكر السؤال ويقول في أوله: ((سئلت)) وتارة يضع التاريخ كاملاً مثل قوله: ((سئلت في جمادى الثانية سنة ١٢٤٢)) وتارة يقول ((سئلت في سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف)) وتارة يهمل التاريخ كلياً، ثم يذكر كلامه فيصدّره بقوله: ((فأجبت)) وتارة يرجع السؤال إليه بعدأن يكون السائل قد سأل غير ابن عابدين وكتب أجوبة هؤلاء فيذكرها ابن عابدين بأمانة. وإليك نموذجاً من إهمال التاريخ ومكان السؤال:[1]((وسئلت عن واقفة وقفت حِصصاً معلومة في عقارات كثيرة مشتركة بينها وبين جماعة وقفا مسجّلاً، ثمّ تقاسمت مع شركائها وجمعت حصصها من العقارات المذكورة وأخذتها في عقارين منها فهل تصح هذه المقاسمة؟ (فأجبت) بأنها لاتنقض إن كان فيها مصلحة للوقف كما في الإسعاف))[2].

قلت: وقد أحصيت هذه الفتاوى فبلغت في هذه الرسالة ثنتي عشرة فتوى لاثني عشر سؤالاً، واحد منها في العقائد، وواحد في الفرائض، والباقي في فروع الفقه، ولاسيما الوقف، فهو أكثر ماسئل عنه.

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وله مجموع أسئلة عويصة)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٤: ((ومجموع أجوبة محققة في أسئلة مفرّقة)).

---

(١) الأغلب كما يظهر أن ما أهمل فيه مكان السؤال فهو من دمشق لكونه أميناً للفتوى فيها والله أعلم.

(٢) مع الرسائل ج٢/ ص١٧٠.

٣- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((ومجموع أجوبة محققة في أسئلة مفرّقة)) ص/٣٨ ومابعدها.

٤- في ظاهرية دمشق نسخة خطية تحت عنوان: ((أسئلة في الوقف وأجوبة عليها)) كتبت سنة ١٣٤١ تحت رقم (عام (١٠٤١٧).

ويغلب على الظن أن هذه الأسئلة والأجوبة في الوقف هي هذه الرسالة.

٥- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(٤- أجوبة محقّقة عن أسئلة مفرّقة. في مجموعة استانبول سنة ١٢٨٧- دمشق سنة ١٣٠٢).

ر: بروكلمان ج٢/الذيل ص٧٧٣.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٢٨.

٢- هدية العارفين ج٢/٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم(٤).

٢٩- الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم

هذه الرسالة الثالثة عشرة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع تقع في خمس وستين صفحة /من ص١٨٨/ إلى /٢٦٢منه/، فهي كتاب قائم بذاته لارسالة، وهو كتاب علمي دسم جداً جعله مؤلّفه خاصاً بعلم الفرائض (المواريث) جمع كل أحكامه في المذهب الحنفي مع مقارنة لأحكام الجمهور أحياناً، فرغ منه مؤلفه سنة ١٢٢٦هـ والكتاب (الرحيق المختوم) شرح على منظومة (قلائد المنظوم) لابن عبد الرزاق الحنفي الدمشقي[1] (عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الشهير بابن عبد

---

(١) ابن عبد الرزاق (١٠٧٥ - ١١٣٨هـ - ١٦٦٥ - ١٧٢٦م) عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الشهير بابن عبد الرزاق: فاضل من أهل دمشق، وله (قلائد المنظوم) نحو ٤٠٠

يتبع ⇐

الرزاق المتوفى سنة ١١٣٨هـ) وهي منظومة رجزية مزدوجة من البحر الرّجز في زهاء ٤٠٠ أربعمائة بيت في المواريث شرحها صاحبها بشرح مطوّل اختصره ابن عابدين بكتابه (الرّحيق المختوم) وزاد عليه مع التنقيح والتهذيب والتصحيح لما قد زلّ به قلم المصنف.

وهذا وأول بيت من المنظومة:

باسم الإله الوارث الرحمن ... مقدِّر الميراث للإنسانِ

ودونك بعد هذا ديباجة ابن عابدين في أول الرحيق المختوم: ((لـمّا رأيت المنظومة المسماة بقلائد المنظوم نظم فرائض متن الملتقى في فقه الحنفية المنسوبة للشيخ الإمام المفنن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفي الشهير بابن عبد الرزاق شكر الله تعالى سعيه حاوية من الفن جل مسائله كاشفة عن معظم دلائله بعبارات رشيقة وكلمات أنيقة، وكان مصنفها قد شرحها شرحاً أرخى للقلم فيه العنان، وجاوزه في سيره حتى خرج عن المقصود من البيان مشتملاً على أبحاث وإيرادات وأجوبة وأسئلة مطوّلات - أحببت اختصاره بعبارات قليلة، والاقتصار منه على فوائد جليلة، ليعم النفع به للمبتدي، ويكتسب من نوله الطالب المجتدي، ضامّاً إليه مايفتح به الفتّاح العليم مشيراً إلى ماوقع في أصله غير مستقيم، وإني وإن كنت لست أهلاً لذلك ولامن سالكي تلك المسالك.. وسميت ذلك بالرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم))[1].

⇐

بيت في الفرائض و(شرحها) و(مفاتح الأسرار في شرح الدر المختار) وديوان شعر وديوان خطب اهـ. الأعلام ج٤/ ص٦٤ وسلك الدرر ج٢/ ص٢٦٦ - ٢٧٤.

(١) مع الرسائل ج٢/ ص١٨٨.

وقال في خاتمة رسالته: ((وكان الفراغ من تسويد هذه الوريقات نهار الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة ألف ومائتين وستة وعشرين من الأعوام على يد الفقير مؤلفها محمد أمين ابن عمر عابدين)).(١)

ودونك نصاً من صلب الكتاب نموذجاً يكشف لك عن خبيئه قال: ((فصل في المرتد: أي الراجع عن دين الإسلام والعياذ بالله تعالى (وكسب) مفعول مقدّم لأوقف (مرتد من الأموال) أي ما اكتسبه حال الرّدة (كماله) المكتسب حال الإسلام (أوقف ببيت المال) لأنه يزول ملكه زوالاً موقوفاً (فإن تيب) عن ردته (يدفع له) ذلك الموقوف جميعه (أوقتلا) بألف الإطلاق أي وإن قتل على ردته (أولحقا) بإشباع حركة القاف للضرورة أي أو لحق بدار الحرب وحكم بلحاقه (أومات) على ردته فكسب ردته فقط (فيئاً جُعلا) بعد قضاء دين ردته، وأمّا كسب إسلامه فهو إرث لوارث المسلم بعد قضاء دين إسلامه، وهذا قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى وقالا: ((ما اكتسبه مطلقاً لورثته المسلمين ككسب المرتدة فإنه لورثتها اتفاقاً حتى الزوج لو مريضة وماتت في العدة، وعند الشافعية والمالكية ماله مطلقاً فَيْءٌ والمراد بالوارث من كان وارثه حال موته في الأصح، ولا يرث المرتدّ ولا المرتدّة أحداً مطلقاً إجماعاً إلا إذا ارتد أهل ناحية بأجمعهم لصيرورتها دار حرب)).[٢]

ذكرها ابن عابدين في رسالته للجابي رقم(٤).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((.... والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم في الفرائض)).

---

(١) مج الرسائل ج٢/ ص٢٦٢.

(٢) مج الرسائل ج٢/ ص٢٤٥.

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت: ((والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم في الفرائض)) ص/٢٣٢.

٣- البيطار في حلية البشر: ((والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم في الفرائض)) ج٣/ ص٢٣٠ومابعدها.

٤- الشطي في روض البشر: ((والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم)) ص٢٥٠ومابعدها.

٥- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧ومابعدها.

٦- في ظاهرية دمشق نسخة ليست بخط المؤلف كتبت سنة ١٢٤٣تحت رقم (عام (٥٢٥١)).

٧- الزركلي في الأعلام ج٣/ص٨٦٦.

٨- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(١٧- والرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم في الفرائض. لـ(عربي [(١)]).

لابن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرزاق الحنفي، دمشق سنة ١٣٠٢)

ر:بروكلمان ج٢ الذيل ص/٧٧٣.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٥٥٢.

٢- هدية العارفين ج٢/ ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (١٦).

ب - في فهارس المكتبات:

- الأزهرية ج٢/ص١٥٩و٦٧٧.

---

(١) يحتمل كون كلمة عربي هنا أن بروكلمان كتب اسم المصنف بالعربية هكذا (عبد الرحمن.. إلخ) وهو الذي يغلب فيه الظن، أو أن بروكلمان كتب ما يلي بالعربية.

٣٠ - بغية الناسك في أدعية المناسك

هذه الرسالة السابعة عشرة من الجزء الثاني من المجموع وهي الأخيرة فيه، رسالة لطيفة تقع في ست صفحات تقريباً من ص/ ٣٤٨ إلى ص/ ٣٥٣ منه، موضوعها أدعية الحج التي يحتاج إليها الحجيج في حجهم وعمرتهم عند كل موقف ومنسك، وسبب جمعها أنّ الحاج محمد عنبر آغا لـمّا تولى منصب خدمة الحرم النبوي الشريف وأراد الحج، وطلب من ابن عابدين رسالة لطيفة في هذا الشأن، فألّف هذه الرسالة، يقول ابن عابدين في ديباجتها: ((هذه نبذة يسيرة فوائدها غزيرة اقتصرت فيها على أدعية المناسك سميتها (بغية الناسك في أدعية المناسك) سألنيها فخر الأعيان المعتبرين ومعتمد الملوك والسلاطين وكهف اللائذين ومحب الفقراء والمساكين الحاج محمد عنبر آغا حين أنعم الله عليه بنعمه الوافره وأمّده بعوائد إحساناته الزاخرة ورقى منصبه المنيف وجعله خادم الحرم النبوي الشريف وقصد تكميل المرام بزيارة البيت الحرام... وقد جمعت ماذكرته من فتح القدير ومناسك العمادي واللباب))[1] قلت: وقد طبعت هذه الرسالة وَحْدَها في دمشق بحجم صغير منذ أمدٍ قريب.[2]

ذكرها ابن عابدين في رسالته للحايبي تحت رقم (٢٠).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٣٤٨ واللباب إذا أطلق في المناسك فهو (لباب المناسك) لرحمة الله السندي الحنفي.

(٢) طبعها الأخ الأستاذ حسام الدين الفرفور مع تعليق وملحقاته عام ١٣٩٠هـ تحت إشراف الأستاذ الوالد شيخنا رحمه الله.

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وتحفة الناسك[1] - كذا - في أدعية المناسك)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:

(٧- بغية الناسك في أدعية المناسك في مجموعة استانبول سنة ١٣٢٥).

ر: بروكلمان الذيل ج٢/ ص٧٧٣.

٤- الشطّي في روض البشر: ((وبغية الناسك في أدعية المناسك)) ص/ ٢٥٠ مابعدها.

٥- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١ /ص٢٦٠.

٢- هدية العارفين ج٢/ ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (١٠).

ب ـ الآثار الأصولية

١ـ نشر العَرْف في بناء بعض الأحكام على العُرْف

هذه الرسالة التاسعة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع، وهي رسالة أصوليه فقهية دسمة مطوّلة ذات طابع بحت لاعلاقة للردود به، تقع في ٣٣ ثلاث وثلاثين صفحة /من ص/١١٤ إلى صفحة /١٤٧منه/، موضوعها العرف عند

---

(١) هكذا وردت عبارة التكملة والصحيح ما ذكرناه (بغية الناسك) ولعله سهو أو زلة قلم، وليس لابن عابدين الكبير رسالة باسم (تحفة الناسك) فيما أعلم والله تعالى أعلم.

الأصوليين والفقهاء فرغ منها مؤلفها في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤٣[(١)] استهلها بمقدمة ضافية في بيان معنى العرف ودليل العمل به والفرق بين العرف العام والعرف الخاص وجعلها شرحاً لبيتة الشهير من عقود رسم المفتي:

والعُرْف في الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يُدار

قال في ديباجة رسالته: ((لمّا شرحت أرجوزتي التي سميتها (عقود رسم المفتي) ووصلت في شرحها إلى قولي:

((والعُرْف في الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يُدار))

تكلمت عليه بما يسرّه الكريم الفتاح واسترسل القلم في حزيه لأجل الإيضاح، فما شعر إلا وفجر الليل قد لاح، وقد بقي في الزوايا خبايا تحتاج إلى الإفصاح، فرأيت أنّ استيفاء المقصود يخرج الشرح عن المعهود فاقتصرت فيه على نبذة يسيرة من البيان، وأردت أن أفرد الكلام على البيت برسالة مستقلة تظهر المقصود إلى العيان، لأنّي لم أرَ من أعطى هذا المقام حقه، ولامن بذل له من البيان مستحقه، وسميت هذه الرسالة (نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف)[(٢)].

وقال في مقدمة الرسالة: ((مقدمة: في بيان معنى العرف ودليل العمل به، قال في الأشباه وذكر الهندي في شرح المُغْني: العادة عبارة عما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة وهي أنواع ثلاثة:

١- العرفية العامة كوضع القدم [(٣)].

---

(١) مج الرسائل ج٢/ ص١٤٧.

(٢) مج الرسائل ج٢/ ص١١٤.

(٣) مج الرسائل ج٢/ ص١١٤ وكوضع القدم أي إذا قال ((والله لا أضع قدمي في دار فلان)) فهو في العرف العام بمعنى الدخول فيحنث بأي وجه،ولو وضع قدمه في الدار بلا دخول لا يحنث اهـ ـ المصدر السابق الحاشية.

٢- والعرفية الخاصة كاصطلاح كل طائفة مخصوصة...

٣- والعرفية الشرعية كالصلاة..)).(١)

وقال في صلب الرّسالة: ((تنبيه، اعلم أنّ كلاً من العرف العام والخاص إنّما يعتبر إذا كان شائعاً بين أهله يعرفه جميعهم، ولهذا نقل البيرى في شرح الأشباه عن المستصفى مانصّه التعامل العام أي الشائع المستفيض والعرف المشترك لايصح الرجوع إليه مع التردد)) انتهى)).(٢)

أما من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((منها، نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣: ((وله من الرسائل في تحرير المسائل نيف وثلاثون منها (نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف جعلها شرحاً لبيت من منظومته (رسم المفتي) وهو قوله:

((والعُرْف في الشرع له اعتبار   لذا عليه الحكم قد يُدار))

٣- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((وله من الرسائل في تحريرالمسائل نيف وثلاثون منها (نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف) جعلها شرحاً لبيت من منظومته (رسم المفتي) وهو: (العرف في الشرع.. ص/٣٧ ومابعدها)).

٤- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي:

(٣٦- نشر العَرْف في بناء بعض الأحكام على العُرْف.

دمشق سنة ١٣٠١).

ر: بروكلمان الذيل ج٢/ص٧٧٤.

---

(١) مج الرسائل ج٢/ص١١٤.

(٢) مج الرسائل ج٢/ص١٣٤.

٥- ذكر ابن عابدين هذه الرسالة في رسالته للحابي تحت رقم (٢٤) وقال: ((فيها أيضاً عجائب غريبة)).

٦- التقرير العلمي العابديني:

((ونشر العرف بخط المؤلف ٢٠ ورقة بالحبر الأسود ١٧×٢٢ مجلدة مع شرح منظومة رسم المفتي)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١ /ص٦٤٧.

٢- هدية العارفين ج٢/ ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٤٠).

ب- فهارس المكتبات:

١- منتخب مخطوطات المدينة المنورة ط فهرس فقه الحنفي تحت رقم (٢١) نسختان.

٢- خزانة الرباط ج١ قسم٢خ ص/٣٢٧ من مجموع/ بخط مغربي.

٢- نسمات الأسحار على إفاضة الأنوار (وهي الحاشية الصغرى)

هي حاشية على شرح علاء الدين الحصكفي الدمشقي المفتي المسمى (إفاضة الأنوار) على كتاب متن المنار في الأصول لأبي البركات حافظ الدين النسفي، وهي الحاشية الصغرى على شرح إفاضة الأنوار وقد طبعت عدة طبعات[1]، فرغ ابن عابدين من تأليفها سنة ١٢٢٢هـ[2] وطبع بأسفل الحاشية تقريرات على حاشية نسمات الأسحار للشيخ أحمد الطوخي المصري وبهامشها الشرح المذكور (إفاضة الأنوار) بالمطبعة الميمنية سنة ١٣٢٨هـ.وهذه الحاشية قيمة

(١) رأيت منها ثنتين؛ بين يديَّ الأولى بقطع كبير سنة ١٣٢٨هـ بالمطبعة الميمنية، والثانية بقطع عادي سنة ١٣٠٠هـ في الآستانة.

(٢) ر: نسمات الأسحار ص/١٨٧ ميمنية.

في أصول الحنفية سهلة العبارة محررة ندر وجود مثلها في طلاوتهـا وجمعها لكثير مما ندَّ عن أذهان كثيرين من أصوليي الحنفية والذي أرجحه أن ابن عـابدين ألفها في حياة شيخه العقاد، كما يدل على ذلك قول السيد عـلاء الدين نجله، بعد أن عدّ حاشية نسمات الأسحار والحاشية الكبرى على شـرح العلائي وغيرهـا قـال: ((وذلك في حياة شيخه المرقوم))(١).

وإليك نصـاً مـن مقدمـة حاشـية نسـمات الأسـحار هـذه، ذاكـراً أسـباب التأليف ومنهجه ومراجع كتابه قال: ((وبعد، فيقول أحقر المبتدين محمد أمـين بـن عمر المدعو بابن عابدين غفر الله ذنوبه وملأ من زلال العفـو ذنوبـه، هـذه فوائـد عظيمة وفرائد يتيمة وضعتها على شرح المنار للإمـام الأوحـد والهمـام المفـرد أبـي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي المسمى بإفاضة الأنـوار علـى أصـول المنار المنسوب إلى عمـدة المتـأخرين الشـيخ عـلاء الديـن ابـن الشـيخ علـي الإمـام الحنفي، فإنه شرح لم تسمع أذن بمثله، ولم تنسج قريحة على منواله، بيد أنه جـرى فيه على عادته من التزام الاختصار فلم يظهر المراد منه لامتثاله من الطلبة الصغـار، مع ماأهمله في بعض المواضع من المتن عن البيان مما يحتاج إلى الإيضاح لخفائه عـن الأذهان، فأوضحت في هـذه الحواشـي ماأجملـه وذكـرت فيهـا ماأهملـه، مراجعـاً لجملة كتب معتبرة في هذا الفن، تركن إليها القلـوب وتطمئـن، كشـرح المصنـف المسمى بكشف الأسرار، وشـرح الكـاكي، المسـمّى بجـامع الأسـرار وشـرح ابـن فرشته، وشرح ابن نجيم، والتوضيح والتلويح، وتغيير التّنقيح لابـن كمـال باشـا، والتحرير لابن الهمام وشـرحه التحبـير لابـن أمـير حـاج، والمـرآة لمولانـا خسـرو،

---

(١) ر: التكملة ج٢/ ص٦.

وغيرها من الكتب المعتبرة المنقحة المحررّة. ولم أخرج في الغالب عما ذكرته هنا، فمن أشكل عليه شيء فليرجع إلى تلك الأصول))(١).

ودونك بعد هذا نصاً من صلب الحاشية. قال: ((قوله (على أن البيان ماكان ضرورياً إلخ) اعلم أولاً أن لمشايخنا في تقدير فرض المسح طريقين أحدهما ماذكره المصنف، والثاني أن البعض الذي فرض مسحه مجمل غير معلوم الحكم من الآية فاحتيج إلى البيان وقد بينه النبي ﷺ بربع الرأس في حديث المغيرة، وهو أن النبي ﷺ أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على ناصيته))(٢).

ذكر هذا الكتاب ابن عابدين في رسالته للحابي تحت رقم(٣).

أما من ذكره من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وألف حاشيتين على شرح المنار للعلائي كبرى وصغرى، سمّي إحداهما نسمات الأسحار على إفاضة الأنوار شرح المنار)).

٢- الزركلي في الأعلام ج٣/ص٨٦٦ لكنه رمز بـ (خ) أي مخطوطة وهو وهم فقد طبعت طبعتين فيما وصل إلينا.

٣- كحالة في معجم المؤلفين ج٩/ص٧٧.

٤- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

---

(١) نسمات الأسحار: ص/٢.

(٢) نسمات الأسحار: ص/٩٢ وما ذكره المصنف (النسفي) هو ما يلي: (بل هي للإلصاق لكنها إذا دخلت في آلة المسح كان الفعل متعدياً إلى محله فيتناول كله، وإذا دخلت في محل المسح بقي الفعل متعدياً إلى الآلة فلا يقتضي استيعاب الرأس وإنما يقتضي إلصاق الآلة بالمحل وذلك لا يستوعب الكل عادة فصار المراد به أكثر اليد فصار التبعيض مراداً بهذا الطريق) اهـ. نسمات الأسحار: ص/٩٢.

(٣٥- نسمات الأسحار على شرح المنار المسمى (بإفاضة الأنوار)[١] تم تأليفه سنة ١٢٢٢هـ - سنة ١٨٠٧م

إحالة إلى الذيل ص٢٦٤/ج٢)

ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٤ ومابعدها.

٥- التقرير العلمي العابديني:

((نسمات الأسحار على شرح المنار المسمى بإفاضة الأنوار لعمدة المتأخرين الشيخ علاء الدين الحصكفي الحنفي جمع كاتبه الفقير محمد أمين عابدين عفي عنه، وعلى صفحته الأولى كتب: (قد مَّن الله تعالى على الفقير محمد أبو الخير عابدين بشراء هذا الكتاب من تركة المرحوم الشيخ محمد البيطار أمين الفتوى بدمشق الشام في ٦ محرم ١٣١٣، يقع في حوالي ١٠٠صفحة ١٨×٢٤ من الورق القديم كتب في آخره وكان الفراغ من تبييض هذه النسخة على يد جامعها نهار الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان ١٢٢٣، مكتوبة بالحبر الأسود والأحمر بخط صغير دقيق وعليها هوامش كثيرة)).

---

(١) الإحالة في الفقرة - ٣٥ -
إلى الذيل ج٢/ ص٢٦٤.
(إفاضة الأنوار لمحمد الحصكفي.
مانشستر ١٥٨
القاهرة ١ - ٣٧٨
لاللي، استانبول ٢/٧٥١
حاشية نسمات الأسحار لمحمد أمين بن عابدين الشامي
بنكبوت ج١٩/ص١٥١٠. XIX-1510
طبع في استانبول سنة ١٨٨٣.
طبع في القاهرة سنة ١٣٢٨).
ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٤ والذيل ص٢٦٤/ ج٢.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج٢ /ص٥٥٤وج٢/٦٦٤(مكرر).

٢- هدية العارفين ج٢/ ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٣٩).

ب- في فهارس المكتبات:

١- الخديوية خ ج٢/ص/٢٣٨و٢٦٨.

٢- الأزهرية ج٢/ص٨٤.

٣- البلدية الإسكندرية /ط فهرس أصول.

٣- حاشية كبرى مطوّلة على إفاضة الأنوار

لم أعثر عليها وقد ذكر أصحاب التراجم الذين أرّخوا لابن عابدين أنها فقدت في مصر لما بعث بها مؤلفها إلى التميمي مفتي الدّيار المصرية، والظاهر أنّها فقدت في الطريق لعدم الأمن آنئذ على المسافرين، أوبعارض آخر كقطاع الطرق أوغير ذلك، وهي الحاشية الكبرى على إفاضة الأنوار أصل نسمات الأسحار فيما يظهر.

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((والثانية لم يخطر لي اسمها لأنها فقدت عند مفتي مصر الشيخ التميمي رحمه الله تعالى)).

٤- حاشية على شرح التقرير والتحبير على التحرير

وجدت منها قطعة مخطوطة في مكتبة الدكتور الشيخ محمد أبو اليسر عابدين بدمشق بخط والده الشيخ أبو الخير عابدين مفتي دمشق الشام في عصره، وقد نقلها من خط مؤلفها على هامش نسخة ابن عابدين الكبير التي لم تجرّد و لم يعثر عليها، لكن هذه القطعة لاتعدو عشر صفحات فقط علماً بأنّها لوجرّدت لبلغت مقدار حاشية رفع الأنظار المنوّه بها آنفاً، وهذه القطعة المجرّدة من هامش

نسخة المؤلف معلّقة على هامش نسخة الشيخ أبو الخير المذكور المطبوعة التي آلت ملكيتها إلى ولده الدكتور أبو اليسر وقد صوّرت منها راموزاً تجده في ملحق الوثائق في آخر الرسالة، وأحب أن أنقل لك نصاً من هذه القطعة من الحاشية النفيسة الضائعة قال: ((قوله (فيلزم أن لايوجد العفو) إن أراد به عن كافة المذنبين فصحيح للأدلة الدالة على تعذيب طائفة من العصاة على ماهو الراجح خلافاً للأشعرية، قال صاحب الجوهرة (وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة) وإن أراد عن بعض المذنبين فلايلزم ذلك لأن خلف الوعيد مما يمدح به فلايكون محلاً للنقد) من ص/٣٣من الجزء الأول من شرح التقرير والتحبير لابن أمير الحاج على التحرير في أصول فقه الحنفية لابن الهمام الحنفي.

المطلب الثاني : الآثار العلمية الأخرى:

آ- علم التفسير

- حاشية على تفسير القاضي البيضاوي

لم أعثر على هذه الحاشية مطلقاً رغم شدة التتبّع في الفهارس ودور الكتب المخطوطة والمطبوعة. وإليك ماقاله الشيخ أبو الخير عابدين في آخر الثبّت في ترجمة لابن عابدين الكبير عن هذه الحاشية مانصّه: ((فقدت من الشام وهي موجودة في إسلامبول))،[1]اهـ ولاأدري ما الذي أتى بها إلى استامبول وليس مكان وجودها هناك، ولعلّ الزمان يكشف اللثام عنها.

---

(١) الثبت ص/٢٣٢.

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وحاشية على البيضاوي)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت: ((وحواشي على القاضي البيضاوي التزم أن لايذكر شيئاً فيها ذكره المفسرون)) ص/٢٣٢.

٣- البيطار في حلية البشر: ((وحواشي على القاضي البيضاوي التزم أن لايذكر فيها شيئاً ذكره المفسرون)) ج٣/ص ١٢٣٠.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص٣٧ ومابعده.

٥- الزركلي في الأعلام ج٣/ص٨٦٦.

ب- علم الكلام

١- رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه

هذه الرسالة الثالثة عشرة من الجزء الأول من المجموع المطبوع من رسائل ابن عابدين إذا استثنينا من العدّ رسالة (منّة الجليل) لأنّها للسيد علاء الدين كما تقدم، وهي رسالة لطيفة في ثماني صفحات تقريباً، من ص/٣٠٦ إلى ص/٣١٣منه، والرسالة كلامية يدور موضوعها حول عصمة الأنبياء وزلة آدم عليه السلام، وحكم من أثبت الكبائر للأنبياء ومن ردّ النصوص فلم يثبت لآدم الزلة وما إلى ذلك، وذلك كله شرح لعبارة موهمة وقعت في الأشباه والنظائر لابن نجيم سئل عنها الشيخ شاكر العقاد، فأمر تلميذه ابن عابدين بتحرير هذه الرسالة فحررها امتثالاً لأمر أستاذه وفرغ منها في ليلة النصف من رمضان سنة ١٢١٨[١] قال في ديباجة الرسالة: ((هذه رسالة عملتها على عبارة وقعت في

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٣١٣ قال مانصه: ((وذلك ليلة النصف من شهر رمضان المكرم من سنة ثمانية عشر -كذا- ومائتين وألف)اهـ.

كتاب الأشباه والنظائر موهمة خلاف المراد للمتأمل الناظر، وذلك برسم[1] شيخي حفظ الله تعالى وجوده وأوفر خيره وجوده حين سئل عنها في شعبان من سنة ألف ومائتين وثمانية عشر من هجرة خير البشر ﷺ فأمرني أن أحرّر هنا ماتيّسر جمعه من كلام من كتب على ذلك الكتاب ومن كلام غيرهم على وجه الصواب، فامتثلت أمره حين لم يسعني الهرب، ولعلمي أنّ الامتثال خير من الأدب))[2].. إلى أن قال موضحاً منهجه في الرسالة: ((وسميتها رفع الاشتباه عن عبارة الاشباه ورتبتها على مقصد وخاتمة، فالمقصد في بيان تلك العبارة وتنقيتها، والخاتمة في بيان أشياء تتوقف على معرفتها)).[2]

وقال في صلب الرسالة مايلي: بعد ماسرد قول صاحب القنية وقول السيد الحموي في رسالته في الرد عليه ثمّ قال بعده: ((وقد نقل صاحب القنية هذا الفرع عن جمع العلوم وماكان يجوز له نقله، وليته أخلى كتابه عنه)) هذا وقد قال السري عبد البر ابن الشحنة في شرح الوهبانية: ((إن ماينفرد بنقله صاحب القنية لايلتفت إليه ولايعوّل عليه)) ولاأكاد أقضي العجب من سيد فضلاء المتأخرين العلامة زين العابدين ابن نجيم حيث نقل هذا الفرع في كل من كتابيه البحر والأشباه والنظائر ولم ينبّه عليه ولم يشر بأكف الرد إليه مع تيقظه وتثبته.انتهى. فحينئذ ظهر الحال واتضح الجواب عن السوال))[3].

والذي يبدو لي أن هذه الرّسالة ألّفها ابن عابدين في حياة شيخه العقاد كما تدل عليه عبارة السيد علاء الدين في أول التكملة[4].

---

(١) هذه العبارة تدل على أدب ابن عابدين الجم مع شيخه العقاد فالرسم هو الأمر من الأعلى جداً إلى الأدنى جداً فتأمل، وشيخه هنا هو الشيخ العقاد، تأمل التاريخ.

(٢) مج الرسائل ج١/ ص٣٠٦.

(٣) مج الرسائل ج١/ ص٣٠٩.

(٤) ر: التكملة ج١/ ص٥ وما بعدها.

ذكر هذه الرّسالة ابن عابدين في رسالته للحابي تحت رقم (١٣).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ورسالة سمّاها (رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه) ثمّ قال أيضاً: ((ورفع الاشتباه)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(١٩- رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه (تصحيف) دمشق سنة ١٣٠١)

ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٣.

٤- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

٥- التقرير العلمي العابديني.

((رسالة رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه بخط مولفها مكتوبة بالحبر الأزرق والأحمر ورق قديم ١٩×١٣ ثماني ورقات مهمّشة)).

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج١ /ص٥٧٦.

٢- هدية العارفين ج٢/ ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (١٨).

ب- في فهارس المكتبات:

- الأزهرية ج٢/ص١٧٧.

٢- تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام

هذه الرسالة الخامسة عشرة من الجزء الأول من المجموع المطبوع وآخر رسالة منه، وهي رسالة دسمة مطوّلة تقع في ثماني وخمسين صفحة تقريباً من ص/٣١٤ إلى ص/٣٧١ منه وموضوعها أحكام المرتدين من الزنادقة والغلاة من

الشيعة وبعض أهل الذمّة الذين يسبون النبي ﷺ أو الشيخين أو يقذفون السيدة عائشة وما إلى ذلك هل يقتل أحدهم إن تاب؟ ورجع إلى الإسلام وهل تقبل توبته أم لا؟ وكان أولاً يميل إلى عدم قبول التوبة، ولكنه في هذه الرسالة وقبلها في تنقيح الفتاوى الحامدية في نبذة له عن أحكام المرتد، جنح إلى قبول توبته وعدم قتله إن رجع إلى الإسلام، واطلع على النبذة المذكورة الشيخ عبد الستار الأتاسي مفتي حمص آنئذ، فسنح له بعض إشكالات في تلك المسألة وترجح عنده قتل هذا الشقي وإن تاب، وأرسل إلى ابن عابدين رأيه طالباً الجواب، فكتب ابن عابدين هذه الرسالة التي ذكرها من مصادرها (الشفاء) للقاضي عياض من المالكية و(الصارم المسلول على شاتم الرسول) لابن تيمية من الحنابلة و(السيف المسلول على من سبّ الرسول) للسبكي الشافعي، ولم ير ابن عابدين من الحنفية من أفرد هذا الموضوع بتأليف، فسد برسالته هذا النقص في المذهب الحنفي، وقد انتهى من تأليفها في ٢١جمادى الأولى سنة ١٢٣٧[1].

قال في ديباجة الرسالة بعد براعة استهلال طويلة حول مقام الرسول ﷺ:

((هذا كتاب سميته تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام) وكان الداعي لتأليفه ووضعه وترصيفه أنّي كنت ذكرت في كتابي (العقود الدريّة لتنقيح الفتاوى الحامدية) نبذة من أحكام هذا الشقي اللعين الذي خلع من عنقه ربقة الدين بسبب استطالته على سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، ولكنّي على حسب ماظهر لي من النقول والأدلة القويمة، أظهرت الانقياد وتركت العصبية، وملت إلى قبول توبته وعدم قتله إن

---

(١) مجموع الرسائل ج١/ ص٣٧١ قال مانصه: ((وقد فرغت من تحريره وتنميقه وتقريره في نهار الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف) اهـ.

رجع إلى الإسلام، وإن كان لايشفي صدري منه إلا إحراقه وقتله بالحسام، ولكن لامجال للعقل بعد اتضاح النقل)). ثمّ يذكر ابن عابدين طلب الشيخ عبد الستار الأتاسي المفتي: ((وكان قد اطلع على تلك النبذة التي كتبتها علاّمة عصره ويتيمة دهره ذو الفضل الظاهر والذكاء الباهر والعلوم الغزيرة والمزايا الشهيرة الشيخ عبد الستار أفندي الأتاسي مفتي حمص حالاً زاده الله مجداً وإجلالاً، فسنح له بعض إشكالات في تلك المسألة إذ هي من أعظم المعضلات المشكلة، قد زلّت فيها أفهام المهرة الكملة فترجح عنده قتل هذا الشقي وإن تاب، وأرسل إليّ ماسنح له طالباً للجواب ولإظهار الحق والصواب، ودفع الشك والارتياب، فقصدت أولاً أن أذكر الجواب عما طلب على وجه الاختصار كما كتب، ثمّ لـمّا رأيت تلك المسألة مشكلة معضلة يحار مُعانيها في فهم مَعانيها، وكان ذلك متوقفاً على مقدمات ونقل عبارات يستدعيها المقام فاقتضى ذلك نوع بسط في الكلام لتوضيح المرام، فإنّي لم أر من أئمتنا الحنفية من أوضح هذه المسألة حق الإيضاح، ولكن إذا غابت الشمس يستضاء بالمصباح)). ثمّ ذكر مصادر كتابه فقال: ((وأمّا غير أئمتنا فقد بسطوا فيها الكلام، فمن المالكية الإمام القاضي عياض في أواخر كتابه (الشفاء)، ثمّ تبعه على ذلك من الحنابلة الإمام شيخ الإسلام أبو العباس أحمدبن تيمية ألف فيها كتاباً ضخماً سمّاه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) وقد رأيت الآن منه نسخة قديمة عليها خطه رحمه الله تعالى، ثمّ تبعه على ذلك من الشافعية خاتمة المجتهدين تقي الدين أبو الحسن علي السبكي وألف كتاباً سمّاه (السيف المسلول على من سبّ الرّسول) فتطفلت على موائد هؤلاء الكرام وجمعت كتابي هذا من كلامهم وكلام غيرهم من الأعلام)). ثمّ ذكر منهج تأليفه للكتاب فقال: (((ورتبته

على بابين: ١- الباب الأول في حكم سابّ سيّد الأحباب ٢- الباب الثاني في حكم سابّ أحد الأصحاب))[1].

ثمّ استهل كتابه بدعاء جميل طلب فيه التسديد والعصمة عن الزيغ والهوى[2]. وإليك نصاً من صلب رسالته: قال:((ثمّ اعلم أن الذي تحرر لنا من مسألة السَّابّ أن للحنفية فيها ثلاثة أقوال، الأول: أنّه تقبل توبته ويندرئ عنه القتل بها وأنّه يستتاب كما هو رواية الوليد عن مالك وهو المنقول عن أبي حنيفة وأصحابه كما صرح بذلك علماء المذاهب الثلاثة كالقاضي عياض في الشفاء. وذكر أن الإمام الطبري نقله عنه أيضاً، وكذا صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا شيخ الإسلام التقي السبكي وهو الموافق لما صرح به الحنفية كالإمام أبي يوسف في كتابه (الخراج) من أنّه إن لم يتب قتل حيث علّق قتله على عدم التوبة، فدلّ على أنه لا يقتل بعدها... وهو الموافق أيضاً لإطلاق عبارات المتون كافة وهي الموضوعة لنقل المذهب وهذا بإطلاقه شامل لما قبل الرفع إلى الحاكم وبعده. والقول الثاني ماذكره في البزازية أخذاً من الشفاء والصارم المسلول من أنّه لاتقبل توبته مطلقاً لاقبل الرفع ولابعده وهو مذهب المالكية والحنابلة، وتبعه على ذلك العلاّمةخسرو في الدرر والمحقق ابن الهمام في فتح القدير وابن نجيم في البحر والأشباه والتُمُرْتاشي في التنوير والمنح،والشيخ خير الدين في فتاواه وغيرهم. والقول الثالث ماذكره المحقق أبو السعود أفندي العمادي من التفصيل، وهو أنّه

---

(١) مج الرسائل ج١/ ص٣١٤ و٣١٥.

(٢) مجموع الرسائل ج١/ص٣١٥ وما بعدها قال: ((وقدمت على الشروع في المقصود قولي اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم وسددني واعصمني من الزيغ والهوى واحفظ قلبي ولساني وقلمي في هذا المقام العظيم عن الخطأ... إلخ) اهـ.

تُقبل توبته قبل رفعه إلى الحاكم لابعده، وتبعه عليه الشيخ علاء الدين في الدر المختار وجعله محمل القولين الأولين، وقد علمت أنّه لايمكن التوفيق به للمباينة الكلية بين القولين، وأنّ القول الثاني أنكره كثير من الحنفية.. والذي يغلب على ظنّي في هذا الموضع الخطر والأمر العسر وأختاره لخاصة نفسي وأرتضيه ولاألزم أحداً أن يقلدني فيه....هو العمل بما ثبت نقله عن أبي حنيفة وأصحابه»[1].

ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالته للحلبي تحت رقم(٧).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: «وكتاب تنبيه الولاة والحكام».

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت: «وتنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام» ص/٢٣٢ ومابعدها.

٣- البيطار في حلية البشر: «وتنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام» ج٣/ص١٢٣٠.

٤- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي

(١٥- وتنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام. دمشق سنة ١٣٠١).

ر:بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٣.

٥- الشطي في روض البشر: «وتنبيه الولاة والحكام في حكم شاتم خير الخ..» ص/٢٥٠ ومابعدها.

٦- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧ومابعدها.

٧- التقرير العلمي العابديني

«أحكام شاتم خير الأنام بخطه بالأسود والأحمر ١٧×٢٢ ٢٥ ورقة بجلدة».

---

(١) مع الرسائل ج١/ص٣٤٢ و٣٤٣ بتصرف يسير اختصاراً.

٣- العَلَمُ الظّاهر في نفع النسب الطاهر

هذه الرسالة الأولى من الجزء الأول من المجموع المطبوع، وهي رسالة لطيفة في نفع النسب الشريف لصاحبه، مما يدخل تحت علم الكلام، تقع في سبع صفحات تقريباً من ص/٢إلى ص/٨منه موضوعها: ((صحيح النسبة للرسول صلوات الله عليه هل ينفعه نسبه في الآخرة وإن كان من العاصين أم يكون تحت العدل والمشيئة الإلهيين كغيره من المذنبين؟)) وخرج ابن عابدين بنتيجة أنّ الكل تحت المشيئة وأنّ النسب الطاهر ينفع صاحبه في ختام وجوده في الحياة الدنيا حيث يموت غالباً على الإيمان الكامل، ولكن النسب لاينفع صاحبه إذا كان قد مات فاسقاً عاصياً غير تائب و لم يختم له بالسعادة، وكان مصدر رسالته هذه كتاب في فضائل أهل البيت للشيخ أحمد جمل الليل المدني.

قال في ديباجة الرّسالة: ((قد وقع البحث في مجلس لطيف جامع لجملة من أهل العلم الشريف في أنّ من كان صحيح النسبة من رسول الله ﷺ هل ينفعه نسبه في الآخرة بدخول الجنّة والنجاة من النار وإن كان من العاصين؟ أم يحكم الله فيه بعدله ويكون مفوضاً إلى مشيئته كغيره من المذنبين؟ فبعضهم أثبت النفع وبعضهم نفاه، وكل منهم استدل بأشياء علىمدّعاه، فطلب منّي تحرير هذا البحث بعض فضلاء من كان في ذلك المجلس المعقود، وأحضر لي كتاباً في فضائل أهل البيت ذوي الفضل المشهود، تصنيف شيخه الشيخ العلاّمة الحسيب النسيب السيد أحمد الشهير بجمل الليل المدني فيه مايظهر منه المقصود، فانتخبت منه ماأذكره من الأحاديث النبوية على قائلها ألف صلاة وسلام وأزكى تحية، وجمعت منه مايشهد لكل من الفريقين وضممت إليه ماصار به الصواب بمرأى من العين، وسميت ذلك بـ (العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر))). (١)

---

(١) مج الرسائل ج١/ص٣.

وفي الرسالة يذكر ابن عابدين أنّه صحت نسبته لرسول الله ﷺ قال: ((فإنّي بحمده تعالى ممن صحّ انتسابه لحضرة سيد العالمين من نسل ولده الحسين عليهم السلام))(١).

قال في صلب رسالته: ((فكيف يظنّ أحد من ذوي النسب إذا انتهك حرمات الله تعالى ولم يراع ماعليه وجب أن يبقى له حرمة ومقام عنده عليه الصلاة والسلام؟. أيزعم الغبي أنه أعظم حرمة من الله عند نبيه.؟ كلا والله، بل قلبه مغمور في لجج الغفلة وساه، فمن اعتقد ذلك يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله، فلينظر في حال السلف الأخيار من أهل البيت الأطهار بماذا تخلّقوا وعلى ماذا اتكلوا وبأي شيء اتصفوا وعلى ماذا عوّلوا، فإذا توجه إلى تحصيل أسباب اللحوق بهم بعزم صادق يسرع الفتح الإلهي إليه ويكون بهم خير لاحق، فإن أهل البيت ملحوظون ومعتنى بهم وهم أقرب إلى الوصول إلى ربهم))(٢).

قلت: ذكرها ابن عابدين في رسالته للحابي تحت رقم (٣٣).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((والعلم الظاهر في نفع النسب الطاهر وذيلها))(٣).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣: ((والعلم الظاهر في نفع النسب الطاهر وذيلها)).

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي

---

(١) مج الرسائل ج١/ص٦.

(٢) مج الرسائل ج١/ ص٧و٨

(٣) قلت: ((والذيل لهذه الرسالة لم أر له أثراً في /المجموع المطبوع/ ولا عثرت عليه في المخطوط ولا أدري ما يقصد به هنا، ولعل الزمن يكشف اللثام عن ذلك.

(٢٦- العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر. دمشق سنة ١٣٠١. وفي مجموع استانبول سنة ١٣٢٥).

ر: بروكلمان ج٢/الذيل ص٧٧٣.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((والعلم الظاهر في نفع النسب الطاهر وذيلها)) ص/٣٧ ومابعدها.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص١١٨.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨تحت رقم (٢٩).

ج- علم الحديث

- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي

عُرفَ ابن عابدين بالفقه و لم يعرف بالحديث إلا عند الخاصة من أهل العلم وذلك لطغيان صفة الفقه عليه، حتى كادت تعدّ الصفة الرئيسية فيه، ولكننا نظلمه كثيراً حين نهمل أهلية التحديث فيه، ونطرحها جانباً لأن ابن عابدين ألم بثقافات عصره وعلوم زمنه، فأخذ كل علم عن أهله ورجاله الذين عرفوا به، وكان نصيب ابن عابدين في علم الحديث من شيوخه العطار والكزبري والعقاد عظيماً، ولعل انتفاعه من غيرهم في هذا الفن يكاد يكون ضئيلاً جداً، أما العطار والكزبري فكان حضوره في دروسهما حضور تبرك واتصال إسناد، ذلك لكونهما من شيوخ شيخه العقاد، فكان الشيخ شاكر يأخذ ابن عابدين معه تلميذه البارّ لدروس هذين الإمامين الجليلين الشهاب العطار والشمس الكزبري، ليتصل إسناده بهما مباشرة، فلقد كانا في عصر ابن عابدين شيخي شيوخ دمشق بلا منازع وأستاذي أساتيذها بالإجماع. أمّا الشيخ شاكر العقاد فلقد كان مع صغر سنه وأخذه عن أمثال الشمس والشهاب قد بذّ أشياخه وأجرى الله تعالى النفع العظيم على يديه بما لم يتوفر لأشياخه ومن في رتبتهم حتى لقب في عصره

(بشيخ الشيوخ) ولعلّ أعظم ثمرة يانعة له كانت ابن عابدين. وقد جرت العادة في أهل العلم آنئذ بأن الشيخ لايتحدث غالباً عن شيوخه وإجازاته، بل يصنّف أكبر تلاميذه وأبرهم به ثبتاً باسم الشيخ يجمع ذلك، ولقد كان ابن عابدين باراً بشيوخه معترفاً بفضلهم شغوفاً بآثارهم لطينته الطيّبة وجبلّته الكريمة، وكان معجباً أشدّ الإعجاب بشخصية شيخه المؤسس له الشيخ شاكر العقاد باقعة العصر ونابغة دمشق وباعث الحركة العلمية فيها آنئذ، فجمع ابن عابدين جميع مرويات شيخه المذكور وأسانيده وإجازاته ووجوه اتصاله بالأئمة والمحدّثين، والكتب التي تعدّ ينابيع الثقافة الإسلامية في كتاب جامع جعله (ثَبَتاً)[1] لشيخه المذكور سمّاه (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) وجعله باسم شيخه المذكور وعقده على مقدمة وأبواب ثلاثة وخاتمة، ثمّ أتبعها بترجمة ابن عابدين لشيخه العقاد ترجمة حافلة ختم بها ثبته.

آ- أمّا المقدمة فقد جعلها ابن عابدين في بيان فضل العلم ومن أجلّه علم الحديث، وبيان اسم شيخ المؤلف الذي وضع هذا الثبت باسمه ودرجته العلمية في عصره وسبب التأليف واسم الكتاب وترتيبه على ثلاثة أبواب وخاتمة، استغرقت زهاء عشر صفحات.

ب- أما الباب الأول: فقد جعله المؤلف لذكر الأشياخ وتراجمهم وصور إجازاتهم لشيخه العقاد، ولقد بلغوا اثنين وثلاثين شيخاً واستغرق هذا الباب زهاء ستين صفحة.

جـ- والباب الثاني: جعله المؤلف في ذكر مسلسلات شيخه وطرقها وإجازاته بها، واستغرق هذا الباب زهاء نيف وثلاثين صفحة.

---

(١) (ثبت) بفتح الباء هو ما يجمع مرويات الشيخ اهـ. انظر عقود اللآلي صفحة الغلاف بقلم ابن عابدين الكبير.

د- أما الباب الثالث والأخير: فقد جعله المؤلف في أسانيد شيخه بالكتب الستة وغيرها من كتب العلوم من رسائل ومقاصد كالفقه والنحو والتصوف ونحوه الآلية الأخرى، وختم هذا الباب بذكر سند شيخ المؤلف في الفقه على مذهب الإمام الأعظم، وقد استغرق هذا الباب زهاء نيف وخمسين صفحة.

هـ- وأما الخاتمة: فقد جعلها ابن عابدين في ذكر أسانيد شيخه في الطرق الصوفية والتلقين وإلباس الخرقة وأخذ العهد وأحزاب وصلوات وأذكار وفوائد، وقد بلغت هذه الخاتمة زهاء نيف وثلاثين صفحة.

وهكذا بلغ هذا الثبت مائة وتسعين صفحة تقريباً أوتزيد صفحات قليلة، وشاء ابن عابدين أن يترجم فيما بعد شيخه بترجمة تليق بمكانته وأظن ذلك كان بعد وفاته سنة ١٢٢٢هـ، فكتب ترجمة حافلة في أربع صفحات تقريباً كانت أعظم ترجمة جامعة للشيخ العقاد، ألحقها بالثبت فيما بعد من ص/١٩٢إلى ص/١٩٦. هذا، والذي يترجح لديَّ أنّ هذا الثبت جمعه ابن عابدين في حياة شيخه العقاد، وراجعه عليه مقابلة على الأصول معتمداً على مازوده به شيخه المذكور من مواد كان لابن عابدين الفضل في حسن تنسيقها وعرضها وتبويبها وشرح الغريب منها، يدل على ذلك هذه المقولة التي قالها المؤلف في آخر الثبت: ((بلغ هذا الثبّت مقابلة على أصله مع المراجعة للأصول المنقول عنها والتفحص عند التوقف في شيء وذلك مع سيدي وأستاذي نفعني الله تعالى ببركاته وأعاد عليّ من صالح دعواته آمين انتهى))[1].

ولعلّ أعظم مزية لهذا الثبت في اعتقادي هو احتواؤه على إجازات شيخه أولاً، ثمّ على السند العالي القريب من رسول الله ﷺ في صحيح البخاري، وهو

(١) الثبت ص/١٩٢.

سند قال عنه ابن عابدين في اعتزاز: ((وإذا ثبت هـذا يعلو إسناده درجة أخرى فيكون جملة الوسائط بين سيدي وبـين رسـول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم ثلاثة عشر والحمد لله رب العالمين))[1].

وقال الشيخ أبو الخير عـابدين في ترجمته لابـن عـابدين الكبير في معرض الحديث عن شيخه العقاد مايلي: ((ذكر السند تبركاً فإنّـه أعلى سند يوجد الآن على وجه الأرض فيما نعلم، فإنّ بين سيدنا المؤلف وبين النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة عشر واسطة بالنسبة لثلاثيات الإمام البخاري))[2]. ثم قـال: ((يـروي صحيح البخاري وغيره سيدي مؤلف هذا الثبت. ١ عن (الشيخ صالح الفلاّنـي) - ٢ عن (ابن سنّة) - ٣ عن (أبي الوفا محمد بن العَجِل) -٤ عن النهروالي - ٥ عـن (أبـي الفتـوح أحمـد) -٦ عن (الهروي) - ٧ عـن (محمـد شـادبخت) - ٨ عـن (الختلاني) - ٩ عـن (الفَرَبْري) - ١٠ عـن (إمـام الحديـث البخـاري) - ١١ عـن (الحافظ المكّي) - ١٢ عن (يزيد بن أبي عبيد التابعي) - ١٣ عن (سيدنا سلمة بـن الأكوع الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه) عن حضرة سيدنا وسيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم))[3].

قال ابن عابدين في أول الثّبت[4] مـايلي: ((وكـان حفظه الله تعـالى – أي الشيخ شاكر – وزاده إكراماً وإجلالاً قد أطلعني يوماً من الزمان على إجازاته مـن

---

(١) الثبت ص/١١٣.

(٢) الثبت ص/٢٣١.

(٣) الثبت ، ص/٢٣١ و٢٣٢.

(٤) جاء في ثبت الشيخ عبد الواسع الواسـعي اليمـني مـا يلـي: (عقـود اللآلي في الأسـانيد العوالي، وهو مطبوع طبع الشام للسيد العلامة وحيد دهره محمـد أمـين عـابدين أرويه قراءة شطر منه على السيد العلامة أبي الخير محمد بن أحمد عابدين عن والده عـن عمـه المؤلف، وأرويه أيضاً عن طرق عن علماء الشام إلى المؤلف) ر: ج١/ص١١٤-١١٥.

مشايخه ذوي الإتقان، فسرحت الطرف في حدائقهـا، وأجلت الفكـر في رقائقها فرأيتها في غاية الحسن واللطافة، تسيل مـن أطرافهـا أنـواع الظرافـة، بما اشتملت عليه من الفقرات العجيبة والأساليب الغريبة، والفوائد العديدة، والنكات الفريـدة، سيما ما اشتملت عليه من علـو الأسـانيد بالكتب الحديثية والصحـاح والمسـانيد، ومـاحوت مـن الأسـاتذة والشيوخ ذوي الإيقان والإتقان والرسـوخ.. فقـام في فكري متعدّياً لطوري أن أجمع في هذه الأوراق منثورها وأنظمه عقوداً أحلّـي بهـا نحورها وأجعلها هدية لإخواني من الطلبة..))

ثم قال: ((والذي أوقعني في لجة هذا البحـر وصيرني في شبكة هـذا الأمـر مالأستاذي المذكور عليّ من الحقوق العظام التي لاأقوم بأدنى شكرها))[١].

ثم قال: ((وقد أحببت أن أذكر هنا بعض أسانيد سـيدي المذكـور ضـاعف الله تعالى له الأجور في بعض المسلسلات النبوية والكتب الستة الحديثيـة، وبعـض المسانيد التي شاع ذكرها، وبعض الكتـب الـتي يكثـر في أيـدي الطـلاب دورهـا، ومسنده في الفقه إلى أبي حنيفـة النعمـان، عليـه الرحمـة والرضـوان، وأذكـر بعـض الأحزاب والأوراد التي يستعملها العبّاد، وأشير إلى بعض أسانيده في طرق السـادة الصوفية البيضاء النقية، وبعض فوائد خاصة، بكلمات علـى فضلهـا ناصّـة تتميمـاً للفائدة، ورجاء للدعوة العائدة، وأقدم بين يدي ذلك ذكر من أخذ عنهـم سـيدي المومـا إليه، وذكر إجازاتهم له بألفاظها إن أمكن وبعض مقرواته عليهـم أسـبغ الله تعالى نعمه عليهم وعليه، وأترجم منهـم علـى سـبيل الاختصـار مـن وقفـت علـى ترجمته من ذكر بعض مآثره ووفاته ومولده))[٢].

---

(١) الثبت ص/٨ وما بعدها.

(٢) الثبت ص/٩ و ١٠.

أما تاريخ الانتهاء من كتابة هذا الثّبت ماعدا ترجمة العقاد، فلقد ذكره ابن عابدين بقلمه قال: ((وهذا آخر ماجرى به القلم... على يد جامعه أحقر الخليقة ومن هو لاشيء في الحقيقة أحقر الحقرا وخدّام نعال الفقراء محمد أمين بن عمر ابن عبد العزيز بن أحمد الشهير بابن عابدين... وذلك في أوائل جمادى الثانية سنة ١٢٢١هـ))(١) أي قبل وفاة شيخه العقاد بنحو سنة.

ولقد قام بطبع هذا الثبت وأشرف على تصحيحه الشيخ محمد أبو الخير عابدين كما نصّ على ذلك في آخر صفحة من المطبوع بتاريخ ٢ شوال سنة ١٣٠٢هـ في مطبعة المعارف بولاية سورية، وألحق به ترجمة ابن عابدين الكبير لشيخه العقاد التي كتبها بعد وفاة شيخه المذكور. وتنتهي هذه الترجمة في ص/١٩٦ في السطر السابع، ثمّ ألحق به ماليس منه وهو قطعة من المقامات التي مدح بها ابن عابدين شيخه العقاد وهي رسالة مستقلة ليست من الثبت تبدأ في الصفحة (١٩٦) السطر الثامن وتنتهي في السطر العاشر من الصفحة (٢٠٩).

ثمّ ألحق به مقولتين كتب عنهما أنّه رآهما في آخر الثبت بخط المؤلّف، الأولى في قرابة صفحة في مشايخ الشيخ حسن العجمي شيخ العقاد، والثانية لطبقة في الرواية عن تابعي أوصحابي من الجنّ في قرابة صفحتين. أمّا الملحق الرئيسي الذي أتبعه المصحّح الشيخ محمد أبو الخير عابدين بالثبت وليس من كلام صاحبه بل هو من تأليف المصحّح، فهو ترجمته لابن عابدين الكبير صاحب الثبت ترجمة كبيرة حافلة ذكر فيها إجازاته وشيوخه وأسانيده العالية وحياته ومسرد آثاره وبعض شعره ومرثيّته لبعض شيوخه ونسبه كاملاً، كل ذلك في زهاء أربع وأربعين صفحة تقريباً من الصفحة ٢١٢إلى الصفحة ٢٤٦، وختم المصحح طباعة الثبت بفائدة في الشريف من الأم وفي العِمامة والعَلامة الخَضْراوين ثم بختام الطبع

---

(١) الثبت ص/١٩٢.

وتاريخه في صفحتين تقريباً من الصفحة ٢٤٧ إلى آخر الصفحة ٢٤٨، وهكذا كان الثبت بملاحقه هذه في مائتين وأربعين صفحة في مجلّد واحد بطباعة متقنة مع بعض الهوامش الضرورية على ورق جيد أسمر جعل المصحح الفهرس والتصويب في أوله قبل صفحة الغلاف التي حررّ عليها اسم الثبت واسم مؤلفه وضبط كلمة (الثَّبَت) أنها بفتحتين وعليها ختم المصحح. قلت: ولعل هذا الثبت طبع مع مجموع للرسائل مطبوعاً قديماً كما رأيته عند بعض الأفاضل، أما المتداول بين أهل العلم اليوم فكلّ على انفراد.

أمّا من ذكره من أصحاب التراجم فأظهرهم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وألّف ثَبَتاً لأسانيد شيخه سماه (العقود اللآلي - كذا - في الأسانيد العوالي)) ثمّ قال: ((وله العقود اللآلي في الأسانيد العوالي المتقدم ذكره)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبَت: ((وله غيرها من التآليف النافعة في الفقه وغيره ومنها هذا الثبت)) ص/٢٣٢.

٣- البيطار في حلية البشر: ((ومنها ثبته المشهور الفائق) ج٣/ص١٢٣٠ ومابعدها.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر: ((وله ثبت سماه عقود اللآلي في الأسانيد العوالي جعله لأستاذه السيد شاكر مقدّم سعد))
ص/٣٨ومابعدها.

٥- كحالة في المعجم ج٩/ص٧٧.

٦- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي

((٢٤- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي دمشق سنة ١٣٠٢- أجازه أستاذه (شيخه) محمد شاكر بن علي بن سعد بالتأليف سنة ١٢٢١-١٨٠٦ . انظر الفهرست للكتاني ج٢/ص٢٤٠-٢٤١.

ر: بروكلمان الذيل ج٢/ص٧٧٣.

قلت: ((وقد ذكر هذا الثبت الشريف: المرحوم محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة ص/٩٨. فقال: ((ولأحمد في مسنده وهي ثلاثمائة وسبعة وثلاثون حديثاً على مافي عقود اللآلي في الأسانيد العوالي)). ا.هـ والضمير يعود إلى الثلاثيات في البخاري ومسند أحمد. /الرسالة المستطرفة دار الفكر بدمشق طب الثالثة ١٩٦٤م.

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص١١٥.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم (٢٧).

ب- في فهارس المكتبات:

التيمورية ج٣/ص١٨٧.

د- التصوف

١- إجابة الغوث ببيان حال النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث

هذه الرسالة الرابعة عشرة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع وهي رسالة لطيفة في التصوف تقع في ثماني عشرة صفحة، من ص/٢٦٤ إلى ص/٢٨١منه، فرغ منها مؤلفها في ٨ شوال سنة ١٢٢٤[1] وقد ختمها بقصيدة بائية من الطويل التام تجدها في آخر الديوان مطلعها:

توسَّل إلى الله الجليل بأقطاب وقف طارقاً باب الفتوح على الباب

في ستة وعشرين بيتاً.

---

(١) مجموع الرسائل ج٢/ ص٢٨٠ قال مانصه: ((نجز تحرير هذه المقالة في نهار الأربعاء الثامن من شوال سنة ١٢٢٤)).

أمّا موضوع الرّسالة فهو أمر القطب والأبدال والنقباء والنجباء وعددهم ومايدور حول هذه الحكومة الباطنية جمعها مؤلفها بناء على ماقاله الأئمة المعتبرون والسادة المعمَّرون وجعلها في أربعة أبواب وخاتمة، قال في ديباجة رسالته هذه: ((قد كنت جمعت رسالة بسؤال بعض الأعيان عن أمر القطب الذي يكون في كل زمان وأوان وعن الأبدال والنقباء والنجبا وعدتهم على طريق البيان، وبادرت إلى ذلك بعد طلب الإذن من حضرتهم العلية، وقراءة الفاتحة إلى أرواحهم الزكية... وجمعت ماوقفت عليه من كلام الأئمة المعتبرين ووفّقت للاطلاع عليه من كتب السادة المعمّرين، ورتبت ماجمعته على أربعة أبواب وخاتمة، وسميت ذلك بـ(بإجابة الغوث ببيان حال النقبا والنجبا والأبدال والأوتاد والغوث)، وكتبت له نسخة وأرسلتها إليه، ثمّ رأيت أشياء تناسب المقام ويستحسن ذكرها ذوو الأفهام أحببت إلحاقها لاستشفاء العليل وربما حصل بعض تغيير وتبديل ولكن أبقيت التسمية والترتيب))(١).

فهذه أربعة أبواب وخاتمة:

أمّا الباب الأول فقد خصّصه ابن عابدين لبيان الأقطاب والأبدال والأوتاد والنجبا وبيان صفتهم وعددهم ومساكنهم.

والباب الثاني فيما ورد فيهم من الآثار النبوية الدالّة على وجودهم وفضلهم على سائر البريه.

والباب الثالث في الكلام على بعض أحوال القطب الغوث.

والباب الرابع في بيان ماينزل على القطب وكيفية تصرفه فيما يرد عليه.

---

(١) مع الرسائل ج٢/ ص٢٦٤.

أمّا الخاتمة ففي الكرامات وخوارق العادات التي تظهر على أيدي الأولياء ومعنى الولاية عند أهل التّصوف.

وإليك بعد هذا كله نصّاً من صلب الرسالة، قال: ((فإن قيل فما الغالب على الولي في أوان صحوه؟ قُبِل صِدْقُهُ في أداء حقوقه سبحانه ثمّ رفقه وشفقته على الخلق في جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ثـمّ دوام تحمله عنهم بجميل الحق وابتدائه لطلبه الإحسان من الله تعالى إليهم من غير التماس منهم، وتعليق الهمّة بنجاة الخلق وترك الانتقام منهم والتوَقي عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد عن أموالهم وترك الطمع من كل وجه فيهم، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون عن شهود مساويهم ولايكون خصماً لأحدٍ في الدنيا والآخرة انتهى))[1].

قلت: ((أشار إليها ابن عابدين في رسالة الجابي تحت رقم (٣٤))).

أمّا من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وإجابة الغوث في أحكام النقباء والنجباء والأبدال والغوث)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص ٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(٣- إجابة الغوث ببيان حال النقاب - كذا - والنجابة - كذا - والأبدال والغوث، في مجموعة استانبول سنة ١٣٢٥).

ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٣.

٤- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

---

(١) مج الرسائل ج٢/ص٢٧٨.

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٢٥.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧و٣٦٨ تحت رقم(٣).

٢- سلّ الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي

هذه الرسالة الخامسة عشرة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع، وهي رسالة دسمة مطوّلة من رسائل الردود ذات طابع الحدّة تقع في إحدى وأربعين صفحة تقريباً، من ص٢٨٤ إلى ص/٣٢٥ منه، تعقبها مرتبة ابن عابدين لشيخه الشيخ خالد النقشبندي المرشد الأكبر للطريقة النقشبندية في زمنه في بلاد الشام الذي ألّف الرّسالة ذبّاً عنه، وتشطير لهذهِ المرتبة من الملاّ داود أحد خلفاء الشيخ خالد المذكور أمّا الرسالة فقد ألّفها ابن عابدين في الدفاع عن شيخه الشيخ خالد النقشبندي أوّلا، ثمّ عن التصوف عموماً وعن الطريقة النقشبندية خصوصاً، بناء على طلب مفتي دمشق الشام في زمنه السيد حسين المرادي لما سئل من جهة السلطنة عن شأن الشيخ خالد النقشبندي المشار إليه هل هو ساحر زنديق كما ألّف فيه بعض المعاصرين له رسالة وروّجها حوله؟ أم هو ولي صادق؟ وعرض الأمر على ابن عابدين فذهب إليه واكتشف حاله كما ذكرنا في الباب الأول في تعرفه على مولانا خالد، ولـمّا علم صدقه وولايته ألّف هذه الرسالة المطوّلة رادّاً على الرسالة التي باء بوزرها ذلك الضال المنحرف من فقهاء عصره في نسبة الشيخ خالد إلى السحر والشعوذة والزندقة. وقد اشتملت رسالة ابن عابدين على ثلاثة أمور:

آ- الرد على من ألّف الرسالة في تكذيب الشيخ خالد، ونسبته إلى ماذكر وتفنيد ذلك القول ودحضه، ولاسيما في تكذيبه لصاحب الرسالة الذي استشهد بكلام مزوّر ملفق نقله زوراً وبهتاناً على لسان الشيخ إسماعيل بن أحمد الزلزولي، واستعان على ذلك بكلام بعض من طرده الشيخ خالد، فكشف ابن

عابدين بطلان ذلك بكتاب خطي من الشيخ إسماعيل الزلزولي ينافي ذلك الافتراء ويدحضه، أثبت ابن عابدين صورته في الرّسالة.

ب- ذكر نبذه عن الفرق بين حال الساحر والمشعوذ وبين حال الولي الصادق وعلامة كل منهما، وفكرة عامة عن حكم الساحر والسحر والشعوذة في الفقه الحنفي بخاصة والفقه الإسلامي بعامة.

ج- لمحة عن حياة الشيخ خالد وترجمة موجزة له مأخوذة من كتابين للسادة النقشبندية من تلاميذ الشيخ خالد وخلفائه، الأول هو الحديقة الندية للشيخ محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي وهو الأصل في النقل، والثاني وهو أصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد، وختم الرسالة بذكر مجيء الشيخ خالد إلى الشام ثمّ وفاته بالطاعون سنة ١٢٤٢ في ٤ ذي القعدة من السنة المذكورة[١].

وقد عقد هذه الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

أما المقدمة فقد جعلها لذكر سبب التأليف ونص كلام صاحب الرسالة المتجنّية على الشيخ خالد ونص كلام الشيخ الزلزولي الذي تبرأ مما نسبه إليه صاحب الرسالة الأولى وبعض نقول أخرى.

١- أما الفصل الأول فهو بيان حقيقة الكرامة.

٢- والفصل الثاني في بيان حقيقة الجن والفرق بينهم وبين الشياطين وجواز رؤيتهم والاجتماع بهم.

٣- والفصل الثالث في بيان السّحر وأقسامه وأحكامه.

٤- والفصل الرابع في بيان دعوى علم الغيب.

---

(١) ر: مج الرسائل ج٢/ ص٣٢٤.

وتتبع ذلك خاتمة مشتملة على نقل نبذة يسيرة عن بعض العلماء من معاصري الشيخ خالد الذين شهدوا له بالعلم والولاية[١].

وإليك بعد هذا نصاً من مقدمته بعد ديباجة سلك فيها مسلك براعة الاستهلال على عادته في رسائل الردود، فقال: ((لـمّا فسد الزمان وتعاكس وتقاعد عن الصلاح وتقاعس لم يشتغل غالب أهله بخاصة نفسه وبما ينفعه عند أفول شمسه وحلوله في رمسه، بل صار يطيل لسانه على أشرف أهل جنسه، بمجرد وهمه وحدسه أو بمحض الزور والبهتان لداء الحسد والطغيان، وغفل عن كون ذلك سبباً للدمار وخراب الديار ومَحْق الأعمار وإعفاء الآثار، فألّف بعضهم[٢] رسالة أراد ترويجها في سوق الجهالة بين أهل البطالة حيث حكم فيها بالزندقة والضلالة على الإمام الشهير والعارف الكبير.. حضرة سيدي الشيخ خالد....)) ثمّ قال: ((ونفعه - أي السلطان - والمسلمين بإمداد هذا الإمام والحبر والبحر الهمام الذي شهدت ببراءة ساحته المحترمة عمّا رمته به الحسدة الظلمة عامة أهل البلاد من الناس، ولاسيما من لهم إلى جنابه قرب والتماس، منهم ذو الأيادي البوادي لدى الحاضر والبادي، ومفتي الأنام في دمشق الشام السيد حسين أفندي المرادي.. فلذا سأل الفقير.. فبادرت إلى التوجه والإقبال على الطاعة والامتثال لسؤاله بلا إهمال ولا إمهال فجمعت هذه الأوراق))[٣] وقال في آخر الرّسالة: ((تنبيه: قد ظهر لك وبان مما قررناه في هذا الشان أن من كان من أهل العلم والعرفان وأخبر عن أمرٍ حدث أو سيحدث في الزمان مما أطلعه عليه الملك المنان لايحل لمسلم ذي دين وإيمان أن يتهمه بأن ذلك عن إخبار الجان وبأنه ساحر وشيطان وأن

---

(١) ر: مج الرسائل ج٢/ص٢٩٣.

(٢) قلت: ((لم أطلع على اسم صاحب هذه الرسالة المتجنية وسألت عنها الدكتور أبو اليسر وغيره فلم أظفر بجواب والله أعلم.

(٣) ر: مج الرسائل ج٢/ص٢٨٥.

يحكم عليه بالكفر والزندقة والإلحاد، لمجرد داء الحسد والافتراء والعناد فإن سهامه ترجع إليه))[1].

ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالته للحلبي تحت رقم (٢٢).

أمّا من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وسل الحسام الهندي)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبّت ص/٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

((٢٢- سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي. دمشق سنة ١٣٠١)).[2]

ر: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٧٧٣.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

٥- كحالة في معجم المؤلفين ج٩/ص٧٧.

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص٢٢.

٢- هدية العارفين ج٢ /ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم (٢٢).

---

(١) مج الرسائل ج٢/ص٣١٦ وما بعدها.

(٢) قلت: ذكر لي الأستاذ عزيز عابدين رحمه الله أن المرحوم الشيخ محمداً الحامد الحموي المولد والوفاة الحنفي المذهب النقشبندي المشرب قد ألف ذيلاً على رسالة ابن عابدين الكبير(سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي)ذكر المرحوم له ذلك ولم يطلعه عليها، ولعلها لازالت مخطوطة في تركته والله تعالى أعلم.

هـ - علوم العربية

١- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة

هذه الرسالة السادسة عشرة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع، وهي رسالة لطيفة في سبع عشرة صفحة تقريباً، من ص/٣٣٠إلى ص٣٤٦ منه، وكان ابن عابدين قد سوَّدها و لم يمتد به الأجل حتى يبيّضها، لذا بقيت على مسوّدة المؤلف و لم تصحح، وأبقى كثيراً من البياض في الأوراق وبين الأسطر، فنقل الشيخ أبو الخير عابدين ماوجده دون زيادة أو نقص[١] حسبما ذكر في خاتمة هذه الرسالة. وهي في إعراب ألفاظ شاع استعمالها بين علماء عصره مما في إعرابه إشكال أو خفاء والأظهر أن يكون ذلك في أخريات أيامه في غضون عامي ١٢٥١و١٢٥٢ كما يبدو لي، وإليك ديباجه المؤلف، قال: ((قد عنّ لي الكلام على بعض ألفاظ شاع استعمالها بين العلماء وهي مما في إعرابه أو معناه إشكال أو خفاء بعبارات تحلّ العقال وتوضح المقال وسميتها الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، فأقول...))[٢]وقد ابتدأها بإعراب (هلمّ جرّاً) وإليك نصاً من صلب الرسالة، قال: ((ومنها قولهم (وهذا الشيء لامحالة كذا) وهي مصدر ميمي بمعنى التحول من حال إلى كذا بمعنى تحول إليه وخبر لا محذوف أيْ لامحالة موجود والجملة معترضة بين اسم إن وخبرها مفيدةً تأكيد الحكم)).[٣]

---

(١) ر: مج الرسائل ج٢/ص٣٤٦.
(٢) مج الرسائل ج٢/ص٣٣٠.
(٣) مج الرسائل ج٢/ ص٣٤٠.

ذكر هذه الرسالة ابن عابدين في رسالة الجابي تحت رقم (٣٢).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((والفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثَّبت ص/٢٣٣.

٣- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

((٢٩- الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة. القاهرة سنة ١٣٠١ (النهاية في التعريض والكناية) للثعالبي))[1].

ر: بروكلمان ج٢/ص٧٧٣.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٧ ومابعدها.

٥- التقرير العلمي العابديني:

((الفوائد العجيبة بخط المؤلف ٩ ورقات مسودة مهمشة بالحبر الأسود ١٧×٢٢)).

٦- في ظاهرية دمشق نسختان خطيتان حديدتان الأولى تحت رقم (عام ٨١٠٤) والثانية تحت رقم (عام ٥٢٥١) وكل منهما من مجموع من مجاميع المخطوطات.

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص٢٠٧.

---

(١) قلت: ((وهذا الكتاب الذي ذكره بروكلمان هو على هامش الفوائد العجيبة كما بيَّن ذلك سركيس في معجم المطبوعات الأصل الذي أخذ عنه بروكلمان بدون زيادة تحقيق أو تمحيص كما يظهر، وكانت العادة جارية بطبع كتاب على هامش كتاب آخر شريطة أن يكونا في مادة واحدة كالعربية مثلاً فيما نحن فيه والله تعالى أعلم.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم (٣٣).

ب- في فهارس المكتبات العامة:

١- دار الكتب المصرية ج٢/ص١٤٨.

٢- التيمورية ج٣/ص١٨٧.

٣- كشاف طلس ط ص١٨٦ تحت رقم (٦١٢٩).

٤- مخطوطات سركيس ط ص/٥٤ و٩٨.

٥- منتخب مخطوطات المدينة م(٢٢) ط ص/٥٤ تحت رقم (١٤٩) نحو نسخة مذهبة.

٢- فتح رب الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب

مخطوطة عند الدكتور الشيخ أبو اليسر عابدين كاملة في مجلدة صغيرة بخط المؤلف وهنالك في المكتبة الظاهرية منها نسخة أخرى خطية تحت رقم (عام ١٠٥٤٤) بغير خط المؤلّف[1].

أمّا مخطوطة المؤلف فتجد عنها راموزاً في ملحق الوثائق في آخر الرّسالة وهي بخط مؤلفها يوم ألفها صغير السن حدثاً في حياة شيخه العقاد بأمره وتعد باكورة إنتاجه العلمي، وتشبهه اليوم رسالة (أطروحة) جامعية لنيل درجة التخرج أو بحثاً علمياً مما يقدمه الطلبة في الفصول الدراسية تحت إشراف بعض المتخصصين لاختبار مقدرتهم على هضم ماحصّلوه من العلوم.

ودونك ماقاله الشيخ أبو الخير عابدين في معرض ترجمته لابن عابدين الكبير في آخر الثّبت مانصّه: ((وكان الشيخ شاكر يأمره بتحرير المسائل وجمع الرسائل ليتقوى على الممارسة في التأليف، فكتب حاشية على شرح الشيخ محمد سعيد

---

(١) بخط صالح بن عبد الغني السقطي عام ١٢٣٢هـ.

الأسطواني أحد رفقائه بالطلب على نبذة الإعراب، وكان الشرح والحاشية المذكوران بأمر شيخهما))[1].

وإليك نصاً من ديباجة هذه الحاشية الصغيرة: ((الحمد لله الواجب وجوده في كل وقت وآن، الممتنع عدمه في كل ساعة وزمان الذي غفر لمن نحا نحوه ورفع له الشأن، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له الملك الحنان المنّان، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه التابعين لهم بإحسان. أما بعد فيقول أحقر الطلبة والمبتدين محمد أمين بن عمر عابدين لما قرأت هذا الشرح الموسوم بلب الألباب بشرح نبذة الإعراب للنبيه اللوذعي والنبيل الألمعي محمد سعيد بن علي بن أحمد الأسطواني على بعض شيوخي حفظهم الله تعالى أمرني بكتب ماأملاه لي خوفاً من الضياع فبادرت إلى ذلك امتثالا لأمره، فكتبت هذه الوريقات وسميتها (فتح الأرباب بحواشي لب الألباب(اهـ)). الصفحة الأولى من الورقة الأولى من مخطوطة المؤلف وكتب على الغلاف العبارة التالية: ((هذه حاشية للشيخ محمد بن عابدين موضوعة على شرح النبذة للأسطواني))، قلت وهكذا يبدو لك أن هذه الرسالة قد ألفها ابن عابدين في حياة شيخه العقاد[2] وتحت إشرافه وكانت بمثابة أطروحة صغيرة أو بحث يراد منه معرفة قدرة الطالب على هضم ماتعلم، وإليك نصاً من صلب الرسالة: ((قوله (وعلى آله) آل النبي ﷺ : في مقام الدعا كل مؤمن تقي، وفي الزكوة مبَّين في كنز الفروع، وأصل آل عند سيبويه /أهل/ أبدلت الها همزة والهمزة ألفا لالتقاء الهمزتين ويدل له تصغيره على / أهيل/ وعند الكسائي أصله أَوْل تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ويدل له تصغيره على أويل، فيكون

---

(١) الثبت ص/٢٣٢.

(٢) قال علاء الدين في التكملة: ((وذلك في حياة شيخه المرقوم)).

على الأول مهموز الفا صحيح العين وعلى الثاني مهموز الفا أجوف)) اهـ.
الصفحة الثانية من الورقة الأولى من مخطوطة المؤلف.

ذكرها ابن عابدين في رسالة الجابي تحت رقم (٣١).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وحاشية على شرح النبذة سمّاها فتح رب الأرباب على لب الألباب شرح نبذة الإعراب)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت: ((فتح رب الأرباب بحواشي لب الألباب)) ص/٢٣٤.

٣- الشطي في روض البشر: ((وكتب حاشية على شرح (نبذة الإعراب) وهو ابن سبع عشرة سنة)) ص/٢٥٠ومابعدها.

٤- التقرير العلمي العابديني:
((فتح رب الأرباب بحواشي لب الألباب على نبذة الإعراب لابن هشام بخطه في١٥ ربيع الأول ١٢٥٣[2] قياس١٣×٢٠ بالحبر الأسود، وهي أيضاً منسوخة بخط محمد خير الدين عابدين وشاركه في كتابتها محمد عطا كاتب مكتب الرشدية ١٢٨٣)).

٥- مردم بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٩.

٦- في ظاهرية دمشق نسخة خطية بغير خط المؤلف كتبت سنة١٢٣٢هـ تحت رقم عام (١٠٥٤٤).

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص١٦٣.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم (٣٢).

ب- في فهارس المكتبات العامة:

١- دار الكتب المصرية خ ج٢/ص٢٥٦.

---

(١) ر: ملحق الوثائق في آخر الرسالة.

(٢) هكذا في التقرير العابديني بخط المرحوم الأستاذ محمد عزيز عابدين كما هو لديَّ وفيه نظر ولعله ١٢١٥هـ هو أقرب للصواب والله أعلم.

٣- الدرر المُضيّة في شرح نظم الأبحر الشعرية

هي مخطوطة في مكتبة الدكتور الشيخ أبو اليسر عابدين بخط مؤلفها ابن عابدين الكبير، ألفها وسنّه سبعة عشر عاماً كما ذكر في آخرها بخطه، كثيرة الهوامش والتعليقات كتب المتن بحبر وخط مغايرين للشرح، وهي شرح لمتن نظم البحور الشعرية لرضي الدين الغزي (محمد بن محمد بن أحمد) وإليك ديباجة الرّسالة، قال: ((الحمد لله الذي جعل علم العروض معياراً يتعرف به الأوزان الصحيحة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جاءنا بالهداية والنصيحة وعلى آله الطاهرين مصابيح الظلام وأصحابه الموصوفين بين الخاص والعام بالمجد والاحترام، أمّا بعد فيقول أحقر المبتدين محمد أمين بن عمر عابدين، لمّا قرأت على بعض شيوخي حفظهم الله تعالى مختصر الوافي في علميْ العروض والقوافي للعالم الفاضل شهاب الدين أحمد بن عبّاد وحفظت نظم البحور للإمام العالم رضي الدين محمد بن محمد بن أحمد الشهير بالغزي وكان الناظم رحمه الله تعالى خوف الإطالة ترك كثيراً من الأعاريض والضروب أمرني أن أكتب تعليقاً على هذا النظم أتمم فيه بقية الأعاريض والضروب، مع ذكر شواهدها وتقطيعها ومع ذكر بعض أمور من الفن أشار إليها الناظم، فأجبته إلى ذلك وسميته بـ(الدرر المضية في شرح نظم الأبحر الشعرية) والله سبحانه وتعالى المستعان، وعليه التكلان))[(١)] اهـ. من الصفحة الأولى من الورقة الأولى من مخطوطة المؤلف، وإليك بعد هذا نصاً من صلب الرسالة، قال:

(المديد ؛ خُذْ مَدِيداً أحرزَتْهُ الثِّقات فاعلاتن فاعلن فاعلات

هذا الضرب مَجْزُوٌّ تام كعروضه وليس لها غيره وشاهده قول الشاعر:

(يالَبَكْرٍ أَنْشروا لي كليباً يالَبَكْرٍ أين أين الفرار).

---

(١) ر: ملحق الوثائق في آخر الرسالة.

وتقطيعه يالبكر: فاعلاتن، أنشروا: فاعلن، لي كليباً: فاعلاتن، يالبكر: فاعلاتن، أين أي: فاعلن، نَلْفرارو: فاعلاتن))[1]اهـ. من الصفحة الثانية من الورقة الأولى.

وإليك آخر الرّسالة بخط المؤلف، قال: ((وهذا آخر ماأردنا إيراده على هـذا النظم والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمـد وعلـى آله وصحبه وسلّم وكان الفراغ من جمع هذه الوريقات في ٣٠ شوال سنة ١٢١٥ على يد الفقير جامعها محمد أمين بن عمر عابدين في سن/١٧)).

ذكرها ابن عابدين في رسالته للجابي تحت رقم (٣٠) قال: ((وشرح أبيات العروض للغزي)).

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((والدرر المضيئة)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثّبت: ((الـدرر المضيـة في شـرح الأبحـر الشـعرية)) ص/٢٣٣.

٣- الشـطّي في روض البشـر: ((والـدرّة المضيـة - كـذا - في الأبحـر الشـعرية)) ص/٢٥٠ ومابعدها.

٤- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ ومابعدها.

٥- التقرير العلمي العابديني:

---

(١) وتقطيعه هكذا:

يالبكر / أنشروا/ لي كليبا   يالبكر/ أين أيـ / ن الفرار

/٥//٥/٥ /٥//٥ /٥//٥/٥   /٥//٥/٥ /٥//٥ /٥//٥/٥

فاعلاتن فاعلن فاعلاتن   فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

«الدرر المضيئة شرح نظم الأبحر الشعرية بالحبر الأسود والأحمر بخطه ٢٠ شوال ١٢١٥ ٢٢×١٧».

آ- في الفهارس العامّة:

١- إيضاح المكنون ج١/ص٤٢٩.

٢- هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم (١٥).

٤- شرح الكافي في العروض والقوافي

علم العروض مما أغرم به ابن عابدين وطاب له وهو علم يحتاج إلى ذكاء وصفاء وكلاهما كان موفوراً عند ابن عابدين، فألّف الدرر المضية المار ذكرها، وثنى فشرح متن الكافي في العروض والقوافي بشرح لعله اعتمد فيه على حواشي الدمنهوري الشهيرة على متن الكافي، ولكن هذا الشرح لم أعثر عليه مطلقاً رغم شدة التتبع والبحث، ولعل الزمان يكشف عنه في المستقبل.

من ذكره من أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: «وشرح الكافي في العروض والقوافي) وكتب في آخر هذا الشرح (تمّ في سنة خمس عشرة ومائتين وألف) وكان سنُه سبع عشرة سنة»[1].

٢- الشطّي في روض البشر: «فشرح متن (الكافي)» ص/٢٥٠ ومابعدها.

آ- في الفهارس العامّة:

---

(١) قلت: «هذه المقولة سبق أن بيّنّا أن ابن عابدين كتبها في آخر (الدرر المضية شرح نظم الأبحر الشعرية) وهو كتاب مغاير للكافي المذكور، فإما أن يكون السيد علاء الدين قد وهم فوضع ماكتبه والده ابن عابدين هناك ـ هنا، وإما أن يكون ابن عابدين ذاته قد كتب هذه المقولة أيضاً في آخر شرح الكافي الذي لم نعثر عليه، ولا ندري مافيه.

هدية العارفين ج٢/ص٣٦٧ و٣٦٨ تحت رقم (٢٣).

٥- مقامات في مدح الشيخ شاكر العقاد شيخ المؤلف

مخطوطة في مكتبة الدكتور الشيخ أبو اليسر عابدين وليست بخط مؤلفها فيما يظهر، وهي بعد البحث العلمي والمقارنة وجدت منها قطعة مطبوعة في آخر الثّبت (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) بالنّص الكامل، وهي مخطوطة وصل فيها كاتبها إلى قول الشيخ شاكر راداً على ابن عابدين شاكراً له:

(تلقّيتها بالشكر منه وبالحمد) وكتب بعدها كلمة ((تمّت ونقلت عن خط مؤلفها قدس الله روحه آمين))، وهي نسخة مهمشة بهوامش عديدة في أكثر الصفحات، وماهو مخطوط في مكتبة آل عابدين مطبوع في آخر الثّبت دون زيادة ولعلّ كاتبها هو الشيخ أحمد بن عبد الغني في أغلب الظنّ، أو السيد علاء الدين نجل المؤلّف، والأول أوجه، ودونك نصاً منها في أول الديباجة: ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم قال سيدنا وأستاذنا خاتمة المحققين مولانا الشيخ محمد عابدين عليه رحمة رب العالمين، وقلت مادحاً لجناب أستاذي وعمدتي وملاذي السيد الجليل المهاب من عجزت عن وصفه ذَوُو الألباب سعد زمانه وسيد أقرانه وسيبويه عصره وأبو يوسف مصره، من أذعنت له بالفضل والكمال أجلّة العلماء وفحول الرّجال، صاحب الفضل الوافر جناب سيدي الشيخ شاكر بن سالم العمري بارك الله لنا في حياته وفي أيامه وأوقاته بسيدنا محمد سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام: حمداً لك يامن زين القدود الرمَاح بحسن نضارة خدود كالتفاح وطرّزَ حواشيها... إلخ))(١).

---

(١) ر: الثبت: ص١٩٦ وما بعدها.

«مولاي هذا ماسنح به الفكر الفاتر * والنظر العاجز القاصر * من بثّ خلالكم الكريمة * ونثّ صفاتكم الوسيمة * وكمالاتكم الجسيمة التي فاقت كل سيمة * التي يصغي إليها السامع * ويروى منها الظمآن والجائع * وتنشط منه العقل والبال * وتنسيه الأهل والمال * حتى كأنّه في روض مفروش بالديباج * قدعمّه الحسن والابتهاج * يضاحك درّه مرجانه * وتعبق منافح المسك أردانه * وللنسيم فيه اعتدال وإشفاق * إذا مارقد المخمور فيه أفاق * وتسليه عن حبيب طيب المقيل* ليس فيه غير الأرداف ثقيل* قريب من عهد الصقال خده* فلم يجف ريحانه و لم يذبل ورده * يزل عن خده الذر فلا يعلق ويمشي عليه النمل فيزلق * ونشر خصال جميلة* ومحاسن فضيلة* تنفي هم المكروب* وتشرح كل القلوب* فما الراح والتفاح * وماريحان الأصداغ إذا فاح * ومااغصان القدود * أو ورد الخدود إذا لاح * وماذات العيون الوقاح * والألحاظ التي كالصفاح * وما القدود الرماح* وماكاسات الراح* من كف ذات الوشاح* في روضة باسمة بالأقاح* تجري فيها خيول الرياح * والطيور منها في الأدواح * متناغمة النواح * من المساء إلى الصباح * قد فرشت ملاءة النور على ميادينها * وبسطت أيدي النسيم بين رياحينها * يخترقها نهر غدير * فيه الحسن قرير* وعليها در من فواقع منظوم وبسماطيها وشي من الأزهار مرقوم * فمن نرحس تغشّه الفتور* وورد كأنما انتزع من أوجه الحور * وأقاح كأنه ثغر الحبيب بلا مرا * وقصور من العسجد السبيك مشرقة الذرا * وياسمين كأنّه أنامل الأبكار أو صلبان من الفضّة صغار * وبنفسج كأنّه أثر شفة معضوضة* أو رصة قرط في أذن معروضة * وريحان يعده النديم ليوم الفراغ* ويحكيه الحبيب بسلاسل الأصداغ * وقرنفل كأنّما توقد بالجمر * وانعقد من الخمر * فسماع صفاتكم عنده أشهى من هذا * وبعد سماعها يرى من هذا اشميزازاً* فلأجل هذا دعتني أريحية التطفل على الأدب* إلى ذكر نبذة منها فهو

سبيل مستحب * وهذا على سبيل القضية الجزئية * لا الموجبة الكلية * إذ لو كان الشأن كذلك * في سلوك العبد هذه المسالك * لكانت كتب مدحته * ووظائف خدمته * متدافقة الأمواج * متتابعة الأفواج * لكنه التزم مذهب التعظيم والإجلال * واجتنب موقع التصديع والإخلال * وصان الخاطر الشريف * والطبع اللطيف * الذي هو مشغول بكشف المعضلات * وحل المشكلات عن مطالعة مايعرضه لديكم * ويمثله بين يديكم * فاقتنع من ذكر صفات طوال غزار * بما أودعه هنا من العبارات القصار * وإلا يلزم الدّور أو التسلسل المحال * إذ ليس للفكر فيها بجال * على أنّي لست أهلاً لذلك * ولامن السالكين لهذه المسالك * ولكن حلمكم جرّأني على مافعلت * وساقني إلى مانثرت ونظمت * وهو في الحقيقة لاشيء * ولكنه بضميمة مدحكم إليه شيء أي شيء * وإن كان مستحسناً مستعجب * فهو من بحركم ملتقط ومنتخب * فليت شعري ريحها بعد قبول أم دبور * وصبّحها غلس أم يسفر عن أبهى من الثغور * ولكنّ المرجوَّ منكم والمأمول * أن تسبلوا عليها أذيال الستر والقبول * والسلام الذي تأرجت نفحاته * يعم ساحتكم ورحمة الله تعالى وبركاته * ماسجعت الوُرْق على الشجر فمال الغصن منها تيها وتبختر *))(1).

من ذكرها أصحاب التراجم:

١- علاء الدين عابدين في التكملة: ((وله في مدح شيخه مقامات كمقامات الحريري)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثّبت: ((ومقامات في مدح شيخه)) ص/٢٣٤.

٣- الشطيّ في روض البشر: ((وأنشأ مقامات ومدائح في شيخه العقاد)) ص/٢٥٠ومابعدها.

---

(1) الثبت ص/٢٠٤ وما بعدها.

٤- التقرير العلمي العابديني:

((رسالة بمدحه لشيخه الشيخ شاكر العمري منقولة عن خطّ مؤلفها))

٥- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٩.

٦- مجموع النفائس والنوادر

هذا الكتاب لم أعثر عليه رغم أنّي وجدت أوراقاً كثيرة وفوائد جليلة في مكتبة الدكتور أبو اليسر لم أستطع الاطلاع عليها لعدم ضبطها وفهرستها،ولاأدري لعلها هو أوبعضها منه والزمان كشاف، وقد ذكر هذا المجموع السيد علاء الدين فقال فيه: ((وله مجموع جمع فيه من نفائس الفوائد النثرية والشعرية وعرائس النكات والملح الأدبية والألغاز والمعمّيات مايروق الناظر ويسر الخاطر)). وبمثل هذا الكلام ترجم له الشيخ أبو الخير عابدين في آخر الثّبت: ((ومجموع جمع فيه من نفائس الفوائد النثرية والشعرية وعرائس الفوائد والألغاز والمعمّيات الأدبية مايروق الناظر ويسر الخاطر)).

وقال الشطّي في روض البشر: ((ومجموع كبير جمع فيه نفائس الفوائد النثرية والشعرية))[1].

وقال عنه الدكتور أبو اليسر إنه مفقود لم يعثر له على أثر.

٧- حاشية على المُطوّل

هذه الحاشية لم أعثر عليها مطلقاً، وهي في علم البلاغة حاشية على الشرح المطوّل على التلخيص، والمطوّل للسعد التفتازاني والتّلخيص للقزويني، ذكر هذه

---

(١) ر: التكملة ج١/ص٦ والثبت ص/٢٣٢ والترجمة الكتابية ص/٢وروض البشر ص/٢٥٠ ومابعدها، والمسموعات وأعيان دمشق لمردم بك ص/٣٩.

الحاشية السيد علاء الدين في التكملة والشيخ أبو الخير في آخر الثبت[1] وغيرهما من المؤرخين كالبيطار الذي أشار إليها في حلية البشر، وقال عنها الدكتور أبو اليسر إنها مفقودة لم يعثر لها على أثر، وذكرها الزركلي في الأعلام ج٣/ص٨٦٦.

و - علم التاريخ والسير

١- قصة المولد النبوي

وهذه الرّسالة لم أعثر عليها أيضاً، وقال عنها الدكتور أبو اليسر إنها مفقودة لم يعثر لها على أثر، وقد أثبتها كل من السيد علاء الدين في التكملة والشيخ أبو الخير في آخر الثّبت[2] والشطي في روض البشر.

٢- ذيل سلك الدرر

أمّا هذا الكتاب التاريخي الهام فلم أعثر عليه أيضاً بعد طول التتبع، ومن قَبْلي صرّح الدكتور أبو اليسر أنّه مفقود لم يعثر له على أثر، أثبته السيد علاء الدين في التكملة، فقال: ((ومجموع آخر ذكر فيه تاريخ علماء العصر وأفاضلهم جعله ذيلاً لتاريخ المرادي الذي هوذيل لتاريخ جده العلامة المحبي الذي هو ذيل لريحانة الخفاجي)). وبمثل ذلك صرح الشيخ أبو الخير في آخر الثبت:

((ومجموع ذكر فيه تاريخ علماء العصر وأفاضلهم جعله ذيلاً لتاريخ المرادي)).

---

(١) ر: التكملة ج١/ص٦ وما بعدها، والثبت ص/٢٣٢ وما بعدها، ومردم بك ص/٣٩.

(٢) ر: التكملة ج١/ص٦ وما بعدها، والثبت ص/٢٣٢ وما بعدها، والترجمة الكتابية ص/٢، وروض البشر ص/٢٥٠ وما بعدها، ومردم بك ص/٣٩.

وقال الشطّي في روض البشر: ((ومجموع آخر ترجم لهم أهل عصره لم نطلع عليه))(١).

ز- علم الحساب والهيئة

- مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور

هذه الرّسالة هي الرّسالة الثانية عشرة من الجزء الثاني من المجموع المطبوع تقع في أربع صفحات تقريباً ونيف،من ص / ١٨٢ إلى / ١٨٦ منه، موضوعها الكسور الحسابية الغبارية وكيفية القيام بالأعمال الأربعة الحسابية عليها تسهيلاً على من يريد تعلم المواريث لخّصها من نزهة الحساب لابن الهائم ثمّ نظمها رجزاً في أرجوزة ضمّت ١١٧ مائة وسبعة عشر بيتاً مزدوجاً كل بيت بقافية واحدة بشطرين بدأها بقوله:

يقول راجي عفو ربّ العالمينْ	محمد المدعوُّ بابن عابدينْ
باسم الإله قد بدأت نظمي	مصلياً على النبيّ الأمّي
وآله وصحبِه العظام	وتابعي الهدى على الدوام
وبعد ذا فهذه منظومة	منها الكسور قد غدت معلومة
جمعتها من نزهة الحساب	أرجو الرّضا في موقف الحساب
وماذكرت غير بحث الكسر	لأن غيره جلّي الأمر
ذكرتها منظومة ليحصلا	مراد من يَرُومُها ويسهلا
سميتها مناهل السرور	لمبتغي الحساب بالكسور(٢)

---

(١) ر: التكملة ج١/ص٦ ومابعدها، والثبت ص/٢٣٢ ومابعدها، والترجمة الكتابية ص/٢، وروض البشر ص/٢٥٠ ومابعدها، ومردم بك ص/٢٩.

(٢) مج الرسائل ج٢/ص١٨٢.

وإليك آخر الأرجوزة عاداً أبياتها:

ونجـــزت منظومـــتي المحـــررة	في مائـــة وســـبعة وعشـــرة
مُحَمْـدِلاً محوقـــلاً مصليـــا	على ختـام الأنبيـاء الأصفيـا[1]

من ذكرها من أصحاب التراجم:

١- السيد علاء الدين في التكملة: ((ومناهل السرور)).

٢- أبو الخير عابدين في آخر الثبت ص/٢٣٣.

٣- مرد م بك في أعيان القرن الثالث عشر ص/٣٨ مابعدها.

٤- ذكرها ابن عابدين في رسالة الجابي تحت رقم(٥).

٥- بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(٣١- مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور/ دمشق سنة ١٣٠١).

ر: بروكلمان ج٢ الذيل/ص٧٧٣.

آ- في الفهارس العامة:

١- إيضاح المكنون ج٢/ص٥٦٤.

٢- هدية العارفين ج٢/ص ٣٦٧و ٣٦٨ تحت رقم (٣٥).

الفتاوى العابدينية

مخطوطات بخط صاحبها في مكتبة الدكتور الشيخ أبو اليسر عابدين

قال ابن عـابدين الكبـير في رسـالته للجـابي: ((وغـير ذلـك مـن مجموعـات فتاوى وأشعار علمية وأدبية)).

---

(١) مص السابق ج٢/ص١٨٦.

وقال السيد علاء الدين في أول التكملة: ((وأمّا تعاليقه على هوامش الكتب وحواشيها وكتابته على أسئلة المستفتين والأوراق التي سوّدها بالمباحث الرائقة والرقائق الفائقة فلا يكاد أن تحصى ولايمكن أن تستقصى))(١).

وقال الشيخ أبو الخير في آخر الثبت: ((وله غير ذلك من النّظم والمراثي والتهاني والمديح والقواعد والضوابط))(٢).

وقال الدكتور أبو اليسر: ((لابن عابدين قرابة مائة فتوى بخطه وبعض أوراق من شعره مع منهوات كثيرة على رد المحتار بخط ابن عابدين ذاته فيها علم كثير))(٣).

وإليك نصّ فتوى من فتاويه:

(سئل فيما إذا كان لصغار نصف عُلْوِ جارٍ بقيته في ملك أبيهم المستور لامال لهم غير ذلك واحتاجوا للنفقة ويريد أبوهم بيع جميع العلو بثمن المثل فهل له ذلك والحالة هذه؟

الجواب نعم، وفي الخانية: (بيع الأب مال طفله من الأجنبي على ثلاثة أوجه؛ لأن الأب إما عدل أو مستور أو فاسد، ففي الوجهين الأوّلين يجوز عقده ولو عقاراً أو بيسير الغبن فلا يكون للطفل النقض بعد البلوغ لأن للأب شفقة وافرة ولامعارض له، فالظاهر أنّ مباشرته على الخيريّة فتنفذ، فلو ادعى الأب بعد ماطلب منه الثمن بعد البلوغ ضياعه أو الإنفاق عليه وهو نفقة مثله في مدته صُدِّقَ بيمنيه، وعلى الوجه الثالث لايجوز بيعه العقار إلا بأن يكون بضعف القيمة

---

(١) ر: التكملة ج١/ص٦ و٧ و٨ ومابعدها.

(٢) ر: الثبت ص/٢٣٣.

(٣) المسموعات ص/٨.

لمعارضة الفساد ظاهر الشفقة فما لم تظهر الخيرية لاينفذ، فللصغير نقضه بعد البلوغ وهو المختار وتمام مسائل بيع الأب في أدب الأوصياء من البيع))[1]....إلخ)).

ذيل البحث: تفاريق من آثار ابن عابدين:

آ- جاء في التقرير العلمي العابديني مايلي:

(وريقات كتب بها بعض أبيات عن الوديعة والعارية وخلاصة بينات في النكاح والطلاق والنفقات والعتق والوقف والبيوع والشفعة والإجارة والهبة والمضاربة وغيرها كثير حتى انتهى إلى القول: الكل من كتاب تعارض البينات للشيخ غانم البغدادي لخّصتها منه تقريباً على المفتي عند المراجعة، وكتبه محمد أمين في شهر رمضان ١٢٣٦).

ب- وجاء أيضاً فيه:

(مجموع أشعار وأحكام فقهية بأربع ورقات محرّرة بخط السيد علاء الدين)

ج- وجاء أيضاً فيه:

(ورسالة بخطّه - ابن عابدين الكبير - بالحبر الأسود عشر ورقات ٢٢×١٧ تحوي بعضاً من فتاواه بالوقف والطلاق).[2]

---

(١) قلت: ((وقد رأيت في دائرة المعارف للبستاني عند ترجمته لابن عابدين الكبير نصّ فتوى مصوراً عن خط المؤلف لفتوى كبيرة ربما ملأت صفحة كاملة من دائرة المعارف تلك فلتنظر هناك.

ر: دائرة معارف البستاني ج٣/ ص٣٢٤ و٣٢٥ و٣٢٦.

(٢) ر: التقرير العلمي العابديني في ملحق النصوص؛ مؤلفات السيد محمد أمين عابد ن

استدراك:

حاشية على الأشباه والنظائر (نزهة النواظر على الأشباه والنظائر) لابن عابدين الكبير

هذه الحاشية لم يَعُدّها أحد ممن كتب عن ابن عابدين أو بَحَثَ في آثاره، ولم أطلع عليها إلا بعد المناقشة ونيل درجة الأستاذية في الفقه وأصوله (الدكتوراه)، فكان ذلك أثناء التنقيح والتهذيب للدفع للطباعة، فلقد اتصل بي فاضل[1] لديه هذه الحواشي فأطلعني عليها، وتفضل وصوَّر لي راموز الورقة الأولى منها، وهي كراريس مكتوبة بخط تلميذ المؤلِّف الشيخ محمد البيطار بن حسن بن إبراهيم، وعليها تعليقات أيضاً صادرة عنه بخطه على هامش النسخة، وهي بحبر أسود وخط واضح ((تعليق))، وكلمة (قوله) بخط وحبر مغايرين، وعلى بعض الكلمات خط فوقها يدل على أنها من أول السطر أو فقرة حديث، وقد جردها الكاتب من النسخة المؤلِّف التي كتب الحواشي عليها، فَجَعَلَها في رسالة مستقلة.

أولها ((بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا الدين، وبعد، فيقول الحقير كثير الأوزار، محمد بن حسن بن إبراهيم البيطار، عامله الله بإحسانه وألطافه الخفية هنا وفي دار القرار، هذه حواشي رأيتها بخط سيدي وشيخي العلامة المحقق، والفهامة المدقق، سيدي السيد محمد عابدين، رحمه الله تعالى على هامش نسخته الأشباه والنظائر، فأحببت جمعها في كراسة خوفاً عليها من الضياع ورجاء دعوة صالحة من الإخوان، والله المسؤول أن ينفعني بها والمسلمين، ويوفقنا

---

(١) هو الدكتور محمد مطيع الحافظ حفظه الله ورعاه، قلت، وقد طبعت هذه الحاشية الموجزة مع أصلها وهو (الأشباه والنظائر) للعلامة زين الدين ابن نجيم ونشرتها مع مقدمة للمحقق دار الفكر بدمشق مشكورة.

أجمعين ويمن علينا بحسن الختام ويدخلنا الجنّـة دار السـلام، وماكـان مـن زيـاداتي نبهت عليه بقولي (يقول جامعه) وسمَّيتهـا (نزهـة النواظر علـى الأشـباه والنظـائر) جعلها الله خالصة لوجهه الكريم موجبة للفوز في جنّات النعيم».

وسأسوق نصاً من أول هذه الحاشية قال:

[قوله: «فإن نوى القربة» يعني الواقف المسلم لاالكافر لأنه ليس أهلاً للنيَّة لأن من شروطها الإسلام: حموي.

قوله: «فالأول لايحتاج في وقوعه عليها» أي المرأة وقوله (وإليها) أي النية

قوله: «ولكن لابد أن يقصدها» أي الزوجة].

المطلب الثالث: آثار ابن عابدين غير العلمية [الرسائل والمنقولات]:

ترك ابن عابدين تراثاً ضخماً جـداً مـن الآثـار العلميـة وغـير العلميـة، نـدر وجود مثلها، وهي في نظري كان ينبغي أن يقوم بها عشرة علماء من العصبة أولي القوة، وقد درسنا الآثار العلمية بمافيه الكفاية، وهنالك آثار غير علمية خلّفهـا لنـا ابن عابدين الكبير بعضها رسائل حظينا منها بثلاثة نصوص، وبعضها كتب نقلهـا بخطه ليس له فيها إلا النقل ومايصحبه من تصحيحات وتهميشات ونكات علميـة وفوائد فريدة، وقلّ أن تمر صفحـة منهـا لم يوشـحها ابـن عـابدين بقلمـه الكريـم ويوشيها ببراعته المعطاء. وإليك تفصيل ذلك بمافيه البيان:

الفرع الأول: الرسائل

الرسائل الشخصية التي دبّجتها ريشة ابن عابدين إلى أصحابه وتلاميذه فيها الكثير من أدبه الجم وحيائه ونبله وكرم مَحْتِده، ومـن يقـرأ نمـاذج لهـذه الرسـائل تتصور أمامه شخصية ابن عابدين بالألوان، إنساناً بكـل مـافي الكلمـة مـن معـانٍ،

بحيث ينسكب الأدب مع العلم مع النبل إلى فضل وحسب ونسب وعراقة نِجَار وتكون تلك السبيكة الذهبية من ذلك كلّه وننظر ثم نحدّق فإذا هي ابن عابدين..

وقد حظيت برسائل ثلاث لم أحظ بغيرها من رسائله التي دبّجها بقلمه، أنقل إليك نصّها وعندي أصولها.

النّص الأول

رسالة من العلاّمة ابن عابدين للشهاب الآلوسي

النّص

بسم الله الرحمن الرحيم

(حمداً لمن أوصل تحفة المطالب وبدائع صنائعها لطالب الرغائب، وأنعم بهداية العقول وعناية الوصول إلى معراج الدارية بغاية البيان، ونيل المواهب من منن الرحمن، فظهر بفتح القدير على العاجز الفقير رد المحتار لتنوير الأبصار واستخراج الدّر المختار من البحر الرائق، وتبيين الحقائق من كنز الدقائق وكشف خزائن الأسرار محلّى بدرر البحار وغرر الأفكار[١] بِيُمْنِ إدلال من دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى[٢] في المشهد الأعلى، والمعهد الأغلى، صلى الله عليه صلاة كان لها أهلاً، وسلم سلاماً هو به أولى، وعلى آله معدن كل كرم وجود، وأصحابه الذين أعزّبهم الوجود، ماسلّت السحائب صوارم بروقها فوق رؤوس الأشجار وكست النسائم بزرد خفوقها متون الأنهار.

---

(١) من أول الرسالة إلى هذا الموضع يسمى عند البلاغيين(براعة استهلال) يشير بها إلى أبرز مصادر حاشيته /رد المحتار/ من الناحية الفقهية.

(٢) هنا اقتباس من القرآن الكريم من سورة النجم.

وبعد، فأهدي سلاماً يهزأ بفتيت المسك الأذفر، وتحايا يفوق عبيرها نكهة العنبر إلى فارس ميدان البلاغة الذي لم يبلغ أحد في حلبات السبق بلاغه، مجمع البحرين وملتقى النّيرين، خلاصة أهل التّنقيح والتّوضيح، ومغني اللبيب عن التصريح[1] بالتلويح، البحر العباب والحاوي لمنهج الصواب، روضة الآداب، وبهجة الآراب، سيدي الإمام الأوحد، والعلم المفرد، محمود الأفعال، ممدوح الأقوال، لازالت رماح أقلامه تأسر كل معنى أنيق، فتُحرِّرُ كل لفظ رقيق، وعساكر أفهامه تجول في مهامه كل عويص، وتباري كل غويص، لتكسر جيوش المشكلات، وتفتح حصون الخفيات، ولابرحت أقلام الفتيا مورقة ببنانه، مثمرة بكل حكم صحيح يُجْتَنَى ببيانه، هذا وقد ورد الكتاب ياقوتيّ المباني، جوهريّ الألفاظ والمعاني، فلله در أنامل ذرّت عنبر مداده، على صفحات قرطاسه، ودرّ فطنة أطلعت من مشكاة بلاغتها نور نبراسه، ففي مختصره مطوّل المدح، وفي تلخيصه مايغني عن الحاشية والشرح، حيث اشتمل على صفات منشيه الباهرة، لكنه رآها في غيره ظاهرة، وقد أنبأ عن تشوّف جنابه السامي وتشوّق فضله النامي إلى استكتاب الحاشية التي هي قطرة من بحره، لتنال شرفاً برفعة قدره، وأنّى لها بكفءكريم، مثله تزفّ إليه، وبخاطب جليل تعرض لديه بين يديه، فهي مقيمة في الخدر، تنتظر صدور الأمر، فتخرج من حجابها، وتكشف عن نقابها، وتفتخر على أترابها، وتتباهى على طلاّبها، وتحمد مولاها على ماأولاها، والسلام الذي تأرجت نفحاته تعم ساحتكم ورحمة الله وبركاته))[2] اهـ.

---

(١) في ذكر هذه الكتب إشارة إلى مصادر الحاشية من الناحية الأصولية والنواحي النحوية وغيرها.

(٢) هذه الرسالة منقولة عن مجلة المجمع ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ـ المجلد ١٩ ج١١ و١٢ ص٥٢١ و٢٢و ٢٣ من مقال لطه الراوي يحلل فيه كتاب (حديقة الورود في أخبار أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود) الذي ألفه الشيخ عبد الفتاح آل الشواف وأثبتها فيه يقول الأستاذ الراوي في مقاله: ((وإلى القارىء رسالة من إنشاء الشيخ محمد أمين
يتبع ⇐

النص الثاني

(رسالة ابن عابدين لتلميذه الجابي)

((من رسالة بقلم ابن عابدين وخط تلميذه الجابي في آخر رسالة شفاء العليل المخطوطة في ظاهرية دمشق ص/٢٤و٢٥ منها نقلاً عن خط ابن عابدين على ظهر ثبته الذي بعثه إلى محمد بن عثمان الجابي تلميذه في منين)).

(بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لانبيّ بعده.

وبعد، فقد طلب منيّ الولد القلبي، والحبيب اللبيّ، الفاضل الكامل، السيد محمد بن المرحوم السيد عثمان الشهير بالجابي، بعد استكتابه لهذه النسخة[1] الشريفة التي جمعت فيها أسانيد شيخنا العلاّمة المرحوم السيد شاكر العقاد - أن أكتب له أسماء الكتب[2] التي منّ الله تعالى بجمعها على أقل عبيده، فأقول إجابة لطلبته، وإنجازا لرغبته:

١- ممّا منّ الله تعالى به الحاشية التي سمّيتها (رد المحتار على الدر المختار) المشتملة على تنقيح عباراته، وتوضيح رموزه وإشاراته، وبيان ماهو الصحيح المعتمد، وماهو معترض ومنتقد، وتحرير المسائل المشكلة، والحوادث المعضلة التي لم يكشف لثامها أحد قبل ذلك، ولاسلك في طريق خدرها سالك، جامعة لزبدة مافي زبر المتقدمين، وتحريرات العلماء المتأخرين، ولايقف على حقيقة مافيها

⇐

المعروف بابن عابدين... بعث بها إلى الشهاب الآلوسي جواباً عن رسالة كان الآلوسي كتبها إليه يطلب منه نسخة من حاشيته على الدر المختار نَنْقُلها برمتها) اهـ.

(١) أقول: ((أي نسخة ثبته المسمى بـ (عقود اللآلي في الأسانيد العوالي) المعروف بـ (ثبت ابن عابدين))).

(٢) ومن هذا النص نعلم أن هذه الرسالة ثبت آثار ابن عابدين بقلمه.

إلا من غاص بثاقب فكره في نيار معانيها، وقد بلغ ماكتبته الآن مايزيد على مئة وثمانين كراساً، أرجو من كرمه سبحانه قبول سعيي فيها. وتيسير اكمال باقيها.

٢- ومن ذلك (العقود الدّرية في تنقيح الفتاوي الحامدية) في مجلد كبير.

٣- و(نسمات الأسحار) على شرح العلائي على متن المنار المسمى بـ (إفاضة الأنوار).

٤- و(الرحيق المختوم في شرح قلائد المنظوم) في علم الفرائض.

٥- والنظم المسمّى (مناهل السرور لمبتغي الحساب بالكسور).

٦- وشرح رسالة العارف البركوي، والمؤلّفة في أحكام الحيض سميته (منهل الواردين من بحار الفيض في شرح البركوي في الحيض).

٧- وكتاب (تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام).

٨- و(تنبيه ذوي الأفهام على أحكام التبليغ خلف الإمام).

٩- و(الفوائد المخصّصة في أحكام كيّ الحمّصة).

١٠- و(إتحاف الذكي النبيه بجواب مايقول الفقيه)، شرحت بذلك البيتين المشهورين وهما:

((ما يقول الفقيه أيده اللـ ـه ولازال عنده الإحسان
في فتى علّق الطلاق بشهر قبل ماقبل قبله رمضان؟))

ذكرت في الشرح مايشرح الصدر ويجلي - كذا - الذهن والفكر.

١١- ومن ذلك (الإبانة عن أخذ الأجرة على الحضانة).

١٢- وشفاء العليل وبل الغليل في بطلان الوصية بالختمات والتهاليل[1].

١٣- و((رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه))،وهي قوله: ((من قال إن الأنبياء لم يعصوا فقد كفر)).

١٤- ((وتحرير النقول في النفقة على الفروع والأصول)).

١٥- و((إعلام الأعلام بأحكام الإبراء العام)).

١٦- و((تنبيه الرقود على أحكام النقود)).

١٧- و((رفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد)).

١٨- و((العقود الدّرية في قول الواقف، على الفريضة الشرعية)).

١٩- و((رفع الانتقاض ورفع الاعتراض عن قولهم، الأيمان مبنية على الألفاظ لاعلى الأغراض)).

٢٠- و((بغية الناسك في أدعية المناسك)).

٢١- و((إيقاظ النائم الوسنان في أحكام هلال رمضان))

٢٢- و((سلّ الحسام الهندي في نصرة خالد النقشبندي)).

٢٣- وأرجوزة (عقود رسم المفتي وشرحها) اشتملا على عجائب وغرائب.

٢٤- و((نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف) فيها أيضاً عجائب غريبة.

٢٥- و((تحرير العبارة فيمن هو أحق بالإجارة)).

٢٦- و((تحبير التحرير في إبطال القضاء بالغبن الفاحش بلاتغرير)).

٢٧- و((الأقوال الواضحة الجلية في مسألة نقض القسمة ومسألة الدرجة الجعلية)) هو شرح لمسألة السبكي الواقعة في الأشباه.

---

(١) قال الكاتب للرسالة ـ الجابي: ((أي هذه الرسالة الشريفة))اهـ.

٢٨- و(غاية المطلب في اشتراط الواقف عود النصيب إلى أهل الدرجة الأقرب فالأقرب).

٢٩- و(غاية البيان في أن وقف الاثنين على أنفسهما وقف واحد لاوقفان).

٣٠- و(شرح أبيات العروض للغزّي).

٣١- و(فتح رب الأرباب على شرح نبذة الإعراب).

٣٢- و(الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة).

٣٣- و(العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر).

٣٤- و(إجابة الغوث في بيان الأقطاب والأبدال والأوتاد والغوث).

٣٥- من ذلك (منحة الخالق على البحر الرايق) علقتها على هوامشه و لم أجرّدها بعد، تبلغ جزءاً ضخماً.

٣٦- و(حواشي على النهر الفائق).

٣٧- و(حواشي على حاشية الحلبي على الدر)[1].

٣٨- ونحو لمانمائة بيت في (نظم متن الكنز) لم يكمل بعد.

وغير ذلك من مجموعات فتاوى وأشعار علمية وأدبية أرجو سبحانه القبول والعفو التام مع حسن الختام. كتبه أفقر الورى محمد عابدين عفي عنه آمين)).

ذيل الرّسالة:

آ- يقول الجابي المذكور مانصّه في ذيل رسالة ابن عابدين آنفة الذكر: ((ثمّ بعد ذلك ألّف رسالة سمّاها (تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكم بنقض الدعوى بعد الإبراء العام)، وأرسل لي منها نسخة للمحروسة المحمية، قدس الله تعالى

---

(١) أقول: هو ((رفع الأنظار عما أورده الحلبي على الدر المختار)).

روحه الزكية. ونفعنا بعلومه الألمعية، وجمعنا به تحت لواء سيد البرّية ﷺ أملاه خويدم جنابه السامي محمد بن عثمان الجابي - المنيني)).

أقول: ((ويقصد (بالمحروسة المحمية) بلدته (منين) وهي قرية في شمالي غربي دمشق بدليل أنّ هناك ختماً في ذيل كلامه بلفظ (منين) فوق كلمة (المحروسة)، وهذه الرسالة في آخر رسالة شفاء العليل الخطية في ظاهرية دمشق تحت رقم (عام ١٠٣٤٤) ص/٢٤ و٢٥.

ب- وفي أول الرسالة العبارة التالية من كلام الجابي المذكور توّج بها الرسالة التي بعثها إليه شيخه ابن عابدين: ((صورة ماحرره شيخنا المعظم وأرسله للفقير بخطه المكرّم على ظهر ثبته للمحروسة العليّة، في بيان مؤلفاته، نفعنا الله تعالى بها وضاعف أجره إلى ماليس له منتهى آمين)).

النص الثالث

تقريظ ابن عابدين لأحد قضاة دمشق في عصره[١]

(بسم الله وبحمده، والصلاة، والسلام على نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه وجنده، وبعد فيقول مؤلّفه أفقر العباد، إلى عفو مولاه يوم التناد، محمد أمين، الشهير بابن عابدين، خادم العلوم الشرعية، في دمشق الشام المحمية قد نجز تسويد هذا النصف المبارك[٢]، بعون الله جلّ وتبارك، من الحاشية المسماة رد المحتار، على الدر المختار، في صفر الخير سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف، من هجرة نبينا محمد الذي تمّ به الألف ﷺ، وشرفه وعظم، فجاء بحمد الله تعالى مكمّلاً فرعاً وأصلاً، ردّاً للمحتار، على الدرّ المختار، اسماً وفعلاً، لاشتماله على تنقيح عباراته،

(١) هو القاضي عبد الحليم كيخيه جي زاده.

(٢) أي نصف الجزء الأول من حاشية رد المحتار الذي استكتبه القاضي المنوه به.

وتوضيح رموزه وإشاراته، والاعتناء ببيان ماهو الصحيح المعتمد وما هو معترض ومنتقد، وتحرير المسايل المشكلة، والحوادث المعضلة، التي لم يوضح كثيراً منها أحد قبل ذلك، ولاسلك مهامه بيانها سالك، مشحوناً بذخاير زُبُر المتقدمين. وخلاصة كتب المتأخرين ورسايلهم المؤلفة في الحوادث الغريبة، الجامعة للفوائد العجيبة، كرسايل العلاّمة ابن نجيم الأربعين، ورسايل العلاّمة الشرنبلالي الستين، وكثير من رسايل العلاّمة علي القاري خاتمة الراسخين، ورسايل سيدي عبد الغني النابلسي الحبر المتين، ورسايل العلامة قاسم خاتمة المجتهدين، وحواشي[1] البحر والمنح والأشباه وجامع الفصولين للفهامة الشيخ خير الدين، وفتاوى[2] الخيرية وفتاوى ابن الشّلبي والرحيمي والشيخ إسماعيل والفتاوى الزينية والتمرتاشية والحامدية وفتاوى غيرهم من المفتين، وتحريرات شيوخنا ومشايخهم المعتبرين، ومامّن الله تعالى على عبده به من الرسايل التي ناهزت الثلاثين، وماحرّرته ونقّحته في كتابي تنقيح الفتاوى الحامدية الذي هو بهجة للناظرين، وغير ذلك من كتب السادة الأخيار المعتمدين، مع بيان ماوقع من سهو أو غلط في كتب الفتاوى وكتب الشارحين، ولاسيما ماوقع في البحر والنهر والمنح والأشباه والدرر وكتب المحشّين، حتى صار بحمد الله تعالى عمدة المذهب، والطّراز المذهب، ومرجع القضاة والمفتين، كما يعلمه من غاص بأفكاره، في تياره من العلماء العاملين،

---

(١) قلت: ظفرت بهذا التقريظ بخط أحد تلاميذ ابن عابدين في آخر الجزء الأول من نسخة رد المحتار المخطوطة في ظاهرية دمشق، وقد كتب ناقل هذا التقريظ في أوله العبارة التالية من إنشائه:

((وقد استكتب بعض قضاة دمشق النصف الأول في حياة المؤلف رحمه الله وقرظ له المؤلف مارقم أدناه مادحاً له فأحببت إلحاقها هنا تبركاً بالمؤلف وهو هذا)) اهـ.

(٢) كتبتها هنا كما جاءت في الأصل حرصاً على أمانة النقل والأحسن (والفتاوى الخيرية) اهـ.

الخالين عن داء الحسد، المضني للحسد، الصادقين المنصفين، فدونك كتاباً قد أعملت فيه الفكر، وألزمت فيه الجفن السّهر، وغرست فيه من فنون التّحرير أفناناً، وفتقت فيه عن عيون المشكلات أجفاناً، وأودعت فيه من كنوز الفوايد، عقود الدرر الفرايد وبسطت فيه من أنفع المقاصد، أحسن الموايد، وجلوت فيه على منصة الأنظار، عرايس أبكار الأفكار، وكشفت فيه بتوضيح العبارات، قناع المخدّرات، و لم أكتف بتلويح الإشارات عن تنقيح كشف تحرير الخفيات، فهو يتيمة الدهر، وغنيمة العصر، وماذاك إلا بمحض إنعام المولى، الذي هو بكل حمد وشكر أحقّ وأولى، حيث أبرز هذه الجواهر المكنونة، والدرر الفرايد المصونة في ميمون أيام خليفة الله في أرضه، القائم بواجب حقه وفرضه، رافع ألوية الشريعة البديعة ومؤيدها، وموطّد أبنيتها المنيعة الرفيعة ومشيدها المجاهد في سبيل الله حق جهاده والقاطع لدابر الكافرين بجده واجتهاده الذي ابتسمت ثغور البلاد بارقات مرهفاته وبكت عيون عيون ذوي العناد لقاهرات عزماته، وأبدع نظام كتائب الجيوش بآرائه السديدة، ودفع أفئدة الأكاسرة والقياصرة بقوة بطشته الشديدة، يكاد سنا برق طلعته يذهب بالأبصار، وغصن رأمته يميس ليناً كميس الأغصان ذات الأزهار، وتكاد صواعق سطوته تزيح صمّ الجبال، ومواكب كتائن حوزته تفني عدد الرمال، من أنام الأنام في أيامه في ظل الأمان، ورعى الرعية في مراعي الرعاية والإحسان، وأنار بنوّار رياض أمنه بلاد المسلمين فضاء فضاء صدورهم بنور اليقين، وأزاح غيوم غمومهم بردع المشركين، فلاح فلاح قلوبهم لأعين الناظرين، وراح راح غفلاتهم بإيقاظ النائمين، فصاح فصاح ألسنتهم بالدعاء له كل حين:

خليفة خلفت أنوارُ غُرَّتِه	شمسَ الضّحى، ونداه يخلف الدِّيَما
سالت فواضله للمعتفي نعماً	صالت نواضله للمعتدي نِقَما

السلطان الأعظم، والخاقان الأفخم، تاج ملوك العرب والعجم، ظل الله في أرضه للأمم، محمود الذات ممدوح الصفات، لازالت دعائم سلطنته قائمة، وعيون الحوادث عنها نائمة، ولابرحت رياض عزته مخضّر بديم الديمومة والأبود، ورياحين ذريته ريانة بطلاوة التأبيد والخلود، ولازالت أعيان دولته من علمائه وقضاته ووزرائه، يزيل نبراس آرائهم دجى الجور بسناه وسنائه، ولافتئت نجوم جنوده الساطعة في أفلاك سمائه، شهباً ثواقب على مردة أعدائه، آمين آمين آمين.

هذا وقد نجز هذا السّفر المسفر، عن روض أريض مزهر، مقابلة وتصحيحاً بحسب الإمكان، سوى ماشذّ بعروض سهو أونسيان، لاتخلو عنه جبلّة الإنسان، وذلك برسم من أمر باستكتابه رغبة في نيل رضى مولاه وثوابه، الإمام الهمام، عليّ القدر والمقام من امتطى الجوزاء بزمام وصال في مواكب العزّ وحام، واشتهر اشتهار البدر في الظلام، قاضي قضاة الإسلام منفذ القضايا والأحكام بالإتقان والإحكام، ذي الخيرات الحميدة، والمآثر الفريدة التي لاترام، مولانا عبد الحليم أفندي كيخيه جي زاده القاضي سابقاً بدمشق الشام، دام في عزّ وإنعام ومجد واحترام، بجاه من هو للأنبياء ختام وآله وصحبه السادة الكرام، عليه وعليهم الصلاة والسلام في البدء والختام. كتبه أسير وصمة ذنبه الراجي عفو ربه محمد أمين، الشهير بابن عابدين، غفر الله تعالى له ولوالديه، ولكل المسلمين، آمين، آمين، آمين)).

١٤ محرم ١٢٥٢هـ[١] و[٢].

---

(١) أي قبل وفاة ابن عابدين الكبير صاحب هذا التقريظ بقرابة شهرين وسبعة أيام فقط إذ وفاته في ٢١ ربيع الأول سنة ١٢٥٢هـ.

(٢) قلت: (وهذا التقريظ موجود بنصه في الجزء الثالث من مطبوعة الحاشية بولاق ١٢٧٢ في ص/٢١٥ منه ومابعدها لكن اسم القاضي هنا هو عبد الحليم كحي زاده خلافاً لما ذكر هناك فلينظر).

الفرع الثاني: المنقولات بخط ابن عابدين

كان ابن عابدين آية من آيات الله في علو الهمّة، وحجة من حجج الله على خلقه في ذلك، فلم يكتف بتأليف الألوف من الصفحات من تصنيفه مما يعجز عنه العصبة أولو القوة من أهل العلم، بل قام بنقل الألوف من الصفحات أيضاً من غير تصنفيه لتكون مرجعاً له حين التصنيف...!!

لم تكن الطباعة قد وصلت دمشق آنئذ كما هو معلوم، فإن أول مطبعة بالحروف العربية دخلت الشرق وفدت مع نابليون بونابرت حين فتح مصر، ولم تدخل الطباعة إلى الشام إلا بعد وفاة ابن عابدين بزمن، فكان النُسَّاخ والوراقون يستنسخون الكتب للعلماء بخطهم ويبيعونهم إياها، لكن بعض الكتب كانت عزيزة على قلوب بعض أهل العلم أثيرة لديهم، فماكانوا يسمحون لها بأن تصل ليد النُسَّاخ والوراقين، بل كانوا يعيرونها لزملائهم شريطة أن يستنسخوها هم بأنفسهم وبخطهم، كيلا تضيع قيمتها أوينقص منها شيء لايعوض فيما بعد. وهكذا كان ابن عابدين يكتب بخطه الألوف من الصفحات من هذه الكتب المعارة له لتكون فيما بعد من مراجع تصنيفه وفي متناول يده ولكن العجيب أن هذا العَلَم صنع ذلك كله في عمر قصير يقدّر بأربع وخمسين سنة هجرية أوخمسين سنة ميلادية، مع ماترك لنا من تراث هائل، ترى لو عُمِّر ثمانين سنة فما كان يصنع؟ ألا إنّه الفتح الإلهي ﴿مايفتَحِ اللهُ للنّاسِ مِنْ رَحْمةٍ فلا مُمْسِكَ لها﴾[1] وماأجمل قول بعض العارفين: ((الفتح يأتي على قدر الهمّة)). وبعد؛ فقد جاء في التقرير العلمي العابديني في شأن المنقولات التي نقلها ابن عابدين بخطه وليست من تأليفه:

١- (كتاب إفاضة الأنوار على أصول المنار للشيخ علاء الدين الحصكفي مكتوبة بالحبر الأزرق والأحمر عليها هوامش عديدة وكثيرة بنفس قياس نسمات

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢.

الأسحار ومجلّدة معه، وقع الفراغ من نسخها على يد المرحوم محمد أمين عابدين في ٤ شوال ١٢٢٢ وعليها قراءات).

٢- (رسالة في أقسام الحديث الضعيف للشيخ الإمام محمد بن خليفة الشوبري، ورسالة في بيان أقسام الضعيف، جمع الشيخ إسماعيل الجراحي العجلوني، بالحبر الأسود والأحمر الأولى في ست صفحات انتهى كتابتها في صفر ١٢١٦، والثانية في خمس ورقات انتهى من كتابتها في ربيع الأول ١٢١٧ وهما مجتمعين بخط السيد محمد أمين قياس ١٧×٢٢).

٣- (رسالة عيسى بن موسى الطولوني في كيفية الطلب والاستمداد من رجال الغيب ثماني ورقات بالحبر الأسود ورق قديم ١٦×٢٠ بخط السيد محمد أمين)[١].

وجاء في التقرير العلمي العابديني تعليل لذلك:

(إن سبب إيراد الرسالتين ٢٢و٢٣ بخط السيد محمد أمين رغم أنهما ليستا من آثاره الشخصية لما قد تحويانه من بعض تعليقات وحواش أضافها مِنْ قِبَلِهِ)[٢].

المطلب الرابع: ملاحظاتنا على الآثار:

١) الملحوظة الأولى:

من خلال دراستنا الميدانية السابقة لآثار ابن عابدين، يتبين لنا بعد البحث والتأمل في كل ماترك من مخطوط ومطبوع، أنّه كان يكتب ذلك كله بخط يده، وماكان

---

(١) ر: التقرير العابديني في ملحق النصوص في آخر هذه الرسالة.

(٢) ر: الملحق العابديني في ملحق النصوص.

يوكّل أحداً بذلك لافي تسويد ولافي تبييض ولامن تلاميذه، فقد كان يخشى منهم مزيد السهو والغلط والتصحيف، ولامن أولاده فليس له إلا غلام ذكر واحد هو السيد علاء الدين كان عمره يوم توفي أبوه ثماني سنوات تقريباً، فماكان يعينه في تصنيفه أحد، هذا ماظهر لي من الاستقراء التام لكل مامضى من آثار.

لكن إذا طلب أحد منه نسخة من كتبه استكتبها من قبل بعض الناس، أو أعطى نسخته الخاصة للطالب إذا كان بدمشق فكتبها لنفسه، وهذه حالة نادرة جداً أولا تكاد تقع، والأولى أكثر يشهد لذلك نسخة رد المحتار التي استكتبها ابن عابدين لقاضي الشام الأسبق(كيخيه جي زاده) المتقدم ذكره وهي نسخة ظاهرية دمشق[1].

٢) الملحوظة الثانية:

في نهايات الكتب المخطوطة من آثار ابن عابدين فوائد جمَّة مثل تقاريظ وسماعات وطرر وفوائد وإجازات ووقفيات وتواريخ ولادات ووفيات وأشعار وألغاز وحكايات مفيدة، وأكثر ذلك بخط ابن عابدين ممّا يجعل لهذه الآثار قيمة زائدة على قيمتها الأصلية، إذ يكون ذلك بمثابة كشّاف يكشف عن العصر والبيئة والأعلام المعاصرة وغير ذلك، ولقد كان فيها من الفائدة ماجعلنا نعدّها من مصادر هذا البحث، ولو امتدّ بي البحث قليلاً لقمت باستقراء تام لهذه النهايات والفوائد ونسقتها وجمعتها في كراس واحد وصنعت دراسة حولها مستوعبة تكشف عن كثير من خبايا البحث، ولعلّ ذلك يتيسر في طبعة قادمة بمشيئة الله، ونصيحتي لكل دارس لابن عابدين ألاّ يهمل هذا الجانب الذي قد لايؤبه له وهو كنز مخبوء فيه من الخير الكثير والكثير.

---

(١) تحت رقم عام (١٠٩٦٨ و ١٠٩٦٩و ١٠٩٧٠) كتبها أحمد عمر علي أديب لصالح القاضي المذكور.

٣) الملحوظة الثالثة:

جاء في التقرير العلمي العابديني مايلي:

(إن ماورد في التكملة للسيدْ علاء الدين في ترجمته لوالده من أنّ له رسـائل في الأوقاف، لم نعثر على سوى ماورد من رسائل ولعلّها أبحاث تضمنتها كتبـه أو قد تكون ممافقد)[١].

٤) الملحوظة الرابعة:

وجاء أيضاً في التقرير المذكور:

(إن ماورد من آثار ومخطوطات ليس حصراً، فقد يجـدّ شـيء بـالعثور علـى مخطوطات أخرى، لأن هذا ماوصلت إليه يدي في مكتبتنا مع البرهة القصيرة جـداً لإعداد اللوائح وسأعلمكم فور العثور على أية آثار أخرى)[٢].



---

(١) ر: التقرير العابديني في ملحق النصوص.

(٢) ر: التقرير العابديني في ملحق النصوص.

المبحث الثالث

التقارير العلمية حول آثار ابن عابدين

التقارير العلمية حول آثار ابن عابدين تنحصر في التقاريظ من علماء عصر ابن عابدين لبعض هذه الآثار، لكونهم استحسنوها فأيدوها بتقاريظهم، وفي الردود والمناقشات لهذه الآثار من علماء معاصرين لابن عابدين أو ممن جاؤوا بعده، خالفوه فيما ذهب إليه من وجوه الرأي فناقشوا أوردُّوا قوله، ونحن فيما سنعرضه من تقاريظ وردود ومناقشات سنستثني رد المحتار لكونها أفردت بتقاريظها وردودها بدارسة مستقلة في باب على حدة هو الباب الثالث من هذا الكتاب، وسيكون كلامنا فيما عدا حاشية رد المحتار من تلك الآثار.

المطلب الأول : التقاريظ بنصوصها :

لاريب أن كتب ابن عابدين ورسائله لم تحظ كلّها بتقاريظ، كما لم تقابل كلها بردود، بل إنّ من هنالك من هذه الكتب والرسائل ماقرّظ ووصلنا ذلك التقريظ، وهنالك مالم يصلنا، كما هنالك من الردود ماوصلنا وهنالك ماعرفنا اسمه من كلام ابن عابدين ذاته و لم نعثر عليه.

وإليك بعد هذا ماعثرنا عليه من التقاريظ لبعض آثار ابن عابدين، باستثناء حاشية رد المحتار فنحيلك فيها إلى الباب الثالث من هذا الكتاب.

آ - تقاريظ رسالة (شفاء العليل وبل الغليل في حكم الوصية بالختمات والتهاليل)

١ - تقريظ العلاّمة الشيخ أحمد الطحطاوي (المصري)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل فؤاد الحاسدين لمهنّد النصر غمداً* وصيّر كلوم الحائدين لمنصة الرد ورداً* وصلاةً وسلاماً على أشرف رسول الذي أنزل عليه للمعاندين لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا* وعلى آله وأصحابه الذين سيجعل لهم الرحمن ودّا * مابشر بشير المتقين وأنذر قوما لدّا[1] (أمّابعد) فقد اطلعت على هذه الرّسالة الثمينة * التي هي لنفائس الصواب خزينة * المسماة بشفاء العليل * وبل الغليل * في حكم الوصية بالختمات والتهاليل * فوجدتها رفيعة الشأن * زاهية العرفان * أنوارها قرآنية * وإمداداتها ربانية * مطوّق البلاغة يشرب من حيضانها * وبلابل التحقيق تصدح في ذرى أفنانها * تكفلت بجمع أصح النصوص دون أضعفها * وتصدرت لحل مشكلات المسائل بلين معطفها

رجال الفقه إنْ تليت عليهم ... مسائلها صحيحات المقام
أقروها وقالوا باتفاق ... فإنّ القول ماقالت حَذامِ

فلله درّ يراع زركش تلك الرياض السندسية * ولله فكر إمام حقق تلك المسائل الأصلية والفرعية * تحقيقاً لايصد عنه إلا حسود سد حسده باب الإنصاف، أوجاهل حمله الجهل على النزول إلى حضيض الاعتساف.

إذا ماقال حبرٌ قول حق ... وبعض معاصريه صدّ عنه
فإمّا أن يكون له حسوداً ... يعاديه على ماكان منه

---

(١) هذه الجملة اقتباس من القرآن الكريم من سورة مريم كما لا يخفى.

وإمّـــا أن يكـــون بـــه جهـــولاً   وصــدّ الفمـــر عنـــه لم يثـــنه

فكفى الحسود ماأفصحت عنه سورة الفلق وكفى الجاهل عنوانه* ونو انقضى زمانه* والمأمول من وليّ التوفيق، أن يسلك بنا أقوم طريق، وأصلي وأسلم على ذروة الأنام. رسول الملك العلاّم. سيدنا محمد وآله الكرام. الفقير إليه تعالى أحمد الطحطاوي غفر له(١).

٢- تقريظ الشيخ عمر المجتهد

الحمد لله الذي زيّن السماء بالكواكب * وجعل العلماء سرجاً يستضاء بهم في النوائب * وألهم من عباده من شاء لإيقاظ النائمين * ونصب من أراد منهم لإنقاذ الهالكين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناطق بالصواب * وعلى آله وصحبه ماناح طير وآب (أما بعد) فلمّا أتحفت بالنظر إلى هذه الرسالة المسماة بشفاء العليل وبلّ الغليل * في حكم الوصية بالختمات والتهاليل * على مذهب النعمان * تخيّل لي من حسنها أنّها عقد جمان * أو روضة بستان * فأولعت بها حتى أسهرت فيها الأجفان * فرأيتها ذات أفنان * محدقة بشقائق النعمان مسيجة بالورد والسوسان * فلله در مؤلفها على ماأجاد فيها وأبدع * ولدرر الفوائد أودع فقد التقطت مما نثر قلمه من الدرر * وسرحت الطرف في تلك الغرر * وكيف لا ومستندها الطريقة المحمدية. ومعظم الكتب الفقهية. مؤيّدة مع المعقول بالمنقول، ومع الفروع بالأصول * فجاءت على منوال لم يُسبَق إليه * ونمط لم يلحق عليه * فأعذتها برب الفلق * من كيد الحاسد وبالعلق.

---

(١) وقد كتب الشيخ أبو الخير عابدين في خاتمة الرسالة المذكورة قبل التقريظ العبارة التالية (هذا تقريظ العلامة السيد أحمد الطحطاوي مفتي مصر القاهرة وصاحب حاشية الدر المختار الفاخرة).
ر: مج الرسائل ج١/ ص١٩٨ ومابعدها.

وقلت:

أيـا ابـن العـابدين وقيـت شـرّا ... مـن الحسّـاد في جنـح الليـالي
وطوّقـت الأمانـة فيـك جـبرا ... فـلا تخشـى وطـأ أوج المعـالي

ثـمّ تـأملت هـذه الرسـالة فرأيتهـا صغيرة الجـرم * لكنهـا غزيـرة العلـم * كمؤلفها فإنه مع حداثة السن * هو كبير في الفن* ويستدل بعرف طيبهـا * على فضل مؤلفها ولبيبها * ومع ذلك وإن خالف فيها صاحب الجوهـرة الحـدادي * والحاوي للزاهدي * لكنه مشى فيها على مـاهو المشهور مـن المذهـب * والمعوّل عليه من المطلب * فإن كتب المذهب بما نقله فيها طافحة * والعبـارات في المسئلة واضحة * فجزى الله جامعها الخير في دنياه وأخراه * ووفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه * بجاه سيدنا محمد خير أنبياه وأصفياه *ورزقنـا الإخـلاص في العلـم والعمـل بجـاه سيد الأنام * ومنحنا وإياه والمسلمين حسن الختام.

(رَقَمه ببنانه وقاله بلسانه عمر بن أحمد المجتهد لقبـاً الحنفي مذهباً عفي عنه)

٣- تقريظ الشيخ محمد بن عمر الكاتب النجدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح سبيل الرّشاد لمن اتخذه سبيلاً * وألزم أهل الإخلاص كلمة التقوى إذ كانوا أحقّ بها وأهلها ومابدلوا تبديلاً * فسبحان من أسعفهم في طلـب مرضاتـه * والدعـاء إلى جناتـه * و لم يشـتروا بآياتـه ثمنـاً قليـلاً * وصلواتـه وسلامه على من أقام به على عباده الحجّة * وأوضح به المحجّة * وقطـع بـه العذرة و لم يجعل لأحد أراد الوصول إليه على غير طريقه وصـولاً * وعلـى آلـه وأصحابـه الذين بذلوا نفوسهم في محبته ونصرته وصبروا على ذلك صـبراً جميـلاً * وتـابعيهم بالكشف عن سنتّه الغراء كل ملّمة * الجالين عن أرجائهـا كـل مدْلهمَّـة* مـن قـام بهم الكتاب وبه قاموا فكم أحيوا لإبليس قتيلاً * فلله ماتحمله المُتحمّلون لأجلـه * ابتغاءً لمرضاته وفضله * فأعقبهم الصبرعلى ذلك سروراً طويـلاً * (أمّـا بعـد) فقـد

اطلعت على هذه الرسالة * الخالية عن الإطناب والملالة * فوجدتها مريدة في بابها * متزينة لخطّابها * مغنية لطلابها * صحيحة النّسب * عالية المقدار والحسب * لاتبتغي من الخطّاب إلا الأكفاء * ولاتذيع السرّ إلا لذوي الإصفاء * وحين سرّحت طرف الطرف القاصر * وأعملتُ فكر الفكر الفاتر * في تأمل نبت رياضها الزواهر * ورويت بالكرع من غديرها الذّاخر * تحققت أنّها من غيث السما * وأنّها من آثار من لم يورّث ديناراً ولادرهماً * فشممت نور تلك الرياض فزال مابي من العلة * وارتشفت من نواحي الغدير فبلّيت الغلة.

وقلت:

لـمّا رأينا العابديني لاح لنا ... داعي إلى الله بأصدق الأقوال[1]

من ذا يجاريه في علاه وقد ... ساعفته جيوش النصر والإقبال

فلله درّ يمين أعملت اليراع في تحبير طروسها * ولله فكر إمام كشف القناع عن وجه عروسها * حتى بدا حسنها للناظرين عيانا* وطأطأ أهل الفضل رؤوسهم له إذعانا * وخجل أصحاب الفن حياء من بروزها * وفاز أهل الصدق بوصالها وحوزها * كيف لاوقد بين صحة النّسب * وغاص لُجَّة البحر فظفر بما طلب * فأطفأ الله نار حاسديه * وأقام الحجة على معانديه * وخابت آمالهم من الصفقة الرابحة وباؤوا بأوزار الحرفة الفاضحة* ونُودي على المائل بقول القائل:

فنفسَك لُمْ ولاتلُمِ المطايا ... ومت كَمَداً فليس لك اعتذار

فلا زالت أحاديث فضائله العالية مرفوعة * ولابرحت فرائد مقالاته الجليلة مسموعة* فماظنك بما أوراه من التحقيق والعرفان * عن مذهب إمامه النعمان *

---

(١) هذان البيتان من بحر الدوبيت من البحور الزائدة على الستة عشر المستحدثة وهو على وزن (لاحول ولا قوة إلا بالله) دائماً. ر: ميزان الذهب للهاشمي ص/١٥٦ وهذان البيتان من الرباعي المعرَّج كما هو معروف.

ومانقله عن إمام دار الهجرة مالك * وعن ابن عم المصطفى ظاهر المسالك * على مانقله الحافظ الشهير * والمحدّث الكبير * بدر الدين محمود العيني وعن الحافظ المتعفّف * والزاهد المتقشف * الفاضل النقي * محيي الدين النووي * وما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية التقي * وتلميذه أبي عبدالله الدمشقي * وهو مذهب إمامنا المبجّل * والحبر المفضّل * أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل * فنسأل الله أن يسلك بنا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالّين * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * كتبه من لاشيء وعمله سيء محمد بن عمر الكاتب النجدي غفر له الله(١).

٤- تقريظ الشيخ محمد عمر الغزي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل التفقه في الدين من أعظم القربات * فكان لبصائر ذوي الألباب نوراً ولأرواحهم أقواتاً * وصلاة وسلاماً على القلم المترجم عن كل سر مكنون وحكم مبين * القائل من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين * وعلى آله الأطهار * وأصحابه الأخيار * وتابعيهم بالكشف عن هذا الدين كل ملمّة * الوارد فيهم اختلاف أمتي رحمة * مافاح نشر الإخلاص وثار * وماعبد الله عبد ابتغاء لوجهه لاطمعاً في درهم ولادينار (أمابعد) فإنّي لما سرحت طرف طرف فكري الفاتر * في طرف ساحة هذا الروض الباسم الزاهر * وجدت نور نور يشير بنان وروده إلى النعمان * ملتفاً بأحمد نبت وأعطر ريحان* فتحققت أنّه ماهو إلاّ جنتّان * ذواتا أفنان * فيهما عينان نضّاختان * وجنا الجنتين دان.

---

(١) ر: مج الرسائل ص/٢٠٦ ومابعدها.

فقلت:

بـــــادرْ إلى روض فضـــــــل إن رُمْـــتَ في النـــاس تُحْمَـــدْ
واغْنَـــم لحكـــمٍ حَـــلاه العــــابديُّ مُحَمَّـــــدْ

فأجلت النظر في محاسن غـرره النازلـة في غرفـه * واستضأت بـدرّه الـذي يحسده كل كوكب على كمال شرفه * فـإذا هـو العقـد الفريـد في هـذا الشـان * والدر النضيد في إخلاص العمل للملك الديان * وشـفاء العليـل بإيضـاح البيـان * وبل الغليل لمبتغي التبيان* عن مذهب أبي حنيفة النعمان* ثمّ لما تـأملت ماحوتـه هـذه الرّسالة * الخالية عن الإطناب المودي للملالة * شبّهتها بقلائد العقيان * بل بعقود الجمان * لم لا وهي منقولة عن أولئك القادة الفحول؟ * الذين أقوالهم من أصـح النقول * وكيف لا والأدلة بارزة النّصال * في ساحة المجال * فعلـى المنصـف تـرك القيل والقال* لأنّ أتباع الحق حسن المآل * على أنّهـا مـن آثـار أقـلام مـن اتسـم بالفضل والعلم * واغتذى من لِبَانَي المجد والحلم * فلله دره من همام أشاع وردهـا * وحلى بعقود عباراته وردها * ولله يراع حسّـن وجنـة الطـرّس بتلـك الأقوال* وأظهر بهجة الأنس بلآلئ جواهرها الغوال * ويالها من رسالة دلّـت علـى مؤلّفهـا دلالـة النسـيم علـى الأزهـار* والشـمس علـى النهـار* وأعربـت أنـه أغـرب في سـعة إطلاعه* وأن شبره في الفضل أطول من ذراع حاسده وباعه* أنّـه غـاص البحـر ففـاز بدرره الفائقة* وفتح الكنز فظفر بالجوهرة الرائقة* وسلك في الطريقـة المحمديـة أعظـم المسالك* فما بالك من الهداية بما هنالك* فجزاه الله أحسن الجزاء على مسعاه* وأناله من خيري دنياه وأخراه* وأدام بهجته بين الأنام* ومنحنا وإياه حسن الختام.

كتبه السيد محمد عمر الغزي عفي عنه[1]

---

(١) ر: مج الرسائل ج١/ص٢٠٠ ومابعدها.

٥- تقريظ الشيخ عمر الخلوتي البكري اليافي

الحمـد لله

رسـالة الحـقّ بفتـح مبـين ... جـاءت فنحـن الله فيهـا نديـن

و لم يكـن لفضلهـا منكـراً ... إلا الـذي قـد بـاع دنيـا بديـن

ونحـن سـلّمنا وحاشـا بـأن ... نكون عن سبل الهدى حـائدين

وقـد كتبنـا شـاهدين الهـدى ... يـاربّ فاكتبنـا مـع الشـاهدين

رسـالة قمنـا علـى الحـق مـذ ... جـاء بهـا محمـد عـابدين

عجالة العبد الضعيف القاصر عمر الخلو تي البكري اليافي الحنفي ذو الفكر الفاتر قريح القريحة والخاطر عفي عنه آمين[١]

٦- تقريظ أمين الفتوى الشيخ حسين الكبيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع مقام أهل الشرع مـذ نصبهـم لإجـراء أحكـام كتابـه* وجعلهم نجوماً يهتدى بنورهم إلى مقام اليقين مذ أفهمهم لذيـذ خطابـه * وأثبت لهم التمييز ورفع لهم المقدار * فانشرح بهـم صـدر الشـريعة وصـار عـالي المنـار * والصلاة والسلام على مـن أرسـل رحمـة للعـالمين * وعلـى آلـه وأصحابـه الهـادين المهتدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين (أما بعـد) فقـد اطلعـت علـى هـذه الرسالة الفقهية * العديمة الأشباه والنظـائر في مذهـب الحنفيـة * فوجدتهـا موافقـة للمعقول والمنقول * قد احتوت على أقوال أئمة المذهب الفحول * فلله درّ مؤلفها ماأغزر علمه * وماأذكى فهمـه * حيث لم يسبقه إليهـا سـابق * و لم يلحقـه بهـا لاحق * لقد أنقذ بها من كان في بحر الجهالـة * وفي عمـى الضلالـة * وأتـى فيهـا

(١) ر: مج الرسائل ج١/ص٢٠٢.

بمانبه به راقد الهمّة * وأنار بتوضيحها أرجاء الدقائق المدلهمّة * فلا بدع إذ هو مرجع العاملين * وابن العابدين * فجزاه الله الجزاء الجميل * وأبقاه البقاء الطويل * ووفقنا وإياه إلى مايحبه ويرضاه * بجاه خير أنبياه * صلى الله وسلم عليه وعلى من والاه * قال ذلك بلسانه * ورقمه ببنانه * أحقر الورى حسين المبتلى بأمانة الفتوى بدمشق الشام * ذات الثغر البسام وذلك في شهر رمضان المبارك سنة ١٢٣٠[١].

٧- تقريظ الشيخ محمد أمين الأيوبي الأنصاري

الحمد لله تعالى

رسالة بالصدق وافت على ... نهج حماها الله ممن يشين

ألفاظها كالدرّ في سبكها ... لكنّها تزري بدرٍّ ثمين

حوت صحيح القول عن مذهب ... يروى عن النعمان حق يقين

تزيل غيم الجهل عن قارئ ... وينجلي قلب صداه مكين

ألّفها شهم همام سمي ... محمداً من للفتاوى أمين

عجالة الفقير إليه محمد أمين الأيوبي الأنصاري الحنفي الخلوتي القادري[٢]

٨- تقريظ الشيخ مصطفى السيوطي

الحمد لله الذي أظهر الحق على يد من اختاره للهداية * وأرشد إلى الصدق من ساعدته العناية * فسبحانه من إله أعطى كل شيء خلقه ثمّ هدى * وجعل أهل العلم مصابيح بهم يهتدى * والصلاة والسلام على من أوضح للنّاس سبيل أمر معاشهم * وبيّن لهم مابه نجاتهم في معادهم * وعلى آله المتّبعين لسنّته *

---

(١) ر: مع الرسائل ج١/ص٢٠١ ومابعدها.

(٢) ر: مع الرسائل ج١/ ص٢٠٢.

وأصحابه الحائزين قصب السبق بصحبته * الداعين إلى الاتباع * الناهين عن الابتداع * (وبعد) فقد اطلعت على هذه الرسالة * الحاوية لأنواع البسالة * فوجدتها فريدةً في هذا الباب * مستجمعة لتحقيقات أولي الألباب * الذين نصبوا أنفسهم لنفع العباد * وأسهروا أجفانهم حتى ظفروا بالسداد * ودّونوا باستنباطهم هذا الدين * وحسنّوه بالآيات والأحاديث الواردة عن سيد المرسلين * فمن تمسك بأقوالهم فازونجا * ومن أعرض عنها لم يزل صدره ضيقاً حرجا * فنعوذ بالله من ضيق الصدور ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور * وحين سرّحت الطّرف في رياض بلاغاتها * ورويت بالكرع من رحيق استعاراتها * أنشدت * ولابدع فيما أوردت *

فوالله ماأدري أزَهْرُ خَميلةٍ بِطَرْسُكَ أم درٌّ يلوح على نَحْرِ
فإن كان زَهْراً فهو صنع سحابة وإن كان درّا فهو من لجّة البَحْرِ

فلله درّ منشيها * ومحلي فصاحتها ومبديها * فلقد أتى بها بما يشفي العليل * ولم يدع للمعاند عليه من سبيل * على حداثة سنه * وعدم المساعد له على ماأوراه من جودة ذهنه *مستنداً بذلك إلى أقوال ثقات الأئمة * الذين هم هداة هذه الأمة * وماقاله هو الحق الذي اتفق عليه أهل الكمال * وماذا بعد الحق إلا الضلال *فسبحان من خصّه بهذه المزية * وأقدره على جمع ماتشتت من المسائل الفقهية * فمن كان ذا بصيرة ولم يغلب عليه الهوى والطمع في حطام الدنيا وتأمل ماذكر * وأمعن النظر فيما زُبّر * لم يخف عليه أن الاقتداء بالسلف واجب الاتبّاع * وأن ماأحدثه غيرهم بالاستحسان والرأي متعين الامتناع * فليس لعاقل أن يصير إليه * ولاأن يعول عليه * بل يجب طرحه وإن جلّ قائله * أو عظم في أعين النّاس فاعله * إذ كل خير في الاتبّاع* وكل شرّ منشوه الابتداع * ولاريب أنّ من أنكر ذلك *ولم يعرّج على ماهنالك * فقد سَجّل على نفسه بغباوة لبّه * وسخافة عقله ومرض قلبه * فالله المستعان على من غلبت شهوته على ديانته * وفتن فيما ينقدح في ذهنه ولم يرتدع عن غيه ووقاحته * (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ

هدينا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب﴾ *(١) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قال بفمه ورقمه بقلمه أفقر الورى مصطفى السيوطي الحنبلي غفر الله له ولوالديه آمين(٢)

٩- تقريظ الشيخ غنّام بن محمد النجدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل نبال العلماء مراشة مصيبة * وصير الحائدين عن دينه غرضاً فهي لهم مصيبة * والصلاة والسلام على من بشريعته رفع مقام العلماء * وعلى آله وأصحابه الصادعين بألسنتهم وأسنّتهم جميع اللؤماء (أما بعد) فإنّي لما وقعت على هذا التأليف المنيف * الجامع لما تشتت ولم يجتمع في تأليف * وأعملت في الأفكار * وأجلت في حدائقه الأنظار * وشممت أرج لطافته * واشتففت بارد شفافته واستشمت بارقه * واستمطرت وادقه * وعرفت مزهره ووارقه * فرأيت ثمرات الصواب في أكمامه يانعة* وشموس الحق في آفاقه طالعة * فحينئذ أنشدت قول القائل * حيث لاغرو فيه لقائل:

شعر

لكَ الله ماأدري أسمر لحاظها	تكَسّر فيه الفتح أم ذلك السّحر
ولم أدر حتى بان لي درّ ثغرها	بأنّ عقار الدّنّ يسكنها الدرّ

غيره

وإن شمّ نجديّ شذى منه فائحا	تذكّر حيّا بالعذيب ومنزلا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.

(٢) ر: مج الرسائل ج١/ص٢٠٢ ومابعدها

فلله درُّ جامعه من محقّق * وفي كل علم مدقـق * فإنه قـد أجـاد * وأمعن وأفاد * وأتقن فيماهو المقصود والمراد * فمن تأمله منصفاً لم يكن لـه رادّ * وعنـد ذلك تمثلت بقول من قال * مع بعض تغيير في المقال:

مُبَيّنـاً سنّة في الديـن قـد دَرسـت ... وُموهناً قول من في ذاك قد وهمُـوا

يـافوز قـوم نَحَـوا هـذا السـبيل ولمْ ... يُصغُوا لواشٍ دنـت في فهمـه الهمـم

والفضلُ ياقومنـا للحبْرِ قـد طَلعَـتْ ... شموسُـه فاستضاء السّـهل والعَلَـم

فجمّـع القـول وهـو الحـقّ مجتهـداً ... في النقل موضح مـايصبو لـه الفهـم

قد فاق حتى على أهـل العلـى فلـذا ... يعزى له الفضـل والتحقيق والكـرم

محمّد النفـس أعـني ابـن أعبدهـا ... ياحسـنهُ عَلَمـاً يزهـو بِـهِ علـمُ

وقد ظهر مما نقله المومى إليه عن أئمة مذهبه أنّه هو الحق كيف وقد قرّض على هذا السّفر الإمام الطحطاوي * الذي هو لكل علم حاوي * ومانقلـه عـن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم من أن الإجـارة علـى قـراءة القـرآن غـير صحيحـة هـو مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومانقل عن الإمامين مالك والشـافعي فكذلـك علـى مانقله النووي والعيني والعهدة عليهما فبان الحق وزهـق البـاطل إن البـاطل كـان زهوقاً، فليس على المصنف مطعن لطاعن * ولامقال لمائن * إلاّ أن يكـون مكـابراً أو حاسـداً، فنعـوذ بـالله مـن حسـد يسـد بـاب الإنصـاف * ويصـدّ عـن جميـل الأوصاف.

شـــعر

فقـــل لأنـــاس يحســـدون لآمـــة ... متى حسـدوا الأدنـى يصير مفضّلاً

هو الفضل طيـب والحسـود يشيعه ... إشاعة نـار عـرف عـود ومنـدلا

والله يحفظنا من الخطأ والخطل * ويحمينا من الزيغ والزلل * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين * والحمد لله رب العالمين.

نمّقه خويدم الطلبة غنّام بن محمد النجدي الحنبلي عفي عنه آمين[1]

١٠- ذيل البحث

قال الشيخ أبو الخير عابدين وقدكان كتب للمؤلف كتاباً صورته هي هذه:
صورة كتاب العلاّمة الشيخ أحمد الطحطاوي المصري إلى ابن عابدين

ردّاً على كتاب من ابن عابدين إليه بشأن التقريظ على رسالة شفاء العليل.
نص الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العلي الأعلا * والصلاة والسلام على سيد أهل العلا * محمد وآله أهل الولا والاستجلا * أن أحسن ما ارتشفته أفواه المسامع من كؤوس الشفاه * وأعبق ماتعطرت معاطس الأشمام بطيب نشره ونسيم ريّاه * وأبدع مانسجته ألسن البلغاء من حلل الألفاظ المطرّزة بنفيس الجوهر المنضود * وأبرع ماسبكته أفكار النبغاء ورصعته بغوالي الدراري من حلى عرائس المعاني مائسات القدود * سلام يضوع الأكوان برّيا شذا عرفه الأريج الشميم * ويخمش وجنات الورد بنان صباه ويرنح العذبات منه عبيق النسيم * أخصّ به من حلّى أجياد أبكار العلوم بعقود تقريره * ووشّح صدور الطروس بقلائد تحريره وتحبيره * إن قرر تفجر من بحر رقائقه الروائق ينبوع التحقيق معينا * أو حرر نادى الناهل من عوارف معارفه لو كشف الغطا ماازددت يقينا * من تقلّد لجلاد جدال الشريعة حساماً لاتنبو مضاربه * وأيّد من

---

(١) مج الرسائل ج١/ ص٢٠٤ ومابعدها، قلت: ((هكذا كتبتها (حسدوا) كما جاءت في مجموع الرسائل والذي يتبادر لي أنها هكذا (متى حَسَدُ الأدنى يضر مفضلاً؟) على أنها استفهام والله أعلم.

سرايا مصنّفاته الفقهيه بجيوش قدّ بها سنام المعاند وغاربه * أعني كعبة ذوي المجد والإفضال للقاصدين * الأستاذ سيدي محمد الأمين * لازالت أحاديث فضائله المرفوعة مروية على أفواه الدهور ولابرحت قلائد مقالاته محلية للبّات الزمان ونحور الحور (أمّا بعد) فقد ورد الكتاب الكريم * الذي هو أبهى من الدّر النظيم * ففكت يدي مذ جاء مسك ختامه * فشاهدت مابالزّهر يزري بالزّهر فلعمري ما السّحر إلا عقد من جواهر مقالاته ينتظم* وما الزّهر إلا ثغر من ثغوره يتبسم* تحلى بقراءته اللسان * وتشنفت بسماعه الآذان * وقد أشرقت علينا معه شمس تلك الرسالة الساطعة * التي هي لأصح نقول المذهب جامعة * فجرى عليها يراع التقريظ بما هو الواقع وصرح بالتقريع على الألدّ المكابر المعاند(١).

مذ لاح تحرير المسائل قد كسى حللاً من التحقيق والتدقيق
من ذا يعارضه وقد دانت له دول من الترقيق والتّنميق

قال الشيخ أبو الخير عابدين: «وبعد هذا الكلام مسؤول عنه غير متعلق بذلك وتاريخ الكتاب سابع ذي الحجة الحرام سنة١٢٢٩»(٢)

---

(١) قلت: وهذه الرسالة من مفتي مصر وإمامها وعلامة زمانه الطحطاوي إلى عابدين تدل على أمرين اثنين: قيمة ابن عابدين عند الطحطاوي، ومن هم في درجته من الجهابذة، وأدب العلماء بعضهم مع بعض وإنصاف كل منهم للآخر ولو كانوا من ديار بعيدة يعطون صاحب الحق حقه وأهل الفضل فضله لا يتعصبون ولا يغمطون بل للحق ينتصرون وهكذا تكون أخلاق العلماء.

(٢) ر: مج الرسائل ج١/ ص١٩٩ ومابعدها.

ب-   تقاريظ رسالة (تحبير التحرير في إبطال القضاء بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تغرير)[1]

ألتقريظ الأول
من الشيخ سعيد الحلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

أمّا بعد فقد اطلعت على هذه الرّسالة - أدام الله تعالى على جامعها توفيقه وأفضاله - فرأيت مافيها من النقول الصحيحة هو المعوّل وأن ماحكم به النايب من فسخ البيع بالغبن الفاحش مطلقاً غير صحيح وغير مسلّم لأنه عمل بالقول المرجوح، لأن الراجح في المذهب الذي يعمل به ويفتى به أنه لافسخ بدون تغرير، فالقضاء بخلافه غير صحيح لمخالفته لمعتمد المذهب ولكون دعوى وصي القاصرين غير مسموعة لسعيه في نقض ماتمّ من جهته، والحاصل في هذه المسألة أنّه إذا حكم حاكم بعدم الغبن وأنّ الثمن ثمن المثل ثم ادعى البايعون البلّغ والوصي والقصَّر بعد بلوغهم الغبن الفاحش لاتسمع أصلاً، لأن قضاء القاضي لأينقض بعد الحكم إلا في مسايل وهذه ليست منها، وأما إذا لم يحاكم حاكم بذلك فدعوى الوصي المذكور في السؤال لاتسمع، لأن كل من سعى في نقض ماتم من جهته فسعيه مردود عليه، نعم، تسمع دعوى وصي غيره أودعوى

(١) تقاريظ هذه الرسالة جاءتني من مصدرين أولهما الأستاذ عزيز عابدين وثانيهما الأستاذ محمد مطيع الحافظ جزاهما الله تعالى خيراً، وقد نقلتها من كليهما علماً بأن نسخة الأستاذ عزيز تمتاز بأنها بخطوط أصحابها من ظهر نسخة المؤلف عنده، أما النسخة الثانية فمنقولة بخط آخر ولكن فيها ميزة أخرى وهي أنها أوضح وأظهر مما فسر لنا كثيراً مما أبهم في النسخة الأولى قلت: وهذه التقاريظ غير مثبتة ولا معلقة بالأصل المطبوع في مجموع الرسائل فلينظر.

القصَّر بعد بلوغهم، وأماّ دعوى البالغين فغير مسموعة أصلاً لعدم وجود التغرير، هذا هو المذهب، فالحكم بما يخالفه غير صحيح وغير معتمد، والله تعالى أعلم.

في ج٢ ١٢٤٨

كتبه الفقير سعيد الحلبي

الختم

التقريظ الثاني
من الشيخ حسين المرادي
المفتي بدمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي وفّق من اختار من عباده لحماية هذه الشريعة وجعل مدادهم كدم الشهداء في مرابطة ثغور حصونها المنيعة، وجعلهم ورثة أنبيائه في العلم والحكمة، ويالها من رتبة عالية رفيعة، وقوّاهم على إظهار الحق وإخماد الباطل بلا مداهنة شنيعة، وأجرى لهم بذلك أجراً وافراً، وخيرات بديعة، حيث بيّنوا ماهو صواب وماهو خطأ كسراب بقيعة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جمع فيه مولاه الفضل جميعه، وعلى آله وأصحابه ذوي النفوس السميعة المطيعة، ما صاح الهزار فوق الأزهار وأظهر ترنيمه وترجيعه.

أمّا بعد، فقد اطّلعت على هذه الرسالة الشريفة وماحوته من النقول المنيفة والعبارات اللطيفة، فرأيتها التي تقرّبها العينان لاغيرها، وهي التي تصغي إليها الأذنان حيث ظهر خيرها وميرها وحققّت أن جواب الشام هو الذي يسام ويشام، وينوّر الأبصار ويعبق المشام، وأن ماأجاب به الأخوان لايقوم له ميزان

عند ذوي العرفان، لأنه مخالف لمذهب إمامنا النعمان، والعدول إلى مايخالفه إنما هو حظ نفس وهوى شيطان، فلا ينفذ به حكم حاكم ولايفتي بـه المفـتي العـالم، وإن رضي به وسامه في سوق الكساد من نادى على نفسه بـالإفلاس، وعلـى كلامـه بالفساد، كما دلّت عليه هذه النقول الواضحة والعبارات المنيعة الراجحة، ولاسيما بعدما تحقق بها من بـاهر التوفيـق الـذي هو من خالص التوفيق، فجزى الله تعالى جامعها خير الجزاء، وأجزل ثوابه، وأحسن يوم العصمة مآبنا ومآبه آمين، وصلـى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى سائر إخوانه مـن النبيـين والمرسـلين والحمـد لله رب العالمين.

كتبـه الفقـير السـيد حسـين الحسـيني
المرادي المفتي بدمشق الشام عفى عنـه
الملك السلام بجاه المظلّل بالغمام آمين

التقريظ الثالث

من الشيخ عبد اللطيف فتح الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى وحده، والصلاة والسلام على من لانـبي بعـده، وعلـى آلـه الأطهار، وأصحابه الأخيار.

وبعد، فإنّي اطلعت على هذه الرسالة لجامعها العالم النحرير الجهبذ الشـهير نعمان عصره وأوانه، ومرجع أهـل مصـره وزمانـه، الذكـي الفقيـه، النبيـل النبيـه، السيد محمد أفندي عابدين، حفظه الله رب العالمين، وحدّقـت نظري في مبانيهـا، وأجلت فكري في رياض معانيها، ورأيـت أن دعـواه وفتـواه في الحادثـة المذكـورة والواقعة المسطورة تؤيدها النصوص الصريحة الراجحة، والأدلـة الظـاهرة الواضحـة التي ذكرها، وفي هذه الرسالة سطّرها، فما دلت عليه هو معتمد المذهب النعماني،

وهو الصحيح فيه، وعليه المعوّل، والقول بما قابله لايقبل ولا إليه يتحوّل، لرجحان الردّ بالغبن الفاحش مع التغرير، وعدم الرد به بدون تغرير بلا نكير، ومرجوحية الرد به بلا غرور كما ظهر من هذه النصوص التي في هذه الرسالة ذِكرها أيّ ظهور، ويدل لهذا أن كل ماذكر من ألفاظ الترجيح كـ (به يفتى) وكـ (يفتى برد الرد) في الرد بالغبن الفاحش مطلقاً فهو شامل للرد به مع التغرير، لأن كل ماثبت للمطلق ومثله العام ثبت لجميع أفراده ولاعكس، واختصّ الرّد به مع التغرير بألفاظ من ألفاظ الترجيح كقول الزيلعي (والصحيح أن يفتى بالرد إن غره وإلاّ فلا) وقول الخيري الرملي (والصحيح الذي يفتى به إن غره ردَّ وإلا فلا) وقوله (ومع الغرور أجمع المتأخرون عليه) وقوله (وعلى هذا فتوانا وفتوى أكثر العلماء) وليس كل حكم ثبت للمقيد كالخاص يثبت لكل أفراد المطلق أو لكل أفراد العام كما لايخفى، وما اختص به الرد بالغبن الفاحش مع التغرير من ألفاظ الترجيح المذكورة في النصوص المسطورة غالبها يفيد القصر كقول الزيلعي (والصحيح أن يفتى بالرد إن غرّه)أي فالصحيح مقصورعلى الإفتا بالرد إن غرّه لا يتجاوزه إلى الإفتا بالرد إذا لم يغره، وقد صرّح بهذا في مفهوم الشرط بقوله (وإلا فلا) أي (وإن لم يغره فلا يفتى بالرد) أي لمرجوحيته، ويجري القصد أيضاً في قول الخيري الرملي ((والصحيح الذي يفتى به إلخ...)) وقوله: ((وعلى هذا فتوانا إلخ...))

فإن قلت: ماذكر من ألفاظ الترجيح في الرد بالغبن الفاحش مطلقاً يقتضي كون الرد به بدون تغرير صحيحاً .

قلت: إذا سلّمنا ذلك فما اختص به الرد به مع التغرير من ألفاظ الترجيح يقتضي أصحيته، وقد صرّحوا أنّ الأصح آكد من الصحيح، فيكون الصحيح بالنسبة إلى الأصح مرجوحاً ويكون مرجوعاً عنه كما ذكر ذلك فيما نقله من النصوص في هذه الرسالة، والحق بالاتّباع أحق.

ونسأله تعالى أن يمنّ علينا بموافقة السداد والصواب في أقوالنا وأحوالنا وأفعالنا، وبالنجاة من العذاب، وبدفع حظوظ أنفسنا ودسايسها، فإنّ حظوظها مصيبة أيُّ مصيبة بلا ارتياب، وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا ومشايخ مشايخنا وللمسلمين، وأن يمنّ علينا بالعفو والعافية ويحسن السابقة والختام وبشفاعة الرّسول الأعظم المصطفى خير الأنام سيدنا محمد عليه وعلى آله وأصحابه الكرام أفضل الصلاة وأكمل السلام.

والحمد لله رب العالمين

كتبه العبد الفقير الذّليل الحقير المحتاج
إلى عفو مولاه عبد اللطيف فتح الله
غفر الله له آمين آمين.

التقريظ الرابع
من الشيخ عمر المجتهد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزهت ذاته العلية عن الغفلة والنسيان، وتقدّست أسماؤه وصفاته عن أن يعتريها زوال أو نقصان، وجعل العلماء في كل عصر وزمان قايمين في حفظ الشريعة من الخلل في أحسن تبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناطق بالصواب والمعلن بالحق أيّ إعلان وعلى آله وأصحابه أولي البلاغة والعرفان، ماهمل وابل، أو ناغى هزار على أعلى الأغصان.

أمّا بعد، فإني قد اطلعت على هذه الرسالة للعالم النحرير والحبر الشهير نعمان زمانه ويعقوب أوانه محمد أفندي عابدين لازال الله له عوناً ومعين، فرأيت مافيها هو المعوّل عليه في المذهب وعنه إلى غيره لايذهب، لأن المفتى به أنّه لاردّ بالغبن الفاحش بلا تغرير، فلهذا ماصح الحكم من القاضي بفسخ البيع لأنه معزول

في هذه القضية من طرف السلطان ولأن القضاة مأمورون من طرفه في الحكم بالأصح من مذهب النعمان، ولكن لاغرو لمن أفتى بالفسخ في هذه القضية من الأفاضل الفخام، فربما كبى جواد قلمه في مضمار البيان، والإنسان غير معصوم عن الخطأ والنسيان.

نعم، لايصح البيع بالغبن الفاحش مطلقاً في حق القاصر ولكن لايسوغ للوصي الطلب في هذه القضية، وإنّما يسوغ لوصيٍّ آخر بعده أو للقصّر بعد البلوغ والله تعالى أعلم.

ومنشأ شبهة من أفتى بالرد في الغبن مطلقاً أنّه رأى فتاوى بالرد في الغبن مطلقاً، ولم يعلم أنّ هذا المطلق مقيّد في غير عبارة بـ (التغرير)، وأنّ هذا المطلق محمول على هذا المقيّد لأن المادة متحدة أمّا لو اختلفت فلا يحمل عندنا.

كتبه الفقير الحقير عمر المجتهد

وجدت العبارة التالية مكتوبة في هامش التقريظ الأخير كمايلي بشكل طرة.

(كتبها الفقير الحقير إلى الله تعالى محمد بن الشيخ حسن البيطار على نسخة المؤلّف نفعني الله به والمسلمين نهار الإثنين في شعبان سنة ١٢٤٨ في ٣/٢).

أقول: ((وهذه التقاريظ موجودة حسب الترتيب: (سعيد الحلبي، حسين المرادي، عبد اللّطيف فتح الله، عمر المجتهد) في آخر النسخة الأولى))(١).

---

(١) هي نسخة الأستاذ محمد مطيع الحافظ صورتها بإذنه، وعندي صور من روامیزها.

التقريظ الخامس

صورة تقريظ أحمد الغرّ مفتي بيروت

على رسالة بطلان الفسخ بلا تعزير بخطه(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي جعل السعادة الأبدية لمن صدّق رسالة محمد، ووفّق من اختار من عباده لنصرة شريعته وأيد، وصوّب رأي المجتهد في إعلاء كلمتها وسدّد، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا الهادي المؤيد، محمد الذي أظهر نور الحق فأطفى به نار الباطل وأخمد، وعلى آله وأصحابه الذين جدّوا واجتهدوا وكلّ من جدّ وجَد، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين ماشدا بلبل وترنم هزار وغرّد.

أمّابعد

فقد اطلعت على هذه الرسالة التي لاتفنّدُ، لجامعها العلاّمة الهمام الأمجد، الفهامة الإمام الأوحد، ذي الرأي الصائب المسدّد، والفكر الثاقب الذي حلّ به ماأشكل على الفهم وتعقّد ألا وهو السيد الإمام أبو النور محمد بن عمر الذي نسبه الكريم لآل عابدين أولي الدين يسند، المصيب فيما رآه واجتهد، كيف لاوهو من يشهد له بذلك سعيد، والمراد الذي منه استفاد المريد، واللطيف بذلك يشهد، وشكره على ذلك المجتهد - وأنا الفقير له على ذلك أحمد، فإذا ماحوته من الأقوال الصحيحة والنقول الصريحة هو المعوّل عليه وهو الراجح المعتمد، من مذهب إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان المؤيّد، رحمه الله تعالى ورضي عنه

---

(١) هذا التقريظ بخط صاحبه تَفَضَّل فخصني به مع جميع تقاريظ رسالة بطلان الفسخ بخطوط أصحابها الأستاذ عزيز عابدين رحمه الله من مكتبتهم ولكن هذا التقريظ لاتوجد له صورة مع بقية صور التقاريظ في نسخة الأخ الأستاذ محمد مطيع الحافظ.

وخلّده في النعيم المقيم المؤبّد، فحفظه الملك الصمد، وأدام له هذا المدد، فلازال شريفاً بخدمه السعد، بطول عمره في عرض الجاه بلا حدّ. ومن ثمّ علم كل من نور إنصافه في زجاجة معرفته توقّد، أنّ ماأجاب به الأخوان لايعبأ به ولايعتد، لأنّهما أطلقاه بغير علم منهما بأنه يحمل في هذا المقام على المقيّد، وأظنّ لو جمعا هذا الفرق لما توقّف واحد منهما في تصديق هذه الرسالة الشريفة ولاتردّد، إلا أن يكون ذلك عادة لهما ولكل امرئ من دهره ماتعوّد.

فنسأل الله التوفيق لأقوم طريق أحمد، وصلّى الله تعالى وسلّم على سيدنا ومولانا محمد، الذي هو لنا سيّد وسند، وعلى آله وأصحابه وأزواجه ووالد وولد، والحمد لله رب العالمين الذي غيره لايحمد، وغيره لايجحد، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد:

بسم الذي قد علّم الإنسانا	ما لم يكن يعلمه فكانا
الحمد لله الذي قد عمّما	رسالة محمد وتمّما
وجعل السعيد من صدّقها	وذاته للخير قد وفّقها
وبعد فاعلم أنني ياذا الوفا	ووارداً مشرب أرباب الصّفا
وقفت - دُم - على ذهِ الرسالة الـ	ـلتي صحيح القول فيها قدنقل
وهي التي جمعها محمد	العابديني الهمام الأمجد
منار أهل الفضل والعرفان	وجامع الفرق أخو الإتقان
إمام هذا العصر نعمان الزمن	خلاصة الدّر الذي أحيا السّنن
صدر الشريعة وبحر الدر الـ	مختار للفتوى الذي الدر قبل
وهي التي سمت وقد سمّاها	تحبير تحرير وماعمّاها
طالعتها - اسمع - فإذا هي التي	قد شهدت لها نقول الصّحة
أي التي قد عوّلوا عليها	واعتمدوها وأتوا إليها

وفي نسخة أخرى:

أي التي قد عوّلوا عليها	ورجعوا في حكمهم إليها

فخاسر وحاير من يجحدُ رسالةً جاء بها محمّد

جزاه ربي أحسنَ الجزاء في الدّ دارين قابلاً له الله أفد

ولم يزل نجم كذا يضيء به مدى الأيام نستضيء

ثمّ الصلاة والسلام أبدا على النبي المصطفى نور الهدى

وآله وصحبه النجوم ذوي التّقى والجود والعلوم

ما أذّن الديك وصلّى القُمْري في جامع الرّوض الزّهيّ الزّهْر

واستغفر الشُّحرور حيث سبّحا بلبل دوح والهَزارُ صَدَحا

والحمد لله الرحيم الغافر صغاير الذنوب كالكباير

حمداً به لنا تدوم النّعم وتنجلي عن القلوب الغمم

ماسبّح الفلك ودار الفلك وسبّح الله تعالى ملك

ما أحمد الغرّ قد استعانا بسم الذي قد علّم الإنسانا

صورة ختم المقرّظ
ربّ سهّل
مرور أحمد

قاله بفمه ورقمه بقلمه العبد الفقير إليه سبحانه وتعالى السيد أحمد الغرّ مفتي بيروت عفي عنه.

ج- تقريظ من السيد صالح السقطي الدمشقي[1] على حاشية فتح رب الأرباب بحواشي لب الألباب على نبذة الإعراب

لله درّ مصنّف في شامنا قد حاز فضلاً لم ينله سواه

فاجهد ولاتكسل لحفظ كلامه ترضي الإله به وسوف تراه

واعلم بأنّي صالح لجنابه مادمت أسعى في اجتلاب رضاه

---

(١) هو تلميذ المؤلف ر ..اتب نسخة الحاشية المذكورة سنة ١٢٣٢هـ في ظاهرية دمشق.

ثـمّ الصـلاة علـى النـبي محمّـد مـاغرّد القمـريّ نحـو حمـاه

بخط المقرِّظ على ظهر غلاف نسخة الظاهرية المخطوطة تحت رقم (عام ١٠٥٤٤) كتبت بتاريخ ١٢٣٢

المطلب الثاني : الردود والمناقشات :

الردود والمناقشات تقارير علمية أصيلة، لها قيمتها عند العلماء أصحاب الاختصاص، فمن لاقيمة لكلامه لايحفل أحد بالرد عليه، ولاتناقش النظريات التافهة والآراء الميتة، ولكن من ملأ الدنيا وشغل الناس من الأعلام كالمتنبي من الشعراء والغزالي وابن عربي من الحكماء وأبي حنيفة وابن عابدين من الفقهاء، هم الذين شغلوا الناس في حياتهم وبعدهم بالرد عليهم ومناقشة آرائهم لمالها من الوزن والقيمة ولمالهم من المكانة في النفوس..

وابن عابدين واحد من هؤلاء الأعلام الذين دخلوا التاريخ من بابه العريض بما كان يتفجر من العلم على قلمه ولسانه، فلا غرو أن كثر حساده في الشام وفي غيرها من أقطار العالم الإسلامي، نظراً لما كان لمؤلّفاته من الرواج، حتى كانت تذيع في الأقطار المجاورة فور إخراجها للناس، ولانستطيع التعميم فقد كانت الردود والمناقشات من الحساد الطاعنين تارةً ومن العلماء المعترفين بالفضل تارةً أخرى، والحالة الأولى أغلب. ونضع فيمايلي ثبتاً بما عثرنا عليه من ذلك بما اعترف به ابن عابدين في عصره وردّ عليه، وبما حدث بعد عصره، ولعلّ الزمن يتسع لمزيد من البحث لنعثر على مالم نصل إليه الآن، وكلامنا كله فيما عدا حاشية رد المحتار فقد أفردنا لها بحثاً مستقلاً لردودها في الباب الرابع من هذا الكتاب....

الرد الأول

(الرد المسدّد على من يقول إن القول بالرد بالغبن الفاحش مطلقاً غير معتمد)

لنائب صيدا في زمن ابن عابدين

هذه الرسالة ردّ بها نائب صيدا المذكور على ابن عابدين في فتواه على سؤال أخي النائب المذكور أثبتها ابن عابدين ذاته في رسالته (تحبير التحرير في إبطال القضاء بالفسخ بالغبن الفاحش بلا تغرير) ولكنه لم يذكر اسم النائب ولااسم أخيه، مبالغة في التأدّب بأدب الإسلام، وليكون رده ردّاً علمياً بحتاً لاعلاقة للأشخاص فيه، وهي من ميزات ابن عابدين مما لايكاد يوجد في غيره، وانظر مجموع الرسائل ج٢ص/٦٨ و٦٩ و٧٠ ومابعدها.

الرد الثاني

(كشف الغمة في الردّ على من حرم التهاليل على الأمة)

للشيخ صالح الدسوقي الدمشقي المتوفى سنة ١٢٤٦هـ

وهو معاصر لابن عابدين بل توفي قبله، ألّف هذه الرّسالة يرّد بها على ابن عابدين و لم نطلع عليها، ولكنّ الشطي رحمه الله في روض البشر يقول عند ترجمته للدسوقي المذكور مانصّه: (قلت ((كشف الغمة)) هي رسالة في عشرين ورقة ألّفها المترجَم سنة ١٢٣٢ وقد رأيتها بخطه وعليها تقاريظ شيخه الكزبري والكردي والشيخ صالح الزّجاج ثمّ الشيخ دواد البغدادي النقشبندي ثمّ العلاّمة الحمزاوي مفتي دمشق، أيّد المترجم فيها القول بجواز أخذ الأجرة والجعالة على سائر العبادات البدنية رحمه الله)[1].

---

(١) هذه النسخة عليه تملّك محمد أديب التقي، وعليها ختمه، اشتراها من كتب المرحوم الشيخ حسن جبينة وملكها التقي لأولاده، وهم حامد وعبد الغني وأحمد وبدر الدين

يتبع ⇐

دراسة الرد على رسالة ابن عابدين:

(كشف الغمّة وجلاء الظلمة في رد قول من حرم التهاليل على الأمّة)

تأليف الفقيه صالح الدسوقي الشافعي الدمشقي.

وهي رسالة مطوّلة دسمة - تقع في خمسة وعشرين ورقة ماعدا التقاريظ في أولها، وهي إحدى نسخ ثلاثة كتبت بيد مؤلفها صالح بن محمد الدسوقي الشافعي المتوفى سنة ١٢٤٦هـ، وقد انتهى من تأليفها سنة ١٢٣٢هـ.

هذه النّسخة موجودة في مخطوطات ظاهرية دمشق تحت رقم: (عام ١١٢٧٨) مكتوبة كما ذكرت بخط المؤلف، وعليها ختمه، وتعليقاته على هوامشها، وعليها تقريظات من علماء دمشق المعاصرين للمؤلف منقولة عن خطهم وهم بالترتيب التالي:

١- الشيخ عبد الرحمن الكزبري الشافعي، وتقريظه

٢- الشيخ صالح الزّجاج، وتقريظه نثر.

٣- الشيخ مصطفى الكردي الشافعي، وتقريظه نثر.

٤- الشيخ داود البغدادي، وتقريظه نظم.

٥- الشيخ محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام، وهو ليس معاصراً للمؤلّف ولكنه متأخر.

والرد هذا قام به المؤلف امتثالاً لما أمره به شيخه الشيخ مصطفى الكردي أحد المقرظين للرسالة. وسأسوق مقدمة الرسالة لتظهر حقيقة الرد وغايته ومافيه من

⇐

في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٢٤هـ وهي في خزانة ظاهرية دمشق في زمرة الهدايا كما هو مسجل عليها برقم (الهدايا ١١٢٧٨).

تعريض بابن عابدين وغلو في تسفيه شأنه وتقليل علمه وفضله مما يكون بين المتعاصرين.

قال: ((بسم الله الرحمن الرحيم.. أمابعد، فإنّي قد وقفت على رسالة لبعض غير المشاهير من السادة الحنفية في حرمة أخذ الأجرة على القرب البدنية كالتهليل والتسبيح وقراءة القرآن والصلاة على خير البرية، ورأيت جميع مااستدل به على حرمة ذلك، ومنه أن ماذكر لم يحل في مذهب من المذاهب الإسلامية، ولافي دين من الأديان السماوية، وهذا دليل على تهاونه في الدين وعدوله عن السنن القويم، إذ كيف يسوغ لهذا العاري من الإنصاف الجزم بحكم شرعي مع ادعائه عدم الخلاف وأنّى له المعرفة بجميع المذاهب والأديان، لأنه لاسبيل إلى معرفة المذاهب كلّها إلا بطريق الإحاطة بها، ولاسبيل إلى الوقوف على جميع الأديان إلا بخبر المعصوم. وهذا مما يأباه العقل ويبعده النقل، وإذا ظهر من أول وهلة أنّ قائل ذلك غير محقّ لأنه معارض للحق، فلا ينبغي لنا نقل شيء من قوله، لأنه لايعوّل عليه في رأيه وعلمه، لأنه مفتر على الله ورسوله فيما سوّلت له نفسه من الآراء العقلية والتخيلات الوهمية، ولأنه اشتغال بمالا يجدي، وتعاط لبدعة في الدين تردي، بل نقله فيه الغرر، لأنه ربما دخل على العقول الضعيفة، العارية من الآراء المنيفة، فكن من فتنته على حذر، والعجب ممن حذا حذوه من المنتسبين للعلم وحدّد له رسالة في ذلك السم، وأشهرها بين الناس فعادت عليهم بالوهم والالتباس، فلما ظهر ماذكر أمرني شيخنا حاوي المعارف وحائز اللطائف والعوارف جناب الشيخ مصطفى الكردي أدام الله به النفع للمسلمين، أن أجمع طرفاً من نقول السادة الشافعية وأقوال الفقهاء المرعية، مما يدل لنا على جواز أخذ العوض على العبادة

البدنية كالتهاليل وقراءة القرآن وإقامة الأذكار مماعليه العلماء الأخيار والمشايخ الأطهار، فتحققت بأمره في ذلك فأقول، وبالله التوفيق فيما هنالك»[1]

وقال في نهاية الرسالة هذه مايلي: «وقد فرغت من كتابة ماأردناه يوم الخميس قبيل الغروب لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة ألف ومئتين واثنين وثلاثين سنة ١٢٣٢هـ»[2].

وسأسوق للقارئ نصاً من صلب الرسالة قال: «اعلم أيها الواقف على هذه الورقات أنقذك الله من المهلكات، وهداك لما عليه السادات، أن من المقرر في مذهب السّادة الشافعية أصحاب الرّاية البيضاء النقية، أنّه يجب العمل بمضمون العام أو الخاص والمطلق أو المقيد، ما لم يمنع مانع من ذلك، وأنّ العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما هو مبين في فن الأصول، وإذا أذعنت لهذا فأدلة مطلبي كثيرة، وشواهده جليّة غزيرة، على أنه لايطلب من المقلّد لإمام مجتهد دليل، لأن الاستدلال من وظيفة المجتهدين، بل يطلب منه نقل كلام العلماء الأعلام من الكتب المشتهرة المعتمدة عند الأنام، لكن لما جرت عادة العلماء بتأييد الأبواب بالأدلة الشرعية في الطروس ليكون أوقع في النفوس، تأكّد عليّ الاقتداء بهم لئلا أخرج عن أنظارهم، مقتصراً من ذلك على القليل مما يشفي العليل، معرّجا عن التكثير منها خوف التطويل».

ومن جملة التعليقات على الهامش هذه المقولة بخط المؤلّف: «قال العلاّمة ابن حجر: وهذه الأحاديث ونحوها صريحة لاتقبل تأويلاً في الدلالة على حل أخذ الأجرة بشرط وغيره على تعليم القرآن والرّقية به، وعلى نحوهما مما فيه مشقة تقابل بالأجرة، وفي حديث (إن أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله) دليل على

---

(١) الورقة رقم ٦ و ٧.

(٢) من ورقة برقم ٢٥.

أنّ ذلك من الحلال الذي لاشبهة فيه، وفيه رد أيضاً على من كرّه أخذ الأجرة على كتاب الله))[١].

ملحوظتنا على رسالة الرّد:

نلاحظ على رسالة الرد (كشف الغمّة) للدسوقي الشافعي المعاصرلابن عابدين وبلديّه بعد دراستها كلها مستوعبة مايلي:

آ- أنّ رسالة الرد إنما تصوّر وجهة نظر المذهب الشافعي، نظراً لأن مذهب مؤلفها هو المذهب الشافعي، وهو يستند أكثر مايستند إلى نصوص فقهاء الشافعية، والذين قرظوا الرسالة من معاصري المؤلف كلهم شافعيو المذهب ماعدا الحمزاوي فهو حنفي وليس بمعاصر للمؤلف، ولكنه يتبنّى نظراً مضاداً لنظر ابن عابدين في كثير من الأمور، يظهر ذلك جلياً في مجموع رسائل الحمزاوي.

ب- أن المؤلف استشهد بنصوص من المذهب الحنفي تؤيد وجهة نظره، ولكنها نصوص للمتقدمين وهي قليلة، ومختَلَف في استقرار الفتيا عليها.

ج- أنّ لغة الرّد لم تكن لغة علمية هادئة موضوعية، بل صاحَبتْها عبارات فيها رعونات نفسية واستخفاف بشأن الآخرين، لاينبغي أن تصدر عن عالم ناضج، وهذا مأخذ نأخذه على الدسوقي، من حيث سلم ابن عابدين من هذا بأدبه وتواضعه، ومات الدسوقي ورسالته العارمة المتأججة، من حيث خلد ابن عابدين ورسائله القيمة، وهكذا يبقى الأصلح (فأمّا الزّبد فيذهب جفاء وأمّا ماينفع الناس فيمكث في الأرض)[٢].

د- وآخر ماهنالك أن الرّد قاصر على نقول من بعض المذاهب دون استيعاب ودون مناقشة علمية، والمنقول بلا معقول قاصر في ميدان الاحتجاج، و لم

---

(١) الرسالة الرد ورقة رقم (٧) وما قبلها.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧.

تتوفر في نظري عناصر الرد العلمي الكامل من دراسة لكلام الخصم وتفنيد لحججه واحدة والرّد عليها، وتأييد الدعوى والاستدلال لها، وكشف الشبهات والرّد على الإيرادات ممّا تقتضيه قوانين المناظرة، فكل ذلك مفقود هنا، مما يقلّل من قيمة هذا الرد، ويجعله في نظرنا في صنف الاعتراض الفاسد ظاهر البطلان المتجانف عن الحق..

الرد الثالث

رفع الغشاوة في أخذ الأجرة على التلاوة للمفتي محمود الحمزاوي المتوفى سنة ١٣٠٥هـ /١٨٨٧م مفتي دمشق في عصره

آ- نصّ من المقدمة

(بسم الله الرحمن الرحيم سبحان من أبى العصمة لكتاب غير كتابه والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه (أما بعد) فقد سئلت عمّا حرّره العالم الفاضل السيد محمد عابدين في رد المحتار والتنقيح ورسالة شفاء العليل من عدم جواز الاستيجار على تلاوة القرآن العظيم هل هو المفتى به في المذهب أولا (فأجبت) بأن ماذكره المنقّح في هذه المحلات الثلاث مبني على مذهب المتقدمين من عدم جواز الإجارة على الطاعات إلا أن المشايخ نصوا على أن المفتى به جواز الاستيجار على التلاوة وهو مذهب عامّة المتأخرين، والنقول في ذلك كادت تبلغ التواتر كلها موشّحة بعلامة الفتوى أو أفتى به مشاهير العلماء الأعلام في سائر بلاد الإسلام وها أنا أسرد نقولهم في رسالة سميتها (رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة) مجردة عن الأبحاث التي لاتجدي إذ ليس للمفتي المقلد إلا نقل ماصح عن أهل مذهبه كما نصّ عليه في قضاء الفتح والسيد أبو السعود المصري في حاشية الأشباه من الوقف عن العلامة قاسم، وأمّا الدخول في الاستدلال والتخريج والفنقلات فلا يعتدّ بشيء منه لأنه خروج عن وظيفة المفتي

المقلّد وأن ترد الوقوف علىهذه النقول فاسمع مايتلى عليك (الأول) مافي حاشية السيد أبي السعود المصري على مسكين ونصه (واختلفوا في الاستيجار على قراءة القرآن على القبر مدة معلومة والمختار أنه يجوز * كذا في الجوهرة وقال اعلم أنّ المستأجر للختم ليس له أن يأخذ الأجر أقل من خمسة وأربعين درهما شرعياً إلا أن يهب مافوق المسمّى أو بشرط أن يكون ثوابه لنفسه فلا يأثم * مقدسي عن الكواشي والمبسوط) (الثاني) مافي الفتاوى الهندية من الإجارة ونصّه (اختلفوا في الاستيجار على قراءة القرآن على القبر مدة معلومة والمختار أنه يجوز * كذا في السراج الوهاج) (الثالث) مافي البحر من الوقف ونصّه (فإن قلت قال في القنية وبشرط أن يقرأ عند قبره فالتعيين باطل وصرحوا في الوصايا بأنّه لو أوصى بشيء لمن يقرأ عند قبره فالوصية باطلة فدلّ على أن المكان لايتعين وتمسك به بعض الحنفية من أهل العصر، قلت لايدل لأن صاحب الاختيار علّله بأن أخذ شيء للقراءة لايجوز لأنه كالأجرة فأفاد أنّه مبني على غير المفتى به فإن المفتى به جواز أخذ الأجرة على القراءة انتهى). (الرابع) مافي الدّر المختار من الوصايا قبيل الوصية بالخدمة ونصّه (قلت وكذا ينبغي أن يكون القول ببطلان الوصية لمن يقرأ عند قبره بناء على القول بكراهة القراءة على القبور أو بعد جواز الإجارة عليها أما على المفتى به من جوازهما فينبغي جوازهمامطلقاً) (الخامس) مافي تكملة البحر ونصّه (وفي الحاوي للكواشي إذا استأجره ليختم عنده القرآن ولم يسمّ له أجرا ليس له أن يأخذ أقل من خمسة وأربعين درهماً شرعياً، أمّا إذا سمى له أجراً لزم ماسمى ويأثم المستأجر إذا عقد على أقل منها إلا أن يهب المستأجر مابقي أو بشرط أن يكون ثواب مافوقه لنفسه وهذا يجب حفظه كما في المبسوط) (السادس) مافي حاشية الطحطاوي على الدّر من الإجارة ونصّه (المختار جواز الاستيجار على قراءة القرآن على القبور مدة معلومة ثمّ قال: ((المستأجر للختم ليس له أن يأخذ الأجر * كما ذكره في الأصل أي المبسوط ثم قال:

((ومن خطّ العلاّمة المقدسي فقلت هذا ونقل عن الشيخ عبد الحي الشرنبلالي مثله بالحرف)). (السابع) مافي الفواكه الطورية ونصّه (سئلت عن إنسان استأجر آخر على أن يختم له القرآن، هل الإجارة صحيحة أم لا ومايستحق من الأجر إذا ختم له؟ أجبت إن سمى له أجراً معلوماً وختمه ليس له أن يأخذ أقل من أربعين درهماً، قال الكواشي استأجره ليختم له القرآن ليس له أن يأخذ أقل من أربعين درهماً شرعياً هذا إذا لم يسمّ شيئاً من الأجر * كما في الأصل...)).

ب- نص من آخر الرّسالة:

(الخامس والثلاثون) مافي التتارخانية من التاسع عشر في الوقف ونصه (وسألت أبا حامد عن الوقف على من يقرأ عند قبره ويكنسه ويفتح الباب قال هذا الوقف جائز انتهى) ونقل قبله مايوافقه ويخالفه (السادس والثلاثون) مافي فتاوى الخجندي أول الوقف ونصّه (سئل أبوحامد عمن وقف على من يقرأ عند قبره ويسكن عنده ويفتح بابه فقال هذا الوقف جائز) (السابع والثلاثون) مافي فتاوى المولى أبي السعود من الوصية[1] (الثامن والثلاثون) مافي البيري على الأشباه عند قوله: ((شرط أن يقرأ عند قبره القرآن فالتعيين باطل)) ونصّه (عزا البطلان في التتارخانية إلى ابن الفضل وفي التتارخانية أيضاً سئل الحسن بن علي عمن بنى مدرسة وبنى فيها مقبرة لنفسه ووقف ضيعة وبيّن أن ثلاثة أرباع ريعها للمتفقهه وربعها يصرف إلى من يقوم بكنس المقبرة وفتح بابها وإلى من يقرأ عند قبره القرآن فهل يحل لمن يقرأ عند قبره أخذ هذا المرسوم قال: ((نعم، قيل وإذا لم يكن هناك قضاء قاض هل يحل لمن يقرأ أخذ هذا المرسوم قال: ((نعم)) انتهى وهذا صريح في صحة التعيين انتهى). مافي البيري وهذا الذي وعدنا بتفصيله من قبل

---

(١) هنا كلام بالتركية ضربنا عنه صفحاً يبلغ خمسة أسطر تقريباً من كلام أبي السعود المذكور، آخره عبارة: (كتبه أبو السعود).

(التاسع والثلاثون) مـافي فتـاوى الحـانوتي ونصـه (سئل في امـرأة أوصـت في حياتها وصحتهـا لشـقيقها أنّـه إذا نـزل بهـا المـوت وضـع يـده علـى موجوداتهـا مـن جملتهـا زوج أسـاور ذهـب لولدهـا خمسـة وعشـرون دينـاراً ومـافضل بعـد ذلـك يصرفـه في وجـوه بـر وقربـات وقـراءة ختمـات ليـالي الجمعـات إلخ * فأجـاب أنّ الوصيـة وإن كـانت لاتجـوز للـوارث لكـن تكـون الخمسـة والعشـرون دينـاراً إرثـاً ويصرف مـافضل مـن السـوارين في وجـوه القربـات المذكـورة حيـث خرجـت مـن الثلـث)

(الأربعـون) مـافي مهمـات المفـتي لابـن الكمـال ونصـه (أجـرة القـرآن علـى عهـد رسـول الله ﷺ كمـا روى عبـد الله بـن مسـعود وأنـس بـن مـالك رضـي الله تعـالى عنهمـا أربعـة دنانـير وكـل دينـار عشـرة دراهـم أمّـا مـن قـرأ بـأقل مـن هـذا يكـون ثوابـه للقـارئ ولا للمقـري لـه كمـا قـال تعـالى (ولاتشـتروا بآيـاتي ثمنـاً قليـلاً)[1] واتفـق المتقدمـون والمتـأخرون علـى ذلك... مـن تفسـير الكواشـي).

جـ- نص من خاتمة الرّسالة:

(هذا) جملة ماوقفت عليه من النقول:

أولئـك آبـائي فجئـني بمثلهـم إذا جمعتنـا يـاجرير المَجَـامع

ويحتمل أن ما لم أره أكثر، أتقول إنّ لعلماء هذه الأمة من بخاريين وهنديين وروميين ومصريين وشـاميين شـروحاً وحواشـي وفتـاوى لم يعلمـوا المفتـى بـه في المذهب، حاشا بل كل نقل على خلاف هذا فهـو مبـنيّ على غير المفتـى بـه مـن مذهب المتقدمين والحمد لله رب العالمين. فرغ من تحريرها في رمضان سنة أثنتـين

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤١.

وثلاثمائة وألف على يد جامعها الفقير محمود الحمزاوي مفتي دمشق الشام غفر الله تعالى له ولوالديه ومشايخه الذنوب والآثام آمين))[١]

الرد على الرد: للشيخ عبد المحسن الأسطواني الدمشقي

أتحفني بهذا الرد فاضل بحّاثة[٢] بعد مناقشة هذا البحث العلمي، فكان استدراكاً لمافات. وهذا الرد موجّه إلى رد المفتي الشيخ محمود الحمزاوي على ابن عابدين في مجموع رسائله برسالة (رفع الغشاوة في جواز أخذ الأجرة على التلاوة) وهكذا يتبين لك أن الحمزاوي كان في الصف المقابل لابن عابدين في هذه المسألة، فهو مع الدسوقي المعاصر لابن عابدين في رده عليه، وقد قرظ له رسالته كما مر آنفاً على أنَّ الحمزاوي لم يعاصر ابن عابدين بل ولد بعد وفاة ابن عابدين، وانظر ترجمته في ملحق التراجم في آخر هذا الكتاب. الشيخ عبد المحسن الأسطواني عالم معاصر لنا أدركته، وكنت أزوره مع والدي في بيته وهو معمر، مات في دمشق عن عمر يناهز المئة والعشرين سنة في وعي تام، كان شيخ الحنفية في دمشق وهو ممن عاصر الحمزاوي، وكان قاضي الشرع الأول في دمشق الشام، والرسالة هذه بخطه و لم أطلع على عنوانها وقد انتهى من تأليفها كما ذكر في آخرها سنة ١٣٠٤هـ فينبغي أن يكون آنئذ في سن من النضج، له أن يكتب مثل هذه الرسالة القيمة في بابها.

والشيخ عبد المحسن محسن في أسلوبه في الردلا يجرح ولايقذع، وهذا معروف عنه من أخلاقه وشمائله، وسأسوق لك خطبة الرسالة بعد الحمدلة

---

(١) جاء بعد هذه الخاتمة العبارة التالية: (طبعت في مطبعة مجلس المعارف بولاية سورية الجليلة على ذمة ملتزم طبعها مصححة على خط مؤلفها حفظه الله تعالى في ٢٣ محرم سنة ١٣٠٣).

(٢) هو الأستاذ محمد مطيع الحافظ الحنفي الدمشقي جزاه الله خيراً.

والصلولة في القصيدتين: ((أمّا بعد فقد اطلعت على رسالة للعلامة السيد محمود أفندي الحمزاوي سمّاها (رفع الغشاوة عن جواز أخذ الأجرة على التلاوة) سرد فيها نقولاً عن متأخري المتأخرين القائلين بجوازها، ولم يشأ أن يدخل في التحقيق والأبحاث ليزول الشك والالتباس، بل اكتفى بتعداد النقول، مع أنّ تعداد النقول عن أمثال هؤلاء ليس من المرجحات، ولمّا كانت مسئلة الاستيجار على التلاوة من أهم المسائل وأعظم الوسائل لتأليف الرسائل، وكان خاتمة المحققين العلاّمة ابن عابدين بعد أن اطلع على هذه النقول وعلى ماقاله المتقدمون والمتأخرون قائلاً بالمنع وألف فيها رسالة حقق فيها ماهو الصواب وأتى بالعجب العجاب ولم يدع غشاوة عليها حتى ولاشبهة حتى تزال وتدفع، فأحببت أن أذكر ماظهر من نقولهم وإن لم تحل...[1] بين خيولهم وأبين ماسنح بالبال حتى لايبقى للبحث مجال فأقول وبالله التوفيق)).

وقال في خاتمة الرسالة: ((فنتوسل إلى الله تعالى بصاحب النبوة والرّسالة أن ينفع المصنف بهذه الرسالة، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، إنّه هو السميع العليم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العظيم وعلى آله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين. حررها الفقير إلى الله سبحانه عبد المحسن الشهير كأسلافه بالأسطواني سنة ثلاثمائة وأربع وألف من هجرة من له العز والشرف)).

وقال في مقولة من صلب الرسالة: ((فهذه نقول المتأخرين الأعلام التي تنادي بلسان التصريح والإعلام بأنه لايجوز الاستيجار على الطاعات التي من جملتها القراءة والتلاوات ولايلتفت إلى غيرها من القياسات وإفتاء متأخري المتأخرين كلا إفتاء، وجوده وعدمه على السواء فكن أسير النقول ولاتغتر بمن قال وانظر إلى مايقول)).

---

(١) لم يظهر المراد هنا لانطماس الكلام.

أمّا الرّسالة فهي ورقات معدودة بخط مؤلفها وهو واضح يميل إلى الفارسي والنسخ بسطور مفرقة يتخللها شعر وكلها بالخط الأسود الجميل.

الرد الرابع
حول عبارة في الحامدية
(مناقشة حول عبارة تنقيح الفتاوى الحامدية) لابن عابدين

مجلة المجمع العربي مجلد ٨-ج ١١/ص ٦٩٠-٦٩١ دمشق في تشرين الثاني ١٩٢٨م الموافق جمادى الأولى والثانية سنة ١٣٤٧هـ

آراء وأفكار

تصحيح نص فقهي

(بما أن تنفيح الفتاوى الحامدية كتاب جليل ترجع إليه القضاة والمفتون وقد وقع فيه سبق قلم من مؤلفه أدّى إلى تغيير الحكم الشرعي. ففي الصفحة (١٨) من الجزء الأول طبع بولاق سنة ١٢٧٠مالفظه: (سئل في صغيرة يتيمة لها ابن عم عصبي ليس لها ولي أقرب منه يريد تزويجها من ابنه القاصر الكفء بمهر المثل فهل له ذلك؟).

(الجواب: نعم: قال: ((في الدرر يتولى طرفي النكاح يعني الإيجاب والقبول واحد ليس بفضولي من جانب ولايشترط أن يتكلم بهما بل الواحد إذا كان وكيلاً عنهما. فقال: زوجتها إياه كان كافياً، وله أقسام: إما أصيل وولي كابن العم تزوج بنت عمه الصغيرة أو أصيل ووكيل كما إذا وكلت رجلاً أن يزوجها نفسه أو ولياً من الجانبين أو وكيلاً منهما أو وكيلاً من جانب وفضولياً من جانب أوفضولياً من الجانبين اهـ)).

يقول العلاّمة الشيخ محمد قطّة العدوي مصحّح طبعه في الهامش ((قوله: أوولياً من الجانبين إلخ هكذا بالنصب فيه وفيما بعده من المعاطيف، ولعل صوابه الرفع عطفاً على قوله أصيل وولي تأمل اهـ)).

أقول: ((يغفر الله لي ولمولانا المصحّح قد نبّه جزاه الله خيراً على ماأشكل من حيث الإعراب، ولم ينبه على ماهو مشكل من حيث الحكم، لأن قول صاحب الدرر (وله أقسام)) صريح بأنها أقسام تولّي الواحد طرفي النكاح.

وعلى مافي التنقيح يكون قوله: ((أو وكيلاً من جانب أو فضولياً من جانب آخر أو فضولياً من الجانبين)) من تلك الأقسام مع أنّه ليس منها بدليل قوله في صدر العبارة: ((يتولى طرفي النكاح واحد ليس بفضولي من جانب)) فصدر العبارة يناقض آخرها مع مافيه من تغيير الحكم. فكان على المصحّح أن ينبّه إلى ذلك أو يرجع إلى الأصل المنقول عنه على مقتضاه.

ثمّ رجعت إلى الدرر فوجدت فيها زيادة أدى سقوطها إلى تغيير الحكم ومحلّها بعد قوله أو وكيلاً منهما، ولفظها (أووليـاً من جانب ووكيلاً من آخر ولايجوز أن يكون فضولياً كماإذا كان أصيلاً وفضولياً أو ولياً من جانب وفضولياً من آخر أو وكيلاً.. إلخ).

وكنت ذكرت ذلك للمرحوم السيد أبو الخير عابدين مفتي دمشق السابق وكان عنده نسخة التنقيح بخط المؤلف فراجعها فوجدها كذلك مغلوطة، فراجع الدرر فظهر أن فيها زيادة، فصحّح نسخة المؤلف بقلم أحمر ودعا لي ولله الحمد والمنّة.

دمشق

خادم العلم الشريف
محمد سعيد السُكّري

(المجمع) رأينا أن نطلع العلاّمة مفتي دمشق على ماكتبه المراسـل المومـا إليه قبل نشره فكتب بذيله مايلي:

(نعم: نسخ التنقيح مغلوطة ولكن لدى مراجعة أصل الفتاوى الحامدية الـتي نقّحها خاتمـة المحقّقـين العلاّمـة السـيد محمـد أمـين عـابدين وسمّـاه تنقيـح الفتـاوى الحامدية وجدت العبارة صحيحة كما ذكره الفاضل الموما إليه).

مفتي الشام العام

محمد عطا الكسم

الرد الخامس
رد الحاكم الشرعي على ابن عابدين في
(تنبيه ذوي الأفهام)

وهذا الرّد لم يذكر نصّه الكامل ابن عابدين ولاعثرت عليه غير أنه ذكر منه مقتطفات في رسالته (تنبيه ذوي الأفهام على بطلان الحكـم بنقـض الدعـوى بعـد الإبراء العام) فلينظر في الجـزء الثـاني مـن مجمـوع الرسـائل الصفحـات ٨٦ و٨٧ و٨٨ ومابعدها.

وهكذا درست آثار ابن عابدين دراسة ميدانية مسـتوعبة وصلـت فيهـا إلى جوهر فقاهة الرجل فيما أحسب، وإن كان بقي هنالك تفاريق وأشتات من ذيول البحث ومتمماته مما لم أظفربه فمحلّها الطبعات القادمة في قادمـات الأيـام بمشيئة الله سبحانه، وحسبي أنّي خضت بحراً زاخراً طالما تهيّبه الناس من قبـل وأحجمـوا عنه، فكنت بذلك بحمد الله وتوفيقه من روّاد الباحثين في ابن عابدين العظيم.

الفصل الرابع

طبقات فقهاء الحنفية إلى ابن عابدين

- التقدم بنظرية مبتكرة في مجموعها.
- تصنيف طبقات الحنفية حسب التسلسل الزمني.

المبحث الأول

نظريتنا في طبقات الفقهاء

بعد أن استعرضنا في الجولة السابقة نظرية ابن الكمال ومتبعيه ورأينا كيفية اندحارها ثم انهدامها حجراً حجراً حتى سويت بالأرض، واستعرضنا كذلك بعض النظريات الحديثة لفقهاء العصر لا بد لنا من وقفة نشفي بها أوام المرحوم الكوثري حيث قال في حسن التقاضي بعد إيراده تعقّب الشهاب المرجاني لنظرية ابن الكمال قال: ((فرأيت عرض هذا البحث الممتع لأنظار الباحثين على طوله لما فيه من الفوائد الجمّة والتحقيقات المهمّة، مع ازدياد أهمية هذا الموضوع موضوع طبقات الفقهاء على مضي الزمن لكثرة الطامحين غير الواقفين عند حدودهم الجامحين المحوجين إلى كبح جماحهم، بلجام من حجج توقفهم عند طورهم، حتى أصبح التفرغ لتمحيص هذا البحث المتشعّب ضروريا للمّ شتاته وتنسيق متفرقاته))[1].

ولقد أعملت الرأي وأجلت الفكر في هذا الأمر فألهمني اللّه سبحانه تصنيفاً جديداً في بابته لم أسبق إليه مجتمعاً فيما أعلم وإن كانت بعض عناصره مسبوقة من قبل فقهاء الشريعة السابقين رضوان اللّه تعالى عليهم فأقول وبالله التوفيق:

لا يعدو أمر تصنيف الفقهاء إلى طبقات: ثلاث طبقات رئيسية:

أ ـ طبقة المجتهدين.

ب ـ طبقة المتبعين.

ج ـ طبقة المقلّدين.

---

(١) حسن التقاضي ص/١١٥.

وقبل الخوض في أمر هذه الطبقات لا بدّ لي من تعريف كـلّ مـن الاجتهـاد والاتّباع والتقليد، فالاجتهاد اصطلاحاً هو: (استفراغ الفقيه الوسع لتحصيـل ظـن بحكم شرعي)[1].

ومعنى استفراغ الوسع: (بذل الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه)، فخرج استفراغ غير الفقيه وسعه في معرفـة حكـم شـرعي، وبـذل الفقيـه وسعه في معرفة حكم شرعي قطعي، أو في الظن بحكم غير شرعي.

والتقليد هو: (العمل بقول من ليس قوله إحدى الحجج بلا حجة منهـا)[2] والاتباع هو: سلوك التابع طريق المتبوع وأخذ الحكم من الدليل بالطريق التي أخذ بها متبوعه)[3] فهي رتبة أنزل من الاجتهاد وأعلى من التقليد،رتبة بين رتبتين.

---

(١) حاشية التلويح للسعد التفتازاني على التوضيح ج٢/ص٦٣٩، وشرط الاجتهاد المطلـق الكامل كما ذكره السعد، العلم بأمور ثلاثة: ١ ـ معرفة آيـات الأحكـام لغـة وشـريعة والمعتبر هو العلم بمواقعها بحيث يتمكن من الرجوع إليها عند طلب الحكم ٢ ــ معرفـة أحاديث الأحكام كذلك ٣ ـ معرفة الأقيســة ومعرفـة الإجماعـات ووسـائل الاستنباط الصحيح من أصول الفقه، وممارسة الفروع في زماننا طريق إلى الاجتهاد، أما الاجتهـاد الجزئي، فعليه معرفة مايتعلق بذلك الحكم اهـ التلويح ج٢/ص٦٣٩ و٦٤٠ والاجتهـاد لغة (بذل الطاقة في تحصيل ذي كلفة) اهـ التحرير لابن الهمام ص/٥٢٣.

(٢) التحرير في أصول الفقه للكمال بن الهمام ص/٥٤٧ وهو واجب علـى مـن عجـز عـن الاجتهاد في الفروع لقوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ كما أشـار إليه المحقق الكمال بن الهمام وهو تقليد محمود وصاحبه مأجور.

(٣) تحفة الرأي السديد الأحمد لضيا التقليد والمجتهد لأحمد الحسيني ص/٤٠ قال في معرض كلامه على التفرقة بين التقليد والاتباع ماخلاصته: (والفـرق بـين التقليـد والاتبـاع أن التقليد هو الأخذ بقول الغير بغير حجة وهو الذي ينقسم إلى محمود ومذمـوم والاتبـاع هو سلوك التابع طريق المتبوع وأخذ الحكم من الدليل بالطريقة التي أخذ بها متبوعه... والفرق بينه وبين متبوعه أن متبوعه طلب الأدلة وسبرها وقدّم راجحها علـى مرجوحها
يتبع ⇐

وعلى هذا:

أ - فالمجتهدون على نوعين:

١ - مجتهدون اجتهاداً مطلقاً في الشرع كالأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد والإمام أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر رضي الله عنهم فكلهم مجتهدون مطلقون من الشرع، لكن بعضهم مستقل غير منتسب كأبي حنيفة رحمه الله، والأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد والبعض منتسب مع كونه مجتهداً مطلقاً كالأئمة الثلاثة أبي يوسف ومحمد وزفر ومن كان في طبقتهم كالحسن بن زياد والطحاوي[١] رحمهم الله تعالى، فكلهم حازوا رتبة الاجتهاد في الشريعة، وليسوا تابعين لأحد لا في أصول الاستنباط ولا في الحلول الجزئية المستخرجة من الأصول العامة، وإن توافقت الأصول فليس ذلك لتقليد بل للاقتناع مع الاستعداد للمخالفة إن لم يتوافر ذلك الاقتناع.

٢ - مجتهدون مقيّدون بالمذهب، وهم من يسمون بمجتهدين في المذهب. وهم في المذهب الحنفي طبقة المخرجين ومجتهدي المسائل وهم طبقة واحدة، وإن عدّهم ابن الكمال وابن عابدين ومن تبعهما طبقتين، إذ أن ماعدّوه طبقة ثانية لا وجود لها، وماعدّوه تخريجاً هو ترجيح في الحقيقة كما فنّد ذلك المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (أبو حنيفة)[٢] حيث جعل هناك الطبقات الخمس ثلاثاً: طبقة المجتهدين المطلقين وطبقة المخرجين وطبقة المرجحين، أما أنا فقد جعلت طبقة المخرجين وهي: ما يسمى بـ(اجتهاد المسائل) وهي الطبقة

⇐

وأخذ منها الأحكام والقواعد وفصل وبنى عليها الفروع والجزئيات، والتابع ينظر في تلك الأدلة ويقف على طرق الاستنباط التي بها أخذ ذلك المتبوع الأحكام منها فهو مثل المجتهد في معرفة الحكم من الدليل فمن كان قادراً على ذلك وجب عليه ويلزمه أن يأخذ بما ترجح عنده أنه الحكم من الدليل)اهـ. المصدر السابق ص/٣٩ و٤٠.

(١) ر: أبو حنيفة للمرحوم أبو زهرة أستاذنا ص/٤٤٠ و٤٤١ ومابعدها.

(٢) ر: أبو حنيفة ص/٤٤٣ و٤٤٤.

الثالثة عند ابن الكمال هي طبقة أهل الاجتهاد في دائرة المذهب، وهؤلاء يستخرجون أحكاما لمسائل لم تؤثر لها أحكام عن أصحاب المذهب الأولين بالبناء على قواعد المذهب، وليس لهم أن يجتهدوا في مسائل قد نصّ عليها إلاّ في دائرة معيّنة، وهي التي يكون استنباط السابقين فيها على اعتبارات لا وجود لها في عرف المتأخرين، بحيث لو كان السابقون موجودين لأفتوا بمثل فتواهم، وهؤلاء عملهم في الحقيقة يتكّون من عنصرين: (أحدهما) استخلاص القواعد العامة التي كان يلتزمها الأئمة أبو حنيفة وأصحابه من الفروع المأثورة عنهم فإن المأثور نثيره من الفروع، وأولئك هم الذين جمعوها في ضوابط وقواعد واعتبروها الأصل الذي كان على أساسه الاستنباط وكان مقياس الاستخراج السليم للأحكام الفقهية، وكان هو السّنن القويم للاجتهاد. (ثانيهما) استنباط الأحكام التي ينصّ عليها بالبناء على تلك القواعد حتى لا يحيدوا عن المذهب وهذه الطبقة هي التي خدمت الفقه الحنفي، إذ هي التي وضعت الأسس لنموه والتخريج فيه والبناء على أقواله وهي التي وضعت أسس الترجيح فيه والمقايسة بين الآراء، وتصحيح بعضها وتضعيف الآخر، وهي التي ميّزت الكيان الفقهي للمذهب الحنفي.

ومن هذه الطبقة: أبو بكر الرّازي الجصاص والخصاف والكرخي وصاحب الهداية والقدوري وأضرابهم.

ب ـ المتبعون:

وهم أصحاب الترجيح من الطبقة الرابعة والخامسة من طبقات ابن الكمال، فهاتان الطبقتان عنده هما في الحقيقة طبقة واحدة اسمها طبقة أهل الترجيح.

يقول المرحوم الشيخ أبو زهرة عن الطبقتين الخامسة والرابعة: « وإنا نرى أن التفرقة بين هذه الطبقة وسابقتها ليست واضحة»[1].

أقول: ((وهو الحق،هذا، والمرجّحون هؤلاء لا يستنبطون مسائل لا يعرف حكمها، ولكن يرجحون بين الآراء المروية بوسائل الترجيح التي ضبطتها هم الطبقة السابقة[2] فلهم أن يقروا ترجيح بعض الأقوال على بعض بقوة الدليل أو للصلاحية للتطبيق بموافقته لأهل العصر ونحو ذلك مما لا يعدّ استنباطاً مستقلاً ولا تابعاً، بل ترجيحاً وموازنة[3].

وهم أيضاً يستطيعون الموازنات بين أقوال المذاهب، ومن شأنهم تفضيل بعض الروايات على بعض بقولهم هذا أولى، وهذا أصح رواية، وهذا أوضح وهذا أوفق للقياس وهذا أرفق للناس.. يقول في هؤلاء المتّبعين صاحب رسالة (تحفة الرأي السديد الأحمد): ((وهؤلاء هم أهل الترجيح والتصحيح في المذاهب))[4].

---

(١) ر: أبو حنيفة ص/٤٤٤.

(٢) ر: أبو حنيفة للمرحوم الشيخ أبو زهرة، ٤٤٣ وهو يرى رحمه الله أن لا فرق بين الطبقة المذكورة هذه وبين سابقتها أي بين المرجِّحين وبين المخرِّجين، وهو كلام فيه نظر ولا أستطيع أن أرد عليه رحمه الله بأحسن من رده على نفسه في الصفحة التالية المذكورة أي ص٤٤٤، حيث اقترح عد الطبقات الخمس طبقات ثلاث هم: مجتهدون، مطلقون ومخرجون ومرجحون وهو الصواب في رأينا.
ر: ص/٤٤٤ من الكتاب نفسه.

(٣) أقول: ((الاتّباعُ مرتبةٌ فقهية أنزل من الاجتهاد وأعلى من التقليد أثبتها كثيرون من علماء المذاهب الأقدمين منهم (أبو عبد الله بن خوازمنداد البصري المالكي) قال: ((الاتباع ماثبت عليه حجة، وقال: ((كل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه، والاتباع في الدين مسوغ))اهـ. ر: إعلام الموقعين ج٢/ص١٩٧، وقال ابن القيم في المصدر ذاته: ((فإن الاتباع سلوك طريق المتبع والإتيان بمثل ما أتى به) ص/١٩٠.

(٤) ر: تحفة الرأي السديد الأحمد ص/٤٠.

ومن هذه الطبقة شمس الأئمة الحلواني وشمس الأئمة السرخسي وفخر الإسلام البزدوي[١] وفخر الدين قاضيخان وزين الدين العتّابي وأضرابهم.

ج ـ المقلّدون:

هم طبقة أصحاب التصحيح وهم الطبقة السادسة من طبقات ابن الكمال وابن عابدين، فطبقتهم هي طبقة المقلّدين الذين لا يرجحون بين الأقوال والروايات، ولكنهم على علم بما رجحه السابقون واختاروه وبيّنوا أنه الأقوى ويقول عنهم ابن عابدين نقلاً عن ابن الكمال: ((إنّهم القادرون على التمييز بين الأقوى والقوي والضعيف وظاهر الرواية وظاهر المذهب والرواية النادرة، كأصحاب المتون المعتبرة كصاحب الكنز وصاحب المختار وصاحب الوقاية وصاحب المجمع، وشأنهم ألا ينقلوا في كتبهم الأقوال المردودة والروايات الضعيفة، فعمل هذه الطبقة ليس الترجيح ولكن معرفة ما رجّح وترتيب درجات الترجيح، قد يؤدي ذلك إلى الحكم بين المرجّحين))[٢].

---

(١) أقول في كتاب (حجة الله البالغة) للدّهلوي بحث ماتع في إثبات مرتبة الاتباع بين التقليد والاجتهاد فيقول: ((ولهذا لم يزل العلماء ممن لا يدعي الاجتهاد المطلق يصنفون ويرتبون ويخرجون ويرجحون، وإذا كان الاجتهاد يتجزأ عند الجمهور والتخريج يتجزأ وإنما المقصود تحصيل الظن وعليه مدار التكليف فما الذي يستبعد من ذلك)) ر: حجة الله البالغة لأحمد بن عبد الرحمن الدهلوي ج١/ ص١٥٦ وما قبلها ومابعدها، وقال قبل صفحة: ((وليس منه فيمن لايدين إلا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتقد حلالاً إلا ما أحله الله ورسوله ولا حراماً إلا ما حرمه الله ورسوله، لكن لماذا لم يكن له علم بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ولا بطريق الجمع بين المختلفات من كلامه، ولا بطريق الاستنباط من كلامه اتبع عالماً راشداً على أنه مصيب فيما يقول ويفتي ظاهراً نتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن خالف ما يظنه وقع من ساعته من غير جدال ولا إصرار فهذا كيف ينكره أحد؟)) م.ن/ص١٥٥.

(٢) ر: أبو حنيفة ص/٤٤٥.

وبعد، فيرى الأستاذ المرحوم أبو زهرة أن الطبقات الثلاث الأولى: طبقة المجتهدين المطلقين وطبقة المخرِّجين، وطبقة المرجِّحين - من طبقات الاجتهاد أمّا عدّه طبقتي المجتهدين المطلقين والمخرِّجين من طبقات الاجتهاد فظاهر، أمّا عدّه طبقة المرجِّحين من طبقات الاجتهاد ففيه نظر، فأي اجتهاد في الترجيح بين الأقوال أو الكتب؟ فالترجيح اتّباع وليس اجتهاداً ولا تقليداً، ولكن هذا التّورط نشأ من عدم وجود مرتبة الاتباع في أذهان أصحاب الطبقات.

وهذا تورط ما كان ينبغي أن يقع فيه رجال هم فقهاء العصر وحملة لواء الشريعة فيه، على أنّ هذا التصنيف استلهمته من عدة ملحوظات أوردها الكاتبون في الطبقات و لم أنقله عن مصدر واحد، وهو أقصى ما وصلت إليه بعد إعمال الفكر، فأرجو أن أكون قد وفّقت فيه إلى الصواب.

المبحث الثاني

تصنيف طبقات الحنفية حسب التسلسل الزمني

١- الطبقة الأولى: (طبقة الإمام وأصحابه): من ٨٠ هـ - ٢٠٤ هـ:

١ - الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي.

٢ - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم.

٣ - محمد بن الحسن الشيباني.

٤ - زفر بن الهذيل.

٥ - الحسن بن زياد اللؤلؤي.

٦ - حمادابن أبي حنيفة.

٧ - نوحابن أبي مريم الجامع أبو عصمة.

٨ - أبو مطيع البلخي (الحكم بن عبد الله).

٩ - شريك بن عبد الله القاضي.

١٠ - يوسف بن خالد (السّمتي).

١١ - حفص بن الغياثي المسمى بـ (أبي حفص الكبير).

٢- الطبقة الثانية: (طبقة إسماعيل بن حمّاد) تنتهي حوالي ٢٥٠ هـ.

١ - إسماعيل بن حمّادابن أبي حنيفة.

٢ - أبو سليمان الجوزجاني (موسى بن سليمان).

٣ - معلّى بن منصور الرازي.

٤ - محمد بن سماعة (أبو عبد اللّه).

٥ - هشام بن عبد اللّه الرازي.

٦ - بشر بن الوليد الكندي القاضي.

٧ ـ بشر بن المعلّى.

٨ ـ بشر بن غياث المريسيّ.

٩ـ عيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى.

١٠ـ هلال بن يحيى البصري (هلال الرأي).

١١ ـ إبراهيم بن الجراح الكوفي.

١٢ ـ إبراهيم بن رستم المروزي.

١٣ ـ الحسن بن أبي مالك.

١٤ ـ محمد بن شجاع الثلجي.

١٥ ـ علي بن مثقال الرازي.

١٦ ـ محمد الأنصاري بن عبد اللّه.

١٧ ـ أبو سهل موسى بن نصر الرازي.

١٨ ـ محمد بن مقاتل الرازي.

١٩ ـ سليمان بن شعيب.

٢٠ ـ علي بن معبد بن شدّاد.

٢١ ـ أحمد بن قبيس.

٢٢ ـ خلف بن أيوب العامري البلخي.

٢٣ ـ شدّاد بن حكم.

٢٤ ـ أبو محمد الميداني الحسين بن حفص.

٣ـ الطبقة الثالثة: طبقة تلاميذ أصحاب الإمام (طبقة أبي بكر الخصاف) تنتهي حوالي ٢٨٥ هـ.

١ ـ أبو بكر الخصاف أحمد بن عمر.

٢ ـ محمد سلمة البغدادي أبو عبد الله.

٣ ـ أبو جعفر أحمد بن أبي عمران ((أستاذ الطحاوي)).

٤ ـ أحمد بن عيسى البرتي أبو العباس القاضي

٥ ـ بكر بن محمد العمّي.

٦ ـ أبو علي الدّقاق الرازي.

٧ ـ أبو حفص الصغير بن أبي حفص الكبير.

٨ ـ أبو بكر الجوزجاني.

٩ـ بكار بن قتيبة بن أسد.

١٠ ـ أبو بكر الرازي الكبير أحمد بن محمد بن مقاتل.

١١ ـ عبد الله الرازي بن جعفر ـ أبو علي.

٤ـ الطبقة الرابعة: (طبقة أبي حُميد القاضي) تنتهي حوالي: ٣٣٠ هـ.

١ ـ أبو حَميد عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي.

٢ ـ أبو سعيد البردعي أحمد بن حسين.

٣ ـ أبو بكر الإسكاف محمد بن أحمد.

٤ ـ أحمد بن إبراهيم الميداني.

٥ ـ أبو بكر البخاري محمد بن الفضل.

٦ ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعريّ المتكلم (إمام أهل السنة).

٧ ـ أبو نصر العياضي أحمد بن عباس السمرقندي.

٨ ـ أبو إسحاق الجوزجاني.

٩ ـ أبو منصور الماتريدي محمد بن محمد بن محمود (إمام الهدى).

١٠ ـ يحيى بن صاعد.

١١ ـ أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي.

١٢ ـ الحاكم الشهيد أبو الفضل محمد بن محمد بن أحمد المروزي.

٥ـ الطبقة الخامسة: (طبقة أبي جعفر الطحاوي) تنتهي حوالي ٣٥٠ هـ:

١ ـ أبو جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة.

٢ ـ أبو بكر الأعشى محمد بن أبي سعيد بن عبد الله أبو بكر.

٣ ـ أبو الحسن الكرخي عبيد الله بن حسين.

٤ ـ أبو طاهر الدباس محمد بن محمد بن سفيان.

٥ ـ أبو عمرو الطبري أحمد بن محمد بن عبد الرحمن.

٦ ـ أبو بكر محمد بن الفضل الكمّاري.

٧ ـ أبو القاسم إسحق السمرقندي بن محمد المعروف بالحكيم السمرقندي.

٨ ـ أبو جعفر بن عبد الله الإستروشني.

٩ ـ الصّفار البلخي أبو القاسم.

٦ـ الطبقة السادسة: (طبقة أبي علي الشاشي) تنتهي حوالي ٣٨٠ هـ

١ ـ أبو علي – علي الشاشي.

٢ ـ أبو عبد الله الدامغاني.

٣ ـ أبو جعفر الهندواني محمد بن عبد الله.

٤ ـ أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص أحمد بن علي صاحب أحكام القرآن.

٥ ـ أبو سهل الزجّاجي المعروف بالزجاج وبالفراجي وبالغزالي.

٦ ـ أبو حامد المروزي ابن الطبري أحمد بن الحسين بن علي.

٧ ـ أبو الحسن قاضي الحرمين أحمد بن محمد بن عبد الله.

٨ ـ أبو القاسم التنوخي علي بن محمد القاضي.

٩ ـ أبو الحسن التنوخي.

١٠ ـ أبو علي النسفي الحسين بن خضر.

١١ ـ أبو معين المكحولي محمد.

١٢ ـ أبو علي ابن سينا الحسين بن عبد الله ((الطبيب الفيلسوف)).

٧ـ الطبقة السابعة: (طبقة شمس الأئمة الحلواني) تنتهي ٤٦٠هـ.

١ ـ شمس الدين الحلواني عبد العزيز بن أحمد بن مصر.

٢ ـ أبو زيد الدَّبُوسي عبد الله[1] بن عمرو بن عيسى.

٣ ـ أبو العباس الناطفي أحمد بن محمد بن عمر.

٤ ـ أبو بكر الخوارزمي أحمد بن موسى.

٥ ـ أبو بكر عبد الله الجرجاني محمد بن يحيى.

٦ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السعدي.

٧ ـ محمد بن أحمد الحورذي البرقي.

٨ ـ أبو الليث السمر قندي.

٩ ـ أبو يعقوب بن محمد النيسابوري.

١٠ ـ أبو البديع مكحول بن أحمد.

٨ـ الطبقة الثامنة: (طبقة شمس الأئمة السرخسي) تنتهي حوالي ٥١٢هـ.

١ ـ شمس الدين السرخسي محمد أحمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي شمس الأئمة صاحب (المبسوط).

٢ ـ أحمد بن عبد العزيز الحلواني ابن شمس الأئمة.

٣ ـ أبو بكر محمد بن الحسن بن المعصور النسفي.

٤ ـ محمد بن الحسن الباهلي أبو نصر الخطيب.

٥ ـ شمس الأئمة أبو الفضل بكر بن محمد الزرنجري.

٦ ـ محمد بن علي بن الحسين.

٧ ـ أبو الفضل منصور بن نصر الكاغدي.

٨ ـ أبو سهل هارون بن أحمد الأسفرايني.

---

(١) وفي بعض كتب التراجم (عبيد الله) قلت: وهو صاحب كتاب (تأسيس النظر) وكتاب (تقويم الأدلة) .

٩- الطبقة التاسعة: (طبقة القدوري - تنتهي حوالي ٥٤٠ هـ).

١ - أبو الحسين القدوري أحمد بن محمد صاحب (المختصر).

٢ - شمس الأئمة أبو الفضل البخاري.

٣ - القاضي أبو عبد الله الصيمري.

٤ - أبو محمد الناصحي عبد الله بن الحسين.

٥ - عماد الإسلام أبو العلا صاعد بن محمد الإستوائي قاضي نيسابور.

٦ - سراج الأئمة برهان الدين عبد العزيز بن عمر بن مازن المعروف بصدر الماضي.

٧ - أبو بكر الحصري محمد بن عبد العزيز الأوزجندي جد (قاضي خان) الملقب بشيخ الإسلام.

٨ - مسعود بن الحسين الكشتاني.

٩ - أبو حفص عمر بن الحبيب الزندراسيّ جد صاحب الهداية لأمه.

١٠ - علاء الدين السمرقندي أبو بكر محمد بن أحمد.

١١ - فخر الإسلام البزدودي أخ القاضي محمد أبو اليسر.

١٢ - أبو اليسر البزدوي القاضي محمد بن محمد بن الحسين.

١٣ - أحمد بن إسماعيل ظهير الدين التمرتاشي.

١٤ - العباس أبو المنصور الحارثي أحمد بن محمد القاضي.

١٥ - أبو المظفر بن إسماعيل الأزهري الطالقاني.

١٦ - خُواهر زاده أبو محمد بن الحسن شيخ الإسلام ابن أخت القاضي البخاري ويعرف بأبي بكر خُواهر زاده.

١٠- الطبقة العاشرة: (طبقة أبي الحسن الصّندلي) تنتهي حوالي ٥٦٠هـ.

١ - أبو الحسن الصّندلي النيسابوري.

٢ - ظهير الدين المرغيناني.

٣ ـ أبو نصر الأقطع محمد بن محمد صاحب (شرح القدوري).

٤ ـ ابن ماكولا.

٥ ـ أبو إبراهيم الفقيه البشقالي.

٦ ـ محمد بن ظاهر السمرقندي العبّادي.

٧ ـ ظهير الدين زياد بن إلياس أبو المعالي.

٨ ـ أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان.

٩ ـ علي بن عبد الله الخطيبي.

١٠ ـ نجم الدين النسفي (أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي) صاحب العقائد.

١١ ـ الحسام الشهيد عمر بن عبد العزيز بن عمر مازه ويقال له (الصّدر الشهيد).

١٢ ـ تاج الدين محمد بن محمد (والد رضيّ الدين صاحب المحيط).

١٣ ـ تاج الدين أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازه (شيخ صاحب الهداية).

١٤ ـ ضياء الدين محمد بن الحسن النوسوقي.

١٥ ـ عثمان بن إبراهيم الجواقندي.

١٦ ـ علي بن الحسين البلخي المعروف بالبرهان البلخي.

١٧ ـ أحمد بن يوسف العلوي.

١٨ ـ مجد الدين السمرقندي محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده.

١٩ ـ إبراهيم بن إسماعيل الصفار.

٢٠ ـ ركن الأئمة عبد الكريم بن محمد.

٢١ ـ أبو بكر السمرقندي محمد بن أحمد.

٢٢ ـ الأسبيجابي شيخ الإسلام علي الأسبيجابي السمرقندي علي بن محمد أستاذ صاحب الهداية.

٢٣ ـ الولوالجي أبو الفتح ظهير الدّين عبد الرشيد بن أبي حنيفة بن عبد الرزاق الولوالجي صاحب (الفتاوى). من ولوالج بلدة من طخارستان بلخ.

٢٤ - أبو القاسم الزمخشري محمود بن عمر.

٢٥ - شمس الأئمة الزنجري عماد الدين بن عمر بن بكر بن محمد الزنجري.

٢٦ - أبو عمر بن عثمان بن علي البيكندي البخاري.

٢٧ - نصر الدين الأوشي شيخ الإسلام أبو عبد اللّه محمد بن سليمان، أستاذ صاحب الهداية.

١١- الطبقة الحادية عشرة: (طبقة قاضي خان) تنتهي حوالي ٥٩٣ هـ.

١ - قاضي خان (الإمام فخر الدين الحسن بن منصور بن محمد بن محمود بن عبد العزيز الأوزجندي).

٢ - العقيلي (شرف الدين عمر بن محمد بن عمر العقيلي).

٣ - محمود بن صاعد الحارثي شيخ الإسلام.

٤ - علاء الدين الخيالي (سديد بن محمد).

٥ - برهان الأئمة محمد بن عبد الكريم.

٦ - أبو الفضل الكرماني (ركن الدين).

٧ - العتابي (زين الدين البخاري أحمد بن محمد بن عمر).

٨ - المرغيناني (صاحب الهداية) (برهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل شيخ الإسلام) توفي ٥٩٣ هـ.

٩ - ركن الدين بن عبد الكريم الورسكي.

١٠ - أبو بكر الكاشاني (أبو بكر بن مسعود بن أحمد) ملك العلماء وعلاء الدين صاحب البدائع.

١١ - أبو المعالي بن اليسر البزدوي أحمد بن محمد.

١٢ - رضيّ الدين السرخسي (محمد بن محمد) برهان الإسلام صاحب المحيط.

١٣ - طاهر أحمد بن عبد الرشيد البخاري.

١٤ - أحمد بن محمود بن سعيد الغزنوي.

١٥ ـ الصابوني نور الدين أبو محمد أحمد بن محمود الصابوني.
١٦ ـ السجاونديُّ (سراج الدين أبو طاهر محمد بن محمد بن عبد الرشيد).
١٧ ـ المطرّزي اللغوي (برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي).

١٢ـ الطبقة الثانية عشرة: (طبقة جمال الدين الحصيري) تنتهي حوالي ٦٤٠هـ.

١ ـ جمال الدين الحصيري.
٢ ـ شمس الأئمة الكردري. (محمد عبد الستار بن محمد العمادي الكردري) (تلميذ صاحب الهداية).
٣ ـ تاج الدين عبد الغفار الكردري.
٤ ـ يوسف بن بكر السّكاكي (صاحب المفتاح في البلاغة).
٥ ـ ظهير الدين البخاري (محمد بن أحمد بن عمر).
٦ ـ الإخسيكثي (حسام الدين محمد بن محمد بن عمر).
٧ ـ خليفة بن سليمان الكاشاني.
٨ ـ عمر بن علي المرغيناني (ابن صاحب الهداية).
٩ ـ محمد بن علي المرغيناني (أخو عمر).
١٠ ـ محمد بن أحمد الموصلي بن عبد الحميد.
١١ ـ عبد الحميد حميد الدين محمد بن علي النّوقديّ.
١٢ ـ شمس الأئمة أحمد العقيلي (أحمد بن محمد بن أحمد).
١٣ ـ المحبوبي جمال الدين عبد الله بن إبراهيم.
١٤ ـ شمس الدين بن عطا.
١٥ ـ تاج الشريعة (محمود بن مسعود صدر الشريعة) صاحب (الوقاية ومعراج الدراية).

١٣ـ الطبقة الثالثة عشرة: (طبقة ابن أبي العز) تنتهي حوالي ٧٠٠ هـ.

١ ـ ابن أبي العز (صدر الدين أبو سليمان ابن أبي العز) قاضي القضاة.

٢ ـ الخلاّطي (صدر الدين أبو عبد الله الخلاّطي محمد بن عباد بن ملك داد).

٣ ـ خُواهَر زاده (بدر الدين محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردري المعروف بخواهر زاده) وهو ابن أخت شمس الأئمة الكردري وهو خواهرزاده المتأخر.

٤ ـ ابن أمين الدولة (الحسين بن أحمد بن أبي مجد الدين).

٥ ـ حميد الدين الضريري (علي بن محمد بن علي البخاري).

٦ ـ محمد بن نصر البخاري أبو الفضل.

٧ ـ محمد بن إلياس (عز الدين المايرغيّ).

٨ ـ النسفي (حافظ الدين أبو البركات عبد اللّه بن أحمد بن محمود) صاحب التفسير والمنار والكنز والكافي.

٩ ـ صدر الشريعة (عبيد الله بن مسعود بن محمود، تاج الشريعة).

١٠ ـ أبو المظفر (ظهير الدين محمد بن عمر بن محمد البخاري).

١١ ـ يوسف سبط ابن الجوزي.

١٢ ـ البرهاني (أبو الفضل محمد بن محمود المعروف بالبرهاني النسفي).

١٣ ـ ابن شجاع محمد بن عبد الكريم بن عثمان.

١٤ ـ الكاشاني أبو الفضل شرف الدين.

١٥ ـ مختار الزاهدي (مختار بن محمود) صاحب القنية.

١٦ ـ الأوزاعي (شمس الدين عبد اللّه محمد عطا).

١٧ ـ الحريري الموصلي (قاضي القضاة شمس الدين الحريري محمد بن أبي الفضل الموصلي عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود) المشهور بـ (ابن مودود الموصلي) صاحب كتاب (المختار والاختيار لتعليل المختار).

١٨ ـ نجم الدين بن أحمد الكاحنسواني.

١٩ ـ ابن النهرواني (أبو عبد اللّه القاضي الجعفي الكوفي).

٢٠ ـ ابن المعلم إسماعيل بن عثمان رشيد الدين.

٢١ ـ نجم الدين أبو طاهر إسحق بن علي بن يحيى (له حواشٍ على الهداية).

٢٢ ـ جلال الدين العبدي البخاري (محمد بن أحمد عمر).

١٤ـ الطبقة الرابعة عشرة: (طبقة أبي العباس السروجي) تنتهي حوالي ٧٢٨ هـ.

١ ـ السروجي (أبو العباس أحمد بن إبراهيم قاضي القضاة (له شرح على الهداية).

٢ ـ حسام الدين الصّغناقي (حسين علي بن حجاج) له النهاية على الهداية.

٣ ـ علاء الدين عبد العزيز البخاري صاحب (الكشف على أصول البزدوي).

٤ ـ أحمد الساعاتي البغدادي البعلبكي الأصل (أبو العباس مظفر الدين المعروف بابن الساعاتي) (صاحب مجمع البحرين في الفقه)، جمع فيه بين مختصر القدوري، والمنظومة مع زوائد وشرحه في مجلدين.

٥ ـ تقي الدين يوسف بن إسماعيل المعروف بابن المعلم.

٦ ـ محمد بن أبي بكر بن حسن صاحب (تحفة الملوك).

٧ ـ التنوخي أبو القاسم.

٨ ـ أبو علي الفرائضي.

٩ ـ شمس الدين الحريري قاضي القضاة.

١٠ ـ برهان الحق والدين (أحمد بن أسعد بن محمد) البخاري أستاذ قوام الدين الإتقاني.

١١ ـ علاء الدين الفارسي (الأمير).

١٥ـ الطبقة الخامسة عشرة: (طبقة جلال الدين الخبازي) تنتهي حوالي ٧٦٠ هـ.

١ ـ جلال الدين الخبازي (عمر بن محمد بن عمر) شارح (الهداية).

٢ ـ قوام الدين الكاكي ((له عيون المذاهب)).

٣ - ابن الركمان (شهاب الدين أحمد بن حسن).

٤ - ابن البرهان (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن داود الحلبي) المعروف بابن البرهان.

٥ - علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي.

٦ - علاء الدين التركماني (علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني قاضي القضاة علاء الدين الشهير بابن التركماني) له ((الكفاية مختصر الهداية)) وشرح عليها.

٧ - جلال الدين الكولانيّ.

٨ - أبو العباس أحمد وأبو الحسن ابن أبي علي.

٩ - نجم الدين أبو إسحق الدمشقي إبراهيم بن علي بن أحمد) ((صاحب الفتاوى الطرسوسية)).

١٠ - شمس الدين خطيب الولوي.

١١ - قطب الدين بن عبد الكريم.

١٢ - الزيلعي (فخر الدين عثمان بن علي بن محجن بن يونس أبو عمر الملقب فخر الدين أبو محمد(صاحب شرح الكنز).

١٣ - عضد الدين العجمي (زين الدين شمس الأئمة) ((له شرح مختصر ابن الحاجب.

١٤ - قوام الدين الإتقاني (أمير كاتب بن أمير عمر بن عميد أمير الغازي الإتقاني) له شرح على الهداية ((غاية البيان)).

١٥ - أبو العلاء الأنصاري ((عالم بن علاء) صاحب ((الفتاوى التتارخانية))[1].

---

(١) جمعها بارشاد (تاتارخان).

١٦- الطبقة السادسة عشرة: (طبقة أكمل الدين البابرتي) تنتهي حوالي ٨٠٠ هـ.

١ - أكمل الدين البابرتي (محمد بن محمد بن محمود) صاحب شرح الهداية (العناية).

٢ - ناصر الدين محمد البزازي.

٣ - أبو العباس القونوي (أحمد بن مسعود).

٤ - القرشي (محيي الدين عبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم أبو محمد بن أبي الوفاء القرشي) صاحب (الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية)

٥ - السيرافي (علي) علاء الدين.

٦ - شهاب الدين أبو العباس/ شارح مجمع البحرين.

٧ - الميلاسي البنّاني (جلال الدين بن أحمد بن يوسف السيرافي الميلاسي الشهير بالبنّاني).

٨ - الغزنوي (عمر) صاحب المقدمة (سراج الدين عمر بن إسحق بن أحمد الغزنوي) قاضي القضاة سراج الدين الثقفي، له /شرح التوشيح/ على الهداية.

٩ - القاآني (منصور بن أحمد القاآني أبو محمد الخوارزمي).

١٠ - الشريف الجرجاني (علي) صاحب /التعريفات / وحواشي المطالع/ وحواشي السعد/.

١٧- الطبقة السابعة عشرة: (طبقة قارئ الهداية) تنتهي حوالي ٨٣٠ هـ.

١ - قارئ الهداية (سراج الدين عمر بن علي بن فارس علي الكنائي) الشهير بقارئ الهداية شيخ الإسلام انتهت له رياسة المذهب.

٢ - محيي الدين الأسمر (يحيى بن علي).

٣ - ابن البزازي (حافظ الملة (الدين) (محمد بن محمد بن البزازي الكردري) له /الفتاوى البزازية/.

٤ ـ السراج الثقفي (سراج الدين الثقفي).

٥ ـ بدر الدين (ابن قاضي سماوة)[1] صاحب/جامع الفصولين.

٦ ـ ابن مَلَك (عبد اللطيف ابن فرشتة) له / شرح المجمع، وشرح الوقاية، وشرح المنار/.

٧ ـ علاء الدين الرومي /صاحب الأسئلة.

١٨ـ الطبقة الثامنة عشرة: (طبقة ابن الهمام) تنتهي حوالي ٨٦١ هـ.

١ـ الكمال ابن الهمام (كمال الدين محمد بن عبد الواحد المشتهر بابن الهمام) شيخ الإسلام تلميذ قارئ الهداية، صاحب /فتح القدير/.

٣ ـ شرف بن كمال القريمي.

٣ ـ الشمس الفناري (شمس الدين محمد الفناري).

٤ ـ يكان مولانا محمد بن أربغان من فضلاء الروم.

٥ ـ المولى القريمي (أحمد بن عطا الله).

٦ ـ خضر شاه بن جلال تلميذ (مولانا يكان).

٧ ـ مولانا محمد شاه بن الفناري.

٨ ـ حمزة القراماني.

٩ ـ مولانا طوسي العجم.

١٠ ـ يوسف خواجه زاده الشهير بمولانا زاده.

١١ ـ خسرو (محمود بن فراموز) المعروف بمنلا خسرو مؤلف (الدرر).

١٢ ـ المولى الكوراني.

---

(١) وفي بعض التراجم له (ابن قاضي سماونة).

١٩ـ الطبقة التاسعة عشرة: (طبقة يوسف سنان باشا) تنتهي حوالي ٨٨٠ هـ.

١ـ يوسف الشهير بسنان باشا بن مولانا خضر شاه.

٢ ـ خيالي (من أفاضل الروم) وله /حاشية على شرح الوقاية/

٣ ـ ابن الخطيب (قاسم بن يعقوب).

٤ ـ مصلح الدين الكستلّي صاحب /حاشية شرح العقائد.

٥ ـ لطفي الشهيد.

٦ ـ خطيب زاده.

٧ ـ فضل زاده.

٨ ـ أخي يوسف بن جنيد التوقيري.

٩ ـ غداري الكرماني.

١٠ ـ حسن حلبي بن الفناري / له حواشي على التلويح.

١١ ـ قاسم بن قطلوبغا.

٢٠ـ الطبقة العشرون: (طبقة ابن كمال باشا) تنتهي ٩٧٠ هـ.

١ ـ ابن كمال باشا (أحمد بن سليمان بن كمال باشا).

٢ ـ طاش كبري زاده (عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين).

٣ ـ إبراهيم بن محمد الحلبي صاحب / شرح المنية/[1].

٤ ـ زين الدين ابن نجيم.

---

(١) له شرحا المنية الكبير والصغير، والمنية متن في أحكام الطهارة والصلاة فقط لِسَديد الدين الكاشْغَري.

٢١ـ الطبقة الحادية والعشرون: (طبقة التمرتاشي) تنتهي حوالي ١٠٨٠ هـ.

١ ـ التّمرتاشي الغزي (الخطيب) صاحب /التنوير وشرحه منح الغفار/.

٢ ـ محمد بن مصطفى الواني الونكولي.

٣ ـ خير الدين الرملي صاحب /الحاشية على شرح المصنف على التنوير/.

٤ ـ عمر بن نجيم.

٥ ـ إسماعيل النابلسي.

٦ ـ عبد الوهاب بن الفرفور (مفتي دمشق الشام).

٢٢ـ الطبقة الثانية والعشرون: (طبقة الحصكفي) تنتهي حوالي ١١٤٣ هـ.

١ ـ علاء الدين الحصكفي (علي) صاحب /الدر المختار/.

٢ ـ حسين بن إسكندر الرومي صاحب /شرح التنوير/.

٣ ـ محمد الأنكوري (شيخ الإسلام).

٤ ـ عبد الرحيم بن أبي اللّطف.

٥ ـ عبد الغني النابلسي.

٢٣ـ الطبقة الثالثة والعشرون: (طبقة الحلبي المدّاري) تنتهي حوالي ١٢٠٥هـ.

١ ـ إبراهيم الحلبي المداري صاحب /تحفة الأخيار شرح الدر المختار/.

٢ ـ إبراهيم بن حسن الجبرتي صاحب /حاشية الدّر/.

٣ ـ خليل الفتال الدّمشقي صاحب /حاشية الدّر/.

٤ ـ ابن عبد الرزاق الحنفي صاحب / حاشية الدّر/.

٥ ـ محمد زاده الأنصاري.

٦ ـ إسماعيل الحائك (مفتي دمشق الشام).

٧ ـ إبراهيم الغزي.

٨ ـ مصطفى الرّحمتي الدمشقي صاحب / حاشية الدّر/.

٩ ـ حامد العمادي (مفتي دمشق الشام).

٢٤ـ الطبقة الرابعة والعشرون: (طبقة ابن عابدين) تنتهي حوالي ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م

١ ـ أحمد الطحطاوي (مفتي الديار المصرية) صاحب حاشية الدّر.

٢ ـ محمد عابد السندي (صاحب حاشية الدر:طوالع الأنوار).

٣ ـ عزمي زاده صاحب (الحاشية على الدّر).

٤ ـ المغربي (عبد المولى بن عبد الله الدّمياطي) صاحب (حاشية الدّر).

٥ ـ ابن عابدين (محمد أمين) صاحب حاشية (رد المحتار على الدّر)[١].



---

(١) ر: طبقات الفقهاء لطاش كبري زاده من ص/١١ إلى ص/١٣٥ والجواهر المضيئة للقرشي، والفوائد البهية للكّنوي.

الباب الثالث

دراسة الحاشية

(ردّ المحتار)

- التعريف بكتاب الدر المختار.
- هوية الحاشية.
- منهج تأليف الحاشية.
- مصادر الحاشية ومراجعها.
- التقارير العلمية عن الحاشية.
- خصائص الحاشية وميزاتها.
- فقه الحاشية.

الفصل الأول

التَّعْرِيفُ بِكِتَابِ «الدّرّ المختار»

- تمهيد.
- التعريف بمتن «التنوير».
- التعريف بكتاب «الدر المختار شرح تنوير الأبصار».

تمهيد

خُدِم المذهب الحنفي بمصنّفات جليلة ووفيرة على مرّ العصور، منذ تولي الإمام أبـي يوسف قضاء الخلافة الإسلامية إلى تصنيف مجلة الأحكام العدلية وشروحها على امتداد اثني عشر قرناً ونيف من عمر الزمان، كان المذهب الحنفي في أغلبها مذهب الدولة، وهذا شيء ليس بالقليل.

ومن أبرز هذه المصنفات المتأخرة كتاب متن /تنوير الأبصار وجامع البحار/ للتمرتاشي الغزي الحنفي الذي شرح بشروح كثيرة جدا سيأتي بيانها، أجلّها (الدر المختار) للحصكفي ولا يتعرّف على القيمة العلمية لهذا الكتاب الجليل (الدر) حتى نقدم بيانا بالتنوير ومصنفه وشروحه وهو ميدان بحثنا في المبحث الأول من هذا الفصل.

المبحث الأول

التعريف بـ ((متن التنوير))

المطلب الأول: التنوير ومصنفه:

أ ـ متن التنوير اسمه الكامل /تنوير الأبصار وجامع البحار/ قال عنه ابن عابدين في رد المحتار نقلا عن المحبي: ((منها التنوير وهو في الفقه جليل المقدار جم الفائدة دقق في المسائل كل التدقيق ورزق فيه السّعد فاشتهر في الآفاق وهو من أنفع كتبه))(١).

ب ـ المصنّف له: محمد التمرتاشي الغزي الحنفي، شيخ الإسلام، شمس الدين انتهى التمرتاشي من تأليفه لمتن التنوير سنة ٩٩٥ هـ.

ج ـ ترجمة المصنف: (التمرتاشي)

(هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم(٢) بن محمد الخطيب التّمرتاشي العمري الغزي الحنفي، شيخ الحنفية في عصره، من أهل غزة هاشم، مولده ووفاته فيها).

---

(١) رد المحتار ج١/ص١٣.

(٢) ذكر ابن عابدين في ترجمة العلاّمة التُمُرتاشي المذكور/ ما يلي: (محمد بن عبد الله بن أحمد الخطيب بن محمد الخطيب بن إبراهيم الخطيب اهـ حلبي.
ورأيت في رسالة لحفيد المصنف وهو الشيخ محمد بن الشيخ صالح بن المصنّف زاد بعد إبراهيم المذكور ابن خليل بن تمرتاشي) اهـ. رد المحتار ج١/ ص١٣، وتُمُرْتاشي: بضمتين وسكون الراء وتاء وألف وشين معجمة، قرية من قرى خوارزم ولقبه نسبة إلى جده تمرتاشي اهـ. رد المحتار ج١/ ص١٤.

ولد سنة ٩٣٩ هـ، ١٥٣٣ م عند الزركلي وسنة ١٥٢٣ عند كحالة وتوفي في أواخر رجب سنة ١٠٠٤ هـ، ١٥٩٦ م. عن خمس وستين سنة، وكان إماماً كبيراً حسن السمت قوي الحافظة كثير الاطلاع ذا رتبة عالية في العلم[١] وقد ألف التآليف العجيبة المتقنة.

د ـ مصنفاته، من تصانيفه:

١ ـ (تنوير الأبصار وجامع البحار) مطبوع ومنه نسخ مخطوطة قال عنها بروكلمان:

((موجودة بميونيخ رقم /٣٢٤/.

مانشستر ١٨١ ـ بطرسبرغ /٢٢/.

سليمانية ـ سليم ـ داماد زاده ـ قبوقلي ـ قيليس ـ تونس ـ سبته ـ دمشق ـ كحالة ـ الموصل ـ رامبور ـ آصف))[٢].

٢ ـ (منح الغفار شرح تنوير الأبصار) مخطوط.

٣ ـ (مُسعف الحكام على الأحكام) سماها بروكلمان /رسالة في القضاء والحكم/ وقال: ((إنها موجودة في هايدلبرغ، القاهرة) مخطوط وقال عنها كحالة: ((مسعفة الحاكم على الأحكام المتعلقة بالقضاة والحكام)).

٤ ـ (الوصول إلى قواعد الأصول) هكذا أثبته كحالة والزركلي، وأثبته بروكلمان هكذا.. /تيسير الوصول إلى قواعد الأصول، أو تحفة طالب الوصول/ مخطوط، وقال: ((إنه موجود في القاهرة)).

٥ ـ (تحفة الأقران) منظومة فقهية.

---

(١) ر: رد المحتار ج١/ ص١٤ نقلاً عن المحبي.

(٢) أقول: ((وهو في ظاهرية دمشق تحت رقم (ظ ٨٠٣٧) وفي برلين تحت رقم (٤٦٢٠). ور: بروكلمان ج٢ الذيل /ص٤٢٨.

٦ - (مواهب المنان[١] شرح تحفة الأقـران) /مخطوط، قـال بروكلمـان: ((إنهـا في القاهرة)).

٧ - (عِقد الجواهر النيرات في بيان خصائص الكرام العشرة الثقات). أي الصحابـة العشرة المبشرين بالجنّة. مخطوط.

٨ - (معين المفتي على جواب المستفتي) مخطوط.

٩ - (الفتاوى) مخطوط، قال بروكلمان: ((إنها في مدينة هايدلبرغ - تونس الزيتونة - بطرسبرغ)).

١٠ - (ترتيب فتاوى ابن نجيم/ أثبته بروكلمان فقط.

١١ - /إعانة الحقير لزاد الفقير/ (في فروع الفقه الحنفي) مخطوط - شرح على /زاد الفقير لابن الهمام/.

١٢ - /رسالة في النقود/ من مجموعة رسائل كثيرة أشار إليها الزركلي في الأعلام.

١٣ - /القواعد المرضية في شرح القصيدة اللامية/[٢] (في العقائد).

هـ - مصنفات أخرى:

زاد ابن عابدين في رد المحتار سوى ما ذكرنا المصنفات التالية:

١ - شرح الوقاية.

٢ - شرح الوهبانية.

٣ - شرح المنار.

٤ - شرح مختصر المنار.

---

(١) ذكرها ابن عابدين في رد المحتار (مواهب الرحمن).

(٢) بروكلمان ج٢ الذيل /ص٤٢٨، ر: الأعلام ج٧/ ص١١٧، ومعجـم المولفـين ج١٠/ ص١٩٧. أقول: ((والقصيدة اللامية هنا هي قصيدة (بدء الأمالي) في العقـائد الماتريديـة التي شرحها ملاعلي القارىء الهروي ت ١٠١٤هـ، وهي من نظم سـراج الديـن علـي بن عثمان الأوشي المتوفى سنة ٥٦٩هـ.

٥ - شرح الكنز إلى كتاب الأيمان.

٦ - حاشية على الدرر (لم تتم).

٧ - ورسائل كثيرة، منها:

١ - في عصمة الأنبياء.

٢ - وفي دخول الحمَّام.

٣ - وفي لفظ جوزتك. (بتقديم الجيم).

٤ - وفي الكنائس.

٥ - وفي المزارعة.

٦ - وفي الوقوف بعرفة.

٧ - وفي الكراهية.

٨ - وفي حرمة القراءة خلف الإمام.

٩ - وفي جواز الاستنابة في الخطبة.

١٠ - وفي أحكام الدروز والأرفاض.

١١ - وفي مشكلات رسائل وشرحها.

١٢ - وله رسالة في التصوّف.

١٣ - وشرحها.

١٤ - ومنظومة في التصوف.

١٥ - ورسالة في علم الصرف.

١٦ - وشرح القطر[١].

---

(١) ر: رد المحتار ج١/ ص١٤.

المطلب الثاني : شروح التنوير :

للتنوير شروح كثيرة، عثرنا على قسم منها بعد البحث والتمحيص والاستقصاء ونرجو أن يكون ما عثرنا عليه هو أغلب هذه الشروح. وهي:

١ ـ منح الغفار شرح تنوير الأبصار /للمصنف التمرتاشي، فرغ مؤلفه سنة ٩٩٧ هـ. وهذا الشرح نفيس جداً وصفه العلماء بأنه من مهام الفقهاء[١] وهو لايزال مخطوطاً، وعليه حاشية شيخ الإسلام خير الدين الرملي المتوفى سنة ١٠٨١[٢] الموجودة في مكتبة برلين تحت رقم (٤٦٢٩) برلين/ ذكره بروكلمان في شروح التنوير وقال: ((إن مخطوطاته موجودة في: (بريل هوتسما ـ سبتة ـ سليمان ـ داماد زاده ـ قيليس ـ سليم آغا ـ الموصل ـ رامبور ـ آصف))[٣].

وقد ظهر لي بعدُ أنه موجود أيضا في ظاهرية دمشق تحت رقم (٨٣٠١ و٢٥٧١) وفي مكتبة الأوقاف العامة[٤] في بغداد تحت رقم (١٣٢٠٤)

٢ ـ /الجوهر المنير في شرح التنوير/ تأليف حسين بن إسكندر الرومي المتوفى سنة ١٠٨٤ هـ. مخطوط موجود في ظاهرية دمشق تحت رقم (٨٠٨٨) وفي خزانة برلين تحت رقم (٤٦٢٩).

---

(١) من فهرس الفقه الحنفي في ظاهرية دمشق. ج٢، ص٢١٤. وقد وضعه الدكتور محمد مطيع الحافظ، وطبعه مجمع اللغة العربية.

(٢) هو خير الدين بن أحمد بن علي العُليمي الرملي المتوفى سنة ١٠٨١هـ وقد ذكر هذه الحاشية ابن عابدين فقال: ((وكتب على شرح مؤلفه شيخ الإسلام خير الدين الرملي حواشي مفيدة))اهـ. رد المحتار ج١/ص١٣.

(٣) بروكلمان ج٢/ الذيل ص٤٢٨.

(٤) كل ما نذكره من مخطوطات الأوقاف ببغداد فهو من فهرس المخطوطات العامة ببغداد وضع عبد الله الجبوري ج١/ط١٩٧٣.

٣ ـ /مطالع الأنوار ولواقح الأفكار وجواهر الأسرار لشرح تنوير الأبصار/. تأليف اليازجي واسمه إسماعيل بن عبد الباقي بن إسماعيل اليازجي المتوفّى سنة ١١٢١ هـ، مخطوط موجود في ظاهرية دمشق تحت رقم (٨١٣١).

٤ ـ خزائن الأسرار وبدائع الأفكار شرح تنوير الأبصار/ تأليف علاء الدين محمد ابن علي بن محمد بن عبد الرحيم الحصكفي المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ، صاحب الدر، وهو شرح غير الدر المختار، ألفه الحصكفي المذكور ووصل فيه إلى باب الوتر والنوافل و لم يكمله حيث قدره بعشر مجلدات كبار، وهو مخطوط بنسخة جيدة في ظاهرية دمشق تحت رقم (١٠١٠٤) في (١٣٠) ورقة كتبها تلميذ المؤلف قال فيه ابن عابدين: ((والظاهر أنه لم يكمله في المسودة أيضا، وإنما ألف منه هذا الجزء الذي بيضه فقط والله تعالى أعلم). رد المحتار ج١/ص ١٢.

٥ ـ /شرح ديباجة التنوير وشرح ديباجة الدّر / تأليف محمد بن عمر بن المولى عبد الجليل مخطوط في خزانة برلين[1] تحت رقم (٤٦٢٦).

٦ ـ /خلاصة التنوير وذخيرة المحتاج والفقير/ تأليف موسى بن أسعد بن يحيى المحاسني مخطوط في خزانة برلين تحت رقم (١١٧٣).

٧ ـ /نظم التنوير/ للمحاسني مخطوط في ظاهرية دمشق تحت رقم (٤٤٥٦).

٨ ـ /حميد الآثار في نظم تنوير الأبصار/ للهاشمي المتوفى سنة ١٣٤٣ هـ مطبوع في القاهرة ـ المطبعة السلفية عام ١٣٤٣ هـ.

٩ ـ وهناك شروح للتنوير أخرى أثبتتها خزانة برلين لغير هؤلاء أوردها هنا على عهدة صانعي فهرس مكتبة برلين من الألمان المستشرقين:

---

(١) كل ماذكرناه وما سنذكره من خزانة برلين فهو من فهرس مكتبة برلين ج٤/ من ص١٥٣ إلى ص١٥٦.

أ ـ شرح شيخ الإسلام محمد الأنكوري المتوفى سنة ١٠٩٨ تحت رقم (٤٦٢٩) برلين.

ب ـ شرح الشيخ عبد الرزاق مدرّس الناصرية الجوانية[1] تحت رقم (٤٦٢٩) برلين.

ج ـ عبد الرحيم بن أبي اللطف المتوفى سنة ١٠٩٣ ـ تحت رقم (٤٦٢٩) برلين.

١٠ ـ وهناك شرح الدر المختار لعلاء الدين الحصكفي مختصر كتابه خزائن الأسرار.

---

(١) وهِمَ واضع فهرس برلين هنا فذكر حاشية خير الدين الرملي على شرح المؤلف على التنوير ـ المسمى منح الغفار ـ شرحاً ووضعها مع شروح التنوير، وهي حاشية وليست شرحاً وليس هنا مكانها بل في الحواشي على التنوير وقد تقدم ذكرها.

المبحث الثاني

التعريف بكتاب الدر المختار شرح تنوير الأبصار

المطلب الأول : الدر ومصنّفه :

أ ـ الدر هو / الدر المختار في شرح تنوير الأبصار /اختصار لكتاب/ خزائن الأسرار وبدائع الأفكار/ للحصكفي.

ب ـ مؤلفه: محمد علاء الدين الحصكفي.

ج ـ ترجمة الشارح (الحصكفي).

هو محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن محمد بن جمال الدين ابن حسن بن زين العابدين الحصني الأثري الأصل الدمشقي الحنفي المعروف بعلاء الدين الحصكفي، مفتي الحنفية بدمشق، فقيه أصولي محدّث مفسر نحوي، ولد بدمشق عام ١٠٢٥ هـ، ـ ١٦١٦ م وتوفي فيها في ١٠ شوال ١٠٨٨ هـ، ـ ١٦٧٧ م عن ثلاث وستين سنة ودفن بمقبرة الباب الصغير(١).

كان فاضلاً عالي الهمّة، عاكفاً على التدريس والإفادة. قرأ بدمشق على محمد المحاسني واستجازه فأجازه، وارتحل إلى الرملة، فأخذ عن خير الدين بن أحمد الخطيب المعروف بـ (خير الدين الرملي) واستجازه فأجازه، ودخل القدس فأخذ عن فخر الدين بن زكريا، وحج فأخذ بالمدينة عن أحمد القشاشي، وتولى إفتاء الحنفية

---

(١) قريباً من قبر ابن عابدين الكبير إلى الجنوب على بعد خمسة عشر متراً تقريباً وهو قبر صغير متهدم عليه شاهدة حجرية صغيرة ١٣٩٧/١/١هـ.

بدمشق خمس سنين حتى توفي، وكان قد ولي قبل الفتوى إمامة الجامع الأموي بدمشق، وظلت معه إلى جانب فتوى الحنفية، وكان متحريا في أمر الفتوى غاية التحري و لم يضبط عليه شيء خالف فيه القول المصحح، وقد أقر له بالفضل والتحقيق مشايخه وأهل عصره، حتى لقد قال شيخه الشيخ خير الدين الرملي في إجازته له: ((وقد بدأني بلطائف أسئلة وقفت بها على كمال روايته وسعة ملكته فأجبته غير موسع عليه فكرر عليّ ما هو أعلى فزدته فزاد فرأيت جواد رهانه في غاية المكنة والسبق فبعّدت له الغاية فأتاه مستريحاً لا يخفق، ومستبصراً لا يطرق، فلما تبين لي أنه الرجل الذي حدّثت عنه وصلت به إلى حالة يأخذ مني وآخذ منه)). وقال عنه محمد المحاسني شيخه في إجازته له: ((وإنه ممن نشأ والفضائل تعله وتنهله، والرغبة في العلم تقرب له ما يحاوله من ذلك وتسهله حتى نال من قداح الكمال القدح المعلّى، وفاز بما وشح به صدر النباهة وحلى، وكان لي على الغوص على غرر الفوائد أعظم معين فأفاد واستفاد وفهم وأجاد)). وخلاصة ما قاله عند تلميذه المحبي: ((أنّه كان عالماً محدّثاً فقيهاً نحوياً كثير الحفظ والمرويات طلق اللسان فصيح العبارة جيد التقرير والتحرير))(١).

---

(١) ر: معجم المؤلفين ج١١/ ص٥٦ و٥٧، والأعلام ج٧/ ص١٨٨، ورد المحتار: ج١/ ص١١ وخلاصة الأثر: ج٤/ ص٦٣. أقول: ((والحصكفي نسبة إلى (حصن كيفا) وهو من ديار بكر، وهي بلدة صغيرة لا يزيد سكانها على ألف شخص يكتب اسمها الآن (حسنكيف) محرَّفاً، وتعرف اليوم باسم (شرناخ) وذكر ابن عابدين في رد المختار أنها بلدة على دجلة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين، قال: ((وكان القياس أن ينسبوا إليه الحصني، وقد نسبوا إليه أيضاً لكن إذا نسبوا إلى اسمين أضيف أحدهما إلى الآخر ركبوا من مجموع الاسمين اسماً واحداً ونسبوا إليه مثل عبشمي نسبة إلى عبد شمس)) ر: رد المحتار ج١/ ص١١، والأعلام ج٧/ص١٨٨.

د ـ مصنفات الحصكفي:

من آثاره:

١ ـ شرح تنوير الأبصار وسماه /الدر المختار/ في الفروع مطبوع.

٢ ـ خزائن الأسرار وبدائع الأفكار / لم يكمل في فروع الفقه الحنفي مخطوط.

٣ ـ شرح على المنار في أصول الفقه سماه / إفاضة الأنوار/ مطبوع.

٤ ـ /شرح على القطر/ في النحو مخطوط.

٥ ـ تعليقة على تفسير البيضاوي مخطوط من سورة البقرة إلى سورة الإسراء.

٦ ـ تعليقة على الجامع الصحيح للبخاري مخطوط تبلغ ثلاثين كراساً.

٧ ـ /الدر المنتفى شرح الملتقى/ مطبوع.

٨ ـ مختصر الفتاوى الصوفية.

٩ ـ الجمع بين فتاوى ابن نجيم ـ جمع التمرتاشي ـ وجمع ابن صاحبها ـ كـذا ـ ر: رد المحتار ج ١ /ص١٠.

١٠ ـ حواش على الدرر.

وغير ذلك من الرسائل والتحريرات(١).

قال عنها بروكلمان(٢) في تاريخ آداب العرب:

(بطرسبرغ رابع ـ مانشستر.

---

(١) ر: معجم المؤلفين ج١١/ ص٥٦ و٥٧، الأعلام ج٧/ ١٨٨، رد المحتار ج١/ ص١٠.

(٢) ر: بروكلمان ج٢ الذيل / ص٤٢٨ وقال أيضاً فيه: ((الدر المختار شرح تنوير الأبصار للتمرتاشي حسب ماجاء في سلسلة القانون المحمدي المطبـوع في لكنـو سنة ١٩١٣). جاء في فهرس مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا مايلي: (الدر المختار في المسجد الأحمدي بطنطا، خط نسخ متوسط ٦٨٦ مقاس ٢٢×١٦ بخط إبراهيم بن عمر بن مصطفى ١١٤٢ رقم خ ٣ ع ٩٦٣) اهـ. فهرس مكتبة المسجد الأحمدي بطنطا ص/٤٠ إعداد النشار الراجحي أبو الفتوح.

المتحف الملكي البريطاني - بريل - قيبس سرفيلي دحداح - سبته - القاهرة - تونس - الزيتونة - دمشق / كحالة - رامبور - بنكبوت.

طبع في: كلكتا - الهاشمي - لكنو مع الترجمة الهندوسية نوال كيشور بومباي - لاهور).

وقال أيضا: ((وترجم من الدر المختار من الجزء الأول كتاب النكاح ومن الجزء الثاني الطلاق إلى الإنكليزية (المترجم بريج موهاردايال) . وهو في ظاهرية دمشق مخطوط تحت رقم (٢٦٣٧، ٣٦٢٨، ٥٤٣٢، ٦٣٤٥) وفي خزانة برلين تحت رقم (٤٦٢٣).

المطلب الثاني : شروح الدّر [الحواشي] :

عني فقهاء الحنفية بالدّر عناية فائقة، ولقي من الشرح والتحشية ما لم يلق كتاب آخر بعد الهداية للمرغيناني فيما أحسب، وأكثر هذه الشروح لا زال مخطوطاً لم يطبع بعد، والأقل منها طبع، وإليك ثبتاً بذلك كله:

أ ـ أما مخطوطات شروح الدر فهي:

١ ـ /إصلاح الأسفار عن وجوه بعض مخدرات الدّر المختار/ تأليف (أبي التهاني حسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتي)[١] المتوفى سنة ١١٨٨ هـ. أثبته بروكلمان وذكر أنه في (بريل) وله مخطوطة في ظاهرية دمشق تحت رقم (٢٦٨٢).

٢ ـ /حاشية (سعدي أفندي على الدر)/ تأليف سعدي بن حامد العمادي، أثبته بروكلمان وذكر أنه مذيل بملحق لعبد الرحيم بن الطوري الشامي، وله مخطوطة في برلين تحت رقم (٤٦٢٨).

٣ ـ /تحفة الأخيار على الدر المختار/ تأليف برهان الدين إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم الحلبي المداري المتوفى سنة ١١٩٠ هـ. انتهى المؤلف منه سنة ١١٥٠ هـ. المشهورة بحاشية الحلبي على الدر، له مخطوطة في ظاهرية دمشق تحت رقم (٨١٩١)، ومخطوطة في مكتبة الأزهر تحت رقم (١٣٨) (٢٧٦٥)، وأثبته بروكلمان[٢] في تاريخ آداب العرب فقال: ((موجود في: سليم آغا ـ تونس الزيتونة ـ بنكبوت ـ قبوقلي))[٣].

---

(١) أقول: ((وللجبرتي هذا (حسن بن إبراهيم بن حسن الجبرتي الحنفي) حاشية على قول صاحب الدر المختار (إن الواجب يستوجب /٣٩٠/ واجباً) مخطوطة في خزانة برلين تحت رقم (٤٦٢٧) ر: خلاصة مكتبة برلين ١٥٣ ـ ١٥٦ ج٤.

(٢) ر: بروكلمان ج٢ الذيل/ ص٤٢٨.

(٣) وهم بروكلمان في هذا الموضع وهمين اثنين: الأول أنه ترجم الحلبي المذكور هنا بأنه (صاحب الحلبي الصغير والحلبي الكبير) وهذا خطأ لأن صاحب الكتابين المذكورين هو إبراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٥٦هـ. بينما الحلبي المداري هنا إبراهيم بن مصطفى توفي سنة ١١٩٠هـ، والخطأ الثاني أنه ذكر شرح حلية الناجي (الكوزة الحصاري) شرحاً لتحفة الأخيار بينما هي ـ حلية الناجي ـ شرح على الحلبي الصغير

يتبع ⇐

أقول: ((وله مخطوطة في مكتبة خزانة برلين تحت رقم (٤٦٣٠).

٤ ـ /حاشية الطحطاوي/ تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي المتوفى سنة[1] ١٢٣١ هـ. أثبتها بروكلمان وقال: ((إن مخطوطاتها موجودة في (فايز ـ سرقيلي ـ القاهرة ج ٣/ص٣٩ آصف ج٢ ١٠٣٨- بنكبوت). وهي في كتبخانة آيا صوفيا ص/٩١ تحت الأرقام التالية: ١ـ (١٥٢٧) ٢ـ (١٥٢٨) ٣ـ (١٥٢٩) ٤ـ (١٥٣٠) وهي في خزانة برلين تحت رقم (٤٦٣٠).

٥ـ /حاشية عزمي زاده على الدّر/ مؤلّفها (عزمي زاده المتوفى سنة ١٢٤٧ هـ)[2] واسمه الكامل (عبد اللطيف بن محمد البرميوي الصوفي الحنفي المعروف بـ عزمي زاده). مخطوطة في ظاهرية دمشق تحت رقم (١٠٦٢٢) ق (٣٢٠) تام ١٤×٢١ أولها (كتاب الطهارة): قوله ((وإنما وحدها، أي الطهارة الشرعية، ولذا قال لأنها في الأصل مصدر وارد بالأصل المعنى اللغوي المنقول عنه)). وأثبتها بروكلمان (ر: ج٢ الذيل /ص٤٢٨).

⇐

وهي مطبوعة سنة ١٢٥٠هـ في الآستانة، والوهم الثاني جاء نتيجة للأول فتدبر .. ر: بروكلمان ج٢ الذيل /٤٢٨ وانظر معجم المولفين ج١٢/ ص٢٨٣.

(١) وهم كثيرون منهم بروكلمان في تأريخ وفاة هذا الرجل ـ الطحطاوي حيث قالوا ١٢٣٣.اهـ. كما ذكر إليه بروكلمان، والصواب ماذكرنا. ر: معجم المولفين ج١/ ص٢٣٢ ومابعدها، وحلية البشر للبيطار ج٢٨١/١ ومابعدها، قلت: وهو الدوقاطي والطهطاوي ذاته وهي ألقاب له.

(٢) وهم بروكلمان هنا أيضاً حيث أرخ وفاة عزمي زادة المذكور سنة ١٠٤٠ وهي تاريخ وفاة عزمي زادة مصطفى بن محمد وليس هو صاحب حاشية الدر المنوه بها هنا بل صاحبها هو المذكور اعتماداً على المخطوطة ذاتها.

٦- /دلائل الأسرار على الدّر المختار/: المشهورة (بحاشية الفتال): مؤلفه (خليل بن محمد بن إبراهيم بن منصور الفتال الدمشقي المتوفى سنة ١١٨٤هـ[١]. أثبتها بروكلمان، وقال: ((مخطوطاته مصورة في دمشق بجلة المجمع العلمي العربي في دمشق رقم ٨ ص ٥٨٤، ١٩)[٢]. وهي مخطوطة في ظاهرية دمشق تحت رقم (٥٩:٢، ١: ٩٤٩٦) في جزأين اثنين بنسخة جيدة كاملة كلا الجزأين بقلم المؤلف وخطه، الجزء الثاني منها ذو الرقم ٥٩، في (٣٨٨ق) يبتدئ بكتاب البيوع وينتهي بنهاية الكتاب، والجزء الأول منها ذو الرقم ٩٤٩٦ يبتدئ ببداية الكتاب وينتهي بكتاب الوقف في (١٣٤ ق) وفي أول هذه النسخة تقاريظ بخط علماء عصر المؤلف وهم (محمد كمال الصديقي الحنفي، علي المرادي، بقاعي زادة العذري ، محمد خليل الصديقي، حامد العمادي، أحمد المنيني) أقول: ((وهي موجودة أيضا مخطوطة في مكتبة الأوقاف[٣] ببغداد مخرومة في (٤٣٠ ق تحت رقم (٣٩٥٢)).

---

(١) وهم بروكلمان أيضاً هنا حيث أرخ وفاة الفتال سنة ١١٨٦ وهي كما في معجم المؤلفين ج٤/ص١٢٦ سنة ١١٨٤هـ الموافقة ١٧٧٠م.

(٢) ر: بروكلمان ج٢ الذيل/ ص٤٢٨ وقال أيضاً ما يلي: ((RAAD/ VDI 57)) ترجمة لما سبق إلى الألمانية جاء في بجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بمجمع اللغة العربية فيما بعد - ما يلي في المجلد ٧ ص ٢٧٤ تحت عنوان: (علم بيان الكتب المخطوطة الموقوفة التي ابتاعها المجمع العلمي من كل من الكتبيين السادة عبيد وهاشم والقصيباتي في تموز ١٩٢٧ (١٩) الجزء الثاني من حاشية دلائل الأسرار على الدر المختار للشيخ خليل الشهير بالفتال الدمشقي بخط المؤلف المتوفى سنة ١١٨٦هـ - قلت: ((وهو موجود الآن في الظاهرية برقم (عام٥٩))).

(٣) قلت: ((وهم الجبوري واضع الفهرس، فأرخ وفاة الفتال سنة ١١٨٦هـ والصحيح ماذكر اعتماداً على ماقدمناه من النصوص والنقول)).

٧ـ /حاشية المؤلف على الدّر/ مفـاتيح الأسـرار ولوائـح الأفكـار في شـرح الدر المختار/ وهي لمؤلف الدر (محمد بن علـي الحصكفـي المعـروف بعـلاء الديـن أشار إليها بروكلمان بقوله: ((محمد بن علي فايز ص/١٣٣)) والنسخة مخطوطة في ظاهرية دمشق في جزء واحد هو الجزء الأول وصل فيه مؤلفـه إلى كتـاب الصـلاة و لم يكمله بعد ذلك[١].

٨ـ /المناسك من الدر المختار/: لطـاهر سـنبل، أثبتـه بروكلمـان وقـال إنـه مخطوط (موجود في رامبور ١ ـ ١٩٢ /١٨٨) وأغلب الظن أن هذا ليس بشـرح بل تجريد لمناسك الدّر كما يبدو من اسمه فقط.

٩ـ تعليق الأنوار على الدر المختار: تأليف عبد المـولى المغربـي المتوفـى سـنة ١٢٣٨ هـ، واسمه الكامل عبد المولى بن عبد اللّـه الدميـاطي[٢] ألفـه سـنة ١٢٣٢

---

(١) في هذا المكان أثبت بروكلمان شـرحاً على الـدر سماه (نقـد الـدُرّ؛ تـأليف محمـد بـن مصطفى الواني الونكولي المتوفى سنة ١٠٠٠هـ) ر: بروكلمـان ج٢ الذيـل /ص٤٢٨. ولدى التحقق من النقل تبين أن بروكلمان وهـم في اسـم الكتـاب فهـو (نقـد الـدُرر) براءتين لابراء واحدة وهو للمؤلف المذكور المتوفى على رأس الألف الهجرية وهو شرح على الدرر المسمى بـ /درر الحكام في شرح غرر الأحكام/ المعروف بالدرر شرح الغرر لمنلا خسرو الحنفي وعلـى الـدرر شـروح متعـددة منهـا نقـد الـدرر للوانـي الونكـولي المذكور ومنها شرح الشرنبلالي المطبوع على هامشـه اهـ. ر: تحقيـق ذلـك في معجـم المؤلفين ج١٢/ ص٣٣ قال في ترجمة الواني المذكور مانصه ((من تصانيفه.. نقد الـدرر حاشية على الدرر والغرر لمنلا خسرو) اهـ.

(٢) ر: بروكلمان ج٢ الذيل/ ص٤٢٨ قلت: ((وقد وهم بروكلمان أيضاً فجعل اسمه (عبـد المولى بن علي)) والصحيح ماذكرنا اعتماداً على معجم المؤلفين ج٦/ ص١٩٦.

وفرغ من تأليفه سنة ١٢٣٦) أثبته بروكلمان وقال: ((إنه موجود في لندنبرغ، منزل بريل ٥٩٧ بنكبوت ج ١٩ باب ٢ ص ١٧٧٤ - ١٧٧٦)٢.٠)(١).

قلت: ((وقد ظفرت بالنسخة الأصلية من هذه الحاشية بخط المؤلف في مكتبة الأزهر تحت رقم (١٠١٧٥/٥٨٣) وهذه المكتبة هي التي أرخت وفاة المغربي المذكور بـ ١٢٣٨ هـ. وأخذته عنها، لأن صاحب معجم المؤلفين لم يؤرخ وفاته بل اكتفى بأن قال: (كان حيا في عام ١٢٣٦) فقط (ر: معجم المؤلفين ١٩٦/٦).

١٠- /قرة الأنظار في حاشية الدر المختار/، تأليف القاضي (أبي الطيب محمد بن عبد القادر المدني). العلامة الحنفي، هكذا أثبتها البابانى البغدادي في إيضاح المكنون(٢) وضبط اسم مؤلفها وأثبتها كذلك بروكلمان تحت اسم (قرة الأنظار) وذكر أنها موجودة في (بيش) ص ٥٤٧ ولقد ظفرت منها بمخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم (٩٩٩٠/٢ مجاميع) وسماها /قرة الأنظار على شرح تنوير الأبصار للحصكفي/ وسمى مؤلفه (محمد بن عبد القادر أبو الطيب المدني الحنفي/ وقال: ((إنه شرح لغوي على الدر مخروم الآخر في ٦٢ ق(٣))).

---

(١) في هذا المكان أثبت بروكلمان شرحاً على الدر لمؤلف سماه محمد بن عبد القادر القاضي، عزاه إلى كحالة تحت رقم (٥/١٢٢/٣٦) و لم أظفر بشيء عن حقيقة هذا العزو، وقد راجعت الأستاذ كحالة شخصياً فلم يتعرف على ما ذكره بروكلمان، وقد ذكرت فيما سيأتي ترجيحاً بأغلب الظن أن هذه الحاشية لمحمد زاده حفيد قاضي زاده الحنفيين، وهذه الحاشية معروفة للمؤلف المذكور أوردتها تحت رقم ١٥ من الشروح على الدر، ولعل بروكلمان تابع في هذا الوهم كحالة في معجم المؤلفين ج١٠/ ص٨٤.

(٢) إيضاح المكنون ج٢/ص٢٢٣.

(٣) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ببغداد.

١١ـ /طوالع الأنوار على الدر المختار/ تأليف محمد عابد السندي[1] واسمه الكامل: (محمد عابد السندي المدني الأنصاري) المتوفى سنة ١٢٥٧[2]، أثبتها بروكلمان وقال: ((إنها مخطوطة في (لندنبرغ منزل بريل ٥٩٦، توجد نسخة في الإسكندرية بعد نسخة الأصل الموجودة في المدينة، نسخ نسخة الإسكندرية مكتبة أولاد إبراهيم. ن.))) قلت: ((وقد ظفرت بنسخة خطية منها في مكتبة الأزهر في ١٦ مجلداً تحت رقم (١٩٨٧ رافعي ٢٦٨٢))).

أما نسخة المدينة المنورة فهي الأصل وهي بخط المؤلف.

١٢ـ /تبشيرات الأنوار/ رسالة مجهولة المؤلف، أثبتها بروكلمان في (مكتبة داماد زاده ص/ ٨٤٤).

١٣ـ /نفائح الأزهار في كشف الأستار عن الدر المختار/ رسالة مجهولة المؤلف أثبتها بروكلمان في (الموصل ٩٧/١٣).

١٤ـ/سلك النضار شرح الدر المختار/ تأليف ابن عبد الرزاق الحنفي واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الشهير بابن عبد الرزاق الحنفي المتوفى سنة

---

(١) بروكلمان ج٢ الذيل/ ص٤٢٨ ولكن بروكلمان وهم في اسم مؤلفها فقال: ((الطيب السندي)) والصحيح ماذكرناه استناداً إلى إيضاح المكنون، أقول: ((وكذلك وهم بروكلمان في إقحام اسم حسن بن عمار الشرنبلالي المتوفى سنة ١٠٦٩ هنا على أن له حاشية على الدر وذكر أنها موجودة في تونس الزيتونة الجزء الرابع، والصحيح أن الشرنبلالي المذكور ألف حاشية على شرح الدرر والغرر لمنلاخسرو وليس حاشية على الدر، فشتان بين الدر والدرر. انظر معجم المؤلفين ج٣/ ص٢٦٥ والأعلام ج٢/ص٢٢٥.

(٢) وهم بروكلمان فأرخ وفاته سنة ١٢٥٨ والصحيح ماذكرناه اعتماداً على ترجمته في معجم المؤلفين ج١٠/ ص١١٣.

١١٣٨ هـ. وجدت منها نسخة في ظاهرية دمشق في (١٥٣ ق) تحت رقم (٦٦٦٢) ولم يذكرها[١] بروكلمان.

١٥- /نخبة الأفكار على الدّر المختار/ حاشية ألفها (محمد بن عبد القادر بن أحمد بن محمد زاده الأنصاري) الشهير بـ (محمد زاده الأنصاري) المتوفى بعد ١١٩٢ هـ. وهو من علماء القرن الثاني عشر[٢]، ولم يذكرها بروكلمان بهذا النص وهذه الحاشية موجودة بخط المؤلف في ظاهرية دمشق في أربعة أجزاء وهي كاملة جيدة وصفها واضع الفهرس[٣] بقوله: ((وهي تلخيص لأكثر حواشي الدر التي عثر عليها المؤلف مع زيادة مافات المتقدمين من المسائل المحتاجة لقارئ الكتاب))، انتهى المؤلف من تأليف الجزء الأول سنة ١١٩٢ هـ. وانتهى من الجزء الرابع سنة ١١٩١، وذلك على عادة بعض المصنفين الذين يبدؤون تصنيفهم من آخر الأبحاث وهي تحت رقم (١: ١٢٢، ٢: ١٢٣، ٣: ١٢٤، ٤: ١٢٥) في فهرس الحافظ، وتحت رقم (١: ٢٥٦٧، ٢: ٢٥٦٨، ٣: ٢٥٦٩، ٤: ٢٥٧٠ و٢٦٠٦) في فهرس المؤلفين العام في ظاهرية دمشق. أقول: ولعل هذه الحاشية هي

---

(١) وقد وهم بعض المعاصرين من الباحثين حيث قال: ((ومفاتح الأسرار في شرح الدر المختار)) عزاها لابن عبد الرزاق، وكتابه ليس بهذا الاسم ر: معجم المؤلفين.

(٢) وقد وهم بعض الباحثين المعاصرين حيث عزا الحاشية المذكورة إلى حد المذكور وهو (محمد صالح بن عبد الله المدني الحنفي :(قاضي زادة) المتوفى سنة ١٠٨٧هـ. والصحيح أن صاحب نخبة الأفكار هو ابن حفيده محمد بن عبد القادر بن أحمد بن محمد زاده الأنصاري، فمحمد زاده من علماء القرن الحادي عشر وابن حفيده من علماء أواخر القرن الثاني عشر فليصحح ر: معجم المؤلفين ج١٠/ ص٨٤ تحت اسم (محمد المدني).

(٣) هو الدكتور محمد مطيع الحافظ واضع فهرس الفقه الحنفي في ظاهرية دمشق/ وقد طبع.

التي نّوه بها بروكلمان تحت اسم (محمد بن القاضي)[1] تحريفا لـ (محمد زاده الأنصاري بن قاضي زاده) هذا ظن مني ولا أستطيع الجزم ولكن القرائن تشير إلى ذلك.

١٦ـ /حاشية على الدّر المختار/: تأليف الرحمتي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ. واسمه الكامل (مصطفى بن محمد بن رحمة اللّه بن عبد المحسن بن جمال الدين الأنصاري الحنفي الدمشقي ثم المدني الشهير بالأيوبي وبالرحمتي) لم يذكرها بروكلمان لكني ظفرت بنسخة منها في مكتبة الأزهر لكنها غير تامة كتب على ظهر الغلاف /حاشية الرحمتي على الدر المختار/ والموجود منها جزء يبتدئ بكتاب القضاء في مجلد في (١٣٤ ق) بقلم نسخ بخط (محمد أمين) ومسطرته ٢٣ سطراً في ٢٢سم² تحت رقم ((١٩٣) رافعي ٢٦٧٧٥) والجزء الرابع من نسخة أخرى يبتدئ بكتاب الكفالة في مجلد بقلم نسخ في ٢٨٩ ق ومسطرته ٢٧ سطراً في ٢٠سم² تحت رقم ((٢٢٦٨) حليم ٣٣١٤٩).

وظفرت كذلك بنسخة أخرى من مكتبة ولي الدين في إستامبول وضع عليها اسم /حاشية على الدر المختار في تنوير الأبصار المسمى بـ /منحة الباري/ تأليف (مصطفى بن محمد بن محمد الأيوبي الأنصاري الخزرجي) وأظنه صاحبنا الرحمتي المذكور في (١٤٨٦ صفحة) تحت رقم (عمومي ١١١٧) في جلد١ والخط عربي تعليق مسطرته ٢٢ سطراً[2]. قلت: ((وقد ذكرت هذه الحاشية في أغلب تراجم الرحمتي تحت اسم (حاشية على مختصر شرح التنوير للعلائي) ويقصدون بمختصر شرح التنوير: الدّر المختار والعلائي هو علاء الدين الحصكفي)).

---

(١) ر: بروكلمان ج٢/ الذيل ص٤٢٨.

(٢) ر: كتبخانة ولي الدين ص/٦٢ والأزهرية ومعجم المؤلفين ج١٢/ ص٢٧٧.

١٧ـ /تعليق على الدر المختار/: تأليف (إبراهيم الغزي المتوفى ١١٩٧ هـ) في ١٤ ق مسطرته ١٩ × ١٣ سم لم يذكره بر وكلمان لكن ذكره صاحب فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد تحت رقم (١٣٧٨٢/٥ مجاميع).

١٨ـ حواشي على الدّر/ مؤلفها (موفق البغدادي)[1] جمعها مجهول، أولها (الحمد للّه رب العالمين.. أما بعد فهذه حواشي وجدتها على هامش بعض نسخ الدر منسوبة للعالم الفاضل موفق بن عمر البغدادي روح اللّه روحه) مخرومة الآخر ٢٥ ق مسطرتها: ٢٤ × ١٤ سم تحت رقم (٩٨٧٦/١ مجاميع) في خزانة أوقاف بغداد.

١٩ـ /حاشية على الدر المختار/: تأليف مصطفى البرهاني واسمه الكامل (مصطفى بن محمد بن علي بن ولي بن محمد بن بني حان المعروف بالبرهاني الطاغستاني الأصل الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ١٢٦٥ هـ. قلت: ((وكان والده أمين الفتوى بدمشق وهذه الحاشية أثبتها الشطي في روض البشر)).

قال: ((وكتب حاشية على الدّر المختار اطلعت عليها أيضاً وهو يعزو أكثرها إلى حاشية الطحطاوي[2])).

---

(١) ما أدري هذه الحواشي هل هي على الدر بمعنى أنها شرح له أم كتبت على هامش الدر وهي لا علاقة لها به؟! ومن هو موفق البغدادي؟ هذا أمر طال تتبعي له و لم أعثر على جواب شاف، ولدينا ترجمة لموفق الدين البغدادي في كتب التراجم ولكن هذا المترجم له متقدِّم قبل صاحب الدر بزمن طويل فكيف يكتب حواشي على الدر؟ ولعله موفق بغدادي آخر مغمور من فقهاء الحنفية المتأخرين لم نعثر على ترجمته.. والله أعلم.

(٢) ر: روض البشر ص/٢٧٤.

٢٠- /حاشية على الدر المختار/: تأليف (عبد القادر الخلاصي بن إبراهيم الخلاصي) تلميذ ابن عابدين. وقد أرخ الشّطي وفاة عبد القادر هذا سنة ١٢٨٤، وقد أثبت هذه الحاشية للمذكور السيد علاء الدين عابدين في التكملة فسمّاه (شارح الدر للعلائي)[1] وهو آخر من شرح الدّر فيما أحسب و لم أعثر على حاشيته المذكورة.

٢١- /حواشي وتعاليق على شرح الدر المختار/: تأليف إسماعيل الحافظ واسمه (إسماعيل بن أحمد الأحمدي الحافظ) أمين الفتوى بطرابلس الشام مولود في طرابلس الشام ١١٩٨ هـ ١٧٨٤ م المتوفى بها سنة ١٢٨٨ هـ ــ ١٨٧١ م عن تسعين عاماً ونيف، أثبت هذه الحاشية كحالة في معجم المولفين[2] في ترجمته لإسماعيل الحافظ المذكور.

ب - أما مطبوع شروح الدّر فهو:

١ - حاشية الطحطاوي المتقدم ذكرها طبعت ١٢٦٨ هـ ببولاق بقطع كبير ولحاشية الطحطاوي هذه طبعات بولاقية أخرى سنة(١٢٥٤، ١٢٦٨ و١٢٨٢) ر: الصفحة الأخيرة من طب ١٢٨٢ هـ بولاق.

٢ - حاشية ابن عابدين وسيأتي تعداد طبعاتها فيما يلي من الفصول.

---

(١) التكملة: ج١ قلت: ((وهناك حاشية مجهولة المولف في كتبخانة أسعد أفندي في إستامبول في أربعة أجزاء تحت الأرقام التالية (٧٣١ و٧٣٢و ٧٣٣و ٧٣٤) ر: فهرس الكتبخانة المذكورة ص/٣٥.

(٢) ر: معجم المولفين ج٢/ ص٢٥٨.